المقاصد العليّة

في المطالب السنيّة

تأليف

العلّامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله

صاحب الغدير

تحقيق

محمّد الطباطبائي اليزدي



مؤسسة المحقق الطباطبائي


بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

المقاصد العليّة

في المطالب السنيّة

تأليف

العلّامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني رحمه الله
صاحب الغدير

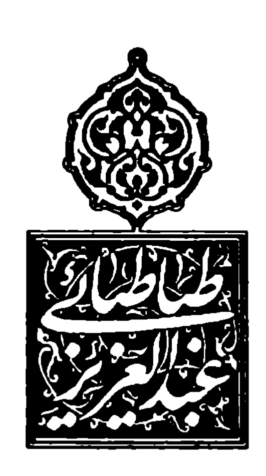
تحقيق

محمّد الطباطبائي اليزدي



مؤسّسة المحقّق الطباطبائي / ٢

سرشناسه: امینی، عبدالحسین، ۱۲۸۱ ـ ۱۳٤۹ .
عنوان و نام پدیدآور: المقاصد العليّة في المطالب السنيّة / تأليف عبدالحسين الاميني رحمه الله (صاحب الغدیر)؛ تحقیق محمّدالطباطبائی الیزدی .
مشخصات نشر: قم: دارالتفسیر، ١٤٣٤ ق. = ۱۳۹۲.
مشخصات ظاهری: ۵۲۸ ص.: تصویر.
شابک: ISBN 978 - 964 - 535 - 357 - 3
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی.
یادداشت: نمایه.
موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ١٤.
شناسه افزوده: طباطبایی یزدی، محمّد، ۱۳٤۹ -.
رده بندی کنگره: BP۹۸/ ۱۳۹۲ ۷م٨٤٤الف
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابشناسی ملی: ۳۰۷۲۵۹۱



مؤسسة المحقق الطباطبائي

المقاصد العليّة في المطالب السنيّة

للعلّامة الكبير العلم النحرير عبدالحسين بن أحمد الأميني رضوان الله عليه

حقّقه محمّد الطباطبائي اليزدي

طُبع في ربيع الآخر سنة ١٤٣٤ هـ. ق

إعداد: مؤسّسة المحقّق الطباطبائي، قم

الطبعة الأولىٰ، الناشر: دار التفسير، ٢٠٠٠ نسخة

ليتوغراف: تيزهوش، المطبعة: ستاره، ثمن النسخة: ٣٣٠٠٠ تومان

الفهارس الفنّية: السيّد محمّد المعلّم، الإخراج الفنّي: مهدي خوش رفتار أكرم

الخطّاط: الأستاذ محمّد تقي الأسدي، تصميم الغلاف: علي الطباطبائي اليزدي

البسملة من مخطوطة نهج البلاغة في مكتبة البرلمان الإيراني في طهران برقم ٤٥٩٩

ردمك ٩٧٨ـ٩٦٤ـ٥٣٥ـ٣٥٧ـ٣ ISBN 978 - 964 - 535 - 357 - 3

يوزّع في إيران، قمّ المقدّسة، شارع معلّم، مكتبة دار التفسير، الهاتف: ٧٧٤٤٢١٢

وفي طهران، شارع إنقلاب، منشورات طوس، الهاتف: ٦٦٤٦١٠٠٧

وفي مشهد الرضا عليه‌السلام، شارع آزادي، المكتبة المختصّه بأميرالمؤمنين عليه‌السلام، الهاتف: ٢٢٥٤١٢٣

وفي العراق، النجف الأشرف، نهاية شارع الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله، دار المرتضىٰ للنشر والتوزيع

وفي لبنان، بيروت، دار المؤرّخ العربي، الهاتف: ٥٤٤٨٠٥



مؤسّسة المحقق الطباطبائي

إيران، قم، صندوق البريد: ٥٦٦ / ٣٧١٨٥

الهاتف والفاكس: ٧٧٤٦٠٤٨ (٢٥١) ٩٨+

for information contact:

Mohaqeq Tabatabai Islamic Foundation (MTIF)

P.O.Box 37185-556, Qom, Iran

Tel/Fax: +98 (251) 774-6048

www.mtif.org

info@mtif.org



تِمثالُ العَلّامةِ الكبيرِ العَلَمِ الحَبرِ النِّحريرِ الشَيخ عبد الحسين بنِ أحمد الأمينيِّ النَجَفيِّ التَبريزيّ

وَنموذجُ تَوقيعِه رِضوانُ الله تعالىٰ عليه

الفهرس المجمل

مقدّمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً ورحمةً لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وأودعه من أسرار الحكم ودقائق المقاصد العليّة ما لا يُحاط له بحصرٍ ولا تحديد، وأقام عليه من دلائل الإعجاز وشواهد الامتياز في الإطناب والإيجاز ما أخرس مصاقع البُلغاء ومدارةَ الفصحاء حتّىٰ أذعن له منهم كلُّ مُكابرٍ وعنيد، فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحميد، والصلاة والسلام علىٰ حبيبه ومصطفاه الداعي إلىٰ توحيد الكلمة وكلمة التوحيد، وعلىٰ آله أئمة الحَقّ، ووُلاة الأمر الداعين إلى مهيَع الصواب والنهجِ السديد.

وأمّا بعد: فهذا كتاب «المقاصد العليّة في المطالب السنيّة» من رشحات يراع عالمٍ فذّ من عباقرة البشر في القرن الرابع عشر، العلّامة الكبير الحجّة المجاهد الشيخ عبد الحسين الأمينيّ النجفيّ صاحب كتاب الغدير طيّب الله رمسَه الشريف، لم يزل في زوايا الخبايا ولم ير النور لحدّ الآن، كتبه رحمه الله في إبّان شرخِ شبابه، وقبل تأليفه كتاب الغدير؛ مُعرباً عن المواهب الواعدة التي منّ بها المولىٰ تبارك وتعالىٰ علىٰ مصنّفه، وهو لمّا يزل من شبابه

الناضر في حُلّةٍ ضافيةٍ من إهابه ليكون من مصاديق قول الشاعر القديم:

«وَكَم مِن صَغيرٍ لاحَظَتهُ عِنايَةٌ مِنَ اللهِ فَاحتاجَت إِلَيهِ الأَكابِرُ»

وكما حكى والدُنا المحقّق السيّد عبد العزيز الطباطبائي، كان يرى الأمينيُّ رحمه الله لتأليفه هذا أهميّةً خاصّة وكان الكتاب لفترة زمنيّةٍ مفقوداً، ووجد بعد ذلك بمنّ الله وكرمه.[١] وقيل إنّه في أثناء تأليف كتابه هذا خطر بباله الشريف تأليف موسوعةٍ حول الغدير وحقانيّة مولانا أميرالمؤمنين. هذا وسنعرِض إلى التعريف بالكتاب بعد ذكر ترجمةٍ موجزةٍ للمؤلّف.

لمحة يسيرة عن حياة المؤلف

لا أجدُ فيَّ حاجةً إلى التعريف بالعلّامة الأمينيّ، فهو طاب ثراه أشهرُ من أن يعرَّف، ولن أزيد في هذا المجال علىٰ ما نمّقه سيّدنا الوالد المحقّق الفقيد السيّد عبد العزيز الطباطبائي قدّس الله روحه ونوّر ضريحه، حين تطرّق لذكر كتاب الغدير، وترجم لصاحبه في كتابه «الغدير في التراث الإسلامي» بما هذا نصُّه، قال:

شيخنا الحجّة العلّامة الفذّ المحقّق البارع آية التتبع والتنقيب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني التبريزي النجفي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ)[٢].

---

١. المحقّق الطباطبائي في ذكراه السنوية الأولىٰ: ١١٨١.

٢. أقولُ هنا ما قاله شيخنا صاحب الذريعة ـ قدّس الله نفسه ـ في نقباء البشر ٥٤٣/٢ عندما أراد أن يترجم لأستاذه العلّامة المحدّث النوري رحمه الله فقال:

«ارتعش القلم بيدي عندما كتبت هذا الاسم، واستوقفني الفكر عندما رأيتُ نفسي عازماً علىٰ ترجمة أستاذي الأميني وتمثّل لي بهيئته المعهودة بعد أن مضىٰ علىٰ فراقنا أكثر من عشرين سنة، فخشعت إجلالاً لمقامه، ←

ولد رحمه الله في تبريز في أسرة علميّة، ونشأ نشأةً صالحة، واتّجه إلىٰ طلب العلم، ودرس عند أساتذتها المرموقين، ثمّ غـادرها إلى النـجف الأشـرف لإنهاء دروسه العالية فحضر علىٰ أكابر أعلامها البارزين، ونهل من علومهم وارتوىٰ، ثمّ اتّجه إلى التأليف بهمّةٍ قعساء تزيل الجبال الراسيات، ولم يكن يومذاك في النجف الأشرف مكتبات عامّة سوىٰ مكتبة كانت في حسـينيّة الشوشتريّة وأخرىٰ هي مكتبة كاشف الغطاء رحمه الله، وفي كلٍّ منهما عدّةُ آلاف مخطوط ومطبوع، فكان يتردّد إليهما ويستنزف أوقات دوام المكتبة في مطالعة الكتب والانتفاع منها، ويكتب ما يختار من غضونها مـا عسـىٰ يحتاج إليه، ولكن دوام المكتبة المحدود بضع سـاعات لا تـفي بـهمّته ولا تشبع نهمته، فحدّثني رحمه الله قال: «إنّي عزمتُ علىٰ قـراءة كـتب مكـتبة الحسينيّة كلّها فاتّفقتُ مع أمينها أن يسمح لي بالبقاء فيها ويغلق عَلَيَّ الباب! فأجاب» قال: «فأتيت على الكتب كلّها!» كما وحدّثني أمين المكتبة رحمه الله بذلك أيضاً.

وحدّثني المغفور له آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله، قال: « إنّ الأميني لم يُبق في مكتبتنا كتاباً من كتبها سالماً لكثرة مراجعته لها وتقليبه فيها».

ثمّ لِنرىٰ هل ارتوىٰ واكتفىٰ؟ الجواب: لا، بل كان يراجع المكتبات الخاصّة في بيوت العلماء، والنجف الأشرف كانت يومئذٍ غنيّةً بالمكتبات الخاصّة، ومع ذلك كلّه الله وحده يعلم ماذا كان يعاني شيخنا الأميني في السعي وراء كتابٍ واحد حتّىٰ يفوز بأمنيّته.

← ودهشت هيبة له؛ ولا غرابة، فلو كان المترجَم له غيره لهان الأمر، ولكن كيف وهو من أُولئك الأبـطال غـير المحدودة حياتهم وأعمالهم.

أما شخصيّة كهذه الشخصية الرحبة العريضة فمن الصعب جدّاً أن يتحمّل المؤرّخ الأمين وزر الحديث عنها، ولا أرىٰ مبرّراً في موقفي هذا سوى الاعتراف بالقصور».

وبمثل هذه المثابرة والعمل الدؤوب، وإجهاد النفس في اليوم ١٨ ساعة بين قراءة وكتابة طوال سنين عدّة، وانقطاع عن المجتمع، وانصراف إلى العمل وانهماك فيه، أمكنه أن ينتج كتاب «الغدير» موسوعة ضخمة غنيّة بالعلم، مليئة بالحجج والوثائق، منقطعة النظير، والكتاب آية من آيات هذا القرن، ومثل هذا المجهود العظيم لا يقوم به فرد، وإنّما هو عمل لجانٍ في سنين كثيرة كما نبّه علىٰ ذلك جمعٌ مِمّن قرأوا الكتاب فأدهشهم العمل، منهم الفقيه الورع آية الله العظمى السيّد عبد الهادي الشيرازي ـ المتوفّى سنة ١٣٨٢ هـ ـ قال في تقريظ الكتاب طبع في مقدّمة الجزء الخامس «وقد يفتقر مثل هذا التأليف الحافل المتنوّع إلىٰ لجنةٍ تجمع رجالاً من أساتذة العلوم الدينيّة، ولو لم يكن مؤلّفه العلّامة الأميني بين ظهرانينا، ولم نر أنّه بمفرده قام بهذا العبء الفادح لكان مجالاً لحسبان أنّ الكتاب أثر جمعيّة تصدّى كلٌّ من رجالها لناحية من نواحيه...».

وقال السيد شرف الدين رحمه الله في تقريظٍ له، نشر في بداية الجزء السابع: « موسوعتك الغدير في ميزان النقد وحكم الأدب عمل ضخم دون ريب، فهي موسوعة لو اصطلح علىٰ إبداعها عدّة من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقاً... وأمّا الجوانب الفنيّة فقد نسجتها نسج صنّاع، وهيّأت لقلمك القويّ فيها عناصر التجويد والإبداع، في مادة الكتاب وصورته، وفي أدواتهما المتوفّرة، علىٰ سعة باع وكثرة اطّلاع، وسلامة ذوق وقوّة محاكمة...».

وقال بولس سلامة في كتاب له إلى المؤلف نشر في بداية الجزء السابع أيضاً: « وقد اطّلعتُ هذا السفر النفيس فحسبت أنّ لآلئ البحار قد اجتمعت في غديركم هذا! أجل يا صاحب الفضيلة إنّ هذا العمل العظيم الذي تقومون به منفردين لعبء تنوء به الجماعة من العلماء، فكيف استطعتم النهوض به

وحدكم ؟! لا ريب أنّ تلك الروح القدسية، روح الإمام العظيم عليه وعلىٰ أحفاده الأطهار أشرف السلام هي التي ذلّلت المصاعب...».

هذا وقد رحل شيخنا رحمه الله في سبيل كتابه هذا باحثاً عمّا لم يطبع من التراث من مصادر قديمة ومهمّة، رحل بنفسه إلى الهند وسوريا وتركيا وسجّل الشيء الكثير في مجلّدين ضخمين سمّاهما «ثمرات الأسفار».

ومن مآثر شيخنا الخالدة المكتبة العامّة التي أسّسها في النجف الأشرف باسم: «مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة» واقتنىٰ لها عشرات الألوف من نوادر المطبوعات ونفائس المخطوطات، ولم تزل عامرة بعين الله سبحانه، وقاها الله الشرور والآفات.

وتوفّي رحمه الله في طهران يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٩٠ هـ وحمل إلى النجف الأشرف، ودفن في مقبرةٍ خاصّة جنب مكتبته العامّة، رحمه الله رحمة واسعة وحشره مع مواليه عليهم السلام.

ودراسة جوانب حياة شيخنا رحمه الله تحتاج إلىٰ وقتٍ طويل ومجلّد ضخم، وقد كتب نجله البارّ صديقنا العزيز الشيخ رضا الأميني ـ حفظه الله [١] ـ دراسةً عن حياة والده في ١٢٧ صفحة، طبعت بأول الطبعة الرابعة من كتاب الغدير، وهناك كتاب « يادنامه علّامه امينى» في ذكرى الشيخ الأميني رحمه الله طبع في طهران بالفارسية، وهو مجموعة مقالات للأساتذة والكُتّاب القديرين، وذلك بجهود الأستاذين الدكتور السيد جعفر شهيدي والأستاذ محمد رضا حكيمي، وصدر سنة ١٤٠٣ هـ في قرابة ٦٠٠ صفحة. [٢]

---

١. وممّا يؤسفُنا أنّنا ونحن بصدد وضع اللمسات الأخيرة علىٰ تحقيق هذا الكتاب المستطاب، بلَغَنا نبأ وفاة نجل المؤلّف، فضيلة الشيخ رضا الأمينيّ، الذي كان ملازماً لوالده المقدّس في حلّه وترحاله، وكم له رحمه الله تعالىٰ من علاقةٍ وطيدة وصداقةٍ موثوقةِ العرى مع سيّدنا الوالد طيّب الله ثراه، ولا يسعُنا في هذا المجال إلّا أن نتضرّع إلى الله بواسع رحمته ونسأله أن يدخله فسيح جنّته.

٢. الغدير في التراث الإسلامي: ١٧٤ - ١٧٧.

التعريف بالكتاب في سطور

المقاصد العليّة في المطالب السنيّة كتابٌ يشتمل علىٰ بحوثٍ ضافيةٍ في تـفسير وتـحليل آياتٍ من كلام الله سبحانه وتعالىٰ تهمّ في آياته تعالىٰ وهي محلّ عنايةٍ للباحثين في عقائد الدين السابرين لأسرار آياته والمتدبّرين لها، ومدار اهتمامٍ للمفسّرين. وقد رتّب المـؤلّفُ كتابه هذا في مطالبَ أربعةٍ مستقلّة، والكتاب مشحونٌ بالروايات وأحـاديث أهـل البـيت عليهم السلام قد استند المؤلّف إليها في تفسير الآيات الشريفة وتأويلها وفي إثبات مقصوده ومدّعاه. كذلك زيّنه بالأبيات الشعريّة من عربيةٍ وفارسية، وأقوال العلماء الأفـذاذ تأيـيداً للمطالب المذكورة فيه. وأهمّ أجزاء الكتاب وأكثرها تفصيلاً هو الفصل الثالث منه (المطلب الثالث) الذي عقده المؤلّف في تفسير الآية ١٧٢ من سورة الأعراف المعروفة بآية الذرّ أو آية ألَست. فأتى المؤلف رحمه الله في تفسير هذه الآية بمطالب بديعة وتفاصيل لم يسبقه أحدٌ إليها. ولهذا قد غلب عنوان هذا الفصل علىٰ عنوان الكتاب، فتارةً يذكر الكتاب ذيـل عنوان «كتاب في عالم الذرّ» أو «في تفسير آية الذرّ» أو ما شابه هذا المعنىٰ. كذا ذكره شيخ المفهرسين الشيخ آقابزرگ الطهراني في الذريعة، قال:

(١٣٥٧) تفسير آية ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ من سورة الأعراف – آية ١٧١ (كذا) للشيخ المعاصر الحاج ميرزا عبد الحسين الأميني التبريزي مؤلف «شهداء الفضيلة». بدأ فيه بمقدّمةٍ علميّة مسلَّمةٍ ثمّ تكلّم عن عالم الذرّ وإثبات الميثاق الأوّل بدلالة آيات الكتاب البـالغة إلىٰ تسع عشرة، والأحاديث الشريفة البالغة مـائة وثـلاثين حـديثاً ويـوصف أربعون منها بالصحّة ـ الاصطلاحية ـ وأردفها بأقوال العلماء الكمّل، وختمها بأشعار الأدباء العارفين، تبلغ مائة وخمسين صفحة.[١]

---

١. الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة: ٣٢٣/٤.

عملنا في تحقيق الكتاب

١. تقويم النصّ وتصحيح ما فيه من خطأ وتصحيف ونقص بمقابلتها على المصادر والمعجمات المعتمدة.

٢. تخريج الآيات الكريمة والأحاديث والروايات الشريفة ـ والكتاب مشحون بها ـ من أهمّ المصادر والمجاميع الحديثية من الخاصّة والعامّة.

٣. عزو الأقوال الواردة ـ خاصّة الأقوال التفسيرية والآراء الكلامية ـ إلىٰ أصحابها إن اهتدينا إليها.

٤. كتابنا هذا مشتملٌ علىٰ أبياتٍ شعرية عربية وفارسية وقد جاءت بعض أبياته غير منسوبة أو مجهولة القائل، فحاولنا تقويمها وضبطها وتعيين نسبتها إلىٰ قائلها وخرّجناها على الدواوين ومصادر التخريج ثانياً.

٥. قمنا في موارد نادرة بشرح الألفاظ اللغوية الغامضة مبيّنين معناها؛ وكذا قمنا بذكر تراجم يسيرة للأعلام المذكورين، بهامش الصفحة.

٦. ولقد رأينا لزاماً علينا أن نلحق بالكتاب فهارس تيسّر على الباحثين طلبتهم، وهي فهارس للآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأبيات الشعرية، والأعلام، والكتب، والمصادر المعتمدة في تحقيق الكتاب.

وأما النسخة المعتمدة في التحقيق فهي نسخة واحدة وهي مصورة مخطوطةٍ مستنسخة عن خطّ المؤلف تحتفظ بها مكتبة المحقق الطباطبائي رحمه الله في قم برقم (ع/٧٥) كتبها الشيخ محمّد رضا ابن محمّد رحيم المشتهر بالكريمي، في ١٧٤ صفحة بخطٍّ جيّد، مشتملة على، أغلاط عدّة، كتبها عن نسخةٍ كانت عند آية الله السيّد هاشم الحسينيّ الطهراني رحمه الله فبحثنا عنها فلم نجدها.

جاء في آخر المخطوطة: «وقد نسخت هذه النسخة المباركة من نسخةٍ أخرىٰ فتوغرافية مخطوطة بيد المؤلف تغمّده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنانه، وعليها أثر علامة مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة بالنجف الأشرف، وكان الفراغ منها يوم الخميس الرابع من رجب المرجب يوم بعد يوم شهادة هادي الأمة وعاشر الأئمة علي بن محمّد الهادي عليهما السلام سنة أربعمائة وسبع بعد الألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل التحيّة والثناء ببلدة جرجان صانها عن طوارق الحدثان... وأنا أقلّ الطلاب وأفقر العباد محمّد رضا ابن محمّد رحيم المشتهر بالكريمي..».

وأخيراً فإنّا نقدّم هذا الكتاب الجليل للقارئ الكريم بهذه الحلّة القشيبة بعد جهودٍ مُضنية وقد نهدنا قدر الإمكان إلىٰ إعداده وتقديمه بالصورة اللائقة به، آملين أن يكون مورداً لاستحسان الباحثين وخدمة للعلم والدين. وله الحمد أوّلاً وآخراً.

محمّد الطباطبائي اليزدي

١٢ شعبان المعظم ١٤٣٣

المطلب الأوّل

في معنى قوله تعالى:

﴿قالُوا رَبَّنا أمَتَّنَا اثْنَتَينِ وأحْيَيتَنا اثْنَتَينِ﴾

وبيان «الإماتتين والإحيائين»

[الغافر (المؤمن): ١١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلوة علىٰ النبيّ المصطفى الأمين وآله الطيّبين

واللعنة علىٰ أعدائهم أجمعين

[تعريف الحياة والموت]

اعلم ـ هداك الله تعالى بنور تأييده ومدَّدك بقوَّة تسديده ـ أنَّ الحياة في المشهور عند الجمهور حقيقةٌ في القوّة الحسّاسة أو ما يقتضيها، وبِها سُمِّي الحَيَوانُ حَيَواناً؛ وبعبارةٍ أخرى الحيُّ هو الذي يصِحّ أن يَعلَمَ ويَقدرَ وهو الدرّاك الفعّال! فيُطلَق على القوَّة النامية مَجازاً لكونها من مقدّماتها، وعلى ما يختصّ بالإنسان من الفضائل، كالعقل والعلم والإيمان من حيث إنّه غايتُها وكمالُها.

والموت بازائها يُطلَق على ما يقابلها في كلِّ مرتبةٍ.[1]

وعدل بعضٌ عن ذلك إلى أنَّ الحيَّ في اللغة ليس عبارةً عمّن يُوجَد فيه هذه الصفة فقط حتّى يختصّ بالدرّاك الفعّال، بل كلّ شيءٍ يكون كاملاً في جنسه فإنّه يُسَمّى «حيّاً» وما بازائه يُسَمّى «ميّتاً»؛ ومن هنا صحّ أن يقال: «عمارة الأرض الخربة إحياء الموات»، وقال تعالى: ﴿فانظُرْ إلىٰ آثارِ رَحْمَتِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأرْضَ بَعدَ مَوْتِها﴾[2] فإنّ كمال حال الأرض أن يكون معمورةً فسُمِّيَت حياةً، وكمال حال الأشجار أن يكون مُورِقَةً نَضِرَةً[3] فسمّيت حياة.

والصفة المسمّاة بالحياة في عُرف المتكلّمين كمالٌ للجسم، لأنّ كمال الجسم أن يكون حسّاساً متحرّكاً، فلا جَرَم سُمّيَت هذه الحالة حياةً.

---

١. تعريف الحياة والموت عند الجمهور (الحكماء والمتكلّمين): تمهيد الأصول لشيخ الطائفة: ص ٤١، إرشاد الطالبين للمقداد السيوري: ٩٢ ـ ٩٤، الأسفار الأربعة لصدر الدين الشيرازي: ٦/٤١٣ ـ ٤٢١.

٢. الروم: ٥٠.

٣. وفي الأصل: نظرة، ولعلّه من خطا الناسخ!.

فلمّا كان المفهوم من الحيّ هو الكامل في جنسه، والكامل في الوجود هو الذي يـجب وجوده بذاته؛ فلا حيَّ بالحقيقة إلّا واجب الوجود لذاته!

ثمّ إنّه يستتبع هذا الاختلاف الخلاف بين علماء التفسير في أنّ اطلاق اسم الحيّ والميّت على الجماد ـ كما في غير موضعٍ من كتاب الله ـ حقيقةٌ أو مجازٌ؟

وذهب الأكثرون إلى أنّه مجازٌ؛

والحقّ خلاف ذلك.

والتحقيق أنّ الحياة والموت ليست هي كمال حال الشيء في جنسه أو نوعه، حيث إنّه لو كان كذلك لجاز أن يقال لكلّ كاملٍ في جنسه إنّه حيٌّ، ولا يقال للذّهب الكامل العيار إنّـه حيٌّ، ولا للثوب الكامل في نسجه إنّه حيٌّ، ولا للدرّ الصافي إنّه حيٌّ، وليست ممّا يـختصّ حقيقته للقوّة الحسّاسة التي في هـذه الحـيوانـات، وليس الاطـلاق مـجازاً فـي مـباديها ومقدّماتها من النباتات وغيرها أو غاياتها من العلم والإيمان، بل كلُّ شيءٍ يُلاحَظ له أثرٌ من الآثار له حياةٌ، وما بإزائها موتٌ، وهو عدم تلك الحياة.

وذلك أنّ كلَّ شيءٍ من الحيوانات والنـباتات والجـمادات وغـيرها مـن الجسـمانيّات والنورانيّات المجرّدة والروحانيّات المحضة، وكلُّ ما له آثارٌ وجوديّةٌ وشؤوناتٌ مـجعولةٌ يترقّب منه تأثيرها، وينبغي أن يكون كلّ على شأنه ومؤثّراً لما يُرى له من الآثار الوجوديّة التي بها حياته، له حياةٌ وموتٌ. فكلُّ شيءٍ ترتّب عـليه آثـاره الذاتـيّة وأفـادها وأفـاض بها وكان على ما ينبغي عليه فهو ذاتٌ قائمٌ بالحياة، وما بازاء ذلك فهو ميّتٌ؛ فـلكلِّ شـيءٍ حياةٌ وموتٌ.

ألا ترى ما في الدعاء المسمّى بالجوشن الكبير من قوله: «يا مُحْيِيَ كُلِّ شَيْءٍ وَمُميتَه! يا خالِقَ كُلِّ شيءٍ وَوارِثَه»[1] ونظير ذلك كثيرٌ في كلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام.

---

١. دعاء الجوشن الكبير مرويٌ عن النبي صلّى الله عـليه وآله، رواه جـماعةٌ مـن مـتأخّري أصـحابنا رضـوان الله تعالى عليهم.

رواه الكفعميُّ في البلد الأمين: ٤٠٢ ـ ٤١١، ونقله المحدّث القمي فى مفاتيح الجنان: ٨٦ ـ ١٠٠ (ط المكـتبة الاسلامية).

قال الكفعميُّ: هذا الدعاء مرويٌّ عن النبي... نزل به جبرئيل على النبي صلّى الله عليه وآله.

فليست حقيقةُ الحياة والموت من خاصّة القوّة الحسّاسة في نفسه بل كلُّ شيءٍ يُلاحظ ويُعتَبَر له شيءٌ من الآثار له حياةٌ وموتٌ بالإضافة إلى ترتّب آثاره الوجوديّة عليه وعدمه! وهذا المعنى جارٍ وسارٍ في جميع موارد الاستعمال، وهذا هو مدار صحّة الاطلاق في بعض الموارد دون بعض؛ وذلك وجه عدم اضافة الحياة للذهب الكامل العيار والثوب الكامل في نسجه والدرّ الصافي وأمثال ذلك ممّا لا يُرى له شيءٌ من الآثار ولا يُلاحظ ولا يُعتَبَر ترتّب أثرٍ على وجوده.

ويُعلَم ممّا حقّق: أنّ الحيَّ بوحدته وانفراده ـ كما ورد في غير واحدٍ من الأدعية الشريفة ـ إنما ذُكِرَ في مقام المدح البليغ ويفيد الثناء الجميل، ولا يحتاج لاقتران لفظ «القيّوم» إليه. والمدح إنما يحصل بمجرّد هذه اللفظة لا معهما، وهي جامعةٌ بمفادّها لغير واحدٍ من الأسماء الحُسنى الإلهيّة.

[مناقشةٌ مع الفخر الرازي]

فما أفاده الإمام الرازيُّ في الجزء الأوّل من تفسيره غير واقعٍ في محلّه! قال: «فإنْ قيل: الحيّ معناه الدرّاك الفعّال أو الّذي لا يمتنع أن يعلم ويقدر، وهذا القدر ليس فيه مدحٌ عظيمٌ، فما السبب في أن ذكره الله تعالى في معرض المدح العظيم؟!

فالجواب: أنّ المدح لم يحصل بمجرّد كونه حيّاً، بل بمجموع كونه حيّاً قيّوماً، وذلك لأنّ القيّوم هو القائم باصلاح حال كلٍّ ما سواه، وذلك لا يتُمُّ إلّا بالعلم التامّ والقدرة التّامّة؛ والحيّ هو الدرّاك الفعّال، فقوله الحيّ يعني كونه درّاكاً فعّالاً! وقوله القيّوم يعني: كونه درّاكاً لجميع الممكنات فعّالاً لجميع المحدَثات والممكِنات؛ فحصل المدحُ من هذا الوجه. انتهى».[1]

ولقد أجاد سقراط فيما أفاد من قوله: «أخصُّ ما يُوصَف به الباري تعالى هو كونه حيّاً قيّوماً! لأنَّ العلم والقدرة والجود والحكمة مندرجاتٌ تحت كونه حيّاً، والحياة صفةٌ جامعةٌ للكلّ! والبقاء والسرمد والدوام تندرج تحت كونه قيّوماً، والقيّوميّةُ صفةٌ جامعةٌ للكلّ»[2]!

---

١. تفسير الرازي: ١/ ٤٧ (المسألة الرابعة) في تفسير سورة الفاتحة.

٢. المللل والنحل للشهرستاني: ٢/ ٨٤.

[حقيقة الحياة والموت في أحاديث المعصومين عليهم السلام]

ولمّا كان يُرشدنا إلى هذا المعنى تتبّعُ أخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام نذكر لإيضاح الحقِّ والصواب أخباراً عديدةً.

الأوّل من الأخبار التي يرشدنا إلى حقيقة معنى الحياة والموت ما رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم ينفعْك حياتُه فعُدَّهُ في المَوتى»![1]

فهذه الرواية الشريفة صريحةٌ في المرام، توضيحه: إنّ البشر من آثاره الخاصّة الوجوديّة إفادة النفع وإيصال الخير الي الغير، ومن شأن الوجود البشريّ انتفاع الناس منه. فمن لم يترتّب على وجوده هذا الأثر فهو ميّتٌ على الحقيقة بالنسبة إلى عدم ترتّب هذا الأثر الخاصّ الوجوديّ وإن كان حيّاً بالإضافة إلى آثارٍ أخرى.

الثاني: ما رُويَ عنه عليه السلام: «مَن تَرَكَ إنكارَ المنكرِ بقلبه ويدِه ولسانِه فهو ميّتٌ في الأحياء»![2]

[توضيح الحديث وبيان مراتب النهي عن المنكر]

توضيح الحديث: إنّ من جملة آثار وجود البشر وشؤونه الإنسانيّة التي ينبغي أن يكون عليها إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه! فمن ترك ذلك وما ترتّب على وجوده هذا الأثر البشريّ الخاصّ فهو ميّتٌ بالحقيقة بالإضافة إلى هذا الأثر الخاصّ! والرواية ناظرةٌ إلى أنَّ تارك النهي عن المنكر بقلبه الذي هو آخر مراتبه ومدارجه ميّتٌ، وليس هو كتارك مرتبتيه الأُخريين.

وذلك أنّ النهي عن المنكر، له مراتب ثلاثة: نهيٌ عنه باليد وهو أوّل المراتب، ثمّ نهيٌ عنه باللسان، ثمّ نهيٌ عنه بالقلب؛ وهو من آثار الوجود البشريّ الاسلامي؛ فلابدّ من ترتّب هذا الأثر على وجود الرجل الدينيّ ولو بآخر مراتبه وأقصى درجاته وهو إنكاره بالقلب، وهذه المرتبة الأخيرة ما لابدَّ منه على كلِّ حالٍ ويتمكّن منه كلُّ مكلّفٍ في تمام

---

١. عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمّد الليثي الواسطي: ٤٢٥، مشكاة الأنوار: ١/ ١٠٥، تصنيف غرر الحكم: ٩٦٠٦.

٢. وسائل الشيعة: ١٦/ ١٢٣، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي: ٦/ ١٨٢ ح ٢٣.

الأحوال، ولا يكون لأحدٍ في تركه عذرٌ، بخلاف مرتبتي إنكاره باللسان واليد، فإنّه قد يكون منهما بُدٌّ وعنهما عذرٌ؛ فمن ترك آخرَ مراتبه وأقصاها ولم يترتّب على وجوده شيءٌ من هذا الأثر ولو بآخِرِ مراتبه، فهو ميّتٌ في الحقيقة، لانقطاع هذا الأثر الوجوديّ الحياتيّ عنه بمراتبه ومدارجه.

ويرشدك إلى هذا التحقيق ما رُوِيَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام، قال في كلامٍ له: «فمنهم المنكِر للمنكَر بيده ولسانه وقلبه، فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكِر بلسانه وقلبه والتارك بيده، فذلك متمسّكٌ بخصلتين من خصال الخير ومُضَيّعٌ خصلةً، ومنهم المنكر بقلبه والتّارك بيده ولسانِه، فذاك الذي ضيّع أشرفَ الخصلتين من الثّلاث، وتمسّك بواحدةٍ (أشرف الخصلتين، من إضافة الصفة للموصوف، أي الخصلتين الفائقتين في الشرف عن الثالثة، وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدّد)[1]. ومنهم تارك لإنكار المنكَر بلسانه وقلبِه ويدِه، فذلك ميّتُ الأحياء»![2]

وفي كلام له عليه السلام: «إنّ أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد الجهادُ بأيديكم، ثمّ بألسنتكم، ثمّ بقلوبكم! فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم يُنكِر منكراً قُلِبَ، فجُعِلَ أعلاهُ أسفلَهُ وأسفلُهُ أعلاه»![3]

ورُوِيَ عنه عليه السلام في المعنى: «أيها المؤمنون! إنّه من رأى عدواناً يُعمَل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكر بقلبه فقد سلِمَ وبرئَ من الإثم وسلم من العقاب إن كان عاجزاً. ومن أنكره بلسانه فقد أُجِرَ وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العُليا وكلمةُ الظالمين السُفلى، فذلك الذي أصاب سبيلَ الهدى وقام على الطريق، ونوّر قلبَه اليقينُ».[4]

ولا يخفى أنّ ما ذُكِرَ من كون الإنكار القلبيّ آخر مراتب النهي عن المنكر وأقصى

---

١. ما بين القوسين فهو من كلام العلامة الأميني مصنف الكتاب، وليس من الرواية.

٢. نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤، ونقله عن الرضي الحرُّ العاملي في وسائل الشيعة: ١٦/ ١٣٤، وقريبٌ منه ما ورد في بحار الأنوار: ١٠٠/ ٨٢ح ٤٣.

٣. نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٥، عيون الحكم: ١٥٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩/ ٣١٢. ورواه المتقي الهندي في كنز العمال: ٣/ ٦٨٣ برقم ٨٤٥٢ مع اختلافٍ يسيرٍ عن ابن أبي شيبة وأبي نعيم.

٤. نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٣، وسائل الشيعة: ١٦/ ١٣٣.

درجات إنكار المنكر لا ينافي ما رُوِيَ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من «أنّ أدنى الإنكار أن [لا] تلقى أهلَ المعاصي بوجوهٍ مبشّرةٍ»![1] حيث إنّ هذه الحالة من آثار الإنكار القلبيّ، وذلك تعبيرٌ عنه بأثره.

الثالث: ما رُوِيَ عن عليّ عليه السلام: المُحسن حيٌّ وإنْ نُقِلَ إلى منازل الأموات.[2]

فالمحسن حيٌّ بالحقيقة، وحياته حقيقيّةٌ بالإضافة إلى إحسانه ولترتّب آثاره الوجوديّة عليه من هذه الجهة، وإن كان ميّتاً من جهة عدم ترتّب آثارٍ أخرى عليه من آثاره الوجوديّة!

ويرشدك إلى ذلك ما رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام: «من يعيش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأعمار».[3]

فكما أنّ العيش بالأعمار نحوٌ من الحياة كذلك العيش بالإحسان نحوٌ آخَر من الحياة، وكلتا الحياتين حقيقةٌ على نهجٍ واحدٍ.

الرابع: ما رُويَ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «العالمُ حيٌّ بين المَوتى، والجاهل ميّتٌ بين الأحياء»![4]

يعني عليه السلام: أنّ العالم حيٌّ بين الجُهّال وهم الموتى، والجاهل ميّتٌ بين العلماء وهم الأحياء. فإطلاق الحيّ للعالِم من جهة ترتُّب الآثار العلميّة التي مبدأُها العلم، وكذا إطلاق الميّت على الجاهل من جهة عدم ترتّب تلك الآثار الوجوديّة عليه إنما هو على وجه الحقيقة لا المجاز.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ الإنسان من آثار وجوده الإنسانيّ وخاصّته البشريّ وجهاته المميّزة

---

١. الكافي: ٥/ ٥٨ وعنه في وسائل الشيعة: ١٦/ ١٤٣، التهذيب: ٧/ ١٧٦. أقول: وفي المصادر كلّها: «بوجوهٍ مكفهرة»، وهو الصحيح في معني الرواية الشريفة، وبهذا اللفظ (مكفهرة) أوردها المؤلف قدس سره في كتابه الغدير: ٨/ ١٦٦.

و المُكفهِر: العبوس، ويقال (فلانٌ مكفهرٌ) أي: منقبضٌ كالحٌ لا يرى فيه أثر بشرٍ ولا فرحٍ. لسان العرب: ٥/ ١٥١.

٢. عيون الحكم والمواعظ لعلي بن محمّد الليثي الواسطي: ص ٢٧، غرر الحكم: ٨٨١٩.

٣. هذا شطرٌ من الحديث، أوّله: «من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال»، راجع عنه: بحار الأنوار: ٥/ ١٤٠، ح ٦. أمالي الطوسي: ٣٠٥ ح ٨٥٨. مستدرك الوسائل: ١١/ ٣٢٦ ح ٨.

٤. عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٥ و ٦٥، تصنيف نهج البلاغة: ٧٥٧، وغرر الحكم: ١١٦٣، وفيه: الجاهل ميتٌ وإن كان حياً.

العلمُ، ومِن شأنه ينبغي أن يكون عالماً. والعلم هو أُسُّ آثارٍ كثيرةٍ ومثمرةٍ خيراتٍ غزيرةٍ مترتّبةٍ على الوجود الإنساني الذي يترتّب عليه هذا الأثر الوجوديّ الإنساني، فهو حيٌّ في الحقيقة بالإضافة إليه، ومن لم يترتّب عليه ذلك الأثر فهو ميّتٌ على الحقيقة لا المجاز.

قال بعض الأدباء في هذا المعنى:

هذِّبِ النّفسَ بالعُلومِ لِتَرقى ... وتَرى الكلَّ فهيَ للكلِّ بيتُ
إنما النفس كالزُّجاجَة، وَالعَقْ[1] ... لُ سِراجٌ، وحكمةُ الله زَيتُ
فإذا أشرَقتْ فإنّك حيٌّ ... وإذا أظلمت فإنّكَ مَيْتُ[2]

وفي معنى هذه الرواية الشريفة العلويّة ما رُوِيَ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «طالب العلم بين الجهّال كالحيّ بين الأموات»![3]

وإلى هذه الآثار العلميّة التي ثمرة شجرة العلم، وإنّه من الآثار الوجوديّة البشريّة والشئون الانسانيّة وهو الحياة، وينبغي أن يكون الانسان واجداً له أشار عليٌّ عليه السلام بقوله: «اكتَسِبُوا العلمَ يُكسِبكُم الحياة»![4]

وقوله عليه السلام: «العِلمُ حياةٌ وشِفاءٌ»![5]

وقوله عليه السلام: «الجاهلُ ميّتٌ»[6]!

وقوله عليه السلام: «العلمُ حياةُ القلوب»!.[7]

فعُلِمَ أنّ من ترَتَّب على وجوده الآثار العلميّة فهو حيٌّ بالحقيقة، ومادام ترتُّب تلك الآثار

---

١. في بعض المصادر: العلم (بدل العقل).

٢. الأبيات منسوبةٌ إلى ابن سينا الحكيم المشهور الايراني، ذكرها له ابن خلكان في ترجمته من كتابه وفيات الأعيان: ١٦١/٢، وكذا ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء: ٤٥٢، والصفدي في الوافي بالوفيات: ٣٥٣/١٢.

٣. بحار الأنوار: ١٨١/١ ح ٧١. أمالي الطوسي: ٥٧٧ ح ٥، كنز العمال: ١٤٣/١٠ رقم ٢٨٧٢٦.

٤. غرر الحكم: ٧٥٥ (شرحه للخوانساري: ٢٤٠/٢).

٥. عيون الحكم والمواعظ: ٣٠، غرر الحكم: ٧٥٢ (شرحه للخوانساري: ١٨٢/١).

٦. عيون الحكم: ٤٥. وأفتى الحكيم السبزواري طاب مضجعه على من جالس الجاهل بغسل التوبة! قال: فمن يجالس جاهلاً قد مسّ من أحواله فليغتسل توباً... وليجتنب عنه بتجنّب تامٍّ؛ فإنّ الجاهل ميّت صحبته يميت القلب. (شرح نبراس الهدى: ١١٥)

٧. أمالي الشيخ الصدوق: ١٧٣، بحار الأنوار: ١٦٦/١ و ١٧١، نهج السعادة: ٤٢/٦.

عليه فهو بالإضافة إليها حيٌّ بالحقيقة، وإن كان ميّتاً بالإضافة إلى آثارٍ أخرى قد انقطع ترتُّبها عليه؛ وكذلك الجاهل ميّتٌ بالحقيقة بالنسبة إلى الآثار العلميّة مادام لم تترتّب عليه، وإن كان حيّاً بالإضافة إلى آثارٍ وجوديّة أخرى قد ترتَّبَ عليه، وذلك معنى قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «العالِمُ حيٌّ وإن كان ميّتاً، والجاهل ميّتٌ وإن كان حيّاً»![1]

وما يُنسَب إليه عليه السلام:

فـفزْ بـعلمٍ تـعِشْ حـيّاً بِـهِ أبَـدا — النّاسُ مَوتى وأهلُ العلمِ أحـياءُ[2]

وفي معنى هذه الرواية الشريفة قال أبو محمّد عبد الله بن محمّد البَطَلْيوسي[3] الازَليّ النَحويّ:

أخـو العـلمِ حـيٌّ خـالدٌ بـعدَ مـوتهِ — وأوصـالُهُ تـحتَ التـرابِ رمـيمُ

وذو الجهلِ مَيْتٌ وهو ماشٍ على الثرى — يُـظَنّ مـن الأحـياء وهـوَ عـديمُ[4]

وقال عليه السلام في خطبةٍ طويلةٍ: «وآخَرُ قد تَسَمّى عالِماً وليس به، فاقتبسَ جهائلَ من جُهّالٍ وأضاليلَ من ضُلّالٍ، ونصبَ للنّاس أشراكاً من حبائلِ غرورٍ وقولِ زورٍ، قد حمل الكتابَ على آرائهِ، وعطفَ الحقَّ على أهوائه، يُؤمّن النّاسَ من العظائم، ويُهَوِّن كبيرَ الجرائم، يقول: أقِفُ عند الشبهات، وفيها وقعَ! ويقول: أعْتَزِلُ الْبِدَعَ، وبينها اضطجع! فالصورةُ صورةُ إنسانٍ والقلبُ قلبُ حيوانٍ! لا يَعرِفُ بابَ الهُدى فيتّبعَهُ، ولا بابَ العمى فيصدَّ عنه؛ وذلك ميّتُ الأحياء؛ فأين تذهبونَ؟!...» الخطبة.[5]

---

١. بحار الأنوار: ١٦٦/١ ح ٧. غرر الحكم: ٢٠٦ و١١٦٣.

٢. ديوان الإمام علي عليه السلام: ص ٢٤ (الناسُ من جهة التمثالِ أكفاءُ). وفي بعض النسخ: (فقم بعلم ولا تبغي له بدلا...فالناس موتى وأهل العلم أحياء).

٣. البطليوسي: نسبةٌ إلى «بَطَلْيوس» مدينة بالأندلس، من أعمال (ماردة) على نهر (أنة) غربي قرطبة.

و الشاعر ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٥٣٢/١٩ (البطليوسي) ووصفه بالعلامة النحوي اللغوي صاحب التصانيف، مات سنة ٥٢١ هـ وانظر مصادر ترجمته بهامشه.

٤. وفيات الأعيان: ٩٦/٣، البداية والنهاية: ٢٤٥/١٢، تفسير الآلوسي: ٢٦٣/١.

٥. من خطبة له عليه السلام في بيان صفات المتّقين وصفات الفسّاق والتنبيه إلى مكان العترة الطيّبة. نهج البلاغة: الخطبة ٨٧ وشرحه لابن أبي الحديد: ٣٧٢/٦.

وأخذ الشاعر هذه الكلمة الفصيحة وقال:

لیسَ مَن مـاتَ فَـاستَراحَ بِـمَيْتٍ   إنّـما المَـيْتُ مـيّت[1] الأحـياءِ
إنّـما المَـيْتُ مَـن يَـعيشُ كَـئيبا   كـاسفاً بـالُه، قـليل الرجـاء[2]

وقال آخر في المعنى:

وفي الجَهلِ قبلَ المـوتِ مـوتٌ لأهـلِه   وأجسـادُهُم دونَ القُـبورِ قـبورُ
وإنَّ امـرأً لَـم يَـحْيَ بِـالعلمِ قَـلبُه[3]   فـليسَ له حـتّى النُشـورِ نُشـورُ[4]

وأنشد عيسى بن عليّ الوزير المعروف بـ«ابن جرّاح» لنفسه[5]:

رُبَّ ميّتٍ قَد صـارَ بِـالعلمِ حَـيّا   ومـبقِي قَـد حـازَ جَـهلاً وغَـيّا
فَاقتنوا العلمَ كَـي تَـنالوا خُـلودا   لا تعدّوا الحياةَ فِي الجـهلِ شَـيّا

وقـيل فـي تـفسير قـوله تـعالى: ﴿وَمـا يَسْـتَوِي الأحـيَاءُ وَلا الأمْـوٰاتُ﴾[6] يـعني:

١. قال أبوهلال العسكري: الفرق بين الميّت والمَيْت [بتخفيف الياء] قال أكثر اللغويين: أنّ الثاني لغةٌ في الأوّل، وقد جمعها الشاعر في بيتٍ واحدٍ:
ليس من مات فاستراح بميت...... إنما الميت ميت الأحياء.
و فرّق بعضهم بينهما، فقال: الميّت بالتشديد يطلق على من مات، وعلى الحيّ الذي سيموت، قال تـعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ زمر / ٣٩، وبالتخفيف لا يطلق إلّا على من مات. (الفروق اللغوية: ٥٢٥)
و راجع: الصحاح للجوهري: ١/٢٦٧، لسان العرب: ٢/٩١، تاج العروس: ٣/١٣٧.

٢. البيتان لعدي بن الرعلاء الغساني، شاعر مجد كان يسكن ببادية دمشق، و«الرعلاء» أُمّـه، كـذا تـرجـم له ابـن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٤٠/١٠٣.

٣. وفي أكثر المصادر: ميت (بدل قلبه).

٤. البيتان منسوبان إلى القاضي الماوردي الفقيه الشافعي (٣٦٤ ـ ٤٥٠) صاحب «التفسير» وكـتاب «أدب الديـن والدنيا»، كما في كتاب سرّ السرور لمحمود النيسابوري، حكـاه الصـفدي فـي الوافـي بـالوفيات: ٢١/٢٩٨، وذكرهما كلٌّ من السمعاني: ٢/١٤١ والقرطبي: ٧/٧٨ والرازي: ٢/١٩٣ فـي تـفاسيرهم مـن دون عـزوٍ، كـذا أوردهما الشوكاني في فتح القدير: ٢/١٥٩.

٥. تاريخ بغداد: ١١/١٧٩. وهذان البيتان هما لأبي القاسم ابن الوزير أبي الحسن علي بن عيسى، وكان فـيلسوفا ـ وهو أبوزكريا يحيى بن عدي ـ قالهما، ووصّى أن يكتبا على قبره. كذا ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء: ٣١٨و٥٥٨.

٦. فاطر: ٢٢.

العلماء والجهّال.[١]

ولمّا كان العلم والجهل صفتين متقابلتين ولكلٍّ منهما الأثر تترتّب عند تحقّقه، فالإنسان ينبغي عليه أن يُتَّصَف بـ «العِلم»، ومن آثار وجوده البشريّة كونه عالِماً، ومن شأن الإنسان وخاصّته اتّصافُه بالعِلم وعدمُ بقائه في اغتية الجهل، وينبغي خروجه عن ظلمات الجهالة بنور العلم. ومعلومٌ أنّ عند حصول العلم واتّصاف الإنسان به...[٢] ولا يترتّب بعد آثاره وليس ذلك إلا الموت. وهذا معنى قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «العلم يُميت الجَهل»[٣].

فالإماتة إماتةٌ حقيقةٌ، وموت الجهل موتٌ على وجه الحقيقة لا المجاز.

الخامس: ما رُوي عن عليٍّ أميرالمؤمنين عليه السلام: «مَن قَلَّ حَياؤُهُ قلَّ ورعُه، ومن قلَّ ورَعُه مات قلبُه، ومن مات قلبُه دخل النارَ».[٤]

ورُوي عن لقمان عليه السلام: «جالِس العُلماءَ وزاحِمْهم برُكبَتَيك، فإنّ الله تعالى يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرضَ بوابِلِ السماء»[٥].

[المراد من القلب في الأحاديث]

ولا يخفى أنّ المراد من القلب في الحديثين ونظائرهما ليس هو اللحمُ الصنوبريُّ المودَعُ في الجانب الأيسر من الصدر الذي هو منبع الروح المجازيّ الطبّي ومعدنُه، واللحم المخصوصُ الذي يكتنفه عظام الصدر. وهذا القلب اللحميُّ من عالَم الخلق والجسم والشهود وهو موجودٌ للبهائم أيضاً، بل المراد من القلب هو اللطيفة الربّانيّة النورانيّة الروحانيّة الذي يُعبَّر عنه بـ «القلب» تارةً وبـ «النفس» أخرى وبـ «الإنسان» ثالثةً وبـ «الروح» رابعةً، لا الروح البخاريّ الطبّي، بل اللطيفة العالِمة المُدرِكة التي هي المراد

---

١. مجمع البيان: ٨/ ٢٤٠، تفسير الأصفى للفيض الكاشاني: ٢/ ١٠٢٤ والصافي له: ٤/ ٢٣٦.

٢. كذا في الأصل.

٣. لم أجده في المصادر، ولعله روي بلفظ آخر يقاربه في المعنى.

٤. نهج البلاغة: الحكمة ٣٤٩.

٥. رواه الفتال النيشابوري في روضة الواعظين: ١١، ورواه عنه المجلسي في بحار الأنوار: ١/ ٢٠٤؛ وفي مصادر أهل السنة رواه مالك في الموطأ: ٢/ ١٠٠٢، وعنه ابن عبدالبرّ في جامع بيان العلم: ١/ ١٠٦.

بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمرِ رَبّي﴾![1]

فهذا القلب سِرٌّ من الأسرار الإلهيّة وأمرٌ من عالم الأمر الربّانيّ![2] والقلب الجسمانيُّ الذي من عالَم الخلق عرشه، والصدر كرسيّه، وسائر الأعضاء عالَمه ومملكته، وهو الأمير والمَلِك في ذلك العالَم الإنسانيّ، وجميع الأعضاء والجوارح حتّى القلب الصنوبريّ رعيّتُه، وكلُّها في تحت حُكمه، وهو الراعي عليها، كما ورد في الرواية الجعفريّة عليه السلام في بيان «الفروض على الجوارح» قال عليه السلام: «فمنها قلبُه الذي به يَعقِلُ ويَفقه ويَفهَم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه وأمره...» الحديث.[3]

وإلى ذلك ينظر ما ورد في الدعاء: «اللهمَّ أصْلِحِ الرّاعي وَالرَعيَّةَ»![4] فإنّه إذا صلح صلحَت الجوارح وإذا فسد يفسد سائر الجسد، وإذا تغيّر حاله تغيّرت أعمال الجوارح؛ وهو الرئيس الذي لصلاحه أثرٌ شاملٌ ولفساده ضررٌ كاملٌ، وهو مع شرَفه وفضله محفوفٌ بالآفات والعيوب! وكلّ ما كان أعزّ ومنافعه أوفَر كانت آفاته وأعداؤه أكثر! وإقباله هو المطلوب الحقيقيُّ في جميع العبادات، والخشوع والخضوع به هو المطلوب، والتذلُّل والتعبُّد به هو المحبوب، وشرفُ كلِّ عبادةٍ على مقدار حضوره، وهو روح الطاعة، والعبوديّة بلا قلبٍ كجسدٍ بلا روحٍ، ولا خيرَ في عبادةٍ لا يُشارِك فيها القلب!

---

١. الاسراء: ٨٥.

٢. روى أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ناجى داود ربّه فقال: الهي لكلِّ ملكٍ خزانةٌ، فأين خزانتُك؟ فقال جلَّ جلالُه: لي خزانةٌ أعظم من العرش وأوسعُ من الكرسي، وأطيبُ من الجنّة، وأزينُ من الملكوت: أرضها المعرفة، وسمائها الايمان، وشمسها الشوق، وقمرها المحبّة، ونجومها الخواطر، وسحابها العقل، ومطرها الرحمة، وأشجارها الطاعة، وثمرها الحكمة، ولها أربعة أبواب: العلم والحلم والصبر والرضا، ألا وهي القلب.

عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الاحسائي: ١/ ٢٤٩، وبهامشها تعليقةٌ مفصلةٌ حول هذا المعنى، لا بأس بمراجعتها.

٣. الكافي للكليني: ٢/ ٣٤، وشرحه لملا صالح المازندراني: ٨/ ١١٦، ورواه المحدث النوري في مستدرك الوسائل: ١١/ ١٤٣ عن النعماني في تفسيره.

٤. راجع رسائل الشهيد الثاني: ص ١٢٤، كشف الخفاء للعجلوني: ١/ ١٨٢، وذكره النراقي في جامع السعادات: ٣/ ٢٧٥ وأضاف: وهو القلب والجوارح.

ومن هنا قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنه: «ركعتان مقتصدتان في تفكّرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ بلا قلبٍ».[١]

وهذا القلب في هذه النشأة التي مزرعة الآخرة هي الأرض، والإيمان البذر، والطاعات هي بمنزلة الماء الذي يُسقى به الأرض، وتطهيره من المعاصي والأخلاق الذميمة بمنزلة تقليب الأرض وتنقيتها من الأحجار والشُّوك والحشيش والنباتات الخبيثة التي تمنع نباتَ البذر أو يُفسده، ويوم القيامة هو وقت الحصاد!

ولهذا القلب حياةٌ وموتٌ وإقبالٌ وإدبارٌ، إقباله نورٌ وإدباره ظلمةٌ، والعبد متقلّبٌ معه تقلّبَ الظِلِّ مع الشمس قد يغلب شعاعه عليه ويضيء مكانه، وقد ينعكس الأمر! وذلك تأثّره بالمعاصي والطاعات تأثّرٌ متضادٌّ يُستعار لأحدهما لفظ «النور» وللآخر لفظ «الظلمة»، فتارةً بيضاء القلب نور الحسنة والطاعة ويتنوّر بنور العلم والمعرفة والحكمة والإيمان والتوحيد والصدق والإخلاص وحبّ الحقّ والتوجّه إلى الآخرة حتّى يبلغ من ذلك إلى مرتبةٍ عاليةٍ ويصل إشراقه وإنارته إلى حدٍّ يكون... للحقّ...[٢] فيه العوالم الملكوتيّة، ويصير باقامة وظائف مولاه والتزام جنابه...[٣] وادامة التعبدّ عليه متخلّقاً بأخلاق الله تعالى، متحلّياً بأوصافه، طاهراً عن وَسَخ الرذائل المانعة من مشاهدة عالَم المَلَكوت، نقيّاً عن وَسَخ الكُدورات الأخلاقيّة، نائياً عن الظُلُمات الحاجبة من العوالم العُلويّة، مُذَلّلاً رقابَ القُوى الشهويّة والسبُعيّة والوهميّة الشيطانيّة، لا يُحبّ إلّا اللهَ تعالى، ولا يستريح إلّا إليه، ولا يتلذّذ إلا بذكره، متمسّكاً بملكوتيّته، رافعاً يده عن حيث ملكه، مجرّداً عن عالم شهوده، فانياً بمهيّته البشريّة المُلكيّة في جنب ملكوتيّته، ماحياً نفسه جنب طاعة الله تعالى، بل هو جنب الله تعالى، متعيّناً بالتعيّنات الحقّانيّة، متّصفاً بالصفات الرّبانيّة، متجليّاً بالأسماء الحُسنى الإلهيّة، بل هو الأسماء الحسنى، سليماً مقبولاً عند الله تعالى، متنعّماً في جوار الله في جنّة وصاله في عدن لقائه، ناظراً بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى، بل هو وجه الله الذي يبقى، وهو

---

١. رواه ابن أبي الدنيا في التفكر كما في كنز العمال: ٨/ ٢٠١. وذكرت في مصادر الامامية من وصايا النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أبي ذرّ، الوسائل: ٤/ ٧٥، بحار الأنوار: ٧٤/ ٨٢.

٢. كذا جاء في الأصل.

٣. كذا في الأصل.

الحيّ الذي لا يموت ولا يفنى، سامعاً بأذنه الواعية نجوى مولاه،بل هو أُذُن الله الواعية وعينه الباصرة ويده الباطشة! يُحبّ الله تعالى ويحبُّه الله تعالى!

فهذا اقبالٌ للقلب وحياته ونورانيّته وترقيّاته وتأثّره بالطاعات والحسنات، وهذا هو الشأن الذي ينبغي أن يكون القلب عليه، وجديرٌ ترتّب هذه الآثار عليه وحقيقٌ كونه على هذه الآثار. فمن ترتّب على قلبه هذه الآثار الوجوديّة الحياتيّة هو وقلبه حيٌّ على الحقيقة لا المجاز!

فالحياة على المؤمن من هذه الجهة إنّما هو على وجه الحقيقة، فللقلب حياةٌ حقيقيّةٌ وليس لكلّ قلبٍ حياةٌ، وليس لكلّ إنسانٍ قلبٌ حيٌّ! ولو كان لما صحّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[1] يعني: قلباً حيّاً، كما صرّح به الحديث. ولهذا القلب الحيّ أشار أميرالمؤمنين عليه السلام بقوله: «وأنا ذو القلب، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ »[2].

وورد في الرواية الجعفريّة عليه السلام: «لو أنّ أهلَ السموات والأرض اجتمعوا يتضرّعون إلى الله عزّ وجلّ أن ينجيك... (إلى أن قال) ثمّ كان لك قلبٌ حيٌّ لكنتَ أخوفَ النّاس لله عزّ وجلّ في تلك الحال»![3]

وفي هذه الرواية الشريفة إشعارٌ إلى: أنّ الزهد إنما هو عبارةٌ عن جعل القلب حيّاً بمشاهدة أحوال الآخرة وعدم الغفلة عنها، ميّتاً عن طمع الدنيا وزخارفها.

ومن هذه الرواية الصادقيّة عليه السلام التي تُنبئُ عن أنّ أخوفَ النّاس لله مَن له قلبٌ حيٌّ يُعلَم معنى قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا أخوفُ الناس من الله تعالى».[4]

فكأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أنا أحيى الناس قلباً».

وقوله هذا بمثابة «أنا أكثر الناس معرفةً بنفسه» حيث ورد في الحديث العَلَويّ عليه

---

١. سورة ق: ٣٧.

٢. رواه الصدوق في معاني الأخبار: ٥٨ ح ٩، وعماد الدين الطبري في بشارة المصطفى: ٣٤، وعن الطبري المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٢٨٤/٣٣.

٣. الكافي (الفروع): ١٢٨/٨.

٤. لم أجده بهذا اللفظ في المصادر في مراجعة خاطفة، ولعلّه روي بلفظ متقارب المعنى.

السلام: «أكثر الناس معرفةً بنفسه أخوَفُهم لربّه»![1] فهو صلّى الله عليه وآله وسلّم أعرف الناس بالله تعالى حيث «من عرف نَفسَه عرف ربَّه»[2] وهو بمثابة قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم «أنا أعلمُ الناس» حيث ورد في الخبر العلويّ عليه السلام: «أعملكم أخوفكم»[3]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخشَىَ اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾.[4] وهو أيضاً بمثابة قوله «أنا أتمُّ الناس عَقلاً» حيث ورد الحديث النبوىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أتمّكم عقلاً أشدّكم لله خوفاً»[5] وهو بمثابة قوله «أنا اعرف الناس بالله تعالى» حيث ورد في الرواية الجعفريّة عليه السلام: «من عرف الله تعالى خاف الله تعالى»![6]

فقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنا أخوف الناس» كلمة جامعة تامّةٌ مُنبئةٌ عن اتّصافه صلّى الله عليه وآله وسلّم بجميع الفضائل والكمالات كما لا يخفى.

[حقيقة موت القلب]

هذا حياة القلب، وقد ينعكس الأمر ويمحو ظلمةُ السيّئة عن وجه القلب نورَ النكتة البيضاء، ويعرُضُ على لوح القلب ظُلُماتُ الذنوب بعضها فوقَ بعضٍ، وتمنع نكتة القلب من الإنارة والإشراق كدخانٍ مظلمٍ يتصاعد إلى مرآة، فكلّ ذنبٍ وخطيئةٍ نقطةٌ سوداءُ تمنع إنارة القلب؛ وذلك ما رُويَ عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «ما من عبدٍ إلّا وفي قلبه نكتةٌ بيضاءُ، فإن أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتةٌ سوداءُ، فإنْ تاب ذهب ذلك السواد، وإنْ تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتّى يغطّي البياض، لم يرجع صاحبه إلى خيرٍ أبداً، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿كَلّا بَلْ رَانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكسِبونَ﴾ ».[7]

---

١. غرر الحكم: ٤٦٤٤.

٢. غرر الحكم: ٤٦٣٧، ابن أبي الحديد: ٢٠/ ٢٩٢.

٣. غرر الحكم: ٧٨٥، الغدير: ٧/ ٢٢٠.

٤. سورة فاطر: ٢٨.

٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/ ١٤٦.

٦. الكافي: ٢/ ٦٨ح ٤، وعنه في بحار الأنوار: ٦٧/ ٣٥٦+ ٧٥/ ٢٤٤ ح ٥٣. الأصول الستة عشر: ٧ (أصل زيد النرسي: ص ٥٠).

٧. الكافي: ٢/ ٢٧٣، وعنه في بحار الأنوار: ٦٦/ ٣٣٢ح ١٧، والآية في سورة المطفّفين: ١٤.

ولمّا تراكمت الذنوب وتواردت ظلمة الخطيئة على صفحة القلب مرّةً بعد أخرى تميت القلب وتفسد الدين، ويحصل بسببها للنفس ملكاتٌ مهلكةٌ مؤديّةٌ إلى الخسران المبين، ويطبع على القلب ويظلم ويسوّد وجهَ مرآتِه، ويصير بالكليّة محجوباً عن الله تعالى وعن معرفته، وذلك قوله تعالى: ﴿أنْ لَوْ نَشاءُ أصَبْناهُمْ بِذنوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ نَطْبَعُ عَلىٰ قُلُوبِ الْمُعتَدينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ قُلوبِ الْكافِرينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِ الذِينَ لا يَعْلَمونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَطبَعُ اللهُ عَلىٰ كُلِّ قلبِ مُتِكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾[5]، وغيرها من الآيات.

فيصير القلب من تراكم الذنوب وتوارد ظلماتها كالحجارة، أو أشدّ ظلمةً وقسوةً! فالذين قلوبهم قاسيةٌ محجوبةٌ عن الحقّ، ما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيءٍ، صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون! وليس هذا إلّاموت القلب على الحقيقة.

ومثل هذا القلب ميّتٌ بالحقيقة، لعدم ترتّب آثاره الوجوديّة التي من شأنه أن يكون عليها وينبغي أن يترتّب عليه تلك الآثار، وإلى ذلك وقعت الإشارة فيما رُوِي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لا تُميتوا القلوبَ بكثرة الطعامِ والشرابِ، فإنّ القلبَ يموت[6] كالزرع إذا كثُرَ عليه الماءُ»![7]

وما رُوي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الذنبُ على الذنبِ يُميتُ القلبَ!»[8]

---

١. الأعراف: ١٠٠.

٢. يونس: ٧٤.

٣. الأعراف: ١٠١.

٤. الروم: ٥٩.

٥. الغافر (المؤمن): ٣٥.

٦. وفي المصادر الروائية: فإنّ القلوب تموت.

٧. مشكاة الأنوار: ١٦٢، بحار الأنوار: ٣٣١/٦٣ ح ٧، مستدرك الوسائل ٢٠٩/١٦ ح ٤، تنبيه الخواطر: ٤٦/١، شرح نهج البلاغة: ١٨٧/١٩.

٨. روى الشيخ الصدوق في الخصال: ٢٢٨/١ عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «أرْبَعٌ يمِتْنَ الْقَلْبَ: الذَّنْبُ عَلَى

←

وما رُوي عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حقّ مَن ذمّه: «قد خَرقَت الشهواتُ عقلَه، وأماتَت الدنيا قلبَه، وأولَهَت عليها نفسه، فهو عبدٌ لها...»[١].

وما رُوي عن أبي عبدالله عليه السلام: «من يموتُ بالذنوب أكثر ممّن يموتُ بالآجال»[٢].

وما رُوي عنه عليه السلام فيما وعظ الله تعالى به عيسى عليه السلام: «يا عيسى! كن راغباً راجياً[٣] فَأمِتْ قلبك بالخشية»[٤].

[حصيلة ما تقدم]

فتحصّل ممّا ذُكِر أنّ اطلاق الحياة والموت وإضافتهما إلى القلب إنّما هو على وجه الحقيقة لا المجاز، واطلاق الحيّ على المؤمن والميّت على الكافر من هذا الجهة حقيقةٌ، ومحمولٌ عليها ماورد في قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كان حَيّاً﴾[٥] أي: مؤمناً. وهو الذي في قوله تعالى: ﴿إنّما تُنذِرَ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ وخَشيَ الرَّحمنَ بالغَيبِ﴾[٦]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَما يَستَوى الأحياءُ وَلا الأمواتُ﴾[٧] يعني: لايستوي المؤمن والكافر. وقيل: يعني: العلماء والجهّال. وعلى كلا التأويلين الإطلاق محمولٌ على الحقيقة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إنّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوتىٰ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿أو مَنْ كانَ مَيتاً

← الذَّنْبِ، وكَثْرَةُ مُنَاقَشَةِ النِّسَاءِ ـ يعْنِي مُحَادَثَتَهُنَّ ـ ومُمَارَاةُ الْاحْمَقِ تَقُولُ ويقُولُ ولَا يرْجِعُ إلى خَيرٍ ابَداً، ومُجَالَسَةُ الْمَوْتَى. فَقِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ الله! ومَا الْمَوْتَى؟ قَالَ: كُلُّ غَنِيٍ مُتْرَفٍ». وسيذكره العلامة المصنّف بعد قليل.

١. عيون الحكم والمواعظ: ٣٦٦، نهج البلاغة: ١٦٠ الخطبة ١٠٩.

٢. مستدرك الوسائل: ١١/٣٢٧ عن أمالي أبي علي ابن الشيخ الطوسي، أمالي الطوسي: ٣٠٥، وفي بحار الأنوار ٥/١٤٠.

٣. كذا في الأصل، وفي المصادر: راهبا.

٤. الكافي: ٨/١٣٢، أمالي الصدوق: ٦٠٧، وعنهما في بحار الأنوار: ١٤/٢٨٩.

٥. يس: ٧٠، وأنظر ما ورد في الأحاديث الشريفة: الكافي: ٢/٥، وعنه في بحار الأنوار: ٦٤/٨٧، تفسير القمي: ٢/٢١٧.

٦. يس: ١١.

٧. فاطر: ٢٢.

٨. النمل: ٨٠. راجع شرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني: ١٠/٢٨٧، الميزان: ١٥/٣٩٠؛ قال العلامة ←

فَأَحيَيْناهُ﴾[1] أي: كافراً فهديناه إلى الإيمان.

وما قد يقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخرجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ﴾ أي: يخرج المؤمن من الكافر وبالعكس.[2]

وقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِنفسٍ فَكأنّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً وَمَنْ أحيَاها فَكأنّما أحْيَا النَّاسَ جَميعاً﴾[3]! فالمراد من القتل الأوّل هو الإماتة بالإضلال والإغواء إلى نهج الردى وقطع ترتّب الآثار الوجوديّة الدينيّة عليه وإبعاده عنها، والإحياء الأولى عبارةٌ عن إنقاذ الضالّ من الضلالة وحيرة العِمى، واستخلاصه عن تيه الغواية وهدايته إلى الطريق الحقّ المستقيم والصراط العليّ القويم، وهذا تأويله الأعظم وبطنٌ من بطون الآية، وهذا هو المراد إمّا بالخصوص وإمّا من جهة الفرديّة. وهذا التأويل قد ورد في غير واحدٍ من أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام.

[تأويل الإحياء والإماتة في أخبار المعصومين عليهم السلام]

منها: ما عن أبي بصير، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «سألته عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أحْيَاهَا

← الطباطبائي: «... وقد تبيّن أنّ المراد بالإسماع الهداية»، وكذا راجع ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير: ١٧٠/١٣.

١. الأنعام: ١٢٢.

٢. الآية الشريفة في سورة الروم: ١٩. وأما مصدر القول المحكي فقد رواه الكلينيُّ في الكافي: ٥/٢ ح ٦ عن الصادق عليه السلام، وكذا روي في تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٢١١/١ و ١٥٤/٢، وتفسير نورالثقلين ٧٦٤/١ ح ٢٧١.

و في معاني الأخبار: قال الصادق عليه السلام: إنّ المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً، فإنّ الميت هو الكافر، إنّ الله عزوجل يقول: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ يعنى المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. معانى الأخبار ص ٢٩٠. وراجع بحار الأنوار ٩٣/٦٤.

و في رواية عن النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلم ذكرها العلامة قدس سرّه في تفسير الميزان: ١٤٣/٣ عن السيوطي في الدرالمنثور، وقال الطباطبائي في ٣٨/٧ من تفسيره:

«و قال الله عزّ وجلّ يخرج الحي من الميت...، فالحيّ المؤمن الذي يخرج من طينة الكافر، والميت الذي يخرج من الحيّ هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحيّ المؤمن والميّت الكافر...».

٣. المائدة: ٣٢.

فَكأنّمَا أحْيَا النّاسَ جَميعاً﴾[١]، قال: من استخرجها من الكفر إلى الإيمان».[٢]

ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أحْيَاهَا فَكأنّمَا أحْيَا النّاسَ جَميعاً﴾، قال: «لم يتسلّمها أو أنجاها[٣] من غرقٍ أو حرقٍ أو أعظم من ذلك كلّه يخرجها من ضلالةٍ إلى هدى».[٤]

وعن فُضيل بن يَسار قال: «قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: قول الله عزّوجلّ في كتابه ﴿وَمَنْ أحْيَاهَا فَكأنّمَا أحْيَا النّاسَ جَميعاً﴾؟ قال: من حرقٍ أو غرقٍ.

قلت: فمن أخرجها من ضلالٍ إلى هدى؟

فقال عليه السلام: ذاك تأويلها الأعظم».[٥]

وعن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له: قول الله عزّوجلّ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسَاً بِغيرِ نَفْسٍ فَكأنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَميعَاً وَمَنْ أحيَاهَا فَكأنّما أحيَا النَّاسَ جَميعَاً﴾؟ فقال عليه السلام: من أخرجها من ضلالٍ إلى هدى فكأنّما أحياها! ومن أخرجها من هدى إلى ضلالٍ فقد قتلها».[٦]

وعن حمران، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أسالك؟ أصلحك الله! فقال عليه السلام: نعم.

قلت: كنتُ على حالٍ وأنا اليوم على حالٍ أخرى، كنت أدخل الأرض فأدعو الرجل والاثنين والمرأة، فينقذ الله من يشاء، وأنا اليومَ لا أدعُو أحداً؟

فقال عليه السلام: وما عليك أن تخلّيَ بين الناس وبين ربّهم! فمن أراد الله أن يخرجه من

---

١. المائدة: ٣٢.

٢. مستدرك الوسائل: ١٢/ ٢٤٠ ح ٥، تفسير العياشي: ١/ ٢١٣ ح ٨٨ وعنه في بحار الأنوار ٢/ ٢١ ح ٦١،البرهان: ١/ ٤٦٤؛ وقد ورد هذا المعنى في كثير من الروايات الواردة من طرق أهل السنّة. راجع تفسير الميزان: ٥/ ٣٢٣.

٣. كذا في الأصل، وفي المصادر: لم يقتلها.

٤. مستدرك الوسائل: ١٢/ ٢٣٩ ح ٤، تفسير العياشي: ١/ ٣١٣ح ٨٧ وعنه في بحار الأنوار: ٢/ ٢١ ح ٦٠.

٥. رواه البرقي في المحاسن: ١/ ٣٣٢ ح ١٨٢، وعنه الكليني في الكافي: ١/ ٢١٠، وعن الكافي رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٧١/ ٤٠٣ ح ٤٩ وللمجلسي بيانٌ ذيل هذه الرواية، قال رحمه الله: «قوله: ذاك تأويلها الأعظم، أي: الآية شاملة لها وهي بطنٌ من بطونها».

٦. الكافي: ٢/ ٢١٠ ح ١، المحاسن: ١/ ٣٣٢، أمالي الطوسي: ٢٢٦.

ظلمةٍ إلى نورٍ أخرجه... (ثمّ قال عليه السلام): ولا عليك إن آنستَ من أحدٍ خيراً أن تنبذَ إليه [الشيء] نَبذاً!

فقلت: أخبرني عن قول الله عزّوجلّ ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾!

قال عليه السلام: من حَرَقٍ أو غَرَقٍ [أو غَدرٍ في بعض النسخ] ثمّ سكت، فقال: تأويلها الأعظم إن دعاها فاستجابت له».[1]

وعن أبي محمّد العسكري عليه السلام: «قال الحسين بن عليّ عليهما السلام لرجلٍ: أيّهما أحبّ إليك؟ رجلٌ يروم قتل مسكينٍ قد ضعف، أتنقذه من يده، أو ناصبٌ يريد إضلال مسكينٍ من ضعفاء شيعتنا، تفتح عليه ما يمتنع به منه ويُفحمه ويكسره بحجج الله تعالى؟!

قال: بل إنقاذ هذا المسكين المؤمن من يد هذا الناصب، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾، [أي] ومن أحياها وأرشدها من كفرٍ إلى إيمانٍ فكأنّما أحيا الناس جميعاً من قبل أن يقتلهم بسيوف الحديد».[2]

لا يخفى أنّ في بعض هذه الأخبار المذكورة إشعاراً إلى أنّ المراد من الإحياء والقتل الأوّلين في الآية الكريمة مطلق الإحياء والإماتة لا الفرد الخاصّ المذكور منها فقط، بل إرادته منهما من جهة الفرديّة ودخوله تحت ذلك المعنى المطلق من الإحياء والإماتة حقيقة! وأنّه من أكمل أفرادهما وأعظمه. فعلى كلا التقديرين أعني كون الفرد الخاصّ فقط مراداً بالخصوص أو كونه مراداً من جهة الفرديّة إنما الإطلاق على الحقيقة لا المجاز.

ولمّا كان ترتّب الآثار الحياتيّة الدينيّة القلبيّة إذا ترتّب عليه في هذه النشأة الدنيويّة لا تنفكّ عنه بالموت، ويدوم ترتّبها عليه ببقائه، ولا تزول عنه حياته من جهة هذه الآثار الباقية الدينيّة وإن نُقِلَ إلى منازل الأموات؛ فالمؤمن من جهة هذه الحياة الباقية حيٌّ بالحقيقة دائماً، وحياته هذه لا تنفكّ عنه ولا تزول أبداً! كما وقع الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا

---

١. الكافي: ٢/٢١١ ح ٣، المحاسن: ١/٣٣٢ وعنه في بحار الأنوار: ٢/٢٠، وفي: ٧١/٤٠٤ رواها المجلسي عن الكافي وذيلها ببيان له في شرح الرواية فراجع.

٢. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ص ٣٤٨، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢/٩ ح ١٧ عن هذا التفسير.

تَقولُوا لِمَنْ يُقتَلُ في سَبيلِ اللهِ أمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلكِنْ لا تَشعُرُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللهِ أمْوَاتاً بَلْ أحياءٌ عِندَ رَبِّهم يُرْزَقُونَ﴾.[٢]

فكلّ من قُتِلَ في سبيل الله عزّوجلّ حيٌّ على وجه الحقيقة ولو نُقِلَ إلى منازل الأموات، سواءٌ كان قتله بالجهاد الأصغر وبذل النفس طلباً لمرضات الله تعالى، أو بالجهاد الأكبر وكسر النفس وقمع الهوى بالرياضة.

وممّا ذُكِرَ من حياة القلب السرّيّ الملكوتي وموته يُعلَم أنّ حياة كلّ عضوٍ من الجوارح وموته إنما يُلاحَظ بالإضافة إلى آثار الوجوديّة الشخصيّة في حدّ نفسه. فما يُنسَب من الحياة والموت إلى كلّ واحدٍ من الأعضاء البشريّة الجسمانيّة حتّى القلب الصنوبريّ مع بقاء النفس وحياته إنّما هو على الحقيقة لا المجاز، كأن يقال مثلاً: «يدُ فلانٍ ميّتٌ»، و«قلبُ المريضِ ميّتٌ»، و«الطرفُ اليمنى من الفلان ميّتٌ واليسرى منه حيٌّ». فهذه الإطلاقات ونظائرها كلّها على سبيل الحقيقة لا المجاز! فكلّ عضوٍ يترتّب عليه آثاره فهو حيٌّ وما بإزائه فهو ميّتٌ.

ثمّ اعلم: أنّه قد وقعت الإشارة إلى القلب السرّيّ والأمر الإلهيّ الذي عرفت حياته وموته، إقباله وإدباره، نوره وظلمته في كثيرٍ من الأخبار المأثورة عن المعصومين عليهم السلام مضافاً لما ذُكِرَ، وفي بعضها بيانٌ لما به حياته وموته، فنحن نقتصر على ذكر أربعين حديثاً مرويّاً عن أبي الأئمة أميرالمؤمنين عليه السلام وأربعين حديثاً آخرَ مأثوراً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله سلّم وسائر الأئمة صلوات الله عليه وعليهم، ونذكر ما فيه مسنداً من دون الإطناب:

---

١. البقرة: ١٥٤.

٢. سورة آل عمران: ٦٩.

و راجع بحار الأنوار: ٦/٢٠٣، حيث نقل الأقوال في تفسير قوله تعالى (بل أحياءٌ) عن الطبرسي صاحب التفسير. قال الطبرسي في المجمع (ج ١ ص ٤٣٧): إنّهم أحياءٌ على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة، وهو قول ابن عباس وقتادة و... وجميع المفسّرين، ثمّ ذكر قولاً آخر في المقام وقال في النهاية: والمعتمد هو القول الأوّل لأنّ عليه اجماع المفسّرين.

[أربعون حديثاً مروياً عن أمير المؤمنين عليه السلام]

١. عن رئيس الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: «من سكن قلبه العلم بالله سكنه الغِنى عن خلق الله».[١]

٢. وعنه عليه السلام: «من عظمت الدنيا في عينه، وكبر موقعها في قلبه أثرها على الله تعالى وانقطع إليها وصار عبداً لها».[٢]

٣. وعنه عليه السلام: «غير منتفعٍ بالعظات قلبٌ تعلّق بالشّهوات»[٣].

٤. وعنه عليه السلام: «فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور»[٤].

٥ . وعنه عليه السلام: «قد قادتكم أزمّة الحين واستغلقت على قلوبكم أقفال الرِّين»[٥].

٦. وعنه عليه السلام: «قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه، فمن طهر قلبه

---

١. عيون الحكم والمواعظ: ٤٦٣، غرر الحكم: ١٢٨٨.

٢. نهج البلاغه: الخطبه ١٦٠، كنز العمال: ٣/ ٧١٩ رقم ٨٥٦٣.

٣. غرر الحكم: ٨٤١، وفيه: متعلقٌ بالشهوات، عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٧.

٤.نهج البلاغه:الخطبه ١٨٩، عيون الحكم والمواعظ، ٣٦٠.

قال الملا صالح المازندراني: قسّم الإيمان إلى قسمين لأن الإيمان إن بلغ حدّ الكمال فهو القسم الأوّل، وإلا فهو القسم الثاني، استعار له لفظ «العواري» باعتبار كونه في معرض الزوال كالعواري، وكنّى بكونه بين القلوب والصدورعن كونه متردداً غير مستقرّ ولا متمكّن في جوهر النفس. شرح أصول الكافي له: ٨/ ١٠٥.

وقال ابن أبي الحديد في بيانها: إنّ الايمان إما أن يكون ثابتاً مستقراً بالبرهان وهو الإيمان الحقيقي أو ليس بثابتٍ بالبرهان بل بالدليل الجدلي ككثيرٍ ممّن لم يحقّق العلوم العقلية، وهو الذي عبّر عليه السلام عنه بقوله: عواري في القلوب، فهو وإن كان في القلب الذي هو محلّ الإيمان الحقيقي الا أنّ حكمه حكم العارية في البيت، وإمّا أن يستند إلى تقليدٍ وحسن ظنٍ بالأسلاف وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصدور، لأنّه دون الثاني، فلم يجعله حالاً في القلب. وردّ قوله عليه السلام إلى اجلٍ معلومٍ إلى القسمين الاخيرين لأنّ من لم يبلغ درجة البرهان ربّما ينحطّ إلى درجة المقلّد فيكون ايمان كلٌّ منهما إلى أجلٍ معلومٍ لكونه في معرض الزوال. كذا حكاه عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ٦٦/ ٢٢٧، راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٣/ ١٠١.

٥. نهج البلاغه: الخطبه ٢٣٧، وفيه: والناس... قد قادتهم أزمة الحين واستغلقت على أفئدتهم.. شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٣/ ١١٥، عيون الحكم: ٣٦٨، غرر الحكم: الرقم ٦٦٨٩.

نظر إليه»[١].

٧. وعنه عليه السلام: «إيّاكم والبِطنَة[٢]! فإنّها مقساةٌ للقلب»[٣].

٨. وعنه عليه السلام: «أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله؟»[٤].

٩. وعنه عليه السلام: «أفضل القلوب قلبٌ خشيَ بالفهم»[٥].

١٠. وعنه عليه السلام: «أصلُ صلاح القلب اشتغالُهُ بذكر الله تعالى»[٦].

١١. وعنه عليه السلام: «أصلُ قوّة القلب التوكّلُ على الله»[٧].

١٢. وعنه عليه السلام: «في الذكر حياةُ القلوب»[٨].

١٣. وعنه عليه السلام: «من كثُرَ ضحكُه ماتَ قلبُه»[٩].

١٤. وعنه عليه السلام: «حرامٌ على كلّ قلبٍ متولّهٍ بالدنيا أن تسكنه التقوى»[١٠].

١٥. وعنه عليه السلام: «حبُّ الدنيا يُفسِد العقل ويُصِمّ القلب عن سماع الحكمة»[١١].

١٦. وعنه عليه السلام: «حزنُ القلب يُمَحِّص الذنوب»[١٢].

١٧. وعنه عليه السلام: «عليك بذكر الله فإنّه نورُ القلوب»[١٣].

---

١. عيون الحكم: ص ٣٧٢، غرر الحكم: ٩٠٦.

٢. البطنة بكسر الباء: شدّة الامتلاء من الطعام حتى يضيق النفس، ويقال له بالفارسية (پُرخوري).

٣. غرر الحكم: ٨١٧٢، وقال عليه السلام في موضع آخر: البطنة تمنع الفطنة، غررالحكم: ٨١٥١.

٤. عيون الحكم: ص ١٢٩، تمام نهج البلاغة: ٨٨، ترجمة غرر الحكم للأنصاري: ١/١٧٢.

٥. غرر الحكم: ٣٠٧٨ (من شرح الخوانساري له).

٦. عيون الحكم: ص ١٢٠، غرر الحكم: ٣٦٠٨.

٧. عيون الحكم ص ١٢٩، غرر الحكم: ٣٨٧٩.

٨. غرر الحكم: ٣٦٤٣.

٩. عيون الحكم: ص ٤٣٠، غرر الحكم: ٤٤٧٣.

١٠. غرر الحكم: ٢٥٢١.

١١. مستدرك الوسائل: ١٢/٤١، غرر الحكم: ٨٥٧، عيون الحكم: ص ٢٣١.

١٢. عيون الحكم: ٢٣٣. غرر الحكم: ٩٠٢. محصه يمحصه محصا ومحصه تمحيصا:خلصه. وبه فسرّ بعضٌ قوله تعالى (وليمحص الله الذين آمنوا) أي:يخلصهم. يمحص الذنوب عن الذين آمنوا. تاج العروس للزبيدي: ٤/٤٣٥.

١٣. عيون الحكم ٣٣٥، غرر الحكم: ٣٦٤٢.

١٨. وعنه عليه السلام: «خيرُ الدعاء ما صدَرَ عن صدرٍ تقيٍّ وقلبٍ نقيٍّ»[1].

١٩. وعنه عليه السلام: «احذروا أهل النفاق! فإنّهم الضّالّون المضِلّون والزالّون المـزِلّون، قلوبهم رديّةٌ وصفاتهم نقيّةٌ»[2].

٢٠. وعنه عليه السلام: «أحيِ قلبَكَ بالموعظة وأمِتْهُ بالزَهادة»[3].

٢١. وعنه عليه السلام: «إنّ الزاهدين في الدنيا لَتبكي قلوبهم وإنْ ضحكوا»[4].

٢٢. وعنه عليه السلام: «إنّ النّاظر بالقلب العامل بالنظر يكون مبتدأُ عملِه أن ينظر عـمله عليه أم له»[5].

٢٣. وعنه عليه السلام: «إذا مُلِىءَ البطنُ من المباح عَمِيَ القلب عن الصّلاح»[6].

٢٤. وعنه عليه السلام: «ثمرةُ الذكر استنارةُ القلوب»[7].

٢٥. وعنه عليه السلام: «دوامُ الذكر يُنيرُ القلب والفكر»[8].

٢٦. وعنه عليه السلام: «ذكرُ الله جلاءُ الصدُور وطمأنينةُ القُلوب»[9].

٢٧. وعنه عليه السلام: «ذَلّلْ قلبَكَ باليقين! وقَرِّرْه بالفَناء! وبصِّرْهُ بفجائع الدنيا»[10].

٢٨. وعنه عليه السلام: «زينةُ القلوب إخلاصُ الإيمان»[11].

---

١. تنبيه الخواطر: ١٥٤/٢، بحار الأنوار: ٣٤١/٩٠. ورواه الكليني في الكافي عنه عـليه السـلام كـما فـي بـهج الصباغة: ٣٤/٧.

٢. عيون الحكم: ص ١٠٥، غرر الحكم: ١٠٤٩٤، وفيه: قلوبهم دوية وصحافهم نقية، و جاء ضمن خطبةٍ له عـليه السلام: ابن أبي الحديد: ١٦٣/١٠، شرح ابن ميثم للنهج: ٤٢٥/٣، حدائق الحقائق: ١٣٧/٢.

٣. نهج البلاغة: ٣٩٢ في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام (الرسائل رقم ٣١)، عيون الحكم ص ٨٥.

٤. عيون الحكم: ص ١٥٢.

٥. عيون الحكم: ص ١٥٥، نهج البلاغة: الخطبه ١٥٤.

٦. غرر الحكم: ٨١٥٤.

٧. غرر الحكم: ٣٦٣٧.

٨. غرر الحكم: ٣٦٥٦.

٩. عيون الحكم: ٢٥٦، غرر الحكم: ٣٦٣٩.

١٠. عيون الحكم: ص ٢٥٦، غرر الحكم: ٩٠٣.

١١. عيون الحكم: ص ٢٧٦، غرر الحكم: ١٣٤٢.

٢٩. وعنه عليه السلام: «صومُ القلبِ خيرٌ من صيامِ اللِسان»[1].

٣٠. وعنه عليه السلام: «طوبى للمنكسرة قلوبهم من أجل الله»[2].

٣١. وعنه عليه السلام: «طوبى لمن أشعر التقوى قلبه»[3].

٣٢. وعنه عليه السلام: «طَهِّروا قلوبَكم من دَرَن السيّئات تضاعَف لكم الحَسنات»[4].

٣٣. وعنه عليه السلام: «من غلبت عليه الغفلة ماتَ قلبُه»[5].

٣٤. وعنه عليه السلام: «من أشعر قلبه التقوى فازَ عملُه»[6].

٣٥. وعنه عليه السلام: «من نسيَ اللهَ سبحانَه أنساهُ اللهُ نفسَه وأعمى قلبَه! من ذكر الله سبحانه أحيا قلبَه ونوّر عقلَه ولبّه»[7].

٣٦. وعنه عليه السلام: «ما أعظم سعادة من بوشِرَ قلبه ببرد اليقين»[8].

٣٧. وعنه عليه السلام: «لا خيرَ في قلبٍ لا يخشع وعينٍ لا تدمع وعملٍ لا ينفع»[9].

٣٨. وعنه عليه السلام: «العلم حياةُ القلوب ونورُ الأبصار من العمى»[10].

٣٩. وعنه عليه السلام: «لا وجعَ أوْجَع للقلوب من الذنوب»[11].

---

١. عيون الحكم: ٣٠٥، غررالحكم: ٣٣٦٣.

٢. عيون الحكم: ص ٣١٣، غررالحكم: ٣٧١٥.

٣. عيون الحكم: ص ٣١٤، غرر: ٥٨٦٤، وقال عليه السلام كما في تحف العقول ص ٣٠٥: «طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل قلبه في عينه». (فى بعض النسخ: وبصره في نظر عينه).

و«طوبى» اسم شجرة الجنّة، وهي الطيب، قلبت الياء واواً لضمّة قبلها، ويقال: طوباك، وطوبى لك. راجع شرح أصول الكافي للمازندراني: ١٠/٣١١، لسان العرب: ١/٥٦٤.

٤. عيون الحكم:ص ٣١٨، غرر الحكم: ٩٠٥.

٥. عيون الحكم: ٤٤٨، غرر الحكم: ٥٧٦٥.

٦. عيون الحكم: ٤٥٩، غرر الحكم: ٥٩٣٢.

٧. غرر الحكم: ٣٦٦٦ و٣٦٤٥.

٨. غررالحكم: ٧١٥، عيون ص ٣١٥.

٩. عيون الحكم: ٥٣٤، والغرر: ٣٧٢١ وفيه: (و علم لا ينفع).

١٠. تحف العقول: ٢٨، بحار الأنوار: ١/١٦٦ عن أمالي الصدوق.

١١. غرر الحكم: رقم ٣٢١ (من شرح الخوانساري له)، بحار الأنوار: ٧٣/٣٤٢.

٤٠. وعنه عليه السلام: «المواعظ حياةُ القلوب»[١].

هذه أربعون حديثاً مأثورة عن أبي الأئمة أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّا الأربعون الآخر:

[أربعون حديثاً آخر]

١. عن النبيّ المصطفى الأمين صلّى الله عليه وآله أجمعين: «ما من عبدٍ يُخلِص العملَ لله تعالى أربعين يوماً إلّا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه على لسانه»[٢].

٢. وعنه صلّى الله عليه وآله: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من قلبه»[٣].

٣. وعنه صلّى الله عليه وآله: «من كان له من قلبه واعظٌ كان عليه من الله حافظٌ»[٤].

٤. وعنه صلّى الله عليه وآله: «أُعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب الله تعالى يوم فقركم والإفلاس»[٥].

٥. وعنه صلّى الله عليه وآله: «إيّاكم والظُلم! فإنّه يخرّب قلوبكم كما يخرّب الدّور»[٦].

٦. وعنه صلّى الله عليه وآله: «شرّ العمى عُمي القلب»[٧].

٧. وعنه صلّى الله عليه وآله: «قال الله تعالى الإخلاص سِرٌّ من أسراري أستودعه قلب مَن

---

١. عيون الحكم: ص ٦٢ + ١٧، غرر الحكم: ٤٥٢٣.

٢. الجامع الصغير للسيوطي: ٥٦٠/٢، بحار الأنوار ٥٣ /٣٢٦ عن لبّ اللباب للقطب الراوندي، المصنَّف لابن أبي شيبة: ٨ /١٣١ ح ٤٣. وذكرها العلامة الطباطبائي في الميزان: ٥ /١٢٢ وقال: والرواية من المشهورات، وقد رويت بلفظها أو بمعناها بطرقٍ أخرى.

٣. بحار الأنوار: ٣٢٧/٧ باب ١٣٧. كنز العمال: رقم ٣٠٧٦٢.

٤. بحار الأنوار: ٣٢٧/٧٣ باب ١٣٧.

٥. بحار الأنوار: ١٤٣/٧٩ باب ١٨ (عن المسكن)، ورواه المتقي الهندي في كنزالعمال: ٦ /٤٨٥ بلفظ: «يا معشر الفقراء، اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلّا فلا»!

٦. بحار الأنوار: ٧٢ /٣١٥ باب ٧٩ ح ٣٤.

٧. رواه الصدوق في الأمالي كما في بحار الأنوار: ٥١/٦٧. ووصف القلب بالعمى جاء في كلام مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام، قال ضمن خطبةٍ له في ذكر النبي: طَبِيبٌ دَوّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يضَعُ ذَلِك حَيثُ الْحَاجَةُ إليه مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وآذان... (نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨).

أحببتُ مِن عبادي»[١].

٨. وعنه صلّى الله عليه وآله: «قلب المؤمن أجرَدُ، فيه سراجٌ يزهرُ؛ وقلب الكافر أسودُ منكوسٌ»[٢].

٩. وعنه صلّى الله عليه وآله: «القلوبُ أربعةٌ: قلبٌ فيه نفاقٌ وإيمانٌ إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجى! وقلبٌ منكوسٌ وهو قلب المشرك؛ وقلبٌ مطبوعٌ وهو قلب المنافق؛ وقلبٌ أزهر أجرد وهو قلب المؤمن فيه كهيئة السراج، إن أعطاه الله شكر وإن ابتلاه صبر»[٣].

١٠. وعنه صلّى الله عليه وآله: «ليس من عبدٍ يُقبِل بقلبه على الله إلّا أقبل الله بقلوب المؤمنين عليه»[٤].

١١. وعنه صلّى الله عليه وآله لمّا قرأ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صدرَهُ لِلإسْلامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[٥] قال: «إنّ النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح»[٦].

١٢. وعنه صلّى الله عليه وآله: «إنّ العبد إذا تخلّى بسيّده في جوف الليل المُظلِم وناجاه

---

١. بحار الأنوار: ٧٠/٢٤٩، الجواهر السنية للحرّ العاملي: ١٦٧، وهذا حديثٌ قدسيٌّ قاله النبي صلّى عليه وآله وسلّم مخبراً عن جبرئيل عن الله تعالى.

قال الثعلبيُّ في تفسيره: قال صلّى عليه وآله وسلّم: سألتُ ربّ العزّة عن الاخلاص ما هو؟ قال سرٌّ من أسراري، استودعه قلب من أحببت من عبادي. (الكشف والبيان: ٢/٦).

٢. رواه الشهيد الأوّل أعلى الله مقامه الشريف في كتابه أسرار الصلاة، ورواه عنه المجلسي في بحار الأنوار: ٧٠/٥٩ باب ٤٤ ح ٣٩.

٣. معاني الأخبار: ص ٣٩٥ ح ٥١، وعنه المجلسي في بحار الأنوار: ٧٠/٥١ ح ١٠. مجمع البحرين: ٣/٥٣٧.

٤. رسائل الشهيد الثاني: ١٠٧، وسائل الشيعه: ٥/٤٧٧، بحار الأنوار ٨١/٢٦٠. عن الصادق عليه السلام وفيه: يقبل على الله في صلاته ودعائه.

٥. الزمر: ٢٢.

٦. رواه الفتال النيسابوري في روضة الواعظين: ٢٦٤، ورواه عنه الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي: ٦/٢٦٤، والطباطبائي في الميزان: ١٧/٢٦٢.

و في مصادر أهل السنة قاله صلّي الله عليه وآله وسلّم ذيل آية الشريفة ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الأنعام: ١٢٥، المصنّف لابن أبي شيبة: ٨/١٢٦، تفسير ابن أبي حاتم الرازي: ٤/١٣٨٤، تفسير ابن كثير: ٢/١٨١.

أثبت اللهُ النورَ في قلبه»[1].

١٣. و عنه صلّى الله عليه وآله: «إنّ المؤمن إذا أذنب كانت نكتةٌ سوداء في قلبه، فإنْ تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه...» الحديث[2].

١٤. وعنه صلّى الله عليه وآله: «أربع يُمِتْنَ القلب: الذنب على الذنب، وكثرة منافثة النّساء[3] (يعني: محادثتهنّ)، ومماراة الأحمق تقول ويقول ولا يرجع إلى خيرٍ أبداً، ومجالسة الموتى»!

فقيل: يا رسول الله! ومن الموتى؟

قال: كلّ غنيٍّ مترفٍ»[4].

١٥. وعنه صلّى الله عليه وآله: «من علامات الشقاء جمودُ العين، وقَسوةُ القلب»[5].

١٦. وعنه صلّى الله عليه وآله: «إنّ الله عزّوجلّ يقول: تذاكر العلم بين عبادي ممّا تحيى عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري»[6].

١٧. وعنه صلّى الله عليه وآله: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا! فإنّ الحديث جلاءُ القلوب، إنّ القلوب لترين كماترين السيف جلائه...» الحديث[7].

١٨. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ماأخلص عبدٌ الايمان بالله أربعين يوماً إلّا زهّده الله في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»[8].

---

١. روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٤٤٦، مشكاة الأنوار: ٤٥٠، أمالي الصدوق: ٢٣٠ ح ٩، وعنه في بحار الأنوار: ٩٩/٣٨.

٢. روضة الفتال: ص ٤١٤، الميزان: ٢٣٦/٢٠، كنز العمال: ١ رقم ١٠٢٨٨. ومثله المروي عن أبي جعفر عليه السلام في الكافي: ٢٧٣/٢ وقد تقدم في ص ٢٨ من الكتاب.

٣. وفي بعض المصادر: مناقشة النساء، ولم يختلف المعنى.

٤. الخصال: ٢٢٨، وعنه في بحار الأنوار: ١٢٨/٢ و ٣٤٩/٧٠. وتقدم ذكر الحديث في هامش صفحة ٢٩.

٥. الكافي: ٢٩٠/٢، الخصال: ٢٤٢.

٦. الكافي: ٤٠/١، منية المريد للشهيد الثاني: ١٦٩، وعنه في بحار الأنوار: ٢٠٣/١ ح ١٧. الفصول المهمة للحرّ العاملي: ٤٧٧/١.

٧. المحاسن للبرقي: ٣٤١/٢، الكافي: ٤١/١ ح ٨، عوالي اللئالي: ٧٨/٤ وعنه في بحار الأنوار: ٢٠٢/١ ح ١٦.

٨. الكافي: ١٤/٢ ح٦، مستدرك الوسائل: ٢٩٥/٥ ح ١٧. تفسير نورالثقلين: ٧٤/٢ ح ٢٧٨ (عن الكافي).

١٩. وعنه صلّى الله عليه وآله: «القلوب ثلاثةٌ: قلبٌ منكوسٌ لا يعي[1] شيئاً من الخير وهو قلب الكافر! وقلبٌ فيه نكتةٌ سوداء فالخيرُ والشرُّ فيه يختلجان[2] فأيّهما كانت منه غلبةٌ غلب عليه! وقلب المؤمن فيه مصابيحُ تزهرُ لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة»[3].

٢٠. وعن أبي حمزة: سألت عن أبي جعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿أَنْزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوبِ المُؤمِنِينَ﴾ قال: هو الإيمان... الحديث[4].

٢١. وعن أبي خالد الكابلي قال: «سألت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذي أَنْزَلنَا﴾[5]، فقال: يا أبا خالد! النّور والله! نور الأئمة من آل محمّدٍ إلى يوم القيامة (إلى أن قال): والله يا أبا خالد! لَنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار! وهم والله ينوّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد! لا يحبّنا عبدٌ ويتولانا حتّى يطهّر الله قلبه، ولا يطهّر اللهُ قلبَ عبدٍ حتّى يسلم لنا...» الحديث[6].

٢٢. وعنه عليه السلام: «ما من شيءٍ أفسدُ للقلب من الخطيئة! إنّ القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتّى تغلب عليه، فيصير أسفلُه أعلاه وأعلاه أسفلَه»[7].

٢٣. وعنه عليه السلام: «إنّ الله خلقنا من أعلى علّيّين، وخلق قلوبَ شيعتنا ممّا خلقنا منه،

---

١. أي لا يحفظ، من (وعاه يعيه) أي: حفظه وجمعَه.

٢. كذا في الأصل، وفي رواية الكليني والصدوق: يعتلجان، والاختلاج: الحركة والاضطراب، والاعتلاج: المصارعة وما يشابهها.

٣. الكافي: ٤٢٣/٢ ح ٣. ورواه الصدوق في معاني الأخبار: ٣٩٥ وعنه المجلسي في بحار الأنوار: ٥١/٦٧ ح ٩.

٤. الكافي: ١٥/٢ ح ١. والآية الشريفة في سورة الفتح: ٤.

٥. التغابن: ٨

٦. الكافي: ١٩٤/١ ح ١، تفسير القمي: ٣٧١/٢ وعنهما في بحار الأنوار: ٣٠٨/٢٣ ح ٥. وفي تفسير نورالثقلين: ٣٤١/٥ ح ١٤ والبرهان: ٣٤١/٤ ح ٢، وتأويل الآيات: ٦٩٦/٢ ح ٢ كلّهم عن الكافي. وراجع شرح اصول الكافي للمازندراني: ١٧٧/٥.

٧. أمالي الصدوق: ص ٤٨١ ح ٩، وعنه في بحار الأنوار: ٥٤/٦٧ ح ٢٢. أمالي الطوسي: ٤٣٨ ح ٣٦، مستدرك الوسائل: ٣٢٨/١١ ح ١١ (عن أمالي الصدوق والطوسي)... تفسير نورالثقلين للحويزي: ٥٣١/٥، وتفسير الميزان: ٢٣٧/٢٠ عن روضة الواعظين.

وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه»[١].

٢٤. وعنه عليه السلام: «إنّه ليس من عبدٍ مؤمنٍ إلّا وفي قلبه نوران: نور خيفةٍ، ونور رجاءٍ...» الحديث[٢].

٢٥. وعن الصادق جعفر بن محمّدٍ عليهما السلام في حديثٍ طويلٍ له عليه السلام: «بينما موسى عليه السلام يعظ أصحابه إذ قام رجلٌ فشقّ قميصَه فأوحى الله تعالى إليه: ياموسى! قل لا تشقّ قميصك ولكن اشرح لي عن قلبك»[٣].

٢٦. وعنه عليه السلام: «إذا أحبّ الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه»[٤].

٢٧. وعن الفُضيلَ: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ﴿أولئِكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ﴾[٥] هل لهم فيما كتب في قلوبهم صُنعٌ؟ قال: لا».[٦]

٢٨. وعنه عليه السلام في حديث «بيان الفروض على الجوارح»:

«فأمّا ما فُرِضَ على القلب فالإقرار والمعرفة والعقد والرّضا والتسليم... (إلى أن قال): فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله...» الحديث[٧].

٢٩. وعنه عليه السلام: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً نكّت في قلبه نكتةً من نورٍ وفتح مسامع قلبه ووكّل به ملكاً يسدّده، وإذا أراد بعبدٍ سوءاً نكّت في قلبه نكتةً سوداء وسدّ مسامع قلبه»[٨].

٣٠. وعنه عليه السلام: «الإيمان الهدى، وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من

---

١. الكافي: ٢/٤ ح ٤.

٢. الكافي: ٢/٦٧، وتمام الحديث: لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا. تحف العقول: ٣٧٥.

٣. روضة الكافي: ص ١٢٨، بحار الأنوار: ١٣/٣٥٢ و ٧١/٩٥ (عن الكافي)، الجواهر السنية: ص ٥٢.

٤. كنز العمال: ١١/٩٥ رقم ٣٠٧٦٢، الجامع الصغير للسيوطي: ١/٦١ وفيهما: (إذا اراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه..)، وبهذا اللفظ ذكره النراقي في جامع السعادات: ٣/١٤٥.

٥. المجادلة: ٢٢.

٦. بحار الأنوار: ٦٦/٢٠٠ ح ٢٢ (عن الكافي).

٧. الكافي: ٢/٣٢ إلى ٣٧، بحار الأنوار: ٦٦/٢٤ ح ٦. شرح أصول الكافي للمازندراني: ٨/١٠٦.

٨. الكافي: ٢/٢١٥ و ٤٢٣، التوحيد للصدوق: ص ٤١٥ ح ١٤.

العمل به»[١].

٣١. وعنه عليه السلام: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه...» الحديث[٢].

٣٢. وعنه عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج من قلبه نكتةٌ سوداءُ، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتّى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً»[٣].

٣٣. وعنه عليه السلام: «إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[٤].

١.الكافي: ٢/ ٢٥، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٤٨/٦٥ عن الكافي. وفي تحف العقول قال عليه السلام: وأما معنى صفة الإسلام فهو الإقرار بجميع الطاعة الظاهر الحكم والأداء له. فإذا أقرّ المقرّ بجميع الطاعة في الظاهر من غير العقد عليه بالقلوب فقد استحقّ اسمَ الإسلام ومعناه، واستوجب الولايةَ الظاهرة وإجازةَ شهادته والمواريث، وصار له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، فهذه صفة الاسلام. وفرقُ بين المسلم والمؤمن أنّ المسلم إنما يكون مؤمناً أن يكون مطيعاً في الباطن مع ما هو عليه في الظاهر. فإذا فعل ذلك بالظاهر كان مسلماً. وإذا فعل ذلك بالظاهر والباطن بخضوعٍ وتقربٍ بعلمٍ كان مؤمناً. فقد يكون العبد مسلماً ولا يكون مؤمناً الا وهو مسلمٌ. تحف العقول: ٣٢٩. بحار الأنوار: ٢٧٨/٦٥.

٢. الكافي: ٢/ ١٢٨، أمالي الطوسي: ٣٣٢/٢، ثواب الأعمال: ص ١٥١، بحار الأنوار: ٣٣/٢ ح ٢٧.

٣. الكافي: ٢/ ٢٧١، بحار الأنوار: ٣٢٧/٧٠، ح ١٠. قال المجلسيُّ في بيان له ذيل الحديث:

بيان: خرج في قلبه نكتةٌ، النكتة النقطة وكلّ نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكتة، وقيل: إن الله خلق قلب المؤمن نورانياً قابلاً للصفات النورانية فإن أذنب خرج فيه نقطة سوداء فإن تاب زالت تلك النقطة وعاد محلها إلى نورانيته، وإن زاد في الذنب سواء كان من نوع ذلك الذنب أم من غيره زادت نقطة أخرى سوداء، وهكذا حتى تغلب النقاط السود على جميع قلبه، فلا يفلح بعدها ابداً، لأنّ القلب حينئذ لا يقبل شيئاً من الصفات النورانية ! والظاهر أنّه إن تاب من ذنبٍ ثمّ عاد لم تبطل التوبة الأولى وأنّه إن تاب من بعض الذنوب دون بعضٍ فهي صحيحةٌ على أحد القولين فيها.

أقول: وقال بعض المحققين بعد أن حقّق أنّ القلب هو اللطيفة الربانية الروحانية التي لها تعلّق بالقلب الصنوبري كما مرّ ذكره، القلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة إلى القلب، اما الآثار المحمودة فإنّها تزيد مرآة القلب جلاءً واشراقاً ونوراً وضياءً حتى يتلالأ فيه جلية الحقّ وتنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين، وإلى مثل هذا القلب أشار بِقَوْلِهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إذا اَرادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرا جَعَلَ لَهُ وَاعِظاً مِنْ قَلْبِهِ»، وبِقَوْلِهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الله حَافِظٌ» وهذاالقلب هوالذي يستقرّ فيه الذكر، قال‌الله تعالى ﴿أَلا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾. انتهى كلام المجلسي طاب ثراه.

٤. الكافي: ٢/ ٣٦١، مشكاة الأنوار: ٥٥١.

٣٤. وعنه عليه السلام: «إنّ القلب ليترجّجُ فيما بين الصدر والحنجرة حتّى يُعقد على الإيمان، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿وَمَنْ يؤمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١]»[٢].

٣٥. وعنه عليه السلام: «إنّ القلب ليتجلجل في الجوف ويطلب الحقّ فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثمّ تلا عليه السلام: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلام﴾ » الآية[٣].

٣٦. وعنه عليه السلام: «إنّ الله عزوّجلّ لايستجيب دعاء بظَهر قلبٍ قاسٍ»[٤].

٣٧. وعنه عليه السلام: «أوْحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى! لا تفرح بكثرة المال ولاتدع ذكري على كلّ حالٍ! فإنّ كثرة المال تُنسي الذنوب، وإنّ ترك ذكري يُقسي القلوب»[٥].

٣٨. وعنه عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «ثلاثةٌ مجالستهم تميت القلب: مجالسة الأنذال، والحديث مع النّساء، ومجالسة الأغنياء»[٦].

٣٩. ورُويَ: «أنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى، فقال له في مناجاته: يا موسى! لا تطوّل في الدنيا أملك فيقسو قلبك! وقاسي القلب منّي بعيدٌ»[٧].

٤٠. وعنه عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ أوحى إليه [داود]: يا داود! إلى كم تذكر الجنّة ولا تسألني الشوق إليّ؟!

قال: يا ربّ من المشتاقون إليك؟

قال: إنّ المشتاقين إليّ الذين صَفَّيتُهم من كلّ كدرٍ وأنبهتهم بالحذر، وخرقتُ من قلوبهم إليّ خرقاً ينظرون إليّ، وإني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي ثمّ أدعو نجباء

---

١. التغابن: ١١

٢. الكافي: ٢/٤٢١، المحاسن للبرقي: ١/٢٤٩ رقم ٢٦١.وفي الحديث تتمة لم تذكر هنا وهي بعد قوله حتى يعقد على الايمان: فإذا عُقِدَ على الايمان قَرَّ.

والرجّ: التحرّك والتحريك والاهتزاز. والرجرجة: الاضطراب. لسان العرب: ٢/٢٨٢.

٣. الكافي: ٢/٢٢١، والآية في سورة الأنعام: ١٢٥. والتجلجل: التحرّك والتضعضع.

٤. الكافي: ٢/٢٧٤، بحار الأنوار: ٩٠/٣٠٥ ح ١.

٥. الكافي: ٢/٤٩٧، الخصال: ٣٩، علل الشرائع: ١/٧٧.

٦. الكافي: ٢/٦٤١، الخصال: ٨٧، وفي من لايحضره الفقيه: ٤/٣٩٥.

٧. روضة الكافي: ص ٤٢ إلى ٤٩، بحار الأنوار: ١٣/٣٣٢ ح ١٣.

ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا، فأقول: «إنّي لم أجمعكم لتسجدوا لي ولكن دَعوَتُكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إليّ، وأباهي بكم أهل الشوق إليّ، وإنّ قلوبهم لتضيء سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض» يا داود! إنّي خلقت قلوب المشتاقين من رضواني، ونعّمتها بنور وجهي واتّخذتهم لنفسي محدّثين، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض، وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إليّ... الحديث»[1].

فممّا ذُكِرَ وحقّق من معنى الحياة والموت لا يبقى بعد اشكالٌ وتأمّلٌ في معنى ما رُويَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «خير الملوك من أمات الجور وأحيا العدل»[2].

وعنه عليه السلام: «الذكر نور العقول وحياة النفس، وترك العتاب حياة المودّة».[3]

وعنه عليه السلام: «الكاظم من أمات أضغانه».[4]

وعنه عليه السلام: «العاقل من أمات شهوته، وأفضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته».[5]

وعنه عليه السلام: «العدلُ حياةٌ».[6]

وعنه عليه السلام: «رحم الله امرءاً أحيى حقّاً وأمات باطلاً».[7]

وعن خثيمة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام في وصاياه لمواليه: «أن يتلاقوا في بيوتهم، فإنّ لُقيا[8] بعضهم بعضاً حياةٌ لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا».[9]

---

١. المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ٨ /٥٩، جامع السعادات للنراقي: ٣/١٠٣.

٢. عيون الحكم: ص ٢٣٩، غرر الحكم: ٧٨٠١.

٣. غرر الحكم: رقم ١٩٩٩ (من شرحه للخوانساري).

٤. عيون الحكم: ص ٤٤، غرر الحكم: ٥٠٦٠.

٥. قوله عليه السلام (العاقل من أمات شهوته) ذكره الآمدي في غرر الحكم: ٣٠٨، وقوله عليه السلام: أفضل الناس... رواه النوري في مستدرك الوسائل: ١١ /٢١١، وفي هذا المعنى كلامه عليه السلام في النهج الشريف: الخطبة ٢١٤، شرح ابن أبي الحديد: ١١ /١٢٧.

٦. مستدرك الوسائل: ١١ /٣١٨، غرر الحكم: ١٦٩٩.

٧. غرر الحكم: ٩٨٠

٨. «اللقيا» بضمّ اللام وسكون القاف اسمٌ من اللقاء.

٩. الكافي: ٢ /١٧٥ ح٢ (باب زيارة الاخوان)، أمالي الطوسي: ١٣٥. قرب الاسناد للحميري: ص٣٢ ح ١٠٥ وعن هذه الثلاثة رواه المحدث العاملي في وسائل الشيعة: ١٤ /٥٨٧.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «رحم الله امرءً أحيى أمرنا».[١]

وعن الرضا عليه السلام: «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».[٢]

فإطلاق الحياة والموت والإماتة والإحياء في جميع هذه الأخبار الشريفة ونظائرها ممّا لا تُعدُّ ولا تُحصى حقيقةٌ لامجازَ فيه؛ والمراد في جميعها صار واضحاً لا يخفى، فلا يحتاج لذكر تفصيلٍ في شرح كلّ واحدٍ منها.

وكذلك الأمر فيما رُويَ عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا آوى إلى فراشه قال: اللهمَّ بِاسمِك أحْيى وباسْمِك أموتُ. فإذا قام من نومه قال: الحمدلله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النّشور»[٣].

فإنّ النوم موتٌ على الحقيقة، لانقطاع الآثار الوجوديّة عن النائم وعدم ترتّبها عليه، لمفارقة النفس العاقلة المميّزة عنه. ويصرّح بذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي يَتَوَفّيكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ (الأنعام ٦٠). وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئَاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أمْوَاتٌ غَيرُ أحياءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أيّانَ يُبعَثُونَ﴾.[٤]

توضيح المعنى:

إنّ الإله لا بدّ له من آثارٍ تترتّب على وجوده من الخلق والعلم بأحوال العباد والاطّلاع لِما هو آتٍ عليها وإيصال الخير لهم ودفع الضرر عنهم وغيره من الآثار اللازمة على وجود الإله؛ فالأصنام ـ التي لا يمكنها خلقُ شيءٍ ولا عِلمٌ بشيءٍ من البعث والنشور، ولا يترتّب على وجودها الآثار كما أشار بقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئَاً وَهُمْ

١. الكافي: ١٤١/١.

٢. أمالي الصدوق: ١ / ١٣١، وعنه في الوسائل: ١٤ / ٥٠٢، ورواه القطب الراوندي في الدعوات: ٢٧٨ عن الصادق عليه السلام.

ومو القلب في القيامة كناية عن شدّة الدهشة والغمّ والحزن والخوف. وإحياء أمرهم يحصل بذكر فضائلهم ونشر أخبارهم وحفظ آثارهم عليهم السلام.

٣. الكافي: ٥٣٩/٢ ح ١٦، وللحديث تتمة فليراجع.

٤. النحل: ٢٠ ـ ٢١.

يُخلَقُونَ وَلا يَملِكونَ لأنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيوةً وَلا نُشُوراً﴾[1] ـ هي الموتى في الحقيقة.

هذا إذا كان قوله تعالى: (أموات... إلى آخر الآية) وصفَ الأصنام، وإن كان إعلاماً عن وصف الكفّار كما قال بعض علماء التفسير، فالإطلاق أيضاً على الحقيقة كما حقّق.

وكذلك الأمر فيما أُضيف من الحياة والموت إلى «الأرض» واطلق الحيّ والميّت عليها في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في سورة البقرة (١٦٤) والنحل (٦٥) والجاثية (٥).

وقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوتِها﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً * أَحْيَاءً وأَمْوَاتاً﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلىٰ آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾[8].

كلّ ما في هذه الآيات الشريفة محمولٌ على الحقيقة؛ وذلك أنّ الأرض من آثارها الوجوديّة نبات الزرع ولونها خضرةٌ معمورةٌ مثمرة النبات غير خربةٍ مقطوعة الآثار، فأيّ أرضٍ تترتّب عليها آثارها الوجوديّة فهي حيّةٌ على الحقيقة، وما بإزائها فهي ميّتةٌ كذلك. ومن هنا قد يعبَّر عن حياتها بذكر الآثار، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً

---

١. الفرقان:٣.

٢. عنكبوت: ٦٣.

٣. ق: ١١.

٤. يس: ٣٣.

٥. المرسلات: ٢٥ ـ ٢٦.

٦. الروم: ٥٠.

٧. الحديد: ١٧.

٨. الفرقان: ٤٩.

فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتّىٰ...﴾ الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلنا عَلَيها الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٢].

وغيرها من الآيات العديدة.[٣]

[عودٌ إلى أصل الكلام]

[مراحل سفر الإنسان من مبدأه إلى مقصده، وبيان معنى الإحيائين والإماتتين]

فلمّا عُلِمَ حقيقة معنى الحياة والموت فاعلم ـ أيّدك الله تعالى في الدارين وهداك بنور اليقين ـ أنّ للسالك من أوّل مراتب سيره عوالم البشريّة ومراحل سفره إلى الدار الآخرة أعني كونه نطفةً إلى رجوعه إلى مولاه وحلول قيامته الكبرى، وحضوره لحضرة ربّه للمُسائَلَة، ووفوده إلى آخر منازل سيره ومراحل سفره، بالإضافة إلى آثار وجوده الجسميّة الشهوديّة وأجزائه المُلكية العنصريّة ثلاث حالات ومراحل لا تترتّب عليه فيها آثاره الوجوديّة التي وعمدتها «المنطق» ـ وذلك سرّ كونه قسيماً لأفعاله في قولنا «الإنسان قوله وفعله كذا وكذا» والحال أنّه من الأفعال أيضاً، وليس كذلك إلّا لكونه عمدة الآثار! فكان النُطق بوحدته وانفراده نصف تمام آثار وجود الإنسان ـ وله ثلاث حالاتٍ أخرى بازاء ذلك يترتّب فيها آثاره الوجوديّة البشريّة، فجميع حالاته في أيّام سيره من أوّل مراحله إلى آخره ستّةٌ: ثلاثةٌ موتيّةٌ وثلاثةٌ حياتيّةٌ. أوّل هذه المراحل الستّة موتٌ، وآخرها حياةٌ باقيةٌ ليس بها موتٌ؛ وما بين ذلك موتان وحياتان.

الأولى: من الحالات الستّة المتعاقبة واحداً بعد أخرى: كونه نطفةً إلى ولوج روحه إليه، فذلك أوّل مراحل سيره لا تترتّب على وجوده آثارُه وهو ميّتٌ في تلك الحال على الحقيقة،

---

١. طه: ٥٣.

٢. سورة الحجّ: ٥.

٣. كقوله تعالى في سورة فاطر ٢٧، والنمل ٦٠، والأنعام ٩٩.

ولذا قدّمه الله تعالى في الذكر وأطلق عليه الميّت في هذه الحالة بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أمواتاً فَأحْيَاكُمْ...﴾ الآية.[١]

الثانية: أيّام تترتّب الآثار الوجوديّة عليه في هذه الدنيا الدنيّة، وهذا أوّل حالاته الثلاثة الحياتيّة.

الثالثة: مرحلة قبض تلك الحياة وانقطاع آثار الوجود عنه بواسطة اعراض الروح عن حكومة المملكة البدنيّة، وهذه هي الحالة الموتيّة الثانية.

الرابعة: بعثه في القبر للمُسائَلَة، وهو حياته الثانويّة.

الخامسة: أيّام برزخه إلى يوم البعث، وهي الثالثة من حالاته الموتيّة.

السادسة: وهو آخر الحالات والمراحل و«حياته الثالثة» بعثه في الدار الآخرة التي هي دار البقاء والإقرار، وما سوى هذه المرحلة من الحالات الخمسة السابقة عليها مراحل سيره والنزول والغربة في سفر الآخرة، والإنسان في خمستها كعابر سبيلٍ وما فيها بمثابة النـزّل [المنزل] اُلمَعدّ للنّازل؛

ولمّا كان هذه النشأة الحاضرة والمنزل الذي نحن الان فيها طويلٌ إقامتُه بالنسبة لما قبلَه ووسيعٌ فضاءه بالإضافة إليه يَظُنُّ الجاهل أنّه آخِرُ المراحل! ويوهِم الغافلُ أنّه نهاية المنازل! ويزعم أنّه للمقصد واصلٌ ولوَطَنه ومستَقَرِّه نائلٌ! ولإنقاذ هذه الجماعة عن تيه الجهالة ولانتباههم عن نوم الغفلة ولبيان حقيقة هذه المرحلة نَطَق النبيُّ الأمين ورسولُ ربّ العالمين صلّى الله عليه وآله بقوله لابن عُمَر: «كُن في الدُنيا كأنّك غريبٌ أوْ عابرُ سبيلٍ! واعددْ نفسَك مع المَوتى»[٢]!

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

كُـنْ غَـريباً وَاجعَل الدَّنْ يـا سَـبيلاً لِـلعُبورْ

وَاعـدُد النَـفس طـوالَ[٣] الدَّ هْـرِ مِـن أهـلِ القُـبورْ

---

١. البقرة: ٢٨.

٢. مسند أحمد: ٢/ ٢٤، سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٧٨، ورواه الطوسي في الأمالي: ٤٠٢.

٣. في الأصل: طوى.

وَارفَـــضِ الدّنــــيا وَلا تَـــرْكَـن إلى دارِ الغُـروز[1]

وقال رئيس الموحّدين أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّما مَثَلُ مَن خَبَرَ الدنيا[2] كمثلِ قومٍ سَفْرٍ نَبَا بهم منزلٌ جَديبٌ فَأَمُّوا منزلاً خصيباً وجـناباً مَـريعاً فـاحتملوا وَعـثاء[3] الطـريق وخُشونةَ السفر وجُشُوبةَ المَطعَم ليأتوا سِعةَ دارِهم ومحلّ قرارِهم».[4]

وقال عليه السلام: «الإنسان فيها (يعني في الدنيا) غريبٌ وليس وطنه».[5]

وقال عليه السلام: «إنّ الدنيا منزل قُلعة وليست بدار نُجعة».[6]

وقال عليه السلام: «إنّ الدّنيا دارُ شُخُوصٍ ومحلّةُ تَنغيصٍ، ساكنها ظاعِنٌ وقاطنُها بائنٌ».[7]

وقال عليه السلام: «إنّ الدنيا لم تُخلَق لكم دارَ مُقامٍ [ولا محلّ قرار] وإنما جُعلتْ لكـم مَجازاً لتتزوّدوا منها الأعمال الصالحة لدار القرار».[8]

وقال عليه السلام: «إنّما خُلِقتُم للبقاء لا للفناء! وإنّكم لفي دار بُلغَةٍ ومنزل قُلعَةٍ».[9]

---

١. الأبيات الشعرية ذكرها الفتال النيسابوري في روضة الواعظين: ٤٤٨ في ذيل الرواية كما وردت في المتن. وذكر الأبيات أيضاً محمد بن الحسين الآجري المتوفى ٣٦٠ هـ في كتاب الغرباء: ص ٣٤ مع اضافة بيتٍ واحدٍ في أوّلها وهو:

أيّهـا الغافل في ظل لِ نـعيـمٍ و سـرور

٢. خبر الدنيا: عرفها كما هي، بامتحان أحوالها.

٣. الجناب: الناحية، والمريع: كثير العشب، ووعثاء: المشقّة.

٤. نهج البلاغة: ٣٩٧، الرساله: ٣١ في ضمن وصيةٍ له لابنه الحسن عليهما السلام، وفي تحف العقول: ٧٣ بلفظ قريب. وفي لفظ المحكي في الاصل اختلافات يسيرة صححناها طبقا لما ورد في النهج الشريف.

٥. لم أجده في المصادر الروائية والمعاجم الحديثية حسب تتبعي. وفي تحف العقول ص ٣٧٠ من حكم ومواعظ لمولانا أبي جعفر الصادق عليه السلام انه قال: المؤمن في الدنيا غريبٌ لا يجزع من ذُلّها ولايتنافس أهلها في عزّها.

٦. نهج البلاغة: الخطبة ١١٣، غرر الحكم: ٢٢٧٤. قوله عليه السلام «منزل قلعة» بضم القاف إذا لم تصلح للاستيطان والنجعة بضم النون أيضا طلب الكلاء في موضعه. وحاصله: أنها ليست دار راحة وطيب عيش.

٧. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٦، غرر الحكم: ٢١٦٢.

٨. نهج البلاغة: الخطبة ١٣٢، غرر الحكم: ٢٧١٥.

٩. غرر الحكم: ٢٢٩١، نهج البلاغة: الرسائل (٣١)، شرحه لابن أبي الحديد: ٨٩/١٦.

←

وقال عليه السلام: «إنّما الدنيا دارُ ممرٍّ، والآخرة دارُ مقرٍّ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم! ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم».[1]

وقال عليه السلام: «أهلُ الدنيا كَرَكبٍ يُسارُ بِهم وهُم نِيامٌ»![2]

قال أبوبكر محمّد بن الوليد الطُرطُوشي[3]:

إنّ لله عـــباداً فِــطَنا	طَلّقوا الدُنيا وخَافُوا الفِتَنا
نَظروا فِـيها فَـلمّا عـلِموا	أنّـها ليست لِـحيٍّ وَطَـنا
جَـعَلوها لُـجَّةً واتّـخذوا	صالحَ الأعمالِ فيها سُـفُنا

ونِعمَ ما قال الشاعر المتخلّص بـ «الكاتِبيّ التُرشيزيّ»[4] بالفارسيّة:

مـا كـاروانـيم و جـهان كـاروانسـرا	در كـاروانسـرا نكـنـد كـاروان، سـرا
يك شب بسر بريم در اين منزل و به صبح	بـنديم بـار چـون كـه بـرآرد فـغان ورا
بـاشد بـراى كـهنه ربـاط جـهان دو در	از ايـن درش درون رو و از آن درش درا

← والبلغة بالضمّ: الكفاية، وهو ما يكتفى به من العيش. بلغة ومنزل بلغة: أي دار عمل يتبلغ فيها من صالح الأعمال ويتزوّد، ومنزل قلعة: أي يتحوّل عنها من دارٍ إلى دارٍ أخرى. (مجمع البحرين: ١/٢٤٤).

١. الأمالي للصدوق: ٢٨٩ح ٥، غرر الحكم: ٢٧١٨.

٢. نهج البلاغة: الرقم ٦٤ من الحكم ج ٤ ص ١٥. قال ابن أبي الحديد (١٨/ ٢٠٩) في شرح كلامه عليه السلام: هذا التشبيه واقعٌ وهو صورة الحال لا محالة. وقد أتيتُ بهذا المعنى في رسالةٍ لي كتبتُها إلى بعض الأصدقاء تعزيةً، فقلت: ولو تأمّل الناس أحوالَهم وتبيّنوا مآلَهم، لعلموا أنّ المقيم منهم بوطنِه، والساكن إلى سَكَنِه، أخو سفر يُسرى به وهو لا يَسري، وراكبُ بحرٍ يُجرى به وهو لا يَدري!

٣. أبو بكر محمّد بن الوليد بن محمّد القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي رندقة. توفي في سنة ٥٢٠ كما ذكره ابن بشكوال في كتاب الصلة. ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٤/٢٦٢ وذكر هذه الأبيات وقال: وكان كثيراً ما ينشدها.

والطرطوشي بضمّ الطاءين نسبةٌ إلى «طرطوشة» مدينةٌ على ساحل البحر في شرق الأندلس.

٤. المولى محمّد بن عبدالله الكاتبي الترشيزي النيسابوري المتوفى بأستراباذ سنة ٨٨٩ شاعر مشهور، أورده القاضي نور الله الشوشتري في مجالس المؤمنين: ٢/٦٦١ في شعراء الشيعة وذكر بعض قصائده في مدح أمير المؤمنين عليه السلام. كذا ترجمه المحدث القمي في الكنى والألقاب: ٣/١٠٠ وذكر أبياتاً من مدائحه.

وعدّه المؤلف قدس سره في موسوعته الخالدة الغدير: ٦/٢٨ في عداد أعلام الشيعة الفطاحل وشعرائها الأفذاذ الذين نظموا حديث ولادة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة المعظمة.

[المراحلُ السّتُ لسير الإنسان وبيان وجوه تفسيرها]

ولمّا كانت مراحل سَير الإنسان ستّة موتيّة وحياتيّة وإطلاق الموت في الثلاثة الموتيّة والحياة في الثلاثة الحياتيّة على نهجٍ واحدٍ وشرعٍ سواءٍ على سبيل الحقيقة لا المجاز في جميع موارد الاستعمال من الحالات السّتّة، ولا مزيّة في الإطلاق من هذه الجهة لواحدٍ على الآخر، والله تبارك وتعالى قد ذكر في هذه الآية الشريفة المُعَنوَنَة من كلّ ثلاثةٍ اثنين، وقع الخلاف بين أصحاب التفسير في معناها على وجوهٍ أربعة:

الأوّل: إنّ الموتةَ الأولى كونُهم نُطفاً في الأصلاب وبُطون أُمّهاتم.

والثانية موتهم بعد الحياة الدنيويّة.

والحياة الأولى هذه الحياة الدنيا، والثانية حياتهم للبعث والمسألة الكبرى.

الثاني: إنّ الموتةَ الأولى موتهم في الدنيا بعد حياتهم.

والثانية موتهم بعد مُسائلة القبر.

والحياة الأولى حياتهم في القبر للمسائلة.

والثانية حياتهم للبعث والنشر.

الثالث: إنّ الموتة الأولى موتهم في الدنيا.

والثانية في القبر.

والحياة الأولى حياتهم في الدنيا.

والثانية في القبر.

الرابع: إنّ الموتة الأولى موتهم بعد إحياء الله إيّاهم في الذرّ.

والثانية موتهم في الدنيا بعد الحياة الدنيوية.

والحياة الأولى حياتهم في تلك العالم.

والثانية حياتهم في هذه الدنيا.

هذه وجوه الاختلاف في معنى الآية وليس منشأه إلا ما بيّنّاه!

[الحقّ في المقام]

والتحقيق: أنّ الحقّ خلاف جميع هذه الوجوه الأربعة المذكورة، وفي كلّ واحدٍ منها شيءٌ

من العسف لا يخفى! والصواب عندنا: أنّ «الموتين» عبارةٌ عمّا ذُكِرَ في الوجه الثاني، و«الحياتين» عمّا ذُكِرَ في الوجه الأوّل؛ فنأخذ شطراً من الوجه الأوّل وشطراً من الوجه الثاني ويكون مجموع الشطرين وجهاً خامساً:

فالإماتة الأولى موتهم في الدنيا.

والثانية موتهم في القبر.

والحياة الأولى حياتهم في الدنيا.

والثانية للبعث والحشر.

والوجه في ذلك: أنّ الموت المقيّد بالأوّلويّة في بيان الله تعالى ولسان الشارع إنما هو الموت الواقع في هذه الدنيا، ويدلّ على هذا بالصراحة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾![1]

وقوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحنُ بِمَيِّتِينَ. إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَىٰ﴾![3]

فلمّا كانت الموتة الأولى عبارةً عمّا في الدنيا لا الموت الأوّل الغير المسبوق بالحياة، فلابدّ أن يكون الثانية عبارةً عمّا في القبر الواقع بعد الحياة للمُسائلة، لعدم غيرها بعدها، والثاني لا يقدّم الأوّل. فالمراد من أحد الموتين الذي كان مورد تصديقهم في الدنيا، والآخر موضع إنكارهم فيها كما ورد في غير واحدٍ من الآيات الشريفة، فالمقصود أنّهم يلحقون في الآخرة مورد إنكارهم بما كانوا يصدّقونه في الدنيا، ويعترفون بهما معاً بإقرارٍ واحدٍ على سبيل المشاهدة، كما هو طريق الوارد في أمرين يكون أحدهما قبل الإقرار ثابتاً عند المُقرّ والآخر غير ثابت، فبَعدَ ثبوته يكون مقرّاً على الأمرين بلفظٍ واحدٍ على صورة التثنية؛

وكذلك الأمر في الحياتين فإنّ مورد تصديقهم في الدنيا، كما يُنبئُ عن تصديقهم قوله

---

١. الدخان: ٣٤ و٣٥.

٢. الدخان: ٥٦.

٣. الصافّات: ٥٨ و٥٩.

تعالى: ﴿وَ قالُوا إنْ هِيَ إلّا حَيٰوتُنَا الدُّنيَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَا هِيَ إلّا حَيٰوتُنا الدُّنيَا﴾![2]، والآخر مورد إنكارهم الذي يُخبر عنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾![4]

فالمراد من الآية أنهم يجعلون مورد إنكارهم هذا لاحقاً لمورد تصديقهم ويعترفون بهما معاً، وتوضيح المراد من هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إنْ هِيَ إلّا حَيٰوتُنا الدُّنيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرىٰ إذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أليسَ هٰذَا بِالحَقِّ قَالُوا بَلىٰ وَرَبِّنا قَالَ فَذُوقُوا العَذابَ بِما كنتُمْ تَكفُرونَ﴾![5]

وكذلك الأمر في كلّ آيةٍ ذُكِرَ فيها الحياة مرّتين، فإنّه محمولٌ أحدهما على الحياة الدنيويّة، والثانية على الحياة للبعث والحشر! وكلّ حياةٍ ذُكِرَت بعد ذكر الموت في الدنيا بلا فصلٍ محمولٌ على الحياة ليوم الجمع كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أحْيَاكُمْ ثُمّ يُميتُكُمْ ثُمّ يُحيِيكُمْ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذي خَلَقَكُمْ ثُمّ رَزَقَكُمْ ثُمّ يُميتُكُمْ ثُمّ يُحيِيكُمْ...﴾ الآية.[7]

وقد يصرّح بذلك كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ يُحيِيكُمْ ثمّ يُميتُكُم ثُمّ يَجْمَعُكُمْ إلىٰ يَومِ القِيامَةِ﴾![8]

[فذلكة الكلام في معنى الآية الشريفة]

ولا يخفى على المتأمّل أنّ قولهم «أمَتَّنا اثنَتينَ» وإقرارهم هذا تصديقٌ واعترافٌ منهم بالحياة الواقعة في القبر للمسائلة أيضاً حيث إنّ الاثنينيّة في الموت إنّما يستدعي ذلك،

---

١. الأنعام: ٢٩.

٢. الجاثية: ٢٤.

٣. الأنعام: ٢٩.

٤. الدخان: ٣٥.

٥. الأنعام: ٢٩ ـ ٣٠.

٦. الحجّ: ٦٦.

٧. الروم: ٤٠.

٨. الجاثية: ٢٦.

وإنّها لا تتحقّق إلّا بحياةٍ واقعةٍ بين الموتين، فإقرارهـم بـالموت الثـاني والأوّل المـصدّق عندهم في الدنيا يستلزم الإقرار بالحياة الواقعة وسطاً بينهما، فالآية الشريفة المعنونة تدلّ على أنّ الكفّار يوم القيامة يعترفون بالموتين والحياة الثلاثة. وقانا الله شرّ ذلك اليوم ولقّانا نضرةً وسروراً.

هذا تمام الكلام في المطلب الأوّل.

والحمدلله ربّ العالمين.

المطلب الثاني

في بيان قوله تعالى

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلونَ﴾

[الأعراف: ١٨٠]

[الاسم لغةً ومعنىً]

اعلم وفّقك الله تعالى لفهم أسرار القرآن، وجعلنا متخلّصاً عن أسر عالم الحدثان:

أنّ الاسم مشتقٌ من «السِمَة» وهي: العلامة. وهذا اللفظ موضوعٌ على معنىً عامٍّ، أي: مطلق العلامة الدالّة على المسمّى، سواءٌ كانت من قبيل الألفاظ أو الذوات وغيرها؛ فكأنّه كان منقولاً لغوياً نُقِلَ من مطلق العلامة للشيء إلى علامةٍ خاصّةٍ، أعني: اللفظ الدالّ على المسمّى. ويرشدك إلى معناه ما ورد في الحديث الرضوي (على محدّثه السّلام) أنّه قال: «معنى قول القائل «باسمِ الله» أي: أَسِمُ على نفسي سِمَةً من سمات الله عزّوجلّ، وهي العبادة.

قال (يعني ابن فَضّال وهو الراوي): فقلت له: ما السّمةُ؟

فقال: العلامة».[1]

فالمعنى أنّ «الاسم» ما يُظهِر المسمّى؛ فالعالمُ بأسرها كليّاتها وجزئيّاتها، ماديّاتها ومجرّداتها، علويّاتها وسفليّاتها، ملكها وملكوتها، غيبها وشهودها، عقولها ونفوسها، نورانيّاتها وظلمانيّاتها، روحانيّاتها وجسمانيّاتها، جماداتها ونباتاتها، بهيمها ووحشها، إنسها وجنّها كلمةٌ تامّةٌ وحقيقةٌ واحدةٌ كليّةٌ ذات أجزاء وجزئياتٍ، والإنسان كبير ذات

---

١. رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢ ح ١٩ وفي معاني الأخبار: ص ٣ ح ١ وفي التوحيد: ٢٢٩، وعن هذه الثلاثة رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٣٠/٩٢.

قال الصدوق: حدثنا محمّد بن إبراهيم بن اسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد بن سعيد مولى بني هاشم، عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن «بسم الله»، قال: معنى قول القائل «باسم الله» أي... الحديث.

أعضاء، كما أنّ الإنسان عالَمٌ صغيرٌ! فكلّ جزءٍ من أجزاء هذه الكلمة التامّة وكلّ فـردٍ مـن أفراد هذه الحقيقة الكليّة وكلّ غُصنٍ من أغصان هذه الشجرة مظهر اسمٍ من أسمائه، بل كلّ واحدٍ منها في حدّ ذاته اسمٌ لصفةٍ من صفاته وسمةٌ وعلامةٌ لفعلٍ من أفعاله!

[الأسماء الحسنى الإلهية]

والأسماء الحُسنى الإلهيّة اللفظيّة التي تتضمّن معاني حسنة بعضها يرجع إلى صفات ذاتـه كالعالم والقادر والحيّ، وبعضها يرجع إلى صفات فعله كالخالق والرازق والباري والمصوّر، وبعضها يفيد التمجيد والتقديس كالقدّوس والواحد والغنيّ، واختلف في عددها والمشهور أنّها تسعٌ وتسعون، ووردت بذلك أخبارٌ عديدةٌ[١]، إنّما هي المقتضي لظهور الحقّ في المظاهر الذواتيّة بمعنى أنّ كلّ واحدٍ منها يقتضي أن يكون له مظهرٌ في الخارج، به يظهر أثره.

والمسمّى الذي هو ذاته تعالى يتجلّى بصفةٍ من صفاته ويظهر بذلك المـظهر فـي عـين الموحّد، مثلا: الخالق، الرازق، الرحمن، القهّار، كلّ واحدٍ منها اسمٌ من أسـمائه عـزّوجلّ، وظهور أثره إنّما هو بمخلوقٍ ومرزوقٍ ومرحومٍ ومقهورٍ، ولولا هذه الموجودات الخارجيّة والمظاهر الوجوديّة لما يظهر الخالقيّة والرازقيّة وغيرهما من صفاته تعالى.

فهو ظاهرٌ بصفاته وأفعاله في كلّ شيءٍ، ولا يخلو منه شيءٌ! وهو مـتجلٍّ فـي صـنايعه وآياته ومخلوقاته ومكوّناته بأسمائه وصفاته وأفعاله. والذوات بـتمامها مـظاهر صـفاته ومِرآت أفعاله وكتاب آياته، واسمٌ من أسمائه وسمة شأنٍ مـن شـؤونه، يُـظهرون جـمالَ صنايعه وكمالَ بدائعه!

---

١. قال العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: ٨/ ٣٥٩:

وأما ما ورد مستفيضاً مما رواه الفريقان عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: "أنّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة" أو ما يقرب من هذا اللفظ فلا دلالة فيها على التوقيف. هذا بالنظر إلى البـحث التفسيري، واما البحث الفقهي فمرجعه فن الفقه والاحتياط في الدين يقتضي الاقتصار في التسمية بما ورد مـن طريق السمع، وأما مجرد الاجراء والاطلاق من دون تسمية فالأمر فيه سهلٌ.

ثـمّ أورد رحـمه الله الروايـات الواردة فـي المـقام وبـحث ذيـل عـنوان (بـحثٌ روائـيٌ) بـحثاً شـافياً مـمتعاً لا باس بمراجعته.

مجموعه كَونَين بـه آئـين سَـبَق | كرديم تفحّص ورقـاً بـعد ورق
حقّاكه نخوانديم ونديديم در او | جز ذات حق وشـئون ذاتـيّه او

(الشعر لمولى جامي)

وذلك ما ورد في حديث إمام الموحّدين أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ اللهَ فيه»![1]

وعنه عليه السلام: «داخلٌ في الأشياء لا بالمُمازَجَة، وخارجٌ عنها لا بالمُزايَلة»![2]

وفي كلام الإمام الهمام حسين بن عليّ عليهما السلام في دعاء يوم العرفة: «إلهي! عَلِمتُ باختلاف الآثار وتَنَقُّلاتِ الأطوار أنّ مرادك منّي أن تَتَعَرَفَ إليَّ في كلّ شيءٍ حتّى لا أجهَلَك في شيءٍ»![3]

وفي كلامه عليه السلام: «أنت الذي تَعَرَّفْتَ إليَّ في كلّ شيءٍ فرأيتك ظاهراً في كلّ شيءٍ! وأنت الظاهر لكلّ شيءٍ».[4]

مقصود وجود انس و جـان آيـنه است | منظور نظر هـر دو جـهان آيـنه است
دل آينهٔ جمال ... ... | وين هر دو جهان غـلاف آن آيـنه است

[المراتب في أسماء الله الحسنىٰ]

ثمّ اعلم أنّ الموجودات والذوات مختلفة المراتب في المظهريّة، بـمعنى أنّ بـعضها يـظهر صفةً من صفاته ويتجلّى الإله فيه بصفةٍ خاصّةٍ وفعلٍ واحدٍ من أفعاله، وبعضها سمةٌ وعلامةٌ تدلّ على وصفين من أوصافه، وبعضٌ آخر سمةٌ لأوصاف ثلاثة ومظهرٌ لثـلاثة اسمٍ مـن أسمائه، وهكذا...

١. شرح أصول الكافي للمازندراني: ٣/ ٨٣و٩٨ وج ٥/ ٨٣. تـفسير المـيزان: ٨/ ٢٦٣ وفـيه رأيت «قـبله» بـدل «فيه». وفي شرح العلامة الجعفري للنهج الشريف: ١٤/ ٢٩٠: (ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله وبعده ومعه).

٢. الخطبة الأولى من النهج الشريف (ص ٤٠).

٣. مفاتيح الجنان: جزء من دعاء العرفة، بحار الأنوار: ٦٤/ ١٤٢.

٤. بحار الأنوار: ٩٥/ ٢٢٧.

وكذلك الأسماء الحسنى الإلهيّة اللفظيّة مختلفة المراتب والمدارج في الإنباء عن أوصافه تعالى. فبعضها يُنبىء عن وصفٍ بالدلالة المطابقة فقط، وبعضٌ آخر يدلّ على صفةٍ واحدةٍ بالمطابقة وعلى الأخرى بالالتزام، وبعضٌ ثالث ينبىء عن وصفٍ بالدلالة المطابقة فقط وعن وصفين بالالتزام، وهكذا وهكذا...

فمن هنا يندرج مفهوم بعض الأسماء اللفظيّة تحت بعضٍ آخر ويجمع بعضها بعضاً. وأيضاً من الأسماء والصفات ما يشترك جميع الموجودات في الدلالة عليه. وكلّما في العوالم سمةٌ إليه ومظهرٌ على نهجٍ واحدٍ، مثلاً: «الخالق» فإنّه ينبىء عنه تمام الموجودات، والله تعالى ظاهرٌ في جميع الأشياء بصفاته، ويتجلّى بفعله هذا في كلّ شيءٍ من حجرٍ ومدرٍ ونباتٍ وشجرٍ وحيوانٍ وبرٍّ وبحرٍ وسماءٍ وأرضٍ وماءٍ ونارٍ وهواءٍ وجوهرٍ وعرضٍ ونورٍ وظلمةٍ،وكُلّ ذرّةٍ من الموجودات فهي بأسرها تنادي بلسان حالها أنّه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها بل وجودها صنعٌ لموجودٍ بالوجود الأصلي، أثرٌ من آثاره، ولا وجودَ لها بالحقيقة دونَه»!

وكلّ ما في العوالم العلويّة والسفليّة الملكية والملكوتيّة شواهدُ صنعه، ينطق بأنّه مكوّنه وبارئه وفاطره وصانعه ومحييه ومميته. ولوضوح هذا الأمر وظهوره عند كلّ انسانٍ عاقلٍ ذي مُسكةٍ وعدم امكان إنكار ذلك عقلاً كما ورد في كلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام من قولهم: «لا يطيق المنصف لعقله إنكارك والموسوم بصحّة المعرفة جحودك!».[١]

قال الله تعالى في غير موضعٍ من كتابه الكريم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾![٢]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾![٣]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾![٤]

---

١. لم أجده في الروايات الواردة عنهم عليهم السلام، وإنما ذكره ابن المغازلي في خطبة كتابه مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام حيث وصف ما جرى على لفظ الرسول وآله من الدلالات وما ظهر منهم من المعجزات بقوله: (ما لا يمكن المنصف بعقله انكاره، والموسوم بصحة المعرفة جحوده).

٢. الزخرف: ٨٧.

٣. العنكبوت: ٦١.

٤. الزخرف: ٩.

ومن الأسماء والصفات ما يختصّ بعض الموجودات والذوات بالمظهريّة به دون بعض، كمظهريّة «العالِم» لصفة علمه واسمه العالم، و«الحليم» لصفة حلمه، و«الجواد» لصفة جوده؛ فَمن قويَت بصيرته ولم تضعف مُنَّته فإنّه في حال اعتدال أمره لا يرى إلّا الله! ولا يعرف غيره! ويعلم أنّه ليس الوجود إلّا الله، والذوات تابعةٌ له، ولا وجودَ لها بالحقيقة! وإنّما الوجود للواحد الحيّ الذي به وجود الأفعال والأشياء كلّها!

در كون و مكان فاعل مختار يكيست	آرنـده و دارنـدهٔ اطوار يكيست
از روزن عـقل اگـر بـرون آرى سـر	روشن شودت كين همه انوار يكيست

[النظرُ إلى العالَم هو طريقُ معرفةِ الله]

ولا ينظر من هذا حاله في شيءٍ من حيث إنّه سماءٌ وأرضٌ وحيوانٌ وشجرٌ مثلاً بل ينظر فيه من حيث إنّه صنعٌ، كمن نظر في شعر إنسانٍ أو خطّه وتصنيفه من حيث إنّها آثاره لا من حيث هي هي، فإنّه يرى فيها الشاعر والكاتب والمصنّف بعين العيان!

فكلّ العالم تصنيف الله تعالى، فمن نظر إليها من حيث إنّها فعل الله وعرفها من حيث إنّها صنع الله لم يكن ناظراً إلّا في الله، ولا عازماً إلا بالله، ولا محسناً إلّا لله! فأظهر الموجودات وأجلاها هو الله عزّوجلّ لظهور صفاته وشيوع آثاره وتجلّي أفعاله!

وهذا طريق معرفته في جميع الأشياء والذوات حيث إنّا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً فعلمه وإرادته وقدرته للكتابة والخياطة أجلى عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة كشهوته وغضبه وعلمه وصحّته ومرضه لظهور آثار علمه وإرادته وقدرته، فإذا راينا آثار صفة من الصفات وشاهدناها فهي عندنا معلومةٌ ظاهرةٌ جليّةٌ.

فلمّا كان كلّ ما نشاهده وندركه بالحواسّ الظاهرة المُلكيّة أو الباطنيّة الملكوتيّة أثراً من آثار وجود الله تعالى وفيضاً من فيوضه، وكلّ منها يشهد له بالضرورة ويظهر صفة من صفاته؛ فوجوده وقدرته وعلمه وإرادته وحياته وحكمته ولطفه وعفوه وكرمه وسائر صفاته ظاهرةٌ بآثارها، جليّةٌ بمظاهرها، مشهورةٌ بسماتها! وكلّ واحدٍ من هذه المدركات مُدركٌ واحدٌ لواحدٍ من صفاته، وسمةٌ وعلامةٌ تدلّ على ذاته! وجميع ما في العوالم شواهدُ ناطقةٌ وأدلاء شاهدةٌ بوجود خالقها ومدبّرها ومصرّفها ومحرّكها وبارئها، وهو نور السماوات والأرض!

خلق را چون آب دان صاف و زلال اندر آن تابان صفات ذوالجلال
پادشاهان مظهر شاهیّ حق عالمان مرآت آگاهیّ حق[1]

[سببُ خفائه معَ ظهورهِ جلَّ وعَلا]

فيقتضي هذا الظهور أن يكون معرفته تعالى أوّلَ المعارف، وأسبقَها إلى الأفهام، وأسهلَها على العقول، وأجلاها عند أولي الألباب وأظهرَها عند ذوي البصائر؛ لكن نرى الأمر بالضدّ من ذلك! وليس ذلك إلا لشدّة ظهوره وضعف بصر الناظرين! فكما أنّ الخفّاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار وقلّة استناره بل لشدّة ظهوره؛ فإنّ بصر الخفّاش ضعيفٌ يبهره نور الشمس إذا أشرق، فيكون قوّةُ ظهورِه مع ضعف بصره سبباً لامتناع إبصاره، فكذلك الأمر في المقام، فإنّ ضعف عقولنا وقلّة قوّة بصر الناظرين ونهاية إشراق جمال الحضرة الإلهيّة وغاية استنارته في كلّ ذرّةٍ من ملكوت السماوات والأرض قد صار سبب خفائه، فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بفرط ظهوره! فهو الظاهر والباطن!

ای با همه در کمالِ نزدیکی دور حسنت به نقاب «لَن تَراني» مستور
نور تو چو آفتاب، خاکم به دهن در پردهٔ اختفاست از فرط ظهور[2]

ولخفائه مع ظهوره سببٌ آخر، وهو: أنّ الأشياء تُعرَف بأضدادها وتُستَبان بأندادها؛ وما عَمَّ وجوده حتّى لا ضدّ له عند إدراكه، فباختلاف الأشياء وتضادّها وتباين بعضها بعضاً تحصل المعرفة...[3] ويُستَبان كلّ واحدٍ عن الآخر. وأمّا إذا اشتركت في الصفة على نسقٍ واحدٍ اشكِلَ الأمر، فإنّ الشمس لو كانت دائمةَ الإشراق لا غروبَ لها لكنّا نظنّ أن لا ليل ولا نهار... وهي السواد والبياض وغيرهما، لكن لمّا غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا

---

١. للمولوي جلال الدين البلخي الرومي الشاعر والعارف الشهير، المثنوي المعنوي: الدفتر السادس.

٢. لم أقف على قائله، وذكره أيضاً العلامة الخوئي في شرحه على نهج البلاغة من دون عزوٍ (منهاج البراعة: ١/ ٣٥٠).

٣. النقاط المجعولة في هذه العبارة وما بعدها من العبارات علامةٌ لوجود فراغ في الأصل، لعله لعدم تمكن الناسخ من قرائة المخطوطة التي هي بخط المؤلف عطر الله مظجعه.

تفرقةً بين الأشياء واستبان لنا أن... متّصفة بصفةٍ عند طليعة الشمس فارقها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنّا... عدمه بعسرٍ شديد.

فنور الله الذي هو ظاهرٌ في نفسه مُظهِرٌ لغيره... مع فرط طريان ضدّه وعروض خلافه عنه، ولو كان له عدمٌ أو غيبةٌ أو تغيّرٌ لا نهدمت السماوات والأرض وبطل المُلك والملكوت... به التفرقة بين الحالتين. ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لَبانت التفرقة وعمّت المعرفة، ولمّا كانت الذوات... على نسقٍ واحدٍ ووجوده أبديّا في الأحوال وكلّ ذرةٍ أثراً من آثار وجوده وثمار جوده أورث الخفاء بشدّة ظهوره.

گر آينهات روشن و صافيست ببينى ذرات جهان آينه حُسن الهى

[لفظة (الله) الجامع الأوّل و(العلي) الجامع الثاني للأسماء الإلهيّة]

ولمّا عُلِمَ أنّ الأسماء الحسنى اللفظيّة الإلهيّة مختلفةُ المراتب في الدلالة إليه والإنباء عنه كالسّمات الغير اللفظيّة، وبعضها جامعٌ بالاضافة إلى بعضٍ آخر فاعلم:

أنّ الجامع لتمام أسمائه اللفظيّة في المرتبة الثانية لفظة «عليّ» وكلّها مندرجةٌ تحت هذا الاسم في المعنى، وهو منبيءٌ عن اتصاف ذاته بجميع الصفات الكماليّة!

والجامع الكبير للأسماء الإلهيّة في المرتبة الأولى أعني لفظة «الله» معنى الجامع الثاني، حيث إنّ العلوّ الحقيقيّ من جميع الجهات إنّما يقتضي اتّصافه بجميع الكمالات الذاتيّة والصفات الجلاليّة.

وذلك وجه كونه أوّل ما اختاره لنفسه من أسمائه الحسنى، كما ورد بذلك النصّ في الحديث الرضوي (على محدّثه السلام) قال عليه السلام: فأوّل ما اختاره لنفسه «العليّ العظيم» لأنّه أعلى الأشياء كلّها، فمعناه «الله» واسمه «العليّ العظيم» هو أوّل أسمائه، لأنّه عليٌّ عَلا كلَّ شيءٍ...» الحديث.[1]

---

١. التوحيد: ١٩٢ ح ٤، عيون أخبار الرضا: ١٢٩/١، معاني الأخبار: ٢ ح ٢، وعن هذه الثلاثة رواه المجلسيُّ في البحار: ٨٨/٤؛ وقال رحمه الله في بيانٍ له ذيل الحديث:

قوله: «فمعناه الله» أي: مدلول هذا اللفظ، ويدلّ ظاهراً على أنّ اسم الله اسمٌ للذات غير صفة.

ومن هنا يُعلَم وجهُ اشتقاقِ اسمِ أكمل مخلوقاته منه، وتسميته بـ «العليّ» فهو تسميةٌ لجامع المظاهر والآيات بجامع الأسماء.

هو المَثَلُ الأعلى كَفاكَ بِاسمِه «عليّ» عَلا في الاسمِ والبَاسِ وَالحَسَبِ[1]

[ذكر اسم «عليّ بن أبي طالب عليه السلام» في أمّ الكتاب والقرآن الكريم]

وإنّما سمّاه العليّ العظيم بهذا الاسم الجامع، وأخبر بذلك نبيَّه صلّى الله عليه وآله في محكم كتابه وقال تعالى: ﴿وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتابِ لَدَينَا لَعَليٌّ حَكيمٌ﴾[2]!

واقتُبِسَ من هذه الآية الشريفة ما كُتِبَ على الحائط القبلي للصحن الشريف المرتضوي عليه السلام بالفارسيّة:

خوانده رواق تو بعرش عظيم «إنّ لَـدَينا لَـعَليٌّ حَكـيم»!

فالضمير في «إنّه» يعود إلى عليٍّ عليه السلام؛ وورد بذلك النصّ في أخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام. روى الديلميُّ بإسناده عن حمّاد السِندي عن أبي عبدالله عليه السلام وقد سأله سائلٌ عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَإِنَّهُ في أُمّ الْكِتابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾، قال عليه السلام: «هو أميرالمؤمنين عليه السلام».[3]

وعن الرضا عليه السلام لمّا تلا قوله تعالى: ﴿وَ إِنَّهُ في أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾ قال عليه السلام: «عليُّ بن أبي طالب عليه السلام».[4]

---

١. البيت للعوني، ذكره له ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب: ٣٠٣/٢.

٢. الزخرف: ٤.

٣. رواه الثقفي في الغارات: ٨٤٩/٢، والصدوق في معاني الأخبار: ٣٢ ح ٣، والقاضي نعمان في شرح الأخبار: ٢٤٢/١، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٣٣٩/٢٦ عن كنز جامع الفوائد وتاويل الآيات الظاهرة.
قال إبراهيم بن محمد الثقفي في الغارات: اعلم أنّ الضمير في (أنّه) يعود إلى علي عليه السلام لما يأتي في التأويل، وإن لم تجد له ذكراً، وجاء ذلك كثيراً في القران وغيره، ويسمّى ذلك التفاتاً... ثمّ ذكر نماذج من التأويلات في حقّ مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام.

٤. رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢١٠/٢٣ ح ١٦ عن كنز جامع الفوائد وتاويل الآيات الظاهرة، والبحراني في تفسير البرهان: ١٣٥/٤ ح ٣.

وفي تفسير البرهان: عن ابن ماهيار بإسناده عن أصبغ بن نباته قال: «خرجنا مع أمير المؤمنين حتّى انتهينا إلى صعصعة بن صوحان رحمه الله تعالى فإذا هو على فراشه، فلمّا رأى عليّاً عليه السلام خفّ له، فقال[1] صلوات الله عليه: لا تتخذن زيارتنا فخراً على قومك!

قال: لا يا أمير المؤمنين! ولكن ذُخراً وأجراً!

فقال له: والله! ما كنت علمتك إلّا خفيف المؤونه كثير المعونة!

فقال صعصعة: وأنت يا أمير المؤمنين! إنّك ما علمتك إلّا بالله العليم لَعليمٌ، وإنّ الله في عينك لَعظيمٌ، وإنّك في كتاب الله لَعليٌّ حكيمٌ، وإنّك بالمؤمنين لرؤوفٌ رحيمٌ».[2]

وعنه بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لمّا صرع زيد بن صوحان يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه، فقال عليه السلام: «رحمك الله يا زيد! كنتَ خفيفَ المؤونة عظيمَ المعونة»! فرفع زيدٌ رأسه إليه فقال: وأنت جزاك الله خيراً أمير المؤمنين! فوالله ما علمتك إلّا بالله عليماً، وفي أُمّ الكتاب عليّاً حكيماً، وإنّ الله في صدرك عظيماً!...»[3].

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المأثورة عن الصادق عليه السلام المنقولة في كتب جمعٍ من أكابر العلماء بإسنادهم، ومنهم: كتاب المزار للشيخ الأجلّ الأقدم محمّد بن المشهدي طيّب الله رَمسه ونسخة الكتاب موجودةٌ عندنا[4]: السلام على صاحب الدلالات والآيات الباهرات!... (إلى أن قال عليه السلام): الذي ذكره الله تعالى في محكم الآيات فقال

---

١. وفي بحار الأنوار: قال له علي...، وفيه: زيارتنا اياك..

٢. البرهان: ٤ / ١٣٥، بحار الأنوار: ٢٣ / ٢١١.

و روى شاذان بن جبرئيل القمي في الفضائل ص ١٧٤، قال: وبالاسناد يرفعه إلى الثقاة الذين كتبوا الأخبار أنهم وضح لهم فيما وجدوا وبانَ لهم من أسماء أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثماة اسم في القرآن، منها ما رواه بالإسناد الصحيح عن ابن مسعود قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ...﴾ إلى باقي الآيات الشريفة المشتملة على أسمائه عليه السلام.

كذا قال الخصيبيُّ في الهداية الكبرى: ٩١ (لعلي عليه السلام ثلاثمائة اسم في القرآن).

٣. أي: كان في صدرك عظيماً. بحار الأنوار: ٢٣ / ٢١١ ح ٢٠، البرهان: ٤ / ١٣٥ ح ٦.

٤. وهي نسخة قيمة كتبها أبو نصر الشريف ابن أبي سعيد وفرغ منها سنة ٩٥٦، والنسخة مصحّحة مقابلة؛ وهي ضمن مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف برقم ٣٩.

تعالى: ﴿وَإِنَّهُ في أُمِّ الكِتابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾[١].

وفي زيارةٍ أخرى له عليه السلام وذكرها السيّدُ الأجلُّ في المصباح: «السلامُ على مَنْ أنزل الله فيه: ﴿وَ إِنَّهُ في أُمِّ الكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾ ».[٢]

وفي دعاء يوم الغدير المأثور عن أبي عبدالله عليه السلام مُسنداً مُعَنعناً في كتب أئـمة الحديث كالتهذيب ومزار المشهدي وغيرهما: «فاشهدْ يا إلهي أنّه الإمام الهـادي المـرشد الرشيد عليٌّ أميرالمؤمنين الذي ذكرته في كتابك فقلتَ: ﴿وإِنَّهُ في أُمِّ الكِتابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾ ». وفي موضعٍ آخرَ من الدعاء المذكور: «عليّ بن أبي طالبٍ أميرالمـؤمنين الذي أنعمت عليه وجعلته في أُمّ الكتاب لديك عليّاً حكيماً».[٣]

وفي دعاء الندبة[٤]: «يَابنَ من هو في أُمّ الكتاب لدى الله عليٌّ حكيمٌ».[٥]

ولنعمَ ما قال العوني:

هـذا وتسـميةٌ جـاءَتْ مُـصْرِحَةً[٦]	لِصاحبِ الأمـر للألبـابِ تَكشِـفُهُ
«إنّا جَعلنا لَهُم مِـن فَـوزِ رَحـمتِنا	لسـانَ صـدقٍ عـليّاً» ثـمّ يُـردِفُهُ
بقولِه: «هـو فـي أُمّ الكـتاب لدى	البــاري عـليٌّ حكـيمٌ» لا يُـعَنِّفُهُ
إلّا ضـعيفُ أسـاسِ العـقلِ بـاطنُه	عندَ احتمالِ صَريحِ الحقّ مُضْعَفُهُ[٧]

ولا يُقال: كيف يعود الضمير إليه ولم يوجد له ذكرٌ قبله؟! إذ نظير ذلك كثيرٌ فـي القـرآن

---

١. المزار لابن المشهدي: ص ٢١٨، بحار الأنوار: ٣٠٦/٩٧ ح ٢٣ عن مصباح الزائر.

٢. مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ص ١٤٧، وعنه في بحار الأنوار: ٣٠٣/٩٧ ح ٢٢ (زيارةٌ رابعةٌ مليحةٌ يزار بها صلوات الله وسلامه عليه).

٣. تهذيب الأحكام: ١٤٥/٣ ح ١ (باب ٧ باب الصلاة الغدير). المـزار لابـن المشـهدي: ٢٨٧، مـصباح المـتهجد للطوسي: ص ٧٤٧ ـ ٧٤٨ (صلاة يوم الغدير والدعاء فيه)، مـناقب ابـن شـهرآشـوب: ٣٠٢/٢ عـن التـهذيب والمصباح.

٤. وهو الدعاء لصاحب الزمان عليه السلام، ويستحبّ أن يدعى به في الأعياد الأربعة.

٥. إقبال الأعمال: ٥١٠/١، بحار الأنوار: ١٠٨/٩٩.

٦. في الأصل: مصرعة، وهو خطأ.

٧. تفرّد بذكر هذه الأبيات للعوني الحافظ ابن شهراشوب في المناقب: ٣٠٢/٢، وكم من أبيات أوردها فـي كـتابه القيّم ولم تذكر في غيره من المصادر.

وغيره ويسمّى ذلك إلتفاتاً،اصطلاح الفصحاء وأصحاب البلاغة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكمُ الرِّجسَ أهْلَ البَيْتِ ...﴾[١] وقوله: ﴿وَ إنْ مِنْ شيعَتِهِ لإبْراهِيمَ﴾[٢]، على ما رُويَ في عدّةٍ من الأخبار عن الأئمة الأطهار في تأويل الآية![٣]

وقوله: ﴿ توارت بالحجاب﴾ أي: غربت الشّمس[٤]؛ كما قال لبيد:

حتّى إذا ألقَتْ يداً في كافر وأجَنَّ عوراتِ الثغورِ ظِلامُها[٥]

والمراد من «أُمّ الكتاب» في الآية الشريفة هو «اللوح المحفوظ» بقرينة لفظة «لَدَينا» لو أخذت صفةً، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشاءُ ويُثبِتُ وعندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.[٦]

وإن أُريد منه «سورة الفاتحة» فالضمير أيضاً عايدٌ إلى عليٍّ أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد ذكر فيها بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقيمَ﴾ كما هوَ المَعنيُّ بالصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذي أوحِيَ إلَيكَ إنّكَ عَلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُستَقيمٌ﴾[٨]. وقوله تعالى: ﴿وَ إنّ هذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعوهُ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿أفَمَنْ يَمشي مُكِبّاً عَلىٰ وَجهِهِ أهْدىٰ أمْ مَنْ يَمشِي سَوِيّاً عَلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[١٠]،

---

١. سورة الأحزاب:٣٣.

٢. الصافّات:٨٣.

٣. تفسير التبيان: ٥٠٨/٨، شرح الأخبار للقاضي نعمان: ٣/٤٦٩، وراجع كتاب تاويل الآيات الظاهرة لشرف الدين الحسيني: ٤٩٦/٢ فقد أشبع الكلام حول تاويل الآية الشريفة وذكر الروايات الواردة فيها.

٤. الآية (٣٢) من سورة ص، قال ابن الجوزي في تفسيره (زادالمسير: ٣٣٥/٦): حتي توارت بالحجاب، وأهل اللغة يقولون: يعني الشمس، ولم يجرِ لها ذكرٌ... لأنّ في الآية دليلاً على الشمس، وكذا القرطبي في تفسيره: ١٩٥/١٥ حيث جعل الشمس كنايةً عن غير مذكور.

٥. ذكر هذا البيت الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ٣٧٥/٣ وقال قبله: وقد يستعار اليد للشيء الذي لا يد له، تشبيهاً بمن له اليد... فجعل للشمس يداً في المغيب، لما أراد أن يصفها بالغروب....

٦. سورة الرعد: ٣٩.

٧. سورة الزخرف: ٤٣.

٨. الحجر، ٤١. وأنظر الكافي: ١/٤٢٤، وعنه في بحار الأنوار: ٢٤/٢٢ ح ٤٩.

٩. الأنعام: ١٥٣.

١٠. المُلك: ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَدعوا إلىٰ دارِ السَّلامِ وَيَهدِي مَنْ يَشاءُ إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[١].
وقوله تعالى: ﴿إنّكَ لَتَهدِي إلىٰ صِراطٍ مُستَقيمٍ﴾[٢].

[أميرالمؤمنين هو المراد من «الصراط المستقيم» في الآيات]

ويدلّ غير واحدٍ من أخبار أهل بيت العصمة عليهم السلام على كونه هو المراد من الآيات المذكورة، منها: ما رواه عليُّ بن إبراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أنّه قال عليه السلام: «الصراط المستقيم هو أميرالمؤمنين عليه السلام ومعرفته».[٣]

وروى الشيخُ الأجلّ الصدوق (رحمه الله) في المعاني: عن أحمد بن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن جدّه، عن حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِراطَ المُستَقِيمَ﴾ قال: «هو أميرالمؤمنين عليه السلام ومعرفته! والدليل على أنّه أميرالمؤمنين عليه السلام قوله عزّوجلّ: ﴿وَ إِنَّهُ في أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾ وهو أميرالمؤمنين عليه السلام، وفي أُمّ الكتاب قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾».[٤]

وفي الكتاب بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الصراط المستقيم أميرالمؤمنين عليه السلام».[٥]

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم مسنداً عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «قال الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّكَ لَتهدي إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ﴾ يعني: إنّك لتأمر بولاية عليٍّ وتدعو إليها! وعليٌّ هو الصراطُ المستقيم. صراط الله يعني عليّاً أنّه جعله خازنه على ما في

١. يونس: ٢٥.
٢. الشورى: ٥٢. وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يسْتَوِي هُوَ ومَنْ يأمر بِالْعَدْلِ وهُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ﴾. النحل: ٧٦. قال أبو جعفر عليه السلام: هو أميرالمؤمنين، يأمر بالعدل وهو على صراط المستقيم.
رواه الكراجكي في كنز الفوائد: ص ١٢٩، وعنه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٤/٢٤ ح ٥١.
٣. تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٢٩/١.
٤. معاني الأخبار (باب معنى الصراط): ص ٣٢، تفسير الصافي: ٣٨٤/٤ ح ٤.
٥. معاني الأخبار: ص ٣٢ ح ٢.

السماوات وما في الأرض من شيءٍ وائتمنه عليه...» الحديث[1].

وفي الكتاب: «قوله تعالى: ﴿وإنهُ في أُمِّ الكِتابِ لَدَينا لَعَليٌّ حَكيمٌ﴾ يعني: أميرالمؤمنين عليه السلام! مكتوبٌ في سورة الحمد في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال أبوعبدالله عليه السلام: هو أميرالمؤمنين عليه السلام».[2]

وروى الصفّارُ في البصائر في «باب النوادر في الأئمة عليهم السلام» بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبدالله عليه السلام: ﴿هٰذَا صِراطٌ عَلَيَّ مُستَقِيمٌ﴾[3] قال: «هو والله عليٌّ عليه السلام! هو والله عليٌّ عليه السلام الميزان والصراط».[4]

وفي الكتاب معنعناً عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «أوحى الله تعالى إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5] قال: إنّك على ولاية عليّ! وعليٌّ هو الصراط المستقيم».[6]

وروى الشيخ الإمام الكلينيُّ رحمه الله تعالى معنعناً عن أبي عبدالله عليه السلام في حديثٍ طويلٍ: قال عليه السلام: «إنّ الله ضرب مَثَلَ مَن حادَّ عن ولاية عليٍّ كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سويّاً على صراطٍ مستقيمٍ، والصراطُ المستقيم أميرالمؤمنين عليه السلام».[7]

ويدلّ على كونه هو الصراط المستقيم أيضاً ما في زيارته المطلقة التي نقلها السيّد في المصباح: «السلام على صراط الله المستقيم[8]. وفيها: يا حجّة الله! يا وليّ الله! يا صراطَ الله».[9]

---

١. تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٢٨٠/٢ (في تفسير سورة الشورى، الآيات ٥٢و٥٣).

٢. نفس المصدر: ٢٨٠/٢ في تفسير سورة الزخرف.

٣. الحجر: ٤١

٤. بصائر الدرجات: ٩٩، تفسير أبي حمزة الثمالي: ١٦٦ رقم ٩٥ (عن الصفار القمي). وفي البصائر: (هو والله علي) مرةً واحدةً من دون (عليه السلام).

٥. الزخرف: ٤٣

٦. نفس المصدر (البصائر): ٩١، الكافي: ٤١٦/١ ح ٢٤، وشرحه للمازندراني: ٦٥/٧.

٧. الكافي: ٤٣٣/١ ح ٩١، بحار الأنوار: ٣٣٦/٢٤ ح ٥٩ (عن الكافي).

٨. مصباح الزائر: ١٤٧ (زيارة رابعة له عليه السلام).

٩. نفس المصدر: ١٤٧، وكذا في المزار الكبير: ٢٥٨ و٢٥٩ ح ١٠، وفي بحار الأنوار: ٣٠١/١٠٠ ح ٢٢.

وفي زيارته المخصوصة الغديريّة المأثورة بأسانيد معتبرة عن الإمام عليّ بن محمّد النّقي عليهما السّلام: «السلام عليك يا دينَ الله القويمِ وصِراطهُ المستقيم.

وفيها: وأشهَدُ أنّك المَعنيُّ بقول العزيز الرحيم: ﴿وأنَّ هٰذا صِراطِي مُستَقيماً فاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ﴾[١] ضلَّ والله وأضلَّ من اتّبع سِواك! وعَنَدَ عن الحقّ من عاداك! اللهمَّ سَمِعنا لأمرك وأطَعنا وأتّبعنا صراطَك المستقيم»[٢].

وفي زيارته المخصوصة المولوديّة وقد ذكرها المفيد والسيّد والشهيد طيّب الله مضاجِعَهم مأثورة عن أبي عبد الله عليه السّلام: «السّلام على اسم الله الرضيّ...[٣] وصراطه السّويّ»[٤].

وفي زيارته المخصوصة بمبعث النبي صلّى الله عليه وآله: «السّلام عليك أيها الصّراط المستقيم».[٥]

فتحصّل ممّا ذُكِرَ: أنّ المراد من الصراط المستقيم الوارد في عدّة آياتٍ من كتاب الله العزيز هو أميرالمؤمنين عليه السلام. ويؤيّد ذلك كونه عليه السلام هو المراد من «السبيل» الوارد في قوله تعالى: ﴿يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسولِ سَبيلاً﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿إنّ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿فاغْفِرْ لِلَّذينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبيلَكَ﴾[٨].

---

١. الأنعام: ١٥٣

٢. المزار لابن المشهدي: ٢٦٤و ٢٦٦ ح ١٢ (٢٦٢ إلى ٢٨٢)، بحار الأنوار: ٣٦٠/٩٧ ح ٦ (عن المفيد رحمه الله).

٣. كذا في الأصل.

٤. وروى عنهم (عن المفيد والسيد ابن طاووس والشهيد الأوّل) المجلسيُّ ره في بحار الأنوار: ٣٧٣/٩٧، وهي في إقبال الأعمال: ١٣٣/٣، وفي المزار للشهيد الأوّل: ٩٤.

٥. مصباح الزائر: ١٧٦

٦. الفرقان: ٢٧. كنز الفوائد: ١٩١، وعنه في بحار الأنوار: ١٧/٢٤ ح ٢٨.

٧. النساء: ١٦٧. بحار الأنوار: ٣٦٤/٣٥ ح ٤ (عن مناقب ابن شهراشوب).

٨. المؤمن (الغافر): ٧.

و روى ابن شهراشوب في المناقب: ٢٠٧/٢ عن هارون بن الجهم وجابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «فاغفر للذين تابوا» من ولاية جماعة وبني امية «واتبعوا سبيلك» بولاية علي، وعليٌ هو السبيل.

وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ. اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ...﴾[2].

وقد روى أصحاب الحديث وحملة آثار أهل بيت العصمة عنهم عليهم السلام أخباراً كثيرةً في تفسير هذه الآيات المذكورة مصرّحة بأنّ المعنيّ بالسبيل هو عليٌّ أميرالمؤمنين عليه السلام، وذكرها في المقام يوجب طول الكلام والخروج عن المرام.[3]

هذا؛ وأمّا الأخبار التي تدلّ على أنّ الله تعالى هو سمّاه عليّاً، وخصّه بهذا الاسم واختاره له فهي كثيرةٌ جدّاً!

منها: ما في «كمال الدين» عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لمّا أُسريَ بي إلى السماء أوحى إليَّ ربّي جلّ جلالُه فقال: يا محمّد!

إنّي اطلعتُ إلى الأرض اطلاعةً فاخترتُك منها فجعلتك نبيّاً، وشَققتُ لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمّد! ثمّ اطّلعتُ الثانية فاخترتُ منها عليّاً، وجعلته وصيّك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا ذرّيّتك، وشَقَقْتُ له اسماً من أسمائي، فأنا العليّ الأعلى وهو عليّ !...» الحديث.[4]

قال ابنُ حمّاد:

اللهُ سمّاه عليّاً باسمِهِ	فسما علوّاً في العُلى وسموقا
واختاره دون الورى وأقامَهُ	عَلَماً إلى سُبل الهُدى وطريقا
أخذ الإلهُ على البريّةِ كلِّها	عهداً له يومَ الغديرِ وثيقا
وغداة واخى المصطفى أصحابَهُ	جعلَ الوصيَّ له أخاً وشقيقا[5]

---

١. المنافقون: ١ و٢. بحار الأنوار: ٣٥/٣٦٤ (عن المناقب).

٢. آل عمران: ١٥٧. بحار الأنوار: ٣٥/٣٧١ ح ١٥ (عن تفسير العياشي).

٣. راجع: المراجعات: ص ٨٨. تاويل الآيات الظاهرة: ١/١٦٧ ح ٩ و ١٠، الغدير: ٢/٣١١ و ٣١٢.

٤. كمال الدين: ٢٥٢، وكذلك رواه في عيون أخبارالرضا: ٢/٦١، ورواه الخزاز القمي في كفاية الأثر: ١٥٢.

٥. جزء من قصيدة في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، لابن حمّاد، وهو أبوالحسن علي بن حمّاد بن عبيدالله بن حمّاد العبديّ البصريّ، علمٌ من أعلام الشيعة ومن صدور شعرائها ومن حفظة الحديث المعاصرين ←

وفي «مناقب الماة» للشيخ الثقة الأجلّ أبي الحسن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان قدّس الله سرّه[١] ـ والكتاب موجودٌ عندنا ـ عن أبي سلمى راعي رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ليلة أُسريَ بي إلى السماء قال لي الجليلُ جلّ جلالُه... (إلى أن قال): يا محمّد! مَن خَلَّفتَ في أُمّتِك؟

قلت: خيرَ ها!

قال: عليّ بن أبي طالب؟

قلت: نعم يا ربّ!

قال: يا محمّد! إنّي اطلعتُ إلى الأرض فاخترتك منها فاشتققتُ لك اسماً من أسمائي فلا اذكَرُ في موضعٍ إلّا ذكِرتَ معي، فأنا المحمود وأنت محمّد! ثمّ اطلعتُ الثانية منها فاخترتُ منها عليّاً عليه السلام وشققْتُ له اسماً من أسمائى فأنا الأعلى وهُوَ عليٌّ!...» الحديث[٢].

ورواه الإمام العلامة ابن عيّاش في مقتضب الأثر.[٣]

وفي تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي رحمه الله ـ الموجود نسخته عندنا[٤] ـ روى في سورة البقرة بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي العزيز: ﴿آمَنَ الرَّسولُ بِما أنـزلَ إلَـيْهِ مِـنْ ربِّـه﴾[٥]. قـلت:

← للشيخ الصدوق و نظرائه، ترجم له العلامة طاب رمسه في الغدير: ١٤١/٤ و أورد نماذجاً من شعره ومنها هـذه الأبيات في ص ١٥٠ من ذاك الجزء.

١. ابن شاذان القمي (ح ٣٣٥ ـ ح ٤٢٠ هـ) من أعلام الفقهاء ومحدثين الشيعة في عصره، وكتابه هـذا (مـاة مـنقبة) مطبوعٌ متداول.

٢. مأة منقبة: ٣٧ (المنقبة السابعة عشر)، وانظر تخريجات الرواية في هامش ص ٤٠ من الكتاب.

٣. مقتضب الأثر لابن عياش الجوهري: ١١.

٤. منه نسختان في مكتبة المؤلف رحمه الله مكتبة أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف، إحداهـما كتبها الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد أمين العامليّ عن نسخةٍ كتبها إبراهيم بن عليّ بن عبدالله الأحسائيّ الشيرازيّ في مكّة المكرّمة سنة ١٠٨٣ برقم ٩٧٨؛ وأخرى بخطّ العلّامة الجليل الأديب البارع الشيخ محمد علي بن أبي القاسم الأردوباديّ الغرويّ برقم ١٨٩٠. راجع فهرس مخطوطات المكتبة بقلم المحقق السيّد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله.

٥. البقرة: ٢٨٥

والمؤمنون! قال: صَدَقتَ يا محمّد عليك السلام! مَن خَلَّفتَ لأُمّتك من بعدك...» إلى آخر الحديث مثل حديث ابن شاذان المذكور، ورواه بسندٍ آخر في موضعٍ آخر من الكتاب.[١]

وروى الكوفيُّ رحمه الله أيضاً في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء، فخلق خمسةً من نور جلاله، وجعل لكلّ واحدٍ منهم اسماً من أسمائه المنزلة، فهو الحميد وسمّى النبيّ محمّداً صلّى الله عليه وآله، وهو الأعلى وسمّى أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، وله الأسماء الحسنى فاشتقّ منها حسناً وحسيناً عليهما السلام، وهو فاطر فاشتقّ لفاطمة من أسمائه اسماً...» الحديث.[٢]

وفي «دلائل الإمامة» للشيخ الأجلّ محمّد بن جَرير الطبري ـ والكتاب موجودٌ عندنا ـ ما روى بإسناده عن سلمان قال: «قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيّاً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً.

فقلت: يا رسول الله! لقد عرفتُ هذا من أهل الكنايس![٣].

فقال: يا سلمان! هل علمت من نقبائي ومن الاثنى عشر الذين اختارهم الله تعالى للأُمّة من بعدي؟

فقلت: الله ورسوله أعلم!

فقال: يا سلمان! خلقني الله من صفوة نوره (إلى أن قال): ثمّ سمّانا بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمّد! والله العليُّ[٤] وهذا عليّ! والله الفاطر وهذه فاطمة! والله الإحسان وهذا الحسن! والله المحسن وهذا الحسين!...» الحديث.[٥]

ورواه الإمام العلامة ابن عيّاش في كتابه «مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة

---

١. تفسير فرات الكوفي: ٧٣.

٢. تفسير الفرات الكوفي: ٥٦، وعنه في بحار الأنوار: ٦٢/٣٧.

٣. كذا (أهل الكنايس) في بعض نسخ الدلائل، وفي المطبوع منه: من أهل الكتابين، وفي غيره من المصادر: من أهل الكتابين التوراة والانجيل.

٤. وفي بعض المصادر: والله الأعلى.

٥. دلائل الامامة للطبري الشيعي: ٤٤٧ ح ٢٨، ورواه الخصيبي في الهداية الكبرى: ٣٧٥، والبياضي في الصراط المستقيم: ١٤٢/٢ بلفظٍ قريب.

الاثنى عشر».[١]

وفي «روضة الواعظين» للشيخ الشهيد الفتّال رحمه الله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله والحديث طويلٌ نقتصر محلّ الحاجة، قال صلّى الله عليه وآله: «وشقّ لنا اسمين من أسمائه، فذوالعرش محمودٌ وأنا محمّد! والله الأعلى وهذا عليّ».[٢]

ورواه الشيخ الصدوق رحمه الله في «معاني الأخبار» و«العلل» بسنده.[٣]

وروى في «المعاني» بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «والّذي بعثني بالحقّ بشيراً، ما على وجه الأرض خَلقٌ أحبّ إلى الله عزّوجلّ ولا أكرم عليه منّا! إنّ الله تبارك وتعالى شقّ لي اسماً من أسمائه، فهو محمودٌ وأنا محمّدٌ! وشقّ لك يا عليّ اسماً من أسمائه، فهو العليُّ الأعلى وأنت عليٌّ!...» الحديث.[٤]

وفي «العلل» بإسناده وفي «إرشاد الديلمي» أيضاً عن يزيد بن قعنبٍ أنّه قال: «كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطّلب وفريق من عبدالعُزّى بإزاء بيت الحرام إذا أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أميرالمؤمنين عليه السّلام وكانت حاملةً به تسعة أشهر وقد أخذها الطلق...(إلى أن قال): ثمّ خرجت بعد الرابع وبيدها أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قالت: إنّي فُضِّلْتُ على من تقدّمني من النساء... (إلى أن قالت): وإنّي دخلت بيت الله الحرام وأكلت من ثمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتفٌ: «يا فاطمة! سَميّهِ عليّاً! فهو عليٌّ، والله الأعلى يقول: إنّي شققتُ اسمه من اسمي وأدّبتُهُ بأدبي...» الحديث.[٥]

---

١. مقتضب الأثر: ص ٦، وعنه في بحار الأنوار: ٦/٢٥.

٢. روضة الواعظين: ١٣٩

٣. معاني الأخبار: ٥٦ ح ٦. علل الشرائع: ١٣٤/١ (الباب ١١٦). بحار الأنوار: ٣١٤/١٦ح ٢ و٣ و٣٤/٣٥ح ٣١ (عن العلل).

٤. معاني الأخبار: ٥٥ ح ٣، العلل: ٩١.

٥. رواه الصدوق في كتبه الثلاثة: الأمالي: ١٩٤، وعلل الشرائع: ١٣٥/١ وفي معاني الأخبار: ٦٢، ورواه عن الأخيرين وعن الغيبة للنعماني المجلسيُ في بحار الأنوار: ٨/٣٥، ورواه الفتال في روضة الواعظين: ٧٦ مرسلاً، ←

وفي «كفاية الطالب» للامام الحافظ محمّد بن يوسف الگنجي ـ والكتاب موجودٌ عندنا ـ روى بإسناده عن النبيّ صلّى الله عليه وآله حديثاً طويلاً نحن نذكر منه محلّ الحاجة: «لمّا كان اليلة التي وُلِدَ فيها عليٌّ عليه السلام أشرقت الأرض فخرج أبوطالب عليه السلام وهو يقول: أيها النّاس! وُلِدَ في الكعبة وليّ الله عزّوجلّ! فلمّا أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربَّ هذا الغَسَقِ الدُّجيِّ والقمرِ المُنبَلِج المُضيّ

بَيِّنْ لنا من أمرِكَ الْخَفيِّ ما ذاترى في إسم ذا الصبيِّ؟

قالَ: فسمع صوت هاتفٍ وهو يقول:

يا أهلَ بَيتِ الْمُصطَفى النَّبيِّ خُصِصتُمُ بِالْوَلَدِ الزَّكيِّ

إنَّ اسمَهُ مِن شامِخَ الْعَليِّ عليٌّ اشتُقَّ مِنَ الْعَليِّ»[1]

[اتّصاف صاحب هذا الاسم الجامع بالصفات القدسيّة الإلهيّة]

أقول: وقد كان عليه السلام يفتخر بهذا الشرف الباذخ ويقول ـ كماورد في حديث الباقر عليه السلام ـ: «أنا الذي أنحلني ربّي اسمه»![2]

فلمّا تحقّق أنّ الله تبارك وتعالى هو سمّاه بهذا الاسم، فيدلّ على اتّصافه بالصفات الكماليّة ويُنبىء تسمية الله عن تخلّقه بالأخلاق الإلهيّة. ويرشدنا إلى تطابق الاسم بالمسمّى ويُعلَم أنّه هو جامع المظاهر ومستجمع المفاخر وأكبر الآيات وأظهر السِمات.

هوَ خِدْنُ الْعُلى ولِلعلم مَأوى كلُّ فَضْلٍ عنه مَدَى الدهر يُروى

← والبحراني في ذيل الآيات الأولى من سورة المؤمنون في تفسيره: ١٠٧/٣ عن شيخ الطائفة في أماليه.

و فاطمة بنت أسد: هى أوّل امرأة هاجرت إلى رسول الله إلى المدينة على قدميها. وكانت من أبرّ الناس إلى رسول الله وأوفاها.

١. كفاية الطالب: ٤٠٦. ونقل الأبيات هذه العلامة المصنف طاب رمسه في موضعين من كتابه الخالد الغدير: ٢ / ١٥ الرقم ١٣ من الهواتف الشعرية، وكذا في: ٣٤٧/٧ من كتابه عن الحافظ الكنجي وقال: تفرّد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي..

٢. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ٣٤ و ١٥٠، بحار الأنوار: ٥٣ / ٤٩.

مُذ سواه العلياء لَمْ تَرَ كُفوا الِقَتْهُ بكر العُلى فهي تُهوى
حُسنُ اخلاقه كما يَهواها طابق اسم العلى بفضل مُسَمّى
منه أعيا ظنا وأتعب وَهْما هو نفسُ الْعليّ القديم وقدما
شَقَّ مِن ذِكرِهِ الْعَليّ له اسما فهو ذاتُ الْعَلياء جَلَّ ثَناها[1]

ولقد أجاد ما أفاده العالم الأديب الشيخ عبدالصمد الخامنه[2] بشعره الجيّد العذب المحكيّ عنه:

الله أبدَعَهُ خَلقاً وفَضَّلَهُ خُلقاً وأحسَنَ في الإيجادِ هيكَلَه
إن عُدَّ خَلق وجود كان أوّله لولا حُدوثَ عليّ دُحيَتْ لَه

«قِدما وقُلت هو الباري بِلا سَبَبِ»

سَمّاهُ والِدُهُ «زيداً» وبَعضٌ تَلا «عَمرواً» وفيهِ اختِلافٌ بينهم حَصَلا
فالأمر فيه إلى ربّ السماء وُكّلا شَقَّ الالهُ اسْمَهُ مِنِ اسمِهِ فَكِلا ـ

ـ هُما عَليٌّ حكيمٌ شامخُ الرُّتَبِ

وقال الأديب ميرزا إبراهيم المتخلّص بـ «ساغر»[3] بالفارسيّة:

---

١. الأزرية: ٥٩، الأبيات الشعرية للشاعر المجيد الشيخ محمد كاظم الازري البغدادي (١٢١١ ـ ١١٤٣)، وهي من قصيدته الألفية الرائعة المعروفة بـ(الأزرية)، فتخلد هذا الشاعر الفحل بها، فكان مذ ذلك الحين مثار إعجاب الأدباء والعلماء بشاعريته وأدبه وفضله. وسيذكر العلامة المؤلف في كتابه هذا قطعات أخرى عن شعره العذب كما سيأتي.

٢. الميرزا عبدالصمد بن محمّد باقر الخامنئي (الخامنجي) كان امام الجمعة في الخامنه، ولد فيها و توفي سنة ١٣١١هـ. ترجم له معاصره السيد حسن الصدر في التكملة: ٢٧٠/٣ و أطراه بقوله: أستاذ عصره في علوم الأدب و الحجة في علم اللغة، شاعر أديب وفاضل أريب، دام بقاه عزّاً وفخراً للشيعة. وقال مؤلف المآثر والآثار في حقّه: أستاذ الأدب و حجة اللغة والمتضلع في شعر العرب. صاحب الذوق السليم و القريحة الوقادة، له أشعار لطيفة في شتّى المواضيع من المدح والقريظ والرثاء وغيرها. راجع: مستدركات أعيان الشيعة: ١٣٢/٣.
طبع «مقتطفات من ديوانه» بتحقيق آية الله الشيخ جعفر السبحاني زادت توفيقاته ضمن منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام بقم سنة ١٤١٤هـ.

٣. الميرزا محمّد إبراهيم ابن الميرزا محمّد إسماعيل المعروف بـ«ساغر اصفهاني» المولود في (سده) من نواحي مدينة اصفهان (١٣٠٠ ـ ١٢٢٥). له كتاب في ذكر أحوالات الرسول الأعظم وآله الاخيار عليهم السلام و بيان

←

يا على آنكه تو را نام نكـو ايـزد پـاک كرده از نام خود از فرط بزرگى مشـتق
خاک درگاه تو صد مرتبه بِـه از تسـنيم خارِ دربارِ تو صد بـار بِـه از اسـتبرَق

فتمام المفاخر والمزايا مطويّةٌ تحتَ هذا الاسم الجـامع، واتـصاف صـاحبه بـالصفات القدسيّة الإلهيّة معلومٌ بهذه التسمية، وجميع المناقب السنيّة مسجّلةٌ تحت هـذه الأحـرف اليسيرة، وهذا الاسم هو الاسم الأعظم لدى العاقل الناقد البصير! به تحصلُ الآمال وتنال المقاصد وتحلّ المشكلات وتيسّر المعضلات وتُجاب الدعوات وتُقضى الحاجات!

ألا ترى ما رواه شيخُ المحدّثين الثقة الصدوق رحمه الله: «عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه مرّ في طريقٍ فسايره خيبريٌّ فمرّا بوادٍ قد سالَ، وركب الخيبريُّ مرطه، وعبرَ على الماء! ثمّ نادى إلى أميرالمؤمنين: يا هذا! لو عرفتَ كما عرفتُ لَجزتَ كما جزتُ!

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: مكانك! ثمّ أومأ بيده إلى الماء فجمد ومرّ عليه! فلمّا رأى الخيبريّ ذلك انكبّ على قدميه، وقال له: يا فتى! ما قلتَ حتّى حوّلتَ الماء حجراً؟!

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: فما قلتَ أنت حتّى عبرتَ على الماء؟

فقال الخيبري: دعوتُ الله باسمه الأعظم!

فقال [له] أميرالمؤمنين عليه السلام: وما هو؟

قال: سألته باسم وصيّ محمّد صلّى عليه وآله وسلّم الأعظم!

فقال أميرالمؤمنين: أنا وصيُّ محمّد صلّى عليه وآله وسلّم!

فقال الخيبري: إنّه الحقّ! ثمّ أسلم...» الحديث.[1]

← واقعة الطف ومصائبها بالنظم والنثر ملحقاً بآخره قصائد له رحمه الله في مدح النبي وآله، طبع بالهند سنة ١٢٧٤هـ.

له ترجمة في المآثر والآثار: ٢١٦. وراجع حوله ما كتبه مجيد اوحدي المنشور في مجلة وحيد الرقم ١٣٠ ص ٥٧٧، وراجع عن ديوانه: الذريعة: ٩/ ٤٦٥.

١. ورواه عن الصدوق الحافظ رجب البرسي في كتابه مشارق أنوار اليقين: ٢٧١، والظاهر أنه ينقله عن عيون أخبار الرضا عليه السلام حيث قال (روى صاحب عيون الأخبار) ولكن لم أجد الحديث في العيون. ورواه عن البرسي السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز: ٤٣٠

از «عـين» عـلى ديـده أمّت بـيناست | در «لام» عـلى لواى دولت بـرپاست
گـر چشـمهٔ رحـمت طـلبى اى نـادم! | در «ياى» على طلب، كه دريا در «يا» ست

[الاسم الجامع (الله) ومختصّاته]

فلمّا عُلمَ اختلاف مراتب الأسماء الحسنى الإلهيّة اللفظيّة في الدلالة والإنباء، فاعلم أنّ جامع جميعها وأشرفها وأعظمها وأشهرها وأعظمها وأعلاها وما يمتاز عن سائر الأسماء بمزيد اختصاصٍ له تبارك وتعالى هو لفظة «الله»، وهو اسمٌ واقعٌ في مرتبة الإنباء عن الذات، ويدلّ على الذّات بما هو ذاتٌ أو مستجمعٌ لجميع الكمالات بخلاف سائر الأسماء، فإنّها لا تدلّ آحادها إلا على آحاد المعاني، كالقادر على القدرة والعالم على العلم والرازق على الرزق وهكذا...، ومن هنا اختصّ هذا الاسم بين الأسماء بأمورٍ ثلاثة:

الأوّل: إنّه لا يُطلق على غيره تعالى لا حقيقةً ولا مجازاً، بل ممّا اختصّه الله تعالى بنفسه، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «الله» أعظم اسمٍ من أسماء الله عزّوجلّ لا ينبغي أن يتسمّى به غيره![1]

والثاني: إنّه يوصف بجميع سائر الأسماء ولا يُوصف به غيره من الأسماء، تقول: هو الله الرحمنُ الرحيمُ، هو الله البارىءُ الخالقُ المصوّرُ. ولا تقول: هو الرحمن الله، هو الرحيم الله، هو البارىء الله، وهكذا...

والثالث: إنّ سائر الأسماء يتسمّى به ويقع كلّ واحدٍ منها سِمَةً له وهو يتسمّى بشيءٍ منها، تقول: الكريم اسمٌ من أسماء الله، والغفور اسمٌ من أسماء الله، والعليم اسمٌ من أسماء الله، وهكذا...، ولا تقول: الله اسمٌ من أسماء الكريم أو العليم أو الغفور أو غير ذلك. وليس هذا الاختصاص إلّا لما ذكرناه من كونه مُنبِئاً عن الذات بما هو ذاتٌ، أوْ مستجمعاً للصفات دون غيره من الأسماء.

---

١. ذكره الفيض الكاشاني في تفسير الصافي: ٨١/١، ورواه الميرجهاني في مستدركه على نهج البلاغة: مصباح البلاغة: ٨٠/٣ نقلاً عن كتاب التوحيد.

[الإنسان الكامل هو العالَم الكبير]

فلمّا عرفت مراتب الأسماء في الدلالة، وأنّ لها جامعاً كبيراً يـجمعها وهـو لفـظ الجـلالة، وعلمت أنّ كلّ جزءٍ من أجزاء العالم الكبير مظهرُ اسمٍ خاصٍّ من أسماء الله تـعالى وسِـمَةٌ لواحدٍ من صفاته، ومراتبُ ما في الكون مختلفةٌ في المظهريّة كاختلاف مـراتب الأسـماء الحسنى، فاعلم:

أنّ الأسماء كلّها ـ كما هي بحسب معانيها التفصيلية ـ مندمجةٌ في معنى اسمه الله تعالى مجملةً ومندرجةً تحته وهو جامعها، فكذلك حقائق مظاهرها التي هي أجزاء العالم الكبير الآفاقيّة، وأفراد الذوات الكونيّة مجتمعةٌ في كتابٍ كريمٍ وعالمٍ صغيرٍ وكلمةٍ تامّةٍ، ومطويّةٌ كلّها في كتابٍ رحمانيٍّ وهيكلٍ قدسيٍّ ـ أعني الإنسان الكامل والعالَم الكبير بل الأكبر ـ باعتبار إحاطته العلميّة المنبعثة عن معدن علم الله بجميع الموجودات ومباديها وأسـبابها وصورها وغاياتها! كما أشار إليها إمام الموحّدين أميرالمؤمنين عليه السّلام بقوله:

أتـزعم أنّكَ جِـرمٌ صـغيرٌ ... وفيك انطَوى الْعالَمُ الأكبرُ

وأنتَ الْكِتابُ الْمُبينُ الذي ... بِأحرُفِهِ يَـظهرُ الْمُـضمَرُ![1]

فكلّ ممكنٍ جزئي من الممكنات مظهرُ اسمٍ خاصٍّ من أسماء الله، يُنبىء عن ذاته تعالى، مأخوذة مع صفةٍ خاصّةٍ من الصفات الكـماليّة أو الإضـافيّة أو السـلبيّة كـالحيّ والقـادر والقدّوس، وجامعُ العالم الكبير والكتابُ الحقّ المبين الذي كتبه ربّه بيده ـ أعني الإنسان الكامل ـ مظهرٌ لجامع الأسماء كمظهريّة الأفراد للأفراد والأجزاء للآحاد. فالعالم بأجزائـه هو صورة الحقيقة الإنسانية وتفصيل الهياكل البشـريّة المـودعة فـيها الأسـرار الإلهـيّة، وحقايق العالم كلّها مظاهر الحقيقة الإنسانيّة، وأرواحها جزئيات الروح الأعظم الإنساني، سواءٌ كان روحاً علّيّاً أو عنصريّاً أو حيوانيّاً، ولذلك يُسمّى العالَمُ المُفَصَّل بـالعالَم الكـبير

---

١. ديوان الأشعار المنسوبة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام بترجمة مصطفى زماني: ص ١٧٥ و قبله:

دوائك فـيك ومـا تشـعر ... ودائك مـنك و مـا تـنظر

وفيه: وتحسب أنك جرم صغير...، ولتحقيق حول نسبة الأشعار إليه صلوات الله وسلامه عليه راجع مقدّمة ديوان الفنجگردي النيسابوري (سلوة الشيعة) بقلم صديقنا البحاثة جويا جهانبخش زادت توفيقاته.

لظهور الحقيقة الإنسانيّة فيه!

ولها في العالم الكبير ظهوراتٌ تفصيليّةٌ، كما أنّ لها في العالم الإنساني ظهوراتٌ إجماليةٌ! وأوّل ظهورها هي الصورة الروحيّة المجردّة المطابقة بالصورة العقليّة، ثمّ الصورة القلبيّة المطابقة بالصورة التي للنفس الكليّة وبالنفس المنطبعة الفلكيّة، ثمّ بالصورة الدخانية اللطيفة المسمّاة بالروح الحيوانيّة الطبيّة المطابقة بالهيولى الكليّة، ثمّ الصورة الدمويّة المطابقة بصورة الجسم الكلّي، ثمّ الصورة الأعضائيّة المطابقة لأجسام العالم الكبير. وبهذه التنزّلات في المظاهر الإنسانية حصل التطابق بين النسختين، ولهذا سُمّي بـ «العالم الصغير»!

هر چه در عالَمِ كبير بود همه شرح كتاب اكبر توست

گر تو آدم زاده‌ای چون او نشين جملهٔ ذرّات را در خود ببين

چيست اندر خُم كه اندر نهر نيست چيست اندر خانه كاندر شهر نيست

اين جهان خمّ است، دل چون جوى آب اين جهان خانه ست، دل شهر عُجاب[1]

[الإنسان الكامل كتابُ جامعُ للكلّ]

فالإنسان الكامل كتابٌ إلهيٌ جامعٌ مشتملٌ على الكتب والصحف، لأنّه من حيث روحه الجزئي وعقله المجرّد كتابٌ عقليٌّ مسمّى بـ«أمّ الكتاب» لكونه مشتملاً على معظم الحقايق العقليّة الكليّة على الوجه المقدّس العقلي! ومن جهة كونه أنموذج العالَم الكبير وأصله يُسمّى بـ«أمّ الكتاب» أيضاً.

ومن حيث قلبه السرّيّ الحقيقيّ الملكوتيّ الذي من عالم الأمر هو «اللوح المحفوظ» و«الكتاب المبين» و«الإمام المبين» لكون نقوشه وآثاره محفوظةً أبداً بحفظ قلم الكاتب لهذه الأرقام، والمُثبتِ لتلك النقوش في ذلك اللوح. ومن حيث نفسه المنطبعة الخياليّة كتاب المحو والإثبات، ومن حيث جسده وبدنه هو الكتاب المسطور، ومن حيث مجموعيّته نسخةَ الكلّ وجامع الكلّ فهو كتابٌ جامعٌ للكلّ كافٍ مطالعته في وحدته وانفراده، مظهرٌ لما يظهره الكلّ، ويتجلّى فيه خالقه بما هو المتجلّي في الكلّ.

---

١. المثنوي المعنوي: الدفتر الرابع، القسم الثاني والثلاثون.

وليس بعجبٍ أنّ الكلّ فيه، وأنّه جامع الكلّ، وهو بمنزلة إمامٍ يجتمع عنده الخلائق من البسائط والمركّبات والكائنات العنصريّة والآثار السماويّة، وكتابٍ جامعٍ لآيات ربّه القدّوس، وسجّلٍ مطويٍّ فيه حقايق العقول والنفوس، وكلمةٍ كاملةٍ مملوّةٍ من فنون العلوم، ونسخةٍ مكتوبةٍ من مثل كن فيكون، لكونه مظهرَ اسمِ الله الأعظم الجامع للأسماء الحسنى الإلهيّة.

بل العجب أنّ الكلّ خُلِقَ لأجله! والكلّ خادمٌ له وهو مخدوم الكلّ! والسماوات والأرض مطويّاتٌ بيمينه وكلّها مسخّراتٌ له ومعلولٌ بوجوده! والكلّ ساجدٌ له وهو مسجود الكلّ! مظهرٌ للذّات المقدّسة الجامعة للصفات الحسنة الكماليّة المنزّهة عن جميع المثالب والعيوب.

[حصيلة الكلام]

فتحصّل أنّ أشرف الأسماء اللفظيّة الإلهيّة وجامعها هو لفظ الجلالة، وأشرف المظاهر وأعظمها وجامعها هو الإنسان الكامل. وهذا الجامع المظهري مظهرٌ لذلك الجامع الإسمي [الأسمى] وسِمَةٌ له، وهو صورته الخارجيّة التي يُظهِر حقيقته ويُبرِزها في عالم الشهود، وهو مخلوقٌ على صورة الجامع، كما أنّ ساير المظاهر الجزئيّة لساير الأسماء الإلهية صورٌ خارجيّةٌ مظهرةٌ حقايقها، والأسماء الظاهرة في كلّ موجودٍ هي أصله وحقيقته وما به قوامه؛ ومظهر كلّ اسمٍ صورةٌ له مبرزٌ حقيقته ومخلوقٌ على صورة الاسم الظاهر فيه؛

وهذا حقيقة معنى قوله صلّى الله عليه وآله: «إنّ الله خلق آدم على صورته (أو) على صورة الرحمن»![1]

---

١. رواه الصدوق في التوحيد: ١٥٢ - ١٥٣، وفي عيون أخبار الرضا: ٢/ ١١٠، وابن شاذان في الإيضاح: ٢٠. والحديث في مجاميع أهل السنّة رواه البخاري: ٧/ ١٢٥، ومسلم: ٨/ ٣٢، وأحمد بن حنبل في مسنده: ٢/ ٢٤٤ و٢٥١ كلّهم عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله. ورواه الطبراني في الكبير والخطيب عن ابن عمر كما في كنز العمال: ١/ ٢٢٧.

قال النووي في شرح مسلم: أمّا قوله صلى الله عليه وسلم (فإن الله خلق آدم على صورته) فهو من أحاديث ←

ولمّا كان النوع الإنساني بأسره له قابليّة المظهريّة لهذا الاسم الجامع بالقوّة، فـليُعلَم أنّ الشرف والعظمة والثقافة ليس إلّا للمظهر الفعليّ وهو نبيّنا صلّى الله عليه وآله ووصيّه عليه السلام في المرتبة الأولى من الأنبياء والأولياء:

شمس ازل، چرغ ابد، سرّ ممكنات آئينه دار [...] قِدَم، مظهر صـفات

وسائر الأنبياء والأوصياء بعدهما على الترتّب، فالمظهر الفعليّ لجامع الأسماء الحسنى في المرتبة الأولى أشرف المخلوقات وجامع الآيات وكتاب الدلالات وأعظم العـلامات وجامع المظاهر ومجمع العوالم الآفاقية والأنفسيّة، وهو نسخة الكلّ وروح الكلّ وحـقيقة الكلّ ومرآت الكلّ وآيةٌ واحدةٌ مطويّةٌ فيه الآيات، وجميع عوالم الأجسام والأرواح مربوبةٌ له من جهة حقيقته لا من جهة بشريّته! فإنّه من هذه الجهة البشريّة عبدٌ مربوب، ولاشتماله على الجهتين الإلهيّة والعبوديّة متعيّنٌ للخلافة، واجدٌ لمـنصب النـبوّة المـطلقة والولايـة المطلقة، فهو مجمع البحرين ومظهر العالمين!

فباتّصافه بالصفات الجلاليّة الكماليّة القدسيّة الإلهيّة وتأدّبه بالتأديب الإلهى قال صلّى الله عليه وآله: «أدّبني ربّي فأحسنَ تأديبي»[1].

وفي الكافي بإسناده عن فضل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: «إنّ الله أدّب نبيّه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ...» الحديث.[2]

وفي البصائر عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الله أدّب نبيّه على أدبه، فلمّا انتهى به إلى ما أراد قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ...» الحديث[3].

← الصفات وقد سبق في كتاب الإيمان بيان حكمها واضحاً ومبسوطاً، وأنّ من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنّها حقّ وأنّ ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم، والثاني أنّها تتأوّل على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وأنّه ليس كمثله شئ،قال المازري: هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت، ورواه بعضهم إنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن وليس بثابت عند أهل الحديث، وكأن مـن نـقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك قال المازري...(شرح مسلم: ١٦ / ١٦٥).

١. بحار الأنوار: ١٦ / ٢١٠ (عن مكارم الأخلاق).

٢. الكافي: ١ /٢٦٦، وعنه في بحار الأنوار: ١٧ /٤. والآية في سورة القلم: ٤.

٣. بصائر الدرجات: ٣٩٩ ح ٤.

وفي الكتاب أيضاً مسنداً عنه عليه السلام: «إنّ الله أدّب نبيّه حتّى إذا أقامه على ما أراد قال له: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَعرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾، فلمّا فعل ذلك له رسول الله صلّى الله عليه وآله ذكّاه اللهُ فقال: ﴿إنّكَ لَعلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ».[١]

وفي ولادة عليّ عليه السّلام وتسميته ذكرنا حديثاً عن فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «فلمّا أردتُ أن أخرج هتف بي هاتفٌ: يا فاطمة! سَمّيهِ عليّاً فهو عليٌّ، والله العليُّ الأعلى يقول: إنّي شققتُ اسمه من اسمي وأدّبتُهُ بأدبي...» الحديث.[٢]

وبهذا التخلّق بالأخلاق الإلهيّة وكونه مظهر جامع أسمائه مربٍّ للعوالم، وله الخلافة فيها، وله الأمر والنهي.

مَـلِك دُونَ فـخره كُـلُّ فـخرِ أمـرهُ نـافذٌ بـحشر ونشـرِ
كم بنهي منه انتهى صرف دهر ذاك ذو أمـرة عـلى كـلّ أمـر

«رُتبةٌ ليس غيرُه يؤتاها»!

بحماه يحمي الوجـود ويسـلف والسماوات فيه كالذرّ في الكَف
كم له وهو في الوجـود تـصرف هـمم لا تـرى بـها فـلك الأف

«لاك إلّا كَحَبَّة في فَلاها»![٣]

وحقيقة ذلك الإنسان الكامل الفعليّ مخزونٌ مكنونٌ عندالله، ولايعرفها إلّا هو وخـالقه، كما أنّ حقيقة الاسم الجامع الظاهر فيه لا يسع الوقوف عليه على غيره! وهذا ما أشار إليه النبيُّ صلّى الله عليه وآله بقوله[٤]: «يا علي! ما عَرَفَ الله إلّا أنا وأنت! وما عَرَفَني إلّا الله وأنت!

---

١. المصدر السابق: ٣٩٩ ح ٥. والآية الأولى هي الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

٢. راجع ما تقدّم في ص ٧٤ من الكتاب وتخريجات الرواية بهامش الصفحة.

٣. الأبيات للشيخ محمد كاظم الأزري، وقد تقدم أبيات اخر عنه وترجـمنا له فـي الهـامش، وأمـا هـذه الأبـيات فذكرت في الأزرية: ص ٣١ و٧٤.

٤. هذا الحديث رواه غير واحدٍ من أئمة الحديث في كتبهم، منها تأويل الآيات الباهرة للعلامة شرف الدين النجفي. وفي محبوب القلوب للشيخ قطب الدين الإشكوري ما لفظه: وما أنصف أبوذر رضي الله عنه حيث اعترف بأنّه لايعرف عليّاً عليه السلام، كما في كتاب البشائر أنّ عمر دخل يوماً المسجد ـ يعني مسجد رسول الله صلّى عليه

←

وما عَرَفَك إلّا الله وأنا[١]»![٢]

ومن هذا الحديث النبويّ صلّى الله عليه وآله اقتبس الشاعرُ وقال:

سِوَى الله لم يعرفكم يـا نَـبِيَّ الْـهُدى ومـا عَـرَفَ الله العـليّ سِـواكُـم!
وما عَرَفَ الاملاك مِـن عِـظَمِ قَـدْرِكُم وجـبريل يَـعلُو رَفْـعَةً لِـعُلاكُـمْ!
فَمَن فُـوهَ مِـثلي أن يَـفوهَ بـفضلكم؟! ومَـن لِـلساني أن يَـعُدَّ عَـلاكُـمْ؟![٣]

وأحسن ما قال المولى عبد الرزّاق اللاهيجي[٤] بقوله:

عـلى را قـدر، پـيغمبر شـناسد كه هر كس خويش را بهتر شناسد

ولقد أجاد من قال بالفارسيّة:

گـفتا بـه وصـى [خـود] نـبيّ مـطلق نشناخت تو را كسى بـغير از مـن و حـق!
حق را نشناخت كس به غـير از مـن و تـو من را نشناخت كس به غير از تو و حـق![٥]

وهذه الحقيقة هي الحقيقة المنبعثة عن حاقّ هويّته الإلهية وشـمس حـقيقته الواجـبة،

← وآله وسلّم ـ وأمير المؤمنين عليه السلام واقفٌ بين يديه، فقال: يا رسول الله! إنّي سألت أباذر عنك فأعلمني أنّك في المسجد، فقلت: من عنده؟ فقال: رجلٌ لاأعرفه وهذا علي عليه السلام؟! فقال رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم: صدق أبوذر يا عمر! هذا ـ والله ـ رجلٌ لايعرفه إلا الله ورسوله (منه رحمه الله).

١. وقد أشار إلى هذا الحديث الشريف سيد الفقهاء جمال الملّة والدين الفقيه الوجيه عزّ الشريعة وفخر الطائفة المحقّة السيد جواد بن محمّد صاحب مفتاح الكرامة وغيره، وقال: بالله ما عرف الإله من الورى غير النبي محمّد ووصيّه.

كلّا ولا عـرف النـبيّ مـحمّدا غـير الإله بكـنهه ووليّـه
وكذاك ما عرف الوصيّ بكنهه أحدٌ سـوى ربّ السـما ونـبيّه

(منه رحمه الله).

٢. مختصر بصائر الدرجات: ص ١٢٥، تأويل الآيات الظاهرة: ١/١٣٩، مكيال المكارم: ١/٣٦٩.

وروي عن النبى صلّى عليه وآله وسلّم أنّه قال: يا علي! ما عرف الله حقّ معرفته غيرى وغيرك، وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيرى. مناقب أميرالمؤمنين لابن شهر اشوب: ٣/٦٠. ونـقله المـجلسى فـي بـحار الأنـوار: ٣٩/٨٤.

٣. لم اهتد إلى قائله!

٤. الحكيم المتأله صاحب «شوارق الالهام» المتوفى سنة ١٠٥١هـ هو المتخلص بفيّاض.

٥. لم أقف على قائله، والشعر يوجد في كتيبة بمسجد السيّد الشفتي في أصفهان، كتب بخطّ نستعليق جميل.

النافذ نورها في جميع هياكل الممكنات، الباسط فيضها على بساط جميع المهيّات، وهي الحقيقة السارية في الكلّ، تُدرِك ذاتُها بذاتها، وما عداها من لوازم ذاتها إدراكا عينيّاً إجماليّاً؛ وهو أوّل من قرع باب الاستنارة بنور الله تعالى، وأوّل من قَدَمَ عالم الوجود، وأوّل من نطق بلا اله إلّا الله!

سَبَقَ الْكَونَ جميعاً في الوجودْ　　وطَوى عالَم غَيبٍ وشُهودْ
كُلُّ ما في الْكَونِ مِن يُمناه جُودْ　　إذ هُوَ الْكائِنُ لله يَدا

«وَيَدُ اللهِ مَدَرُّ الأنعُمِ»![1]

وهو الممكن الأشرف المخاطب بـ «لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك»[2]! وهو المنادى بقوله تعالى: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي».[3]

لَما تَكوّنَ فِي الكَونِ كائنٌ لولاك　　غرض تويى ز وجود همه جهان ورنه

هو مصباح نورالله، وبواسطة نوره يقبل الاستضائةَ والاستنارةَ جميعُ المهيّات الواقعةُ في فضاء قابليّة الوجود والهويّات الكائنة في عالم الغيب والشهود؛ وهو علّة العلل، وغاية الموجودات، والعقل الأوّل، وروح الأرواح، وسرّ الكائنات، وواسطة فيض الوجود في الأشباح ووصول الحقّ إلى الخلق! وهذا ما رُويَ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: «لولا أنا وأنت يا عليّ لَما خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ»!

لَهُم خَلَقَ الله العوالمَ كُلَّها　　وحُكْمُهم فيها بها من خليقةِ
فهُمْ عِلَّةُ الايجادِ، والله موجِد　　بِهِم قال لِلأشياء: «كوني» فكانتِ[4]

---

١. الشاعر هو الحاج ميرزا اسماعيل الشيرازي المتوفى ١٣٠٥هـ، والمنقول هنا هو جزء من قصيدته ذكرها المصنّف رحمه الله في الغدير: ٦/ ٢٩ ـ ٣٠.

٢. الحديث من الأحاديث القدسية المشهورة بين الفريقين. وراجع ما أفاده العلامة الطباطبائي في هذا المقام (الميزان: ١٠/ ١٥٢).

٣. وهو أيضاً حديثٌ قدسيٌ مشهورٌ لكن لم أجده في المصادر القديمة، ونقله جمٌ غفيرٌ من المؤلفين والمصنّفين في آثارهم. ذكره العارف الشهير ابن العربي في مواضع متعددة من كتابه الفتوحات المكية (منها: ١/ ٢٩٥، ٢/ ٢٠٠، ٣/ ١٢٣، ٤/ ٢٥٩) بلفظٍ أطول وأسنده إلى المُنزَل على موسى عليه السلام في التوراة، وأوّله: يا ابن آدم...، وتعرّض إلى نقله القيصريُ في شرح الفصوص: ٩٧٧.

٤. لم أقف على قائله!

وهو ماء الحياة في النشأتين، وسبب الفوز إلى الحياتين، وعين الرحمة في الدارين يشرب منها عباد الله، وهو مرجع النَّجدَين، ومؤوَّل الطريقين، ومنتهى السبيلين ومبتداهما!

روى الديلميُّ في الإرشاد بإسناده عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال لعليٍّ عليه السلام: «يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإيّاك من نوره الأعظم، ثمّ رَشّ من نورنا على جميع الأنوار من بعد خلقه لها، فَمن أصابه من ذلك النور اهتدى إلينا، ومن أخطاه ذلك النور ضلّ عنّا، ثمّ قرا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نوراً فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ﴾ يهتدى إلى نوره...» الحديث.[1]

وهو النّور الذي أشرقت منه الأنوار، والواحد الذي ظهرت عنه الآحاد، والسرّ الذي نشأت عنه الأسرار، والعقل الذي فاضت منه العقول، والنفس الذي صدرت عنه النفوس، واللوح الحاوي لأسرار الغيوب، والكرسي الذي وسع السماوات والأرض، والعرش العظيم المحيط لكلّ شيءٍ عظمةً وعلماً، والعين الذي ظهر منها كلّ عينٍ، وباسمه تكوّنت الكائنات!

وهذا معنى ما رواه العمّار عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال عليه السلام: «باسمي تَكَوَّنتِ الكائناتُ والأشياء! بِاسمي دعي ساير الأنبياء، وأنا اللوح والقلم، وأنا العرش والكرسيّ، وأنا السّماوات السبع!...» الحديث.[2]

وفي هذا المعنى أخبار اخَر.

[الحجة روح العالم ولولاه لساخت الأرض بأهلها]

وهو بمنزلة روح العالَم، والعالم جسده، فكما أنّ الروح إنّما يدبّر الجسد ويتصرّف فيه بما يكون له من القوى الروحانيّة والجسمانيّة، كذلك هو يدبّر العالم ويتصرّف فيه بواسطة الأسماء الإلهيّة التي أودعها فيه! فأعيان العالم رعايا له، وهو خليفة الله عليها؛ وعلى الخليفة رعاية رعاياه على الوجه الأنسب الأليق!

وهو سرّ العالمين، ومجمع البحرين، وعلّة النورين، بوجوده ثبتت الأرض والسماء، وبيُمنِهِ رُزِقَ الْوَرى، وبه قامت السماواتُ العُلى والأرضون السُفلى!

---

١. إرشاد القلوب: ٢ / ٤٠٤، ورواه عن الإرشاد المجلسيُّ في البحار: ٦٥/ ٤٤ ح ٩٠. والآية في سورة النور: ٢٤.

٢. مستدرك سفينة بحار الأنوار: ٥ /١٩٦ و ٦/ ٣٨ عن كتاب السلسبيل.

روى الكراجكيُّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحقّ بشيراً ونذيراً، ما استقرّ الكرسي والعرش ولا دارَ الفُلك ولا قامت السماوات والأرض إلّا بأن[1] كتب الله عليها: «لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين»![2]

وفي هذا المعنى أخبار اخَر يتجاوز عن حدّ التواتر بحيث لا يتوقّف فيها إلّا المعتوه!

كلّ جودٍ لدى الوجودات مِنهُ ولِكُنهِ النَّدى أياديه كُنهُ

سل دهورا حياتها مِنْ لَدُنْهُ واسأل الأعصر القديمة عنهُ

«كيف كانت يَداهُ روح غَذاها»[3]!

به تُنبت الأرض أشجارها وتُخرِج أثمارها، وتُنزل السماء قطرها ورزقها، وتستقرّ جبالها على مراسيها. إرادةُ الربّ في مقادير أموره تهبط إليه وتصدرُ من حضرته، وهو روحُ العالم وسببُ إيجاده وبقائه، ولولاه لخرجت العوالم كما أنّ الجسد يُبلى ويُفنى بمفارقة النفس الناطقةِ عنه؛ ولذا لا تخلو الأرضُ من وجودِهِ ساعةً، ولا تبقى بدونه! وهذا توضيح ما رواه الشيخ الأجلّ الكلينيُّ وسائرُ مشايخ أصحاب الحديث بأسانيدهم عن السّجاد عليه السلام: «لولا ما في الأرض منّا لَساخَت بأهلها»![4]

وعن الصادق البارّ الأمين عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمامٍ ساعةً لَساخَت»![5]

وعن الرضا عليه السلام: «لو خَلَت الأرض طَرفةَ عَينٍ من حُجَّةٍ لَساخَت بأهلها»![6]

وأمثالها من أخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام الواردة في هذا المعنى وهي تبلغ إلى

---

١. وفي نقل ابن شاذان: (إلّا بعد أن كتب الله ...).

٢. رواه ابن شاذان القمي في مائة منقبة: ٤٩، وابن طاووس في التحصين: ٥٦٧ وكذا في اليقين: ٢٣٩، ورواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٣٣٨/٣٧ عن كنز الفوائد للكراجكي.

٣. للشيخ كاظم الأزري، الأزرية: ٧٨.

٤. الكافي ج ١ (كتاب الحجّة، ح ١٢ وص ١٩٨ ح ٣، ضرورة وجود الحجّة) ص ١٧٧ إلى ١٧٩. لساخت يعني: انخسف بأهلها وذهبت بهم.

٥. الكافي: ١٧٩/١ ح ١٠، علل الشرائع: ١٩٦/١ ح ٥، كمال الدين: ص ٢٠١. ح ١ باب ٢١: العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام عليه السلام.

٦. عيون أخبار الرضا: ٢٤٧/٢، العلل: ١٩٩/١ ح ٢١، مسند الإمام الرضا للعطاردي: ٨٨/١ ح ٣ وص ٨٩ ح ١٠.

نيّفٍ وعشرين حديثاً.[١]

فوجود الأئمة (عليهم السلام) نعمةٌ تامّةٌ كاملةٌ، أُشير إليها في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الذينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرونَها﴾[٥] وغير ذلك من الآيات الشريفة.

وهم عليهم السّلام وسايط الفيوضات النازلة، وأولياء النعم الواصلة، شاهدها وغائبها، ظاهرها وباطنها، جزئها وكلّها! كما ورد في فقرات زيارة الجامعة المعروفة: «قادَةَ الأُمَمِ وأولياء النِعَم».[٦]

وَما نعمةٌ إلّاو هُمْ أَولياؤُها فَهُمْ نِعْمَةٌ منها أتَتْ كُلُّ نِعْمَةٍ

فحقيقة المظهر الفعليّ لجامع الأسماء في المرتبة الأولى ـ أعني صاحبي النبوّة المطلقة والولاية المطلقة ـ لا يمكننا الوقوف عليها، وقد كلّت الأفكار وضلّت العقول دون معرفتها، وحارت الألباب وتاهت الحُلوم لدى صفاته، فهو كما أثناه أميرالمؤمنين عليه السلام على

---

١. علل الشرائع: ص ١٩٦. الغيبة للنعماني: ١٣٨. الغيبة للطوسي: ٢٢٠. مناقب ابن شهراشوب: ٢١١/١. الصراط المستقيم: ١١٤/٢. بصائر الدرجات: ٤٨٧. تفسير نور الثقلين: ٣٦٩/٤ إلى ٣٧٠ ح ١١٤ إلى ١٢٠. قد تواترت الروايات بأنّه «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها» تجدها في كثير من الكتب والمصادر الروائية.

٢. سورة لقمان: ٢٠.

٣. سورة التكاثر: ٨.

٤. سورة إبراهيم عليه السلام: ٢٨. الكافي: ٢١٧/١. ح ١ وح ٤ وكذا: ١٠٢/٨ ح ٧٧، مناقب ابن شهراشوب: ٤٠٤/٣. بحار الأنوار: ٥١/٢٤.

٥. سورة النحل: ٨٣. الكافي: ٤٢٧/١ ح ٧٧. المناقب: ٢١٠/٢ و٥٤/٣. بحار الأنوار: ٥١/٢٤ ح ٣ (عن تفسير القمي ص ٣٦٣). وفي بحار الأنوار: ١٦٦/٣٧ ح ٤٢ عن جامع الأخبار قال الصادق عليه السلام: يعرفون يوم الغدير وينكرونها يوم السقيفة.

٦. الزيارة الجامعة: تهذيب الأحكام: ٩٦/٦، من لا يحضره الفقيه: ٦١٠/٢، وراجع ما ذكره الشيخ عباس القمي في المفاتيح: ص ٩٩٨ (فصل في الزيارة الجامعة الكبيرة سندها وفضيلتها)، وكلام المجلسيّ الأوّل في شرحه على الفقيه (روضة المتقين: ٤٥١/٥).

طارق بن شهاب، وقال عليه السلام:

«الإمامُ يا طارقُ! بشرٌ مَلَكيٌّ وجسدٌ سماويٌّ وأمرٌ الهيٌ وروحٌ قدسيٌّ ومقامٌ عليٌّ ونورٌ جليٌّ وسرٌّ خفيٌّ! فهو مَلَكيٌّ الذات، الهيٌّ الصفات، زايدُ الحسنات، عالمٌ بالمُغيَّبات! خَصّاً من ربّ العالمين ونَصّاً من الصادق الأمين...» الحديث.[1]

هو روح العلوم أُجْهِلَ كُنْهُه — منه والروحُ عُلِّمَ العلمَ منهُ

ذلك الذكر عنه إن تسألنـه — فتأمّلْ بـ (عمَّ) تُنبئكَ عَنْهُ

«نَبأ كل فِرقَة أعْياها»

تَجِد الأرضَ والسـما فـي التَّـحيُّر — والبرايـا عـن دَرك مـعناهُ تَـقصُرْ

فـهي غـرقى بكـنهه فـي التـفكّرْ — وبـــمعنى «أحبّ خـلقك» فـانظُرْ

«تَجِدُ الشَمسَ قد أزاحَت دُجاها

[قصور الأفهام عن معرفة الإمام]

ولك في المقام غنىً وكفاية فيما رواه الشيخُ الأجلُّ الثقة الكلينيّ طيّب الله رَمسه بإسناده عن الرضا عليه السلام والحديث طويلٌ نحن نقتصر بذكر محلّ الحاجة. قال عليه السلام:

«هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة فيجوز فيها اختيارهم؟! إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعَد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم! أو يـنالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله عزّوجلّ بها إبراهيم الخـليل عـليه السلام بعد النبوّة والخلّةِ مرتبةً ثالثةً، وفضيلةً شرّفه بها وأشاد بها ذِكرُه، فقال: إنّي جاعِلُك لِلنّاسِ إماماً... (إلى أن قال عليه السّلام): فَمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟! هيهات! هيهات! ضلّت العقول، وتـاهت الحـلوم، وحـارت الألبـاب، وخسـئت العـيون، وتصاغرت العلماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت العلماء، وحصرت الخـطباء، وجـهلت الألباء، وكَلَّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييَت البلغاء عن وصف شأنٍ من شأنه أو فضيلةٍ

---

١. بحار الأنوار: ١٦٩/٢٥ ح ٣٨ (عن كتاب مشارق الأنوار للحافظ البرسي عن طريق طارق بن شهاب).

من فضائله، وأقرّت بالعجز والتقصير، وكيف يوصفُ بكلّه ويُنعَت بكُنهه ويُفهَم شيءٌ من أمره؟!...» الحديث.[1]

جَـرَّد اللهُ للـمَعالي ذَواتـا منهُ عـادَتْ لِـوَصْفِهِ مِـرآتـا

وَهوَ للحقّ إذ غـدا مِشكـاتا جازَ مِنْ جَوهَرِ التقدُّسِ ذاتـا

«تاهَتِ الأنبياء في معناها»

إن آيـاتِهِ الْـعَظيمةَ ذِكـرا بَـعضُها اعـجَزَ النـبيّينَ طُـرّا

دَعْ مَزايا ابَتْ مَدَى الدَّهـر حَصرا لا تُجِلْ فـي صـفاتِ أحـمدَ فِكـرا

«فَهي الصُّورَةُ التي لَنْ تَراها»[2]

وفي معنى الحديث المذكور ما رُويَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديثٍ طويلٍ له، قال عليه السلام: «فَمَن ذا يَنال مَعرِفَتَنا أو يُبان دَرَجَتنا أو يشهد كَرامَتنا أو يدرك مَنزِلَتنا؟! حارت الألباب والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول، تصاغرت العظماء، وتقاصرت العلماء، وكلّت الشعراء، وخَرَست البلغاء، وألكَنَت الخطباء، وعجزت وتواضعت الأرض والسماء عن وصف شأن الأولياء! وهل يُعرَف أو يُوصَف أو يُعلَم أو يُفهَم أو يُدرَك أو يُملَك شأن من هو نقطة الكائنات وقطب الدائرات وسرّ الممكنات وشعاع جلال الكبرياء وشرف الأرض والسماء؟! جَلَّ مقامُ آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله عن وصف الواصفين ونعت الناعتين وأن يُقاسَ بهم أحدٌ من العالمين!

وكيف وهُمُ النورُ الأوّل، والكلمةُ العُلياء، والتسميةُ البيضاء، والوحدانيّة الكُبرى التي أعرض عنها من أدبر وتولّى، وحجاب الله الأعظم الأعلى! فأين الاختيار من هذا وأين العقول من هذا؟!...» الحديث.[3]

ذاتُ قُدس ليسَ الثّنا يَكفيها لا وَلا العالِمونَ مَدحا تَـفيها

---

١. الكافي: ١/١٩٩ (كتاب الحجّة، بابُ نادرٌ جامعٌ في فضل الإمام وصفاته).

٢. الأزرية: ص ٤٣.

٣. بحار الأنوار: ٢٥/١٧١، ح ٣٨. (عن كتاب مشارق الأنوار للبرسي عن طريق طارق بن شهاب) صدر الحديث المذكور والذي تقدّم آنفاً.

بل وَلا الأنبياء مَعْ مَنْ يَـليها وَصَفوا ذاتَه بـما كـان فـيها
«مِن صِفات كَمَن رَأى مَراها»[1]
كَلَّ عن كُنهِ ذاتِـهِ كُـلُّ نَـبل وتَحامى عن دَركِهِ كُلُّ عَـقْلٍ
مَـلَكَتْ كَـفُّهُ الوجـودَ بِـبَذْلٍ مَلَك يَحتَوي مَـمالِك فَـضلٍ
«غيرُ مَحدودَةٍ جِهات عَلاها»[2]

[دفع توهّم: لا مجال لتوهم التفويض]

فلمّا بلغ الكلام إلى المقام وعُلِمَ نبذةٌ من شؤون منصب النبوّة والولاية المطلقتينْ لا يبقى بَعدُ تأمّلٌ في أنّ نسبة الأشياء وإضافة الأمور التكوينيّة إلى المعرَّف ـ أعني النبيّ المطلق والوليّ المطلق ـ إيجاداً وبقاءاً بلحاظ العليّة والغائيّة واعتبار الوساطة والسببيّة والحكومة والولاية والخلافة صحيحٌ خالٍ عن وصمة الإشكال، كنسبة الأمور التشريعيّة إليه، ولا يوجب ذلك شيئاً من القول بالتفويض، وليس فيه شائبة إشكال.

وقد خفي على بعض الأفهام وتَوهَّم أنّه يوجب التفويض الباطل الفاسد! وهـو واضـح الفساد، ناشٍ عن قصور الفهم؛ بل الإضافة والنسبة تصحّ باعتباراتٍ ووجـوهٍ قـاصرةٍ عـن العلّيّة والغائيّة؛

وتشهد بذلك الإضافات والنسب الواردة في الكتاب والسـنّة، ألا تـرى نسـبة التـوفي والإماتة تارةً إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوفّى الأنْفُسَ حِـينَ مَـوتِها﴾[3]، وقـوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُم ثمّ يَتَوَفّيكُم﴾[4]، وتارةً إلى ملك الموت في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[5]، وتارةً إلى الملائكة في قوله تـعالى: ﴿الَّـذينَ تَـتَوَفّاهُمُ

١. الأزرية: ص ٣٨.
٢. الأزرية: ص ٣٠.
٣. الزمر: ٤٢.
٤. النحل: ٧٠.
٥. السجدة: ١١.

الْمَلائِكَةُ طَيِّبين﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿الَّذينَ تَتَوَفَّيهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أنفُسِهِمْ﴾[٢]، وتارةً إلى الرسل في قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتهُ رُسُلُنا﴾[٣]!

فنسبة القبض والتوفّي إلى ملك الموت والملائكة والرسل مع كون الله تعالى هو المُميت والمتوفّي للنفوس صحيحةٌ تامّةٌ، ولاتتمّ ولا تصحّ إلّا باعتبار الآليّة والتولية، ولا يرتفع التعارض والخلاف عن ظاهر الآيات المذكورة إلّا بما ذُكِر.

فإضافة هذا الأمر الإلهي ونسبته إلى غير الله تعالى والقول بأنّ ملك الموت وغيره من الملائكة يتوفّى الأنفس حين موتها ويقبض الأرواح كما هو المتعارف في الألسن هل يوجب التفويض المحض الباطل، ويناقض عبوديّة ملك الموت وسائر الملائكة الموكّلينَ بذلك الأمر، ويجعلهم شركاء على الله؟! ويثبت لقائله الكفر والمنقصة؟! ويُخرِجه عن توحيد الله في أفعاله؟! نعوذ بالله عن تيه الجهالة وجمود الفهم!

ولك أن تتأمّل في المقام ما رواه الشيخُ الثقة الوجيه رئيس المحدّثين أبو جعفر الصدوق قُدِّسَ سرُّه، قال رحمه الله في الفقيه:

«سُئِلَ الصادق عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: ﴿اللهُ يَتَوفّى الأنْفُسَ حِينَ مَوتِهَا﴾، وعن قول الله عزّوجلّ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ﴾، وعن قول الله عزّوجلّ ﴿الَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبينَ﴾، و ﴿الَّذينَ تَتَوَفَّيهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أنفُسِهِمْ﴾، وعن قوله عزّوجلّ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا﴾، وعن قوله عزّوجلّ: ﴿وَلَوتَرى إذْ يَتَوَفّى الذينَ كَفَروا المَلائِكَة﴾، وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يُحصيه إلاّ الله عزّوجلّ، فكيف هذا؟

فقال عليه السلام: إنّ الله[٤] تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشُرطة، له أعوانٌ من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفّاهم

---

١. النحل: ٣٢.

٢. النحل: ٢٨.

٣. الأنعام: ٦١.

٤. كلمة الجلالة لم تذكر في الأصل.

الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفّاها الله عزّوجلّ من ملك الموت».[1]

فهذه الرواية الشريفة ترشدنا إلى أنّ نسبة الفعل وإضافته إلى أعوان المأمور أيضاً صحيحةٌ تامّةٌ، وما وردت من نسبة التوفّي إلى الملائكة والرسل وما هو من هذا القبيل وهي من هذه الجهة؛ فنسبة الأفعال إلى أعوان المأمور صحيحةٌ كإضافتها إلى نفس المأمور، وإضافتها إليه تصحّ وتتمّ كنسبتها إلى نفس الأمر والحاكم.

ويرشدك إلى الحقّ أيضاً ما رواه المحدّث الثقة الوجيه شيخ المحدّثين الطبرسيّ في «الاحتجاج» من حديث احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على زنديقٍ جاء إليه مستدلاً بآيٍ من القرآن متشابهة، على أنّها تقتضي التناقض والاختلاف فيه! وهو حديثٌ طويلٌ نذكر منه ما يرجع إلى الآيات المذكورة، قال:

«ومن سؤال هذا الزنديق أن قال: أجِد الله يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ و[في موضعٍ آخر يقول]: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها﴾ و﴿الّذينَ تَتَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ وما أشبه ذلك، فمرّةً يجعل الفعل لنفسه، ومرّةً لملك الموت، ومرّةً للملائكة!... (إلى أن قال):

قال عليه السلام: سأنبِّئُك بتأويل ما سألت! وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، وعليه فليتوكّل المتوكّلون. فأمّا قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها﴾ وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ و﴿توفّتْهُ رُسُلُنا﴾ و﴿الَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبينَ﴾ و﴿الَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فهو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يباشر [يتولّى] ذلك بنفسه، وفِعلُ رُسلِه وملائكته فِعلُه لأنّهم بأمره يعملون! فاصطفى جَلَّ ذِكرُه من الملائكة رسلاً وسَفَرَةً بينه وبين خلقه، وهم الذين قال اللهُ تعالى فيهم: ﴿اللهُ يَصطَفي مِنَ المَلائكةِ رُسُلاً ومِنَ النّاسِ﴾، فَمن كان من أهل الطاعة تَوَلَّت قبضَ روحه ملائكةُ الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة؛

---

١. من لا يحضره الفقيه: ١/١٣٦ ح ٣٦٨، وعنه المجلسي في بحار الأنوار: ٦/١٤٤ ح ١٥، وكذا رواه في: ٥٩/ ٢٣٣.

ولملك الموت أعوانٌ من ملائكة الرحمة وملائكة النقمة يصدرون عن أمره، وفِعلُهم فِعلُه، وكلّ ما يأتونه منسوبٌ إليه، وإذا كان فِعلُهم فِعلَ ملك الموت فَفعلُ ملك الموت فِعلُ الله، لأنّه يتوفي الأنفس على يد من يشاء، ويُعطي ويمنع ويُثيب ويُعاقب على يد من يشاء، وإنّ فعل أُمنائه فِعله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشاؤونَ إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ﴾ ...» الحديث.[1]

وفي هذه الرواية الشريفة والاحتجاج العلويّ غنىً وكفاية لطالب الحقّ والصواب، وهي صريحةٌ في أنّ أولياء الله لأموره وأمَنائه في بلاده والقَوّامين لأمره العاملين بإرادته الذين لا يشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلّا بما يُؤمَرون، يُضاف ويُنسَب إليهم جميع الأمور التكوينيّة باعتبار التولية والآليّة.

فجميع الأفعال الإلهيّة من القبض والعطاء والمنع والثواب والعقاب والخلق والتصوير والإحياء وغيرها تصحّ نسبتها وإضافتها إلى من يقيمها بأمره ويفعلها بإرادته ويتولّاها بمشيّته، ويُوجدها بحكمه ومَن يُعَدُّ فِعلهُ فِعلَه ويكون له منصب الاليّة والتولية في أموره من رسله وملائكته.

وروى الشيخ الأجلّ الثقة الصدوق قدّس سرّه في كتابه «التوحيد» بإسناده عن أبي مُعمَّر السعداني: «أنّ رجلاً أتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي قد شككتُ في كتاب الله المُنزَل! قال عليه السلام له: ثكلتك أُمّك! وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟!

قال: لأنّي وجدت الكتاب يكذّب بعضه بعضاً، فكيف لا أشكّ فيه؟!

فقال عليٌّ عليه السلام: إنّ كتاب الله تعالى لَيُصدِّق بعضه بعضاً ولا يكذّب بعضه بعضاً، ولكنّك لَمْ تُرزَق عقلاً تنتفع به! فهاتِ ما شككت فيه من كتاب الله عزّ وجلّ!

قال له الرجل... (إلى أن قال): وأجد الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، وقال: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها﴾، وقال:

---

١. الاحتجاج: ٣٥٨/١، عنوانه: (احتجاجه عليه السلام على زنديقٍ جاء مستدلاً عليه بايٍ من القرآن متشابهة، تحتاج إلى التاويل، على أنّها تقتضي التناقض والاختلاف فيه، وعلى امثاله في أشياء أخرى). أخرجه بكماله المجلسي في بحار الأنوار: ٩٨/٩٠ باب ١٢٩ عن الطبرسي في الاحتجاج.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾، وقال: ﴿الَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبينَ﴾، وقال: ﴿الَّذينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ فأنّى ذلك يا أمير المؤمنين!... (إلى أن ذكر بعد أسئلة وأجوبة جواب عليّ عليه السّلام عن سؤاله هذا):

إنّ الله تبارك وتعالى يدبّر الأمور كيف يشاء، ويوكّل من خلقه مَن يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فإنّ الله يوكّله بخاصّة من يشاء من خلقه، ويوكّل رسله من الملائكة خاصّةً بمن يشاء من خلقه، والملائكة الذين سمّاهم الله عزَّ ذكرهُ وكّلهم بخاصّة من يشاء من خلقه، يدبّر الأمور كيف يشاء...» الحديث.[1]

وعليك بالتأمّل فيما نسب الله تبارك وتعالى في كتابه إلى نبيّه عيسى (على نبيّنا وآله عليه السلام) من أمر الخلق والإحياء وأمثالهما من الأفعال الإلهيّة والأمور التكوينيّة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ بإذني فَتنْفُخُ فِيها فَتَكونُ طَيْراً بإِذني وَتُبرِىءُ الأكمَهَ والأبْرَصَ بِإِذنِي وَإِذْ تُخرِجُ المَوتىٰ بِإذنِي﴾![2]

وأقوى من ذلك إضافة عيسى عليه السلام إلى نفسه الخلق والإحياء والإبراء كما حكى الله تعالى عنه عليه السلام بقوله: ﴿إنّي أخلُقُ لَكُمْ مِنَ الطّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ فأنْفُخُ فيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبرِىءُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَاحْيي المَوتَىٰ بِإِذْنِ اللهِ...﴾ الآية.[3]

فهل هذه النسب والإضافات الواردة في كتاب الله موجبةٌ لدعوى التفويض وعدم التوحيد الأفعالي؟! وليت شعري لو يقول أحدٌ حاكياً أفعال عيسى عليه السلام بأنّه كان يخلق الطير ويُحيي الموتى ويُبرىء الأكمه والأبرص فهل يوجب القولَ بالتفويض والشرك ويُنافي التوحيدَ الأفعالي؟!

وحقيقٌ أن يُتَدَبَّر في إضافة الخلق والتصوير إلى الملك المعروف المنعوت بالملك المصوّر والخلاق في لسان الأئمة وأخبارهم كما ورد في غير واحدٍ، منها: رُويَ في قرب الإسناد والكافي وأمثالهما بطرقٍ عديدةٍ وأخبارٍ شتّى سديدةٍ: «يبعث الله مَلَكينَ خلاقينَ

---

١. التوحيد: ٢٥٥، وعنه في بحار الأنوار: ١٢٧/٩٠، وفي مستدرك الوسائل: ٣٢٦/١٧.

٢. المائدة: ١١٠.

٣. آل عمران: ٤٩.

يخلقان في الأرحام ما يشاء».[١]

فإضافة الخلق والتصوير صحيحةٌ تامّةٌ إلى الملك المأمور بهما والحال أنّ الله تعالى هو الخالق الباريء المصوّر، وهو الذي يصوّر في الأرحام كيف يشاء، وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها وأعطى كلّ شيءٍ فيها صورةً خاصّةً وهيئةً مفردةً يتَمَيَّز بها على اختلافها وكثرتها! فهذه النسبة المسلَّمة الصحيحة والإضافة التامّة الثابتة التي لا ينكرها إلّا المعتوه لا يوجب تفويض الخلق والتصوير إلى الملكين الخلاقين، ولا يستدعي شيئاً من ذلك، بل هي تصحّ وتتمّ لما ذكرنا من الاليّة والتولية!

[نسبة الأمور البشرية وإضافتها إلى الله لا يوجب الجبر]

وليتأمّل في المقام أمراً بديهيّاً و[هو] إضافة الأمور وجميع الأفعال جزئها وكلّها إلى الجوارح والأعضاء، فإنّها تُضاف إليها إضافةً تامّةً صحيحةً مُسلَّمةً في لسان كلّ أحدٍ ولا يقبل الإنكار، والحال أنّ الأفعال ليست مفوَّضةً إلى الجوارح وليست في إرادتها واختيارها، بل لا يصدر فعلٌ من جارحةٍ إلّا بإرادة القلب وأمره، وليست الجوارح إلّا وسائط محصّلة وآلات مُقَوِّمَةً وقُوى مُجريّةً لِما يريده القلب السرّي والروح الملكوتي، وقد عرفت سابقاً أنّ جميع الأعضاء والجوارح حتّى القلب الصنوبري رعايا للقلب السرّىّ الأمرىّ الملكوتي، وكلّما في تحت حكمه محكومٌ بإرادته، وهو الأمير والمَلِك والمدبّر في ذلك العالم الإنساني، وأجزاء العالم الأصغر، وليس للأعضاء والجوارح في أمرٍ من الأمور إرادةً مستقّلةً واختياراً أصلاً مقابل [فى قبال] إرادة القلب السرّي واختياره؛ وليس أحدٌ من الأفعال مفوَّضاً على الإطلاق إلى أحدٍ من الأعضاء!

وممّا حقّق يُعلَم الأمر في عكس القضية، أعني نسبة الأمور البشريّة إلى الله تعالى كنسبة الهداية والضلالة، وإضافة الصفات القلبيّة من الصّرف والختم والطبع إلى الله تعالى كما وقعت في مواضع كثيرةٍ من كتاب الله يبلغ إلى أربعين موضعاً.

---

١. قرب الاسناد: ٣٥٢ بلفظٍ قريب، الحدائق الناضرة: ٣٦٦/٢٥. الكافي: ١٣/٦ ح ٦ و ٧. وعن الكافي في بحار الأنوار: ٥٧ /٣٤٤ ح ٣١، وفي تفسير الميزان: ١٦/٣.

فمجرّد هذه النسبة والإضافة لا توجب شيئاً من الجبر الباطل! ولا ينفي الاختيار عن العباد! ولا يناقض ما يدلّ من الآيات على كونها من ناحية نفس الإنسان وآثار فعله الاختياري، ولا تعارض بينها ولا يكذّب بعضها بعضاً! حيث إنّ نسبة الأمور المذكورة وإضافتها إلى الله تعالى إنّما هي لتحقّقها من جهة اتّباع صاحبها إلى الله تعالى وعصيانه وحدوثها عن ناحية أوامره ونواهيه وكونها آثار طاعته ومعصيته؛ وذلك كما يقال: «أهلكَتْهُ فُلانةُ» إذا يُعجِبُ بها وهي لا تفعل به شيئاً، لأنّه هلك في اتّباعها [واعجابه إيّاها] وسيأتي تحقيق ذلك في محلّه إنشاء الله تعالى.

فبالجملة: إنّ إضافة الأمور التكوينيّة والأفعال الإلهيّة إلى أولياء الله تعالى في أموره ومجرى أوامره ونواهيه من الملك والبشر لا يوجب القول بالتفويض الباطل لوجود الجهات المصحّحة للنسبة والإضافة، كما أنّ النسبة وإضافة ما يرجع العباد من الهداية والضلالة وغيرهما إلى الله تعالى لا يوجب الجبر الباطل، لما ذُكر.

فلا يبقى بَعدُ اشكالٌ في صحّة إضافة الأمور التكوينيّة إلى المعرَّف والإمام الذي عرّفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «الإمام هو السِراج الوَهّاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثَجّاج، والبحر العَجّاج، والبدر المُشرِق، والغدير المُغدِق والأب الشفيق، ومَفزَع العباد في الدواهي، والحاكم والآمر والناهي، مهيمن الله على الخلائق، وأمينه على الحقائق».[1]

بل لو يتأمّل أحدٌ في صحّة إضافة وجوده إلى الله تعالى وكونه مخلوقاً لأجل الله، وخَلق الخلقِ لأجله، ويتدبّر في كونه يدالله ولسانه وعينه وأُذنه الواعية وروحه ويتصوّر حقيقة منصبه يتّضح الأمر لديه ولا يستدعي إقامة بيّنةٍ وبرهانٍ إليه بل يراه من مقتضيات منصبه وشؤون خلافته ولوازم ولايته.

فالتوقّف والكلام في معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا مُسبِّبُ الأسباب! أنا مُنشيء السحاب! أنا مُورِّق الأشجار! أنا مُخرج الثمار! أنا مُجري العيون! أنا داحي الأرضين! أنا سمّاك السماوات»[2]! وأمثال ذلك ممّا جاء في لسان الأخبار وتواترت به

---

١. شطر من حديث رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٥ / ١٦٩ رقم ٣٩ عن مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي.

٢. مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩.

الأحاديث ليس إلّا ما نَشأ عن الجهل بحقيقة الأمر! والاستشكال فيه بأنّ هذه العبائر والنسب والإضافات توجب التفويض ليس إلّا كاشفاً عن قصور الفهم والجمود في معاني الألفاظ، والغفلة عن وجوه النسب والإضافات والاعتبارات المصحّحة في النسبة والمصحّحِة للإضافة، والجهل عن حقيقة معنى التفويض، وإلّا ليست هذه العبارات والتعبيرات بمحلّ تأمّل أصلاً. نعوذ بالله من عدم فهم الواضحات، والزّلل في مثل هذه الأخبار السهلة الواضحة المعاني!

نعم، يمكن أن يُستشكل في الحديث المذكور فقط بالإرسال، وهو أمرٌ آخر، لكنّه لايضرّ في مثل المقام! ولا يعيب بذلك متن الحديث، ولا يفسد به المعنى! ولو كنّا نحن وأنفسنا ومنصب المعرَّف لَكُنّا نُعبِّر بما وقع في هذا الحديث وأمثاله حيث إنّه ـ كما عرفت ـ من شؤون منصبه ومقتضيات خلافته وولايته.

[صاحب النبوّة المطلقة والولاية المطلقة هو المراد من الأسماء الحسنى]

فلمّا عُلِمَ معنى الاسم ومراتب الأسماء بأسرها وتبيّن حال مظاهرها ومراتبها في المظهريّة فاعلم: أنّ المراد من الأسماء الحسنى في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ هو الكتاب المحتوي للأسماء الإلهيّة! والكلماتُ هي السِمات والعلامات الحسنى الإلهيّة المطلقة لفظيّةً كانت أو ذاتيّةً.

فالكتاب المبين المحتوي للأسماء الإلهيّة والكلمة التامّة الجامعة للآيات والسجلّ المطويّ فيه حقايق المظاهر، والمظهر الجامع للأسماء الحسنى الذي يتضمّن سائر المظاهر النوريّة والمجالي الظلّيّة، ويشتمل على جميع حقائق السرّيّة والجهريّة، ويحتوي على جملة الدقائق البطنيّة والظهريّة ـ أعني الإنسان الكامل والمعرَّف الأوّل، أي صاحب النبوّة المطلقة والولاية المطلقة ـ هو المراد من الآية الشريفة لكونه أظهر أفراد الأسماء الإلهيّة وأكملها وأجلى مصاديقها على الحقيقة.

وبعبارةٍ وُضحى: المراد من الأسماء في الآية الشريفة معناها اللغوي أعني مطلق السّمة التي يعرف بها الله وتدعوا إليه ويدلّ عليه سواء كانت من قبيل الألفاظ أو الذوات؛ فمن الألفاظ ما ورد في الأحاديث الشريفة، ومن الذوات الإنسان الكامل الواجد لحقائق

الأسماء اللفظيّة والحائز لمعانيها الحقيقيّة، ويدلّ على كونه هو المراد [ما] رواه العيّاشيُّ رحمه الله في تفسيره عن محمّد بن أبي زيد الرازي عمّن ذكره، عن الرضا عليه السلام قال: «إذا نزلت بكم شدّةٌ فاستعينوا بنا على الله! وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾. قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن والله! الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحدٍ إلّا بمعرفَتِنا».[١]

وروى الشيخُ الثقة الفقيه الوجيه الكلينيُّ طيّب الله تعالى رمسَه بإسناده عن مُعاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» قال: «نحن والله! الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا».[٢]

وفي حديثٍ طويلٍ نقله الشيخ الأجلّ حسن بن سليمان الحلّي قُدس سرّه في «المحتضر»: قال عليٌّ عليه السلام: «نحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنى التي إذا سُئلَ الله عزّوجلّ بها أجاب».[٣]

وفي روايةٍ أخرى في «المحتضر» طويلةٍ نقله من كتاب «الواحدة» مسنداً: «وأنا الأسماء الحسنى، وأمثالُهُ الْعُليا، وآياته الكبرى»![٤]

وفي روايةٍ أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الأسماء التي أمر الله أن يُدعى بها»![٥]

---

١. تفسير العياشي: ٤٢/٢، ورواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٥/٩٤ ح ٧ (عن العياشي) وص ٢٢ (عن الاختصاص) والآية في سورة الأعراف: ١٨٠.

٢. الكافي (الأصول): ١١١/١ وشرحه للمازندراني: ٢١٧/٤، بحار الأنوار: ٤/٢٥ وكذا: ٥/٩٤ ح ٢١.

٣. المحتضر: ١٣٦، بحار الأنوار: ٣٨/٢٧.

٤. ورواه المجلسي في البحار: ٥٣ /٤٧ عن منتخب البصائر نقلاً عن كتاب الواحدة. أشار إلى قوله تعالى: (ولله المَثَلُ الأعلى) النحل: ٦٠.

و «كتاب الواحدة» هو تاليف محمّد بن الحسن بن جمهور العمي البصري المتوفى سنة ٢١٠ هـ من محدثي الطائفة ومن خواص أصحاب الإمام الرضا عليه السلام. (روى المجلسي عنه في بحار الأنوار سوى كتاب المطاعن في ١٧ موضعاً).

٥. مشارق أنوار اليقين: ٢٦٩، شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري: ٢١٥/١ (قوله عليه السلام أنا الأسماء الحسنى).

وفي حديثٍ آخر رواه عمّار عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «وأنا الأسماء الحسنى والكلماتُ العُليا».

وفي زيارة أميرالمؤمنين عليه السلام المخصوصة ليوم ولادة النبيّ صلّى الله عليه وآله المرويّة عن الصادق عليه السّلام، ذكرها السيّد والمفيد والشهيد وغيرهم رضوان الله عليهم: «السلام على اسم الله الرَضي ووجهه المُضيء».[1]

وفي زيارته المطلقة: «السلام على اسم الله الرضي[2]. السلام على وجه الله المضيء، السلام على حبيب الله العلي».[3]

فالإنسان الكامل الفعلي باعتبار كونه صورةً لِلَفظة الله المندرجة تحتها الأسماء الحسنى، وكون حقيقته محتويةً لحقائق الأسماء بتمامها ولحاظ جامعيّته معاني الأسماء بأسرها وحقيقتها هو الأسماء الحسنى لدى الحقيقة. فهو بوحدته وانفراده سمةٌ وعلامةٌ يفيد ما تفيده الأسماء بأسرها لفظيّة وغيرها من الدلالة والمعرفيّة إلى الله. ومن هنا رُوي عنهم كثيراً: «بِنا عُبِدَ الله، وبنا عُرِفَ الله، وبِنا وُحّدَ الله، ولولا نحن ما عُبدَ الله»![4]

[الإمام هو كلمة الله]

فالإنسان الكامل لدى الحقيقة بمنزلة الأسماء الحسنى اللفظيّة التي بها يُدعى الله، وبها يُعرَف، وبها يُعبَد، وبها يُوحَّد. ومن هنا يُعبَّر عنه تارةً بـ«الأسماء الحسنى» كما سمعت، وتارةً بـ«الكلمات» كما ورد في الرواية العلويّة عليه السّلام: الإمام كلمة الله![5]

وفي روايةٍ أخرى عنه عليه السلام: «نَزِّلُونا عن الربوبيّة ثمّ قولوا في فضلنا ما استطعتم!

---

١. السيد ابن طاووس في اقبال الأعمال: ١٣٣/٣، والشهيد الأوّل في المزار: ٩٤. وذكره ابن المشهدي في المزار: ص٢٠٩ والثقفي في الغارات: ٨٤٩/٢.

٢. وفي الأصل: (ووجهه العلي) كما ورد في بحار الأنوار. وما أثبتناه مطابقاً للمزار والمصباح.

٣. بحار الأنوار: ٣٠٢/٩٧. المزار لابن المشهدي: ص ٢٥٤ ح ٥ (العبارة في ص ٢٥٧). مصباح الزائر: ١٥٠.

٤. الكافي: ١٤٥/١ ح ١٠. توضيح ذلك في شرح أصول الكافي للمازندراني: ٢٢٧/٤. بحار الأنوار: ١٠٢/٢٣ ح ٨ (عن البصائر) وكذا في: ٣٧٢/١٠٨.

٥. بحار الأنوار: ١٦٩/٢٥ عن مشارق أنوار اليقين للبرسي، بإسناده عن طارق بن شهاب.

فإنّ البحر لا يُنزَف، وسرّ الغيب لا يُعرَف، وكلمة الله لا توصَف»![١]

وعنه عليه السلام في خطبةٍ طويلةٍ له: «وفيكم من يعلم أنّي الآية الباقية والكلمة التامّة والحجّة البالغة».[٢]

وفي زيارته عليه السلام: «السلام على يعسوب الدين والإيمان، وكلمة الرحمن».[٣]

وفي رواية أخرى: «وصَلِّ على أمير المؤمنين عبدك المرتضى... (إلى) وكلمتك الحسنى».[٤]

وفي زيارته الأخرى التي يُزار بها يوم المبعث: «وصَلِّ على عبدك وأمينك الأوفى وعروتك الوثقى ويدك العليا وكلمتك الحسنى».[٥]

وفي زيارة الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليهما السلام: «السلام عليك يا كلمة الله».[٦]

وفي صلواتٍ منقولةٍ بعد زيارته عليه السلام: «وصَلِّ على محمّد بن عليٍّ الزكيّ التقيّ... (إلى) وكلمتك الحسنى الداعي إليك والدالّ عليك».[٧]

وفي زيارة الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «اللهمّ صلّ على محمّدٍ حجّتك في أرضك... (إلى) وكلمتك التامّة في أرضك».[٨]

وفي زيارةٍ أخرى له عليه السلام: «وأظهِرْ كلمتَك التامّة ونَقيبَك في أرضك».[٩]

وفي دعاء ليلة النصف من شعبان: «اللهمّ بحقّ لَيلَتنا هذه ومولودها، وحجّتك وموعودها التي قَرَنتَ إلى فضلها فضلاً، فَتَمَّت كَلِمتُك صدقاً وعدلاً، لا مُبدّلَ لِكلماتِك ولا مُعَقِّبَ لآياتك».[١٠]

---

١. بحار الأنوار: ١٠/٩٢ و٢٥/٢٧٠ و٢٧٩ و٢٨٣ و ٢٨٩.

٢. بحار الأنوار: ٥٧ / ٣٤٥.

٣. بحار الأنوار: ٣٧/٢٧٨.

٤. بحار الأنوار: ٣٧/٣٠٧.

٥. بحار الأنوار: ١٠٠/٣٠٧.

٦. بحار الأنوار: ٩٩/٢٠.

٧. بحار الأنوار: ٩٩/٢١.

٨. بحار الأنوار: ٩٩/٨٢ ح ١ وج ٤ /٩٤ وج ٩١ /١٧١ ح ٥.

٩. بحار الأنوار: ٩٩/١١٨.

١٠. إقبال الأعمال للسيد بن طاووس الحسني: ٣/٣٣٠.

وهذه الكلمة التامّة الكاملة التي بها تتمّ الكلمات الإلهيّة، ويندرج تحتها الأسماء، وتقصر دونها الكلمات لمّا تمّ في الرّحِم مراحل تبدّلات النطفة وبلغ من عوالم سيره إلى مرحلة ولوج الروح البشري عليه يبعث الله تعالى ملكاً يقال له «حَيَوان» فيكتب على عضده الأيمن: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

ثمّ لمّا آنَ إحاطة أغشية الحواجز عن وجهه وانقضى مراحل سيره العالَم البطنيّ بمقتضى بشريّته، وقَرُبَ أوان تخلّصه عن ظلمة الرحم وآن إنارة الكون بنوره واستكمل تماميّة هذه الكلمة بولادته يُكتَب بقلمٍ إلهي ويخطّ كاتبٌ قدسيٌّ لمّا وضعته أمّه بين عيينه وبين كتفيه: ﴿وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً ...﴾ الآية[1].

وفي بيان كون هذه الآية مكتوبةً على عضده لدى ولوج الروح البشري وبين عينيه وبين كتفيه لدى الولادة، وكونها مسطورةً في ثلاثة مواضع من ذلك اللوح المحفوظ والكتاب المسطور ورد أخبارٌ عديدةٌ عن المعصومين عليهم السلام، ونقلها الشيخ الثقة الوجيه الكلينيُّ وأمثاله من أئمّة الحديث بأسانيدهم المعتمدة ليس لنا مجال ذكرها.[2]

[وجه تسمية الإنسان الكامل بالكلمة التامّة الإلهيّة]

وأزيدك في المقام كلمةً نورانيّةً وهي: أنّ تسمية الإنسان الكامل أعني مالك أزمّة النبوّة المطلقة والولاية المطلقة بالكلمة التامّة الإلهيّة إنّما هي باعتبارٍ آخر وهو: كون حقيقة أصله وكنه ذاته إلهيّة، حيث إنّ مادّة خلقته وعجن طينته وأصله الأوّلي كلمةٌ تكلّم بها الله تعالى، فَخَلَقَ بتلك الكلمة نوراً، فخَلَقَهُ منه!

---

١. الآية في سورة الأنعام: ١١٥.

٢. راجع: المحاسن للبرقي: ٢/٣١٥ ح ٣٢. بصائرالدرجات: ص ٤٥١ الباب السابع (في الأئمة أنهم تعرض عليهم...). الكافي: ١/ ٣٨٥ (باب مواليد الأئمة عليهم السلام)، وعنه في تفسير الميزان: ٣٣٤/٧، قال العلامة الطباطبائي بعد نقله الراواية عن الكافي:

أقول: و روي هذا المعنى بطرقٍ أخرى عن عدةٍ من أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام، و رواه أيضاً القمي والعياشي في تفسيرهما عنه، وفي بعضها: انّ الآية تكتب بين عينيه، وفي بعضها: على عضده الأيمن. واختلاف مورد الكتابة في الروايات تكشف عن أن المراد بكتابتها فيما بين عينيه جعلها وجهةً له يتوجّه إليها، وبكتابتها بين كتفيه حملها عليه واظهاره وتأييده بها، وبكتابتها على عضده الأيمن جعلها طابعاً على عمله و تأييده بها.

ويرشدك إلى توضيح ذلك ما ورد في الحديث الشريف النبويّ على محدّثه الصلوة والسلام: «إنّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماءَ مبنيّة ولا أرضَ مدحيّة، ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنّة ولا نار!

فقال العبّاس: كيف كان بدؤ خلقكم يا رسول الله؟

فقال: يا عمّ! لمّا أراد الله أن يخلقنا تكلّم بكلمةٍ فخلق منها نوراً، ثمّ تكلّم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً، ثمّ خَلَطَ النورَ بالروح فخلقني وخَلَقَ عليّاً وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ...» الحديث.[1]

وفي إرشاد الديلميّ مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رحمه الله قال: «كنت جالساً عند النبيّ المكرَّم (صلّى الله عليه وآله) إذ دخل العبّاس بن عبدالمطلّب فسلّم فردّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عليه ورحّب به، فقال: يا رسول الله! بِمَ فضّل علينا عليّ بن أبي طالب أهل البيت والمعادن واحدة؟

فقال له النبيّ المكرّم صلّى الله عليه وآله: إذاً أخبرُك يا عمّ! إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وخلق عليّاً ولا سماءَ ولا أرض ولا جنّة ولا نار ولا لوح ولا قلم، ولمّا أراد الله تعالى بَدْؤَ خَلقِنا تكلّم بكلمةٍ فكانت نوراً، ثمّ تكلّم بكلمةٍ ثانيةٍ فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما فاعتدلا فخلقني وعليّاً منهما...» الحديث.[2]

وفي «تأويل الآيات الظاهرة» نقلاً عن «كتاب الواحدة» عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ تَفَرَّدَ في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً صلّى الله عليه وآله، وخلقني وذريّتي، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته! وبنا احتجّ على خلقه[3]...» الحديث.[4]

---

١. بحار الأنوار: ٥٧/ ١٩٢.

٢. ورواه عن الديلمي في الإرشاد المجلسيُّ في بحار الأنوار: ١٧/٤٣ ح ١٦.

٣. وفي بعض المصادر: (وبنا احتجب عن خلقه) كما في بحار الأنوار: ١٥/ ١٠.

٤. تاويل الآيات الظاهرة: ١١٦، بحار الأنوار: ٩/١٥ عنه وعن كنز الفوائد. مختصر بصائر الدرجات: ٣٣، ورواه البرسي في مشارق الأنوار عن كتاب الواحدة.

ومن هنا يتّضح معنى ما في زيارة الإمام صاحب الزمان عليه السلام: «اللهمّ إنّي أسألك أن تصلّي على محمّدٍ نبيّ رحمتك وكلمة نورك».[١]

وقد يُعبَّر عن الإنسان الكامل بـ «العلامات» وهي حقيقة معنى الأسماء، حيث إنّ الاسم كما عرفت تفصيلاً مشتقٌ من السّمة وهي بمعني العلامة. فالمراد من العلامات في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُمْ يَهْتَدونَ﴾، هو الإنسان الكامل الفعلي والمعرَّف المطلق.

وروى الشيخُ الأجلّ الكلينيُّ رحمه الله وغيره من أئمة الحديث بإسنادهم عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية الشريفة أنّه عليه السلام قال: «العلامات هم الأئمة عليهم السلام».[٢]

وعنه عليه السلام بإسناد الشيخ: «العلامات الأئمة عليهم السلام».[٣]

وروى الكلينيُّ رحمه الله أيضاً عن الرضا عليه السلام في الآية: «نحن العلامات»![٤]

وروى أستاد المحدّثين في عصره فراتُ بن إبراهيم الكوفي رحمه الله في تفسيره ـ وهو موجودٌ عندنا ـ عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجمِ هُمْ يَهْتَدونَ﴾ قال: «النجمُ رسولُ الله، والعلامات الْوَصيّ[٥]، به يهتدون».[٦]

وروى شيخُ الطائفة في أماليه بإسناده في معنى الآية مثل حديث الكليني رحمه الله.[٧]

---

١. زيارة آل ياسين: بحار الأنوار: ٩٩/٨١ ح ١.

٢. الكافي: ١/٢٠٦ ح ١، بحار الأنوار: ١٦/٣٥٩. والآية في سورة النحل: ١٦.

و انظر أيضا: تأويل الآيات: ٢/٦٣٣ ح ٧. العلامات هم الاوصياء والنجم رسول الله. تفسير القمي: ٦٥٨ وعنه في بحار الأنوار: ٨/٢٢٥. البرهان: ٤/٢٦٣ ح ٣. الصافي: ٢/٣٦١.

٣. الكافى ١/٢٠٧ ح ٢، بحار الأنوار: ١٦/٩١ و ٢٤/٨٠.

٤. الكافي: ١/٢٠٧ ح ٣، بحار الأنوار: ١٦/٩١ وج ٢٤/٦٧ و ٨١. تأويل الآيات: ١/٢٥٣ ح ٣.

٥. في المصدر: العلامات الأوصياء، وليس فيه: (به يهتدون).

٦. تفسير الفرات: ١/٢٣٣. ورواه عنه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ١/٤٢٥ ح ٤٥٤.

٧. الأمالي للطوسي: ١٦٣. و روى أحمد بن حنبل في فضائل علي عليه السلام قال: حدَّثنا عبدالملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جدّه،

عن عليٍّ، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «النجومُ أمانٌ لأهل السماء، إذا ذهبَت النجوم ذهب أهل السماء. وأهلُ بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».

←

ومن هنا يُعلَم وجه التعبير عنه بـ«الآيات» في الكتاب والحديث، منها: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنا كُلِّهَا﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا صُمٌّ بُكمٌ في الظُّلُماتِ...﴾ الآية.[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ عَن آياتِنا غافِلونَ﴾.[٤]

وورد في الحديث الجعفريّ عليه السلام في تفسير الآية الأولى أنّه قال: «الآيات هم الأئمة عليهم السلام».[٥]

وعن الباقر عليه السلام في الآية الثانية أنّه عليه السلام قال: «يعني الأوصياء كلّهم».[٦]

وفي تفسير الصافي في الآية الثالثة عن القمي رحمه الله قال: «الآيات أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام».[٧]

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم مسنداً عن أبي حمزة، عن أبي جعفرٍ عليهما السلام في الآية الرابعة: «نزلت في الذين كذّبوا في أوصياهم صمّ وبكم...» الحديث.[٨]

← و الحديث أورده محبُّ الطبَريّ في ذخائر العقبىٰ: ١٧؛ والسخاويُّ في استجلاب ارتقاء الغرف: ٢/٤٧٧؛ والسمهوديُّ في جواهر العقدين: ص ٢٥٩ من طبعة دار الكتب في بيروت؛ وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٤٠؛ والمولىٰ علي القاري في المرقاة: ٥ / ٦١٠، كلّهم عن أحمد في المناقب.

وأخرجه الحموئي في فرائد السمطين: ٢/٢٥٢، من طريق الحافظ الجعابيّ بإسناده عن عبدالملك...

وأورده الديلميُّ في الفردوس؛ وابنُه في مسند الفردوس: ٥ /٥٦ رقم ٧١٦٦.

١. الآية هي آية ١٠١ من سورة يونس. وراجع ما رواه الكليني في الكافي: ١ /٢٠٧ (باب أن الآيات التي ذكرها الله عزوجلّ في كتابه هم الأئمة عليهم السلام).

٢. القمر: ٤٢.

٣. الأنعام: ٣٩.

٤. يونس: ٧. بحار الأنوار: ٢٣/٢٠٦.

٥. الكافي: ١ /٢٠٧ ح ١، بحار الأنوار: ٥١ /٥١ وج ٥٣ /٥٣ وج ٦٧ /٣٣ وج ٦٩ /٢٥٨ وج ١٠٢ /١٤٠.

٦. الكافي: ١ /٢٠٧ ح ٢، تفسير الصافي: ٥ /١٠٤.

٧. تفسير الصافي: ١ / ٤٦٠، والحديث في تفسير القمي: ١ / ١٤٠ وفي بحار الأنوار: ٥٣ / ٥٣ ح ٣٠ (عن تفسير القمي).

٨. تفسير القمي: ١ /١٩٩، بحار الأنوار: ٢٣/٢٠٦. تفسير نورالثقلين: ١ /٧١٦ ح ٧٥.

وفي الكتاب في الآية الخامسة عنه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الآيات أميرالمؤمنين والأئمة» صلوات الله عليهم.[١]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا عبدٌ من عباد الله تعالى. أنا آيات الله ودلائله وحجج الله وخليفته».[٢]

وعنه عليه السلام: «ما لله عزّوجلّ آية هي أكبرُ منّي»![٣]

وعنه عليه السلام: «والله! ما لله آية أعظم مِنّي».[٤]

وفي «تأويل الآيات» و«بصائر الدرجات» أخبارٌ أخرى في هذا المعنى.

فَهُمْ آيةٌ مِن دونِهِمْ كُلُّ آيَةٍ ... فما آيةٌ للهِ أكبرُ منهُمُ

فَمِنْ سرِّهم لَمْ يَخلُ مثقالُ ذَرَّةٍ ... سَرى سِرُّهم في الكائناتِ جميعِها

وفي دعاء الندبة: «يابن الآيات والبيّنات»![٥]

ولنا أخبارٌ أخرى لا يقتضي المقام ذكرها.

[فائدةٌ]

وممّا ذُكِرَ وحقّق يُعلَم وجه صحّة حمل التعبيرات المذكورة ونظائرها في صورة الجمع والمفرد على كلّ واحدٍ من آحاد الإنسان الكامل، فإنّه باعتبار انفراده ووحدته وشخصيّته اسمٌ وكلمةٌ وآيةٌ وعلامةٌ ودليلٌ وحجّةٌ إلى الله تعالى.

وباعتبار جامعيّته وحيث كونه جامعاً للمظاهر والأسماء ومحتوياً للآيات والبيّنات، وكتاباً مَطويّاً فيه جميع الحجج والدلائل الخارجيّة، وهيكلاً قدسيّاً مسجّلاً فيه العلامات والسمات الإلهيّة، فإنّه بهذا اللحاظ والاعتبار أسماء وكلماتٌ وآياتٌ وعلاماتٌ ودلائل

---

١. تفسير القمي: ٣٠٩/١، وعن القمي في بحار الأنوار: ١٠/٢٣ ح ٢، وفي تفسير نور الثقلين: ٢٩٤/٢ ح ١٨.

٢. بحار الأنوار: ٢٠٦/٢٣.

٣. الكافي: ٢٠٧/١ ح ٣، بحار الأنوار: ١٤٠/١٠٢.

٤. الكافي: ٢٠٧/١ ح ٣.بحار الأنوار: ٥٤/٥٣ ح ٣١ (عن تفسير القمي في تفسير سيريكم آياته فتعرفونها).

٥. إقبال الأعمال: ٥١٠/١. المزار لابن المشهدي: ٥٨٠، مصباح الكفعمي: ٤٩٥.

وحججٌ بوحدته وانفراده.

فالحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّدٍ وآله الطاهرين.

تحقيق أنيق ثانوي في معنى [قوله] تعالى:
﴿وَللهِ الأسمَاءُ الحُسنىٰ فَادْعُوهُ بِها﴾

اعلم ـ هداك الله إلى سبيل الهداية ـ أنّ اتصاف الله تعالى بالصفات الكماليّة القدسيّة الجلاليّة إنّما يقتضي افاضته آثارها واشاعته أنوارها وتحقّق مظاهرها في الخارج ويستدعي كون ذاته معروفاً بصفاته مشهوراً منعوتاً بكمالاته حتّى يربح من صفاته وينتفع عنها، ويترتّب عليها آثارها الوجوديّة حيث إنّ كلّ صفةٍ من الصفات إذا لم يترتّب عليها أثرٌ ولم يكن له فيضانٌ في الخارج ولم ينتفع عنها تكون مهملةً، ويرى العقل السليم وجودها كعدمها، بل ينكر كلّ إنسانٍ وجودها إذا لم يشاهد لها الأثر لتبعيّة الأشياء بالآثار، مثلاً: العالم والطبيب والغنيّ إذا لم يترّتب على علمه وطبابته وغناه آثارٌ خارجيةٌ ولم يكن لها ظهورٌ بتلك الآثار فهي محكومةٌ بالعدم. ألا ترى قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «من كتم علماً فكأنّه جاهلٌ»[1]. وقوله عليه السلام: «من لم ينفعك حياته فَعُدَّهُ في الموتى»![2]

وبعبارةٍ أخرى: أنّ صحّة صدق الصفات الحسنة والسيّئة إنما هي باعتبار تحقّقها في الخارج وفعليّتها لا بمجرّد فرض وجودها ولو بالقوّة؛ ولا شكّ أنّ فعليّتها إنما هي بترتّب آثارها وظهورها في الخارج، مثلاً: أنّ الجواد إنّما يصدق على من يتّصفُ بهذا المسمّى فعلاً بِأن يتحقّق وجوده في الخارج بآثاره، وأمّا من لم يتحقّق عنه في الخارج شيءٌ من آثار هذا المسمّى فلا.

وبتقريبٍ آخر: أنّ كلّ صفةٍ من الصفات حسنةً كانت أو سيّئةً إنّما يستدلّ عليها بآثارها الخارجيّة ومظاهرها الوجوديّة وسماتها الدالّة عليها وأثمارها المنتجة لها، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «يُستَدَلّ على خير كلّ امرءٍ وشرّه وطهارةِ أصله وخبثِه بما يظهر

---

١. كنز الفوائد: ١٦٢، عيون الحكم: ٤٤٦، بحار الأنوار ٢/٦٧ ح ١٢ (عن كنز الكراجكي).

٢. عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٥، مشكاة الأنوار: ١/١٠٥، غررالحكم: ٩١٧٨، والحديث تقدم فيما سبق.

من أفعاله».[١]

ومن هنا قال عليٌّ عليه السلام: «يُستدلُّ على فضلك بعملك! وعلى كرمك ببذلك».[٢]

وعنه عليه السلام: «يُستدلُّ على دين الرجلِ بحُسن تقواه وصدقِ ورعِه».[٣]

وعنه عليه السلام: «يُستَدَلُّ على المحسنين بما يجري لهم على ألسُنِ الأخيار من حسن الأفعال وجميلِ السيرة».[٤]

وعنه عليه السلام: «يستدلُّ على اللئيم بسوء الفعل وقبحِ الخلق وذَميمِ البخل (و) يُستَدَلُّ على اليقين بقصر الأمل واخلاص العمل والزهد في الدنيا! ويُستدِلُّ على مروّة الرجل ببثّ المعروف وبذلِ الإحسان وتركِ الامتنان».[٥]

وغير ذلك من الأخبار الكثيرة التي يرشدنا إلى المراد.

فيلزم على المتّصف بصفةٍ حسنةٍ ذات آثارٍ ودلائلَ بالحكم العقلي البديهي الذي يعرفه كلُّ مَن له أدنى مُسكَة أن يُظهر مقتضياتها ويُبرِزَ آثارها ويُعرِّفَ نفسَه بصفته لترتّب آثارها.

فاتّصاف الله تعالى بجميع الصفات الحسنة وكونه كنزاً لكلّ جميلٍ ومعدناً لكلّ حسنٍ كنز علمٍ وحَنانٍ، كنز جودٍ وكرمٍ، كنز فضلٍ ونعمٍ، كنز قدرةٍ وحكمةٍ، كنز لطفٍ ورحمةٍ إنما يقتضي تحقّق آثارها في الخارج وظهور مقتضياتها في عالم الوجود وشيوعها من الخفاء وإفاضة مظاهرها في الكون وإماطة الأغشية عن وجهها. ويستدعي أن يكون معروفاً في صفاته مشهوراً في نعوته، بمعنى أنّ اتّصافه بالعلم مثلاً إنما يقتضي أن يعرّف نفسه بالعلم حتّى ينتفع الجهّال من علمه، واتّصافه بالغنى يستدعي أن يعرّف نفسه بذلك حتّى يقصد الفقراء بابه، واتّصافه بالشفاء وأنّه شافي إنما يقتضي أن يعرّف ذاته بذلك ليأتي المرضاء جنابَه، وهكذا هكذا...

فلابدّ بحكم العقل لتلك الذات المقدّسة المستجمعة للصفات القدسيّة الحسنة من وجود

---

١. غررالحكم: ١٠٩٧٢، عيون الحكم: ٥٥٤.

٢. عيون الحكم: ص ٥٥٤، غرر الحكم: ١٠٩٦٩.

٣. غرر الحكم: ١٠٩٥٩.

٤. غرر الحكم: ١٠٩٦٤، عيون الحكم: ٥٥٣ وفيه: «يستدل على... من حسن السيرة والفعل».

٥. عيون الحكم: ص ٥٥٥، وذكره الآمدي في الغرر: ١٠٩٦٧ إلى قوله ذميم البخل.

نَسَم ومخلوق وصُنع حتّى يكون معروفاً عندهم وتتجلّى آثار صفاته لديهم ليكونوا منتفعين عن بركات وجوده، رابحين عن آثار صفاته، آخذين من كنوز أوصافه، واردين بمشارع ألطافه، منتجعين موارد نعمائه، واصلين إلى جنات آلائه، داخلين إلى رياض رحمته وأندية إفضاله! وذلك معنى قوله تعالى لداود (على نبيّنا وآله وعليه السلام): «كُنتُ كَنزاً مَخفيّاً فَأحبَبتُ أن أُعرف فَخَلقتُ الخَلقَ لِكَي أعرَف».[١]

ز ربّ العزة اندر خواست داود — كه حكمت چيست كآمد خلق موجود

جواب آمد كه تا آن گنج پنهان — كه آن ماييم، بشناسند ايشان

تو از بهر شناسائىّ گنجى — به گلخن سر فرود آرى برنجى

---

١. هو حديثٌ قدسيٌ مشهورٌ دائرٌ على الألسن، ولكن لم أجده في المصادر الروائية والمجاميع الحديثية وإنما تناقله بالذكر المصنفون في القرون المتأخرة في ضمن كتبهم، رووه مرسلاً عن النبي صلّى عليه وآله وسلّم بألفاظ متقاربة، كابن أبي الحديد في شرحه على النهج: ٥ /١٦٣، والحافظ البرسي في مشارق أنوار اليقين: ٣٩، ومحي الدين ابن العربي في الفتوحات المكية: ٢٦٧/٣ مع شرح له عليه.

و قد عدّه البعض في عداد الموضوعات، كالشوشتري في احقاق الحق: ٤٣١/١ والهندي الفتني المتوفى٩٨٦هـ في تذكرة الموضوعات: ١١. وذكره العجلوني في كشف الخفاء: ١٣٢/٢ وفيه: «قال ابن التيمية ليس من كلام النبي صلّى عليه وآله وسلّم ولا يعرف له سندٌ صحيح ولا ضعيفٌ. وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللئالي والسيوطي وغيرهم».

أقول: وهو واقعٌ كثيراً في كلام الصوفية وأهل العرفان، اعتمدوه وبنوا عليه أصولهم. ومن يرويه من الصوفية معترفٌ بعدم ثبوته نقلاً لكن يقول: إنّه ثابتٌ كشفاً، وقد نصّ على ذلك الشيخ الأكبر في الباب ١٩٨ من الفتوحات. هذا ومع قطع النظر عن سنده فقد ناقشه الناقدون في مفاده ومعناه، وللفيلسوف الإلهي صدر المتألهين الشيرازي مقال في شرح هذا الحديث (جزءٌ من رسالة «الفوائد» له المطبوعة محققةً)، تتطرّق فيه إلى تقرير شبهات التي أوردوها بعض أهل العلم على هذا الحديث القدسي وتعرّض فيه إلى بيان جواب كلٍّ منها مدعياً بأنّه لم يسبقه أحدٌ في الردّ على الاشكالات بما يكون شافياً وافياً ومقنعاً للخصم، وابتدأ فيه بنقل كلام ابن العربي قائلاً:

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله:

اعلم وفّقك الله لما يحبّ ويرضى أنّ بعض أهل العمل أورد على هذا الحديث القدسي، وهو قوله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» إشكالاً عظيماً. وذكر أنّه سأل عن كثير من علماء زماننا، ولم يذكروا له جواباً شافياً.

فلمّا تأمّلت فيما أورد، ألهمني الله تعالي في جوابه أربعة أجوبة؛ فأذكر ما أورده، ثمّ أردفه بالأجوبة التي أنعم الله بها عليّ. فالإشكال... (مجموعة رسائل فلسفية لصدر المتألهين الشيرازي: ص ٣٥٦).

ومن هنا يُعلَم وجه تأويل «لِيَعبُدُوني» في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] إلى قولهم: «ليعرفوني»!

[المعرفة هي غاية الخلقة]

فلمّا عُلِمَ ضرورة وجود الخلقة ومعنى المعرفة فليُعلَم أنّ غاية اتّصاف الله تعالى بكلّ جميلٍ إلى أنّه لا بدّ بعد ذلك أن يكون لله تعالى معرّفٌ يعرّفه بصفاته عند مخلوقه، ودليلٌ يدلّهم إليه، وسمةٌ يبلغهم عليه.

ولا يمكن معرفة صفاته إلّا بوجود معرّفٍ غير وجوده، لأنّ ذاته تبارك وتعالى لا يمكن أن يكون هوالمعرّف لشؤونه وصفاته لكلّ واحدٍ واحدٍ من ذوي العقول لعدم السنخيّة والمشاكلة بينه وبين كلّ مخلوقٍ، وعدم قابليّة كلّ إنسانٍ لحضرة جلاله، وعدم استعداد كلّ أحدٍ للمخاطبة معه بلا واسطة معرّفٍ، وعدم لياقة البشر المُلكي الشهودي المستهلك ملكوتيّته بقُواه السَّبُعيّة والبهيميّة والشيطانيّة، المستغرق في بحور الشهوات، المضطهد عقله بهوى نفسه. ألا ترى عدم إمكان كون المعرّف بينه تعالى وبين البشر هو الملك، كما قال تعالى: ﴿وَلَو جَعَلنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيهِم مَا يَلبِسُونَ﴾.[2]

وليس ذلك إلّا لعدم السنخيّة والمشاكلة بين الملك والبشر، فلابدّ من وجود معرّفٍ قبل بدء الخلقة وقوام كلّ النسمات وبين يدي تمام المخلوقات. ويقتضي حكم العقل أن يكون وجود المعرّف أوّلَ ما خَلَقَ الله وأوّلَ من قرع باب الاستنارة في عالم الوجود! ويستدعي منصبه هذا أن يكون ذاته أوّلَ الذوات وأسبقَها! ألا ترى بدء الخلقة البشريّة في عالم الخلق بالمعرّف، أعني نبيّه آدم عليه السلام.

فكما ابتدء به عالم المُلك والشهود كذلك الأمر في عالم الأمر والغيب والملكوت لابدّ من أن يبدء بالمعرّف، ولو لا وجوده لَما يُكوّن كائنٌ في الكون، إذ لولاه ما عُرفَ الله وما عُبدَ وما وُحّد وما قدّس! فيكون وجود الخلق السابق على المعرّف لغواً وعبثاً.

---

١. الذاريات: ٥٦.

٢. سورة الأنعام: ٩.

ومن هُنا يُعلَم معنى ما ورد في غير واحدٍ من أخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام: «لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لَكان أحدهما الحجّة»![1] ولا يمكن خلوّ الأرض من المعرّف، ولا يتمّ الحجّة إلّا به.

وكما بالمعرّف يُبدء، كذلك به ينتهي وينطوي أمر الخلقة بحكم العقل! وقد أشار بذلك أبو عبدالله عليه السلام في قوله: «إنّ آخِرَ من يموت الإمامُ، لئلّا يحتجّ أحدٌ على الله عزّوجلّ أنّه تَرَكَه بغير حجّةٍ لله عليه».[2]

فوجود المعرّف ضروريٌّ من أوّل الخلق إلى انتهائه. وذلك ما أفاده الإمام أبوعبدالله عليه السلام بقوله: «الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق».[3]

فالمعرّف إنّما خُلِقَ لأجل الله تعالى وسائرُ الموجودات مخلوقٌ لأجل معرّف الكلّ. وهذا معنى قوله تعالى لأشرف بريّته صاحب النبوّة المطلقة أعني نبيّنا صلّى الله عليه وآله: «خَلَقتُ الأشياء لك وخَلَقتك لأجلي»![4]

وهذا المعنى هو المراد في قوله صلّى الله عليه وآله: «نحن صنائعُ الله والخلقُ بَعدُ صنائعُ لَنا»![5]

[المعرّف الذاتي مرآةٌ مظهرٌ للأسماء الحسنى الإلهيّة]

فلمّا عُلِمَ كون الغاية للخلقة المعرفة وكونها وجود المعرّف؛ فاعلم: أنّ المعرّف الإلهي إمّا من قبيل الألفاظ وهي الأسماء الحسنى الإلهيّة اللفظيّة التي سمّى الله تعالى نفسه بها وجعلها معرّفات صفاته وسمات نعوته، وهي على ما يدلّ غير واحدٍ من الأخبار تسع وتسعون اسماً؛

---

١. الكافي: ٦/١ ح ١، بحار الأنوار: ٣٦/٢٣ و٥٢.

٢. الكافي: ١٨٠/١، الامامة والتبصرة: ٣٠، الغيبة للنعماني: ١٤٢، علل الشرائع: ١٩٦/١.

٣. رواه الكليني في الكافي: ١٧٧/١، والصدوق في كمال الدين: ٢٢١، والمفيد في الاختصاص: ٢٣ عن أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام.

٤. تقدّم الحديث في ص ٨٥ وراجع تعليقتنا عليه.

٥. نهج البلاغة، باب رسائله عليه السلام رقم ٢٨: من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً، وفيه: فإنّا صنائع ربّنا والناس بعدُ صنائعُ لنا. وأورده المجلسي في بحار الأنوار: ٥٨/٣٣ عن نهج البلاغة والاحتجاج. وراجع بيان المجلسي لهذا الحديث: ٦٨/٣٣.

وإمّا من قبيل الذوات ـ أعني الأنبياء والأوصياء ـ على اختلاف مراتبهم في المعرفيّة. ومعلومٌ أنّه لو لا المعرّف الذاتيّ لَما تُفيد المعرّفات اللفظيّة شيئاً بل تكون مهملةً! إذ هي ألفاظٌ لا يُعلم حقيقتها ولا يُفهم مفادها إلا بمعرّفٍ ومعلّمٍ ومدرّسٍ ومترجمٍ يبيّنها ويوضح معانيها ويكشف المراد منها. فكما أنّ الأسماء اللفظيّة تُنبىء عن مفادها بموادّها وهيئاتها، كذلك الأسماء الذاتيّة والمعرّف الذاتيّ لابدّ أن يكون معرّفاً بصورته وحقيقته، دالاًّ إلى ما خُلِقَ له بسيرته وسريرته.

فيقتضي أن يكون المعرّف كتاباً جامعاً للصفات الإلهيّة، مرآتاً صافياً، مظهراً لمعاني الأسماء اللفظيّة في الخارج، هيكلاً قدسيّاً، واجداً لحقيقة جامع الأسماء، مبيّناً بوجوده حقائق الأسماء اللفظيّة ومفادها، مُثبتاً بذاته ما يدّعي لربّه من الصفات، مُظهِراً في الخارج شؤون الإلهيّة عند جاحدها والمنكر لها، بمعنى أنّه عند ادّعائه مثلاً بأنّ الله تعالى هو المُحيي والمُميت والشافي وعلّام الغيوب والمطّلع على ما تُخفيه الضمائر لابدّ له بإذنِ الله ومشيّته وأمره في مقام الإثبات واتمام الحجّة واقتضاء الحاجة وإقامة البيّنة من إحياء الأموات وإماتة الأحياء وشفاء المرضاء والإخبار عن المَغيبات والإعلام عمّا تُخفيه الصدور.

وكذلك الأمر في كلّما يدّعيه المعرّف من الصفات لربّه، فإنّه لابدّ له عند ذلك من إرائتها لجاحديها في الخارج! ويقتضي منصبه أن يؤيّده الله بذلك، ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرِيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيكَ وعَلىٰ وَالدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَالتَّورِيةَ وَالأنجِيلَ وَإِذْ تَخلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةَ الطَّيرِ بإذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإذنِي وَتُبْرِءُ الأكْمَهَ وَالأبرَصَ بِإذنِي وَإِذْ تُخرِجُ المَوتَىٰ بِإِذْنِي...﴾ الآية.[1]

فبالجملة أنّ الآية المعنونة أعني قوله تعالى «ولله الأسماء الحسنى...» الآية بإطلاقها شاملةٌ على الأسماء اللفظيّة والذاتيّة. فالأدلاء على الله من الذوات المقدّسة سِماتٌ وعلاماتٌ وأسماءٌ على الحقيقة، بل إطلاق الأسماء عليهم أولى وأنسب من إطلاقها على الأسماء اللفظيّة لما عرفت مفصّلاً.

---

١. المائدة: ١١٠.

[النبيُ المطلق هو المعرف الأول]

ثمّ اعلم أنّه يختلف مراتب المعرّف والأسماء الذاتيّة كاختلاف مراتب الأسماء اللفظيّة، فَمِن المعرّف مَن يختصّ بجمعٍ دون جمعٍ وعصرٍ دون عصرٍ، ومنه من يختصّ بزمانه وأهل عصره، ومنه من يختصّ بأهل عصره، ومنه من يختصّ بعشيرته، ومنه من يختصّ بأهله.

ومنه من لا يُقيِّد منصبه بجمعٍ وعصرٍ دون عصرٍ وخلقٍ دون خلقٍ، بل يكون معرِّفاً بالإضافة إلى جميع خلائق عالم الأمر والخلق من الروحانيّات والجسمانيّات. وهذا هو النبوة المطلقة الغير المقيّدة بشيءٍ من القيودات المذكورة، وهي النبوّة الحقيقيّة الحاصلة في الأزل، الباقية إلى الأبد!

وليس هذا المنصب إلّا اطّلاع صاحبه به على استعداد جميع الموجودات بحسب ذواتها وماهيّاتها وإعطاء كلّ ذي حقٍ حقَّه الذي يطلبه بلسان استعداده وبيان قابليّته؛

وصاحب هذا المنصب أشرف المخلوقات من الأوّلين والآخرين، وأكرم المنتَجَبين، وهو الخليفة الأعظم، والآدم الحقيقي، والقلم الأعلى، والعقل الأوّل، والروح الأعظم، والمعرّف الأوّل، ومبدء فيض الوجود، وهو المخصوص بشرف «لَولاك لَولاك لَما خَلَقتُ الافلاك»! حيث إنّه بحكم العقل أوّل المخلوقين، ولولا أوّليّته لما يصحّ هذا الخطاب ولا يتمّ هذه العلّيّة، إذ كما عرفت إنما هي باعتبار المعرّفيّة لا غير.

فالنبيُّ المطلق والمتحلّي بهذا المنصب والمخاطب بلولاك ليس إلّا نبيّنا صلّى الله عليه وآله. وبهذا المنصب المنيع والمحلّ الرفيع له الثقافة والشرف بين الأنبياء والمرسلين، وله المقام المحمود والجاه العظيم بين الأوّلين والآخرين، وهو المنغمس بذلك في بحار الفضيلة والمنزلة الجليلة والدرجة الرفيعة والمرتبة المنيعة الخطيرة!

فيقتضي منصبه هذا بالحكم العقلي أن يكون أوّل ما خَلَقَ الله تعالى، وأوّل من عَرَفَ الله تعالى، وأوّل معرّف لله تعالى، وأوّل من أُخذ منه الميثاق! وقد أشار إليه بقوله صلّى الله عليه وآله: «أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بَعثاً»![1]

---

١. عوالي اللئالي: ١٢٢/٤ ح ٢٠٢، تفسير الآلوسي: ٤١/١٤.

ويفيد هذا المعنى ما في زيارته صلّى الله عليه وآله من فقرة: «أوّل النبيّين ميثاقاً وآخرهم مبعثاً»![1]

وقد صرّح إلى منصبه هذا بقوله صلّى الله عليه وآله[2]:«كنت نبيّاً وَآدم بين الماء والطين»![3]

[دفع توهّم]

وليس المراد كونه نبيّاً بالقوّة كسائر الأنبياء، معلوماً في العلم الإلهي كما زعمه بعض من لا حَظَّ له من علم الحديث، بل المراد كونه نبيّاً بالفعل حيث إنّه صلّى الله عليه وآله ما قاله إلّا على سبيل الافتخار والشرف على من دونه، وما كان لنبيٍّ غيره من الأنبياء بأن يقول مثلَ قوله هذا.

وتحقيق ذلك: أنّه صلّى الله عليه وآله كان بمقتضى منصبه هذا يُنبيء ويُخبر العقول والنفوس والروحانيّات كلّها من الملائكة وغيرهم ممّا يجب أن يُنبئهم من معرفة الله تعالى ويعرّفه صفاته وأسمائه وأفعاله، وكان يستفيض تمام الأرواح حتّى روح آدم عليه السلام منه العلوم والمعارف، وكان مرجع جميع أرواح النبيّين والمرسلين (عليهم السلام) في عالم الأرواح والأجساد.

---

١. بحار الأنوار: ٩٧ / ١٧٥ ح ٤٤ وص ١٨٥. اقبال الأعمال: ١٢٦/٣، المزار لابن المشهدي: ٦٦ وللشهيد الأول: ص ١٤ (الفصل الأول في زيارة النبي).

٢. بحار الأنوار: ٤٠٢/١٦ (عن المناقب لابن شهرآشوب) وفي: ١٨ / ٢٧٨ أورده المجلسي ضمن بيان له وعدّه من الأخبار المشهورة.

٣. أقول: وصف مصنفُ هذا الكتاب الحديثَ بأنّه متواترٌ وصحيحٌ، قال رحمه الله في موسوعته الخالده الغدير (٧ / ٣٨):

قال الحافظ رجب البرسي في مدح النبي الأعظم:

وكنتَ ولا آدمُ كائناً لأنّك من كونه أسبقُ

أشار بهذا البيت إلى ما جاء عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم من قوله: «كنت أوّل الناس في الخلق وآخرهم في البعث»...إلى أن قال:

و تواتر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم من طرق صحيحة: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين. أو: بين الروح والجسد. أو: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»..

فإنّ المعرّف الأوّل صاحب النبوّة المطلقة كما عرفت قَبلَ الكلّ خَلقاً وروحاً، وبَعدَ الكلّ صورةً وبَعثاً.

وهذا وجهٌ من وجوه أفضليّته وأشرفيّته على الكلّ، ومن هنا كان يقول صلّى الله عليه وآله: «أنا سيّد من خَلَقَ الله عزّوجلّ! وأنا خيرٌ من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحَمَلة العرش وجميع ملائكة الله المقرّبين وأنبياء الله المرسلين...» إلى آخر الحديث. وذكره الشيخ الثقة الصدوق رحمه الله في كمال الدين مسنداً.[١]

وممّا ذُكِرَ يُعلَم أنّ النبيّ المطلق لمّا كان هو معرّف الكلّ وقائد الكلّ ودليل الكلّ ومربّي الكلّ ومعلّم الكلّ وحاكم الكلّ والآمر والناهي في الكلّ لابدّ أن يحشر بمنصبه هذا قبل الكلّ، ويبدو به يوم الجمع، كما اقتضى منصبه بدؤ الخلق وانتهائه به! وقد أشار إلى ذلك بقوله صلّى الله عليه وآله: «أخبرني جبرئيل عن الله عزّوجلّ قال: أوّلُ من تَنشَقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامة أنا...» الحديث[٢]. ولكونه معرّفاً بالإضافة إلى الكلّ وزعيم الكلّ وممدوح الكلّ لابدّ أن يجمع الكلّ تحت لوائه، كما قال صلّى الله عليه وآله: «آدم ومَن دونَه تحت لوائي يوم القيامة»![٣]

وفي العلل مسنداً عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «يا عليّ! كأنّي بك وقد دخلتَ الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحَمد وتحته آدم فَمن دونه»![٤]

---

١. كمال الدين: ص ٢٦١ ح ٧، وعنه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ١٦/ ٣٦٤ ح ٦٦، ورواه ابن أبي جمهور في عوالي اللئالي: ٤/ ١٢١ح ٢٠٠.

٢. تفسير فرات الكوفي: ٤٤٤ ح ٥٨٧، وعنه في بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٢٥ ح ١٣. و روى الشيخ الصدوق في الخصال ص ٣١٤: أن النبي صلّى عليه وآله وسلّم قال لأميرالمؤمنين عليه السلام: «يا عَلِي سَأَلْتُ رَبّي فِيك خَمْسَ خِصَالٍ فَأَعْطَانِي أَمّا أَوَّلُهَافسألتُ ربّي أنْ أكونَ أوّلَ مَنْ تَنشَقُّ عنهُ الأرضُ وانقضَ التُرابَ عن رأسي وَ أَنتَ مَعِي فَأَعْطَانِي وأَمّا الثَّانِي...».

٣. عوالي اللئالي: ٤/ ١٢١، وأورده ابن شهرآشوب في المناقب مرسلاً وعنه المجلسي في بحار الأنوار: ١٦/ ٤٠٢. وفي لفظ الصدوق في أماليه، المجلس ٥٢: (إن آدم وجميع من خلق الله يستظلون بظلّ لوائي يوم القيامة) وورد في هذا المعنى روايات كثيرة في مصادر الفريقين، ففي مصادر اهل السنة رواه الحاكم في المستدرك: ١/ ٣٠، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٧٦، والسيوطي في الجامع الصغير: ٢/ ٧١٧، وابن عساكر كما في كنزالعمال للمتقي الهندي: ١١/ ٤١١.

٤. العلل:ص ١٧٢، بحار الأنوار: ٨/ ٦.

[نوران في الحقيقة نورٌ واحد: أصله «النبوّة» وفرعه «الإمامة»]

وممّا ذُكِر وحقّق في معني النبوّة المطلقة يُعلَم حقيقة ما في طبقتها من الولاية إذ كما لا ينفّك نور الولاية عن نور النبوّة، كذلك الوليّ عن النّبي كنور النفس عن نور العقل، فإنّ تصرّفها في العالم كتصرّفها في النفوس! فإنّ النفس والعقل خليفتان لله تعالى في عالم الخلق، والنبيّ والوليّ خليفتان لله تعالى في النفوس والأرواح. وهما في الحقيقة نورٌ واحدٌ: أصله النبوّة وفرعه الإمامة. والثاني من الأوّل بمنزلة النور المتفرّع من المصباح والضوء المنبعث من الضوء.

ويرشدك إلى حقيقة الأمر ما رواه الشيخ الأجلّ الثقة الصدوق رحمه الله بإسناده عن محمّد بن حرب الهلالي أمير المدينة عن أبي عبدالله عليه السلام والحديث طويلٌ نذكر منه محلّ الحاجة، قال عليه السلام: «أما علمت أنّ المصباح هو الذي يُهتَدى به في الظلمة، وانبعاث فرعه من أصله؟!

وقد قال عليٌّ عليه السلام: أنا من أحمد صلّي الله عليه وآله وسلّم كالضوء من الضوء. وأما علمت أنّ محمّداً وعليّاً (صلوات الله عليهما وآلهما) كانا نوراً بين يدي الله عزّوجلّ قبل خلق الخلق بألفي عام، وأنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعّب منه شعاعٌ لامِعٌ، فقالوا: إلَهنا وسيّدَنا! ما هذا النور؟! فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: هذا نورٌ من نوري، أصله نبوّةٌ وفرعه إمامةٌ. أمّا النبوّة فلمحمّدٍ عبدي ورسولي! وأمّا الإمامة فلعليٍّ حجّتي ووليّي، ولولا هما ما خلقتُ خَلقي...» الحديث.[1]

ولمّا كان نور النبوّة ونور الولاية متحّدان مجتمعان أزلاً وأبداً، كان النبيّ صلّى الله عليه وآله تارةً يقول: «خلق الله روحي وروحَ عليٍّ من شيءٍ واحدٍ، ونوري ونوره واحدٌ، وإنّه منّي وأنا منه، ونفسه نفسي»، ويقول أخرى: «أنا وعليٌّ من شجرةٍ واحدةٍ وسائر الناس

---

١. العلل: ١/١٧٢ ح١، معاني الأخبار: ص ٣٤٦ و ٣٥٠، بحار الأنوار: ١١/١٥ عن المعاني وفي: ١٢/٤٣ عن العلل. وإلى الفقرة الأولى من الحديث أشار أمير المؤمنين عليه السلام في كتابٍ له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة بقوله: (أنا مِن رَسولِ اللهِ كَالضَوْءِ مِنَ الضَوْءِ والذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُد) نهج البلاغة: رقم ٤٥ من رسائله عليه السلام.

من شجرٍ شتّى»![1]

فكلّ نبيٍّ وليُّهُ في مرتبة وطبقته من منصبه، والوليّ المطلق في طبقة النبيّ المطلق في منصبه، وهو يتلوه في رتبته! وأشير بذلك فيما رواه الشيخ الأجلّ فراتُ بن إبراهيم الكوفي في تفسيره بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: «يا محمّد! إنّ عليّاً في طبقتك، فجعلته أفضل الوصيّين وخيرَ معتمدٍ للمؤمنين...» الحديث.[2]

فالوليُّ المطلق الذي عيّنه الله تعالى لهذا المنصب المنيع أعني: أميرالمؤمنين عليه السلام هو الذي كان بمقتضى منصبه رجوع جميع النفوس والأرواح من الأولياء والأوصياء إليه في عالمي الأمر والخلق ونشأتي الغيب والشهود ظاهراً وباطناً، وهو الذي كان مع جميع الأنبياء سرّاً، ومع النبيّ المطلق علانيةً وجهراً، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا عليّ! كنتَ مع الأنبياء سرّاً ومعي جَهراً»![3]

وهو متّحدٌ مع النبيّ المطلق في الأوّليّة والآخريّة، فكان قبل الكلّ ومع الكلّ ووليّ الكلّ وهادي الكلّ وأمير الكلّ وإمام الكلّ. ولذا كان يقول عليه السلام في مقام الافتخار وسبيل الشرف: «كُنتُ وليّاً وآدم بين الماء والطين»![4]

---

١. «أنا وعليٌ من شجر واحد»: مناقب أميرالمؤمنين لمحمّد بن سليمان الكوفي: ٤٦٠/١، والصدوق في كتابيه الخصال: ٢١ وفي العيون: ٧٨/١. ورواه الديلمي في الفردوس، وعنه في كنز العمال: ٦٠٨/١١. فضائل أميرالمؤمنين برواية عبدالله‌بن أحمد بن حنبل: ١٧١ ح ٢٤١، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٦٤/٤٢، ورواه الحاكم النيشابوري في المستدرك: ٢٤٢/٢ عن طريق جابر (بلفظ أنا وأنت بدلاً من أنا وعلي)و قال: هذا حديثٌ صحيحٌ ولم يخرّجاه!

٢. تفسير فرات الكوفي: ١٩٣ ح ٩ رقم ٢٥٠.

٣. ذكره محمّد صدر العالم في كتابه معارج العلى في مناقب المرتضى ـ وهو مخطوطٌ ـ كما في نفحات الأزهار: ١١١/٥ و٣٠٥. قال صاحب العبقات قدس سره بعد ذكره الحديث: وقال سيدي وسندي وجدي المتفرد بالله الصمد الشيخ أبو الرضا محمد قدس الله سره الأمجد في شرح هذا الحديث: نعم هو من الأولياء السابقين وهم الذين يتصرف تمثل روحهم في العالم، قبل أن يتعلق الروح بالبدن العنصري تعلق التصرف والتدبير. فقال: ويؤيده قصة دشت أرزن، وتلك قصة طويلة لم أذكرها مخافة الإطالة، فمن أراد الاطلاع عليها فليطالع الملفوظات القدسية الرضائية التي ألفتها ورتبتها.

٤. عوالي اللئالي: ١٢٤/٤ ح ٢٠٨ ولفظه: (كنت وصيا وآدم...)، وذكره بلفظ الذي ورد في المتن العارفُ بالله السيد

←

يعني بذلك: إشاعة منصبه المطلق وولايته العامّة وإعلام أنّه كان وليّاً بالفعل من أوّل يوم عُجِنَ روحُه وخُلِقَ نورُه.

كما حقّقناه في قول النبيّ المطلق صلوات الله عليه وآله: «كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين»![1]

وقد صرّح بذلك ما في تفسير الشيخ الكوفي فرات بن إبراهيم بإسناده عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «أنا أُؤدّي من النبيّين إلى الوصيّين ومن الوصيّين إلى النبيّين! وما بعث الله نبيّاً إلّا وأنا أقضي دينه وأنجِز عِداته، ولقد اصطفاني ربّي بالعلم والظفر، ولقد وفدتُ إلى ربّي اثني عشر وفادة، فعرّفني نفسه وأعطاني مفاتيح الغيب».[2]

[أحاديثُ تتضمّن جملةً من شؤون منصب الولاية وعظم شأنها]

فإن كنت في ريبٍ ممّا ذكرنا فعليك التأمّل بنظر الدقّة وعين البصيرة في أخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام، فلعلّك تهتدي بنور كلماتهم إلى جملةٍ من شؤون هذا المنصب المنيع المقيّد بالإطلاق. ولك غنىً وكفاية في خمسة أحاديث نقتصر بها في المقام خوفاً للإطالة والإطناب:

الحديث الأوّل:

ما رواه غير واحدٍ من أئمّة الحديث بأسانيدهم المعنعنة[3] نحن نذكر لفظ رئيس المحدّثين

← حيدر الآملي في «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» في ثلاثة مواضع من كتابه: ٣٨٢، ٤٠١، و ٤٦٠ مع بيانٍ عرفاني له في شرح الولاية المطلقة التي هي مخصوصة بأميرالمؤمنين عليه السلام وهي التي أخبر عليه السلام عنها بقوله هذا: كنت وليّاً و.... .

١. راجع ما تقدم في صفحة ٧٠ ذيل عنوان (دفع توهم).

٢. تفسير فرات الكوفي: ص ٦٧ ح ٣٧، و رواه عنه المجلسيُّ في البحار: ٣٩/٣٥٠ ح ٢٣.

٣. رواه صاحب كتاب الواحدة (أبوالحسن عليّ بن محمّد بن جمهور رحمه الله) عن الحسن بن عبدالله الأطروش، قال: حدثني محمّد بن اسماعيل الأحمسي السرّاج قال: حدّثنا وكيع بن الجرّاح، قال: حدّثنا الأعمش، عن مورّق العجلي (هو مورّق بن مشمرج بن عبدالله العجلي، أبو المعتمر البصري، تقريب التهذيب: ج ٢ ص ٢٨٠) عن أبي ←

في عصره فرات بن إبراهيم الكوفي رحمه الله من تفسيره ـ الموجود عندنا ـ والحديث نذكره بطوله عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال:

«كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله ذات يومٍ في منزل أمّ سلمة ورسول الله صلّى الله عليه وآله يحدّثني وأنا أسمع، إذ دخل عليٌّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فأشرق وجهه نوراً فرحاً بأخيه وابن عمّه، ثمّ ضمّه إليه وقبّل بين عينيه، ثمّ التفت إليّ فقال:

يا أباذر! أتعرف هذا الداخل علينا حقّ معرفته؟ قال أبوذر: فقلت: يا رسول الله! هذا أخوك وابنُ عمّك وزوجُ فاطمة البتول وأبو الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنة. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

يا أباذر! هذا الإمام الأزهر، ورمحُ الله الأطول، وبابُ الله الأكبر، فمن أراد الله فليدخل الباب.

يا أباذر! هذا القائمُ بقسط الله، والذابُّ عن حريم الله، والناصرُ لدين الله، وحجّة الله على خلقه، إنّ الله تعالى لم يزل يحتجّ به على خلقه في الأمم كلّ أمّةٍ يبعث فيها نبياً.

يا أبا ذر! إنّ الله تعالى جعل على كلّ ركنٍ من أركان عرشه سبعين ألف ملكٍ ليس لهم تسبيحٌ ولا عبادةٌ إلّا الدعاء لعليّ وشيعته والدعاء على أعدائه.

يا أباذر! لولا عليٌّ ما بانَ الحقُّ من الباطل، ولا مؤمنٌ من الكافر، ولا عبد الله، لأنه ضرب رؤوس المشركين حتّى أسلموا وعبدوا الله، ولولا ذلك لم يكن ثوابٌ ولا عقابٌ ولا يستره من الله سترٌ، ولا يحجبه من الله حجابٌ، وهو الحجاب والستر، ثمّ قرأ رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[1].

← ذر الغفاري رضي الله عنه.

و رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٥٥/٤٠ ح ٩٠ عن كنز جامع الفوائد، والبحراني في مدينة المعاجز: ٣٩٥/٢، ورواه الأسترآباذي في خاتمة «تأويل الآيات» عن كتاب «الواحدة» بسند المذكور (ص ٨٧١ إلى ٨٧٥).

وأخرج المجلسي قطعةً منه في البحار: ١٧٤/٨٨ ح ١٢٢ عن تفسير فرات الكوفي.

١. الشورى: ١٣

يا أباذر! إنّ الله تبارك وتعالى تفرّد بملكه ووحدانيّته، فعرف عباده المخلصين لنفسه، وأباح لهم الجنّة، فمن أراد أن يهديه عرّفه ولايته، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفته.

يا أبا ذر! هذا رايةُ الهدى، وكلمةُ التقوى، والعروةُ الوثقى، وإمامُ أوليائي، ونورُ من أطاعني، وهو الكلمةُ التي ألزمها الله المتُقين، فمن أحبّه كان مؤمناً، ومن أبغضه كان كافراً، ومن ترك ولايته كان ضالاً مضلاً، ومن جحد ولايته كان مشركاً!

يا أبا ذر! يؤتى بجاحد ولاية عليٍ يوم القيامة أصمّ وأعمى وأبكم، يتكبكب في ظلمات يوم القيامة ينادي منادياً يا حسرتا على ما فرّطتُ في جنب الله! وفي عنقه طوقٌ من النار، لذلك الطوق ثلاثمائة شعبة، على كلّ شعبةٍ منها شيطانٌ يتفل في وجهه ويكلح من جوف قبره إلى النار.

قال أبو ذر: فقلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله، ملأت قلبي فرحاً وسروراً فزدني!

فقال: نعم، إنّه لمّا عرج بي إلى السماء الدنيا أذّن ملكٌ من الملائكة وأقام الصلاة، فأخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فقدّمني، فقال لي: يا محمّد! صلِ بالملائكة فقد طال شوقهم إليك، فصلّيت بسبعين صفّاً من الملائكة الصف ما بين المشرق والمغرب لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، فلمّا قضيت الصلاة أقبل إليّ شرذمةٌ من الملائكة يسلّمون عليَّ ويقولون: لنا إليك حاجة، فظننتُ أنّهم يسألوني الشفاعةَ لأنّ الله عزّ وجلّ فضّلني بالحوض والشفاعة على جميع الأنبياء، فقلت: ما حاجتكم ملائكة ربي؟ قالوا: إذا رجعت إلى الأرض فاقرأ عليّاً منّا السلام وأعلمه بأنّا قد طال شوقنا إليه، فقلت: ملائكة ربي! تعرفوننا حقّ معرفتنا؟

فقالوا: يا رسول الله! لم لا نعرفكم وأنتم أوّل خلق خلقه الله؟ خلقكم الله أشباح نور في نورٍ من نور الله وجعل لكم مقاعد في ملكوته بتسبيحٍ وتقديسٍ وتكبيرٍ له، ثمّ خلق الملائكة ممّا أراد من أنوارٍ شتّى، وكنّا نمرّ بكم وأنتم تسبّحون الله وتقدّسون وتكبّرون وتحمدون وتهلّلون، فنسبّح ونقدّس ونحمد ونهلّل ونكبّر بتسبيحكم وتقديسكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم، فما نزل من الله تعالى فإليكم، وما صعد إلى الله تعالى فمن عندكم، فلم لا نعرفكم؟!

ثمّ عرج بي إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة مثل مقالة أصحابهم، فقلت: ملائكة ربي! هل تعرفوننا حقّ معرفتنا؟ قالوا: ولم لا نعرفكم وأنتم صفوة الله من خلقه، وخزّان علمه، والعروة الوثقى، والحجّة العظمى، وأنتم الجنب والجانب وأنتم الكراسي وأصول العلم؟ فاقرأ عليّاً منّا السلام.

ثمّ عرج بي إلى السماء الثالثة، فقالت لي الملائكة مثل مقالة أصحابهم، فقلت: ملائكة ربّي! تعرفوننا حقّ معرفتنا؟ قالوا: ولِمَ لا نعرفكم وأنتم باب المقام، وحجّة الخصام، وعلى دابة الأرض، وفاصل القضاء، وصاحب العصاء، قسيم النار غداً وسفينة النجاة، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها في النار تردّى يوم القيامة، أنتم الدعائم ونجوم الأقطار، فلم لا نعرفكم؟ فاقرأ عليّاً منّا السلام.

ثمّ عرج بي إلى السماء الرابعة، فقالت لي الملائكة مثل مقالة أصحابهم، فقلت: ملائكة ربي! تعرفوننا حقّ معرفتنا؟ فقالوا: ولم لا نعرفكم وأنتم شجرة النبوّة، وبيت الرحمة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وعليكم ينزل جبرئيل بالوحي من السماء، فاقرأ عليّاً منّا السلام.

ثمّ عرج بي إلى السماء الخامسة، فقالت لي الملائكة مثل مقالة أصحابهم، فقلت: ملائكة ربي! تعرفوننا حقّ معرفتنا؟ قالوا: ولم لا نعرفكم ونحن نمرّ عليكم بالغداة والعشي بالعرش، وعليه مكتوبٌ: «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، وأيّده بعلي بن أبي طالب» فعلمنا عند ذلك أنّ عليّاً وليٌّ من أولياء الله تعالى، فاقرأ عليّاً منّا السلام.

ثمّ عرج بي إلى السماء السادسة، فقالت الملائكة مثل مقالة أصحابهم، فقلت: ملائكة ربّي! تعرفوننا حقّ معرفتنا؟ قالوا: ولِمَ لا نعرفكم وقد خلق الله جنّةَ الفردوس وعلى بابها شجرةٌ وليس فيها ورقة إلا وعليها حرفٌ مكتوبٌ بالنور: «لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله وعليٌّ بن أبي طالب عروة الله الوثقى وحبلُ الله المتين وعينه على الخلائق أجمعين» فاقرأ عليّاً منّا السلام.

ثمّ عرج بي إلى السماء السابعة، فسمعت الملائكة يقولون: الحمد لله الذي صدقنا وعده، فقلت: بماذا وعدكم؟ قالوا: يا رسول الله لما خلقكم أشباح نورٍ في نورٍ من نور الله تعالى

عرضت علينا ولايتكم فقبلناها، وشكونا محبّتكم إلى الله تعالى، فأمّا أنت فوعدنا بأن يريناك معنا في السماء وقد فعل، وأمّا عليٌّ فشكونا محبّته إلى الله تعالى، فخلق لنا في صورته ملكاً وأقعده عن يمين عرشه على سريرٍ من ذهبٍ مرصّعٍ بالدُرِّ والجوهر، عليه قبّةٌ من لؤلؤةٍ بيضاء، يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها، بلادٌ عامةٌ من تحتها ولا علاقة من فوقها، قال لها صاحب العرش: قومي بقدرتي فقامت، فكلّما اشتقنا إلى رؤية عليٍّ نظرنا إلى ذلك الملك في السماء، فاقرأ عليّاً منّا السلام».[1]

الحديث الثاني:

ذكره جمعٌ من أصحاب الحديث ونحن نذكر لفظ الشيخ الثقة الأجلّ أبي جعفرٍ الصدوق طيّب الله رمسه، روى بإسناده في العلل والعيون عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالبٍ صلوات الله عليهم أجمعين، قال:

قال رسول الله صلى ا لله عليه وآله: «ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي!

قال عليٌّ صلوات الله عليه: فقلت يا رسول الله! فأنت أفضل أم جبرئيل؟

فقال عليه السلام: يا علي! إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، فإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

يا علي! لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؟! لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة، فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون وانّه منزّهٌ عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا ونزّهته عن صفاتنا، فلمّا

---

١. رواه بطوله المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٤٠/٥٥ عن كنز الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة، وفي: ٨٨/١٧٤ أخرج قطعة منه عن تفسير الكوفي.

شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا اله إلا الله وأنّا عبيدٌ ولسنا بآلهةٍ يجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا «لا إله إلّا الله»، فلما شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة إنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به، فلمّا شاهدوا ما جعله لنا من العزّة والقوّة قلنا: لاحول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوّة إلا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا «الحمد لله» لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة «الحمد لله» فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّةً ولآدم إكراماً وطاعةً لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون.

و أنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى، قال لي: تقدّم يا محمد! فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليكَ؟! فقال نعم، لأنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين وفضّلك خاصّةً. فتقدّمت فصليّت بهم ولا فخرَ.

فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدَّم يا محمّد وتخلّف عنّي. فقلت: يا جبرئيل! في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال يا محمّد! إنّ انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان، فإن تجاوزت احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلالُه! فزخّ في النور[1] زخّةً حتى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه... الحديث».[2]

الحديث الثالث:

في العلل أيضاً: عن محمد بن بحر الشيباني المعروف بالرهني في كتابه من قول مفضّلوا الأنبياء والرسل والائمة عليهم السلام على الملائكة:

«عن حبيب بن مظاهر الأسدي بيّض الله وجهه أنّه قال للحسين بن علي بن أبي طالب

١. في العيون: فزخّ بي النور، وفي العلل: فزخّ بي في النور. يقال: زخّ به، أي: سار به سيراً عنيفاً.

٢. علل الشرائع: ١ / ٥، عيون أخبار الرضا: ٢ /٢٣٧، ورواه أيضا في كمال الدين: ٢٥٤.

عليهما السلام: أيّ شيءٍ كنتم قبل أن يخلق الله آدم؟

قال: كنّا أشباح نورٍ ندور حولَ العرش فنعلّم الملائكة التسبيح والتهليل والتمجيد».[1]

الحديث الرابع:

في إرشاد الديلميّ بإسناده مرفوعاً عن محمد بن زيادٍ قال: «سأل ابنُ مهران عبدالله بن عباس عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[2]، قال: كنّا عند رسول الله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا رآه النبي صلّى عليه وآله وسلّم تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه بأربعين ألف عامٍ!

فقلت: يا رسول الله! كان الابن قبل الأب؟!

فقال: نعم، إنّ الله تعالى خلقني وخلق علياً قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً قسّمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور علي، ثمّ جعلنا عن يمين العرش ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبَّحت الملائكة، فهلّلْنا فهلّلَت الملائكة، وكبّرنا فكبَّرت الملائكة وكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ، وكان ذلك في علم الله السابق أنّ الملائكة تتعلّم منّا التسبيح والتهليل، وكلّ شيءٍ يسبّح الله ويكبّره ويهلّله بتعليمي وتعليم عليٍّ عليه السلام...» الحديث.

أقول: ورواه بطوله العلامة شرف الدين النجفي في «تأويل الآيات» على ما نقل في «كنز الفؤاد» المنتخب من تأويل الآيات.[3]

الحديث الخامس:

في «غاية المرام» و«معالم الزلفى» للسيد الأجلّ البحراني، عن محمد بن خالد الطيالسي ومحمد بن عيسى بن عبيد بإسنادهما عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبوجعفر محمّد بن

---

١. رواه الصدوق في علل الشرائع: ١/٢٣ وقال: ولهذا تأويلٌ دقيقٌ ليس هذا مكان شرحه وقد بيّناه في غيره. وأورده المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٥٧/ ٣١١.

٢. الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣. تأويل الآيات الظاهرة: ٢/ ٥٠١، وعنه وعن كنز الفوائد رواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٢٤/ ٨٨.

علي الباقر عليهما السلام:

«كان الله ولا شئَ غيره ولا معلومَ ولا مجهولَ، فأوّل ما ابتدأ من خلقٍ خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه، لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، ففضل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس نسبّح الله تعالى ونقدّسه ونحمده ونعبده حقّ عبادته، ثمّ بدالله تعالى أن يخلق المكان فخلقه، وكتب على المكان: لا إله إلّا الله، محمدٌ رسول الله، عليٌ أمير المؤمنين ووصيّه به أيّدته وبه نصرته، ثمّ خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك، ثمّ السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة والنار فكتب عليهما مثل ذلك، ثمّ خلق الله الملائكة وأسكنهم السماء، ثمّ تراءى لهم الله تعالى وأخذ عليهم الميثاق له بربوبيته ولمحمّدٍ (صلى الله عليه وآله) بالنبوّة ولعليٍّ (عليه السلام) بالولاية، فاضطربت فرائص الملائكة فسخط الله تعالى على الملائكة واحتجب عنهم، فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرّون بما أخذ عليهم ويسألونه الرضا، فرضي عنهم بعد ما أقرّوا بذلك، فأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصّهم لنفسه واختارهم لعبادته.

ثمّ أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح فسبّحنا فسبَّحت الملائكةُ بتسبيحنا ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبّحون الله ولا كيف يقدّسونه، ثمّ إنّ الله خلق الهواء فكتب عليه لا إله إلّا الله، محمدٌ رسول الله، عليٌ أمير المؤمنين وصيّه، به أيّدته وبه نصرته، ثمّ خلق الله الجنّ فأسكنهم الهواء وأخذ الميثاق منهم له بالربوبيّة ولمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) بالنبوّة، ولعليٍّ بالولاية، فأقرّ منهم من أقرّ وجحد من جحد، فأوّلُ من جحد إبليس لعنه الله فختم له بالشقاوة، وما صار إليه.

ثمّ أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح فسبّحت فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك ما دروا كيف يسبّحون الله. ثمّ خلق الله الأرض فكتب على أطرافها لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله، عليٌ أمير المؤمنين وصيّه، به أيّدته وبه نصرته، فبذلك يا جابر قامت السماوات بلا عمدٍ وثبتت الأرض. ثمّ خلق الله تعالى آدم (عليه السلام) من أديم الأرض ونفخ فيه من روحه، ثمّ أخرج ذريّته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق له بالربوبيّة، ولمحمّدٍ بالنبوّة، ولعليٍّ بالولاية،

أقرّ منهم من أقرّ وجحد منهم من جحد. فكنّا أوّل من أقرّ بذلك.

ثمّ قال لمحمّدٍ: وعزّتي وجلالي وعلوّ شأني! لولاك ولولا عليٌّ وعترتكما الهادون المهديّون الراشدون ما خلقت الجنّة ولا النار، ولا المكان، ولا الأرض، ولا السماء، ولا الملائكة، ولا خلقاً يعبدني! يا محمّدُ أنت حبيبي، وخليلي وصفيّي، وخيرتي من خلقي، أحبّ الخلق إليّ وأوّل من ابتدأت من خلقي، ثمّ من بعدك الصدّيق عليّ بن أبي طالبٍ أمير المؤمنين وصيّك، به أيّدتك ونصرتك، وجعلته العروة الوثقى ونور أوليائي، ومنار الهدى، ثمّ هؤلاء الهداة المهتدون من أجلكم ابتدأت خلق ما خلقت، فأنتم خيار خلقي (وأحبّائي، وكلماتي، وأسمائي الحسنى، وأسبابي وآياتي الكبرى، وحجّتي فيما بيني وبين خلقي) فخلقتكم من نور عظمتي واحتجب بكم عن من سواكم من خلقي، وجعلتكم أستقبل بكم، وأسأل بكم، وكلّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهي، وأنتم وجهي لا تبيدون ولا تهلكون، ولا يبيد ولا يهلك من تولّاكم، ومن استقبلني بغيركم فقد ضلّ وهوى، وأنتم خلقي وحمَلَة سرّي، وخزّان علمي وسادة أهل السماوات وأهل الأرض،

ثمّ إنّ الله تعالى هبط إلى الأرض في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة، وأهبط أنوارنا أهل البيت معه، فأوقفنا صفوفاً بين يديه نسبّحه في أرضه كما سبّحناه في سمائه، ونقدّسه في أرضه كما قدّسناه في سمائه، ونعبده كما عبدناه في سمائه، فلمّا أراد الله إخراج ذريّة آدم (عليه السلام) لأخذ الميثاق منهم بالربوبيّة فكنّا أوّل من قال: (بَلى) عند قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ثمّ أخذ الميثاق منهم بالنبوّة لمحمّدٍ (صلّى الله عليه وآله) ولعليٍّ (عليه السلام) بالولاية، فأقرّ من أقرّ، وجحد من جحد.

ثمّ قال أبو جعفر (عليه السلام): «فنحن أوّل خلقٍ ابتدأ الله، وأوّل خلقٍ عبد الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق، وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين فبنا عرف الله وبنا وحّد الله، وبنا عبد الله، وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه وبنا أثاب الله من أثاب، وعاقب من عاقب، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[١]، [وقوله تعالى]: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٢].

---

١. الصافات: ١٦٥ـ١٦٦.

٢. الزخرف: ٨١.

فرسول الله (صلى الله عليه وآله) أوّل من عبد الله، وأوّل من أنكر أن يكون له ولدٌ أو شريكٌ، ثمّ نحن بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثمّ أودعنا بعد ذلك صلب آدم (عليه السلام) فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام من صلبٍ إلى صلبٍ، ولا استقرّ في صلبٍ إلا تبين عن الذي انتقل منه انتقالها، وشرف الذي استقرّ فيه، حتّى صار في عبدالمطلب، فوقع بأمّ عبدالله فاطمة فافترق النور جزئين: جزءٌ في عبدالله، وجزءٌ في أبي طالب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[1]. يعني في أصلاب النبيّين وأرحام نسائه. فعلى هذا أجرانا الله تعالى في الأصلاب والأرحام حتّى أجرانا في أوان عصرنا وزماننا، فمن زعم أنّا لسنا ممّن جرى في الأصلاب والأرحام وولدنا الآباء والأمّهات فقد كذب»[2].

الحديث السادس:

في «غاية المرام» نقلاً عن كتاب «النصوص على الأئمة الاثني عشر» للشيخ الثقة الأجلّ ابن بابويه، قال:

«أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله، قال: حدّثنا أبو طالب عبدالله بن أحمد ابن يعقوب بن نصر الأنباري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال: حدثنا عبدالله ابن شعيب، قال: حدّثنا محمد بن زياد التميمي، قال: حدّثنا سفيان بن عيينة، قال: حدّثنا عمران بن داود، قال: حدّثنا محمد بن الحنفية، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

قال الله تبارك وتعالى: لأعذبنّ كلّ رعيّةٍ دانت بطاعة إمامٍ ليس منّي وإن كانت الرعيّة في نفسها برّة، ولأرحمنّ كلّ رعيةٍ دانت بإمامٍ عادلٍ منّي وإن كانت الرعيّةُ في نفسها غير برّةٍ ولا تقيّة.

ثمّ قال: يا علي! أنت الإمام والخليفة بعدي، حربك حربي وسلمك سلمي، وأنت أبو سبطيَّ، وزوج ابنتي، من ذريّتك الأئمة المطهّرون، فأنا سيّد الأنبياء وأنت سيّد الأوصياء، وأنا وأنت من شجرةٍ واحدةٍ، ولولانا لم يخلق الله الجنّة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة.

---

١. الشعراء: ٢١٩.

٢. غاية المرام: ١/ ٤٠، معالم الزلفى: ٣/ ١٦ ح ١، وفي بحار الأنوار: ٢٥/ ١٧.

قال: قلت: يا رسول الله! فنحن أفضل من الملائكة؟

قال: يا علي! نحن خير خليقة الله على بسيط الأرض، وخيرٌ من الملائكة المقرَّبين، وكيف لا نكون خيراً منهم وقد سبقناهم إلى معرفة الله وتوحيده؟ فبنا عرفوا الله، وبنا عبدوا الله، وبنا اهتدوا السبيل إلى معرفة الله. يا علي! أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي ووزيري...» الحديث[1].

الحديث السابع:

و في الكتاب نقلاً عن تفسير الثقة العدل محمّد بن العباس بن ماهيار صاحب التفسير في (ما نزل في القرآن في أهل البيت) قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عمر بن يونس الحنفي اليماني، عن داود بن سليمان المروزي، عن الربيع بن عبدالله الهاشمي، عن أشياخ من آل علي بن أبي طالب قالوا:

قال علي (عليه السلام) في بعض خطبه: «إنّا آل محمّدٍ كنّا أنواراً حولَ العرش، فأمرنا الله تعالى بالتسبيح فسبَّحنا وسبّحت الملائكة بتسبيحنا، ثمّ أهبطنا إلى الأرض فأمرنا بالتسبيح فسبَّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا فـ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾»[2].

أقول: وذكر الحديث في «كنز الفوائد» نقلاً عن الثقة الثبت ابن ماهيار.

الحديث الثامن:

في «كنز الفوائد» عن أبي جعفر محمد بن بابويه قدّس سرُّه، عن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، عن أبي الحسن محمد بن عمار، عن إسماعيل بن ثوية، عن زياد بن عبدالله البكائي، عن سليمان الاعمش، عن أبي سعيد الخدري قال:

«كنّا جلوساً عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إذ أقبل إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله! أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾،

---

١. غاية المرام: ١/٤٦، ورواه الخزاز القمي في كفاية الأثر: ١٥٧، والمجلسي في البحار: ٣٦/٣٣٧ عن الكفاية وفي: ٢٦/٣٤٩ عن المحتضر للحلّي.

٢. غاية المرام: ١/٤٧.

مَن هُم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة المقربين؟ فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم):

أنا وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله فسبَّحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عامٍ. فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا ولم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس أبى أن يسجد،

فقال الله تبارك وتعالى له: ﴿قالَ يَا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[1]، أي: من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش...» الحديث[2].

---

١. سورة ص: ٧٥.

٢. ورواه عن كنز الفوائد المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٢٦/٣٤٦.

المطلب الثالث

في بيان قوله تبارك وتعالى

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ...﴾

[سورة الأعراف: ١٧٢]

إعلم هدانا الله تعالى صراط الحقّ واليقين، وجعل لنا لسان صدقٍ في الآخرين: أنّ في هذه الآية الشريفة إشارةً ودلالةً إلى وجود خلقٍ قبلَ هذه النشأة لإنسانها، وإلى تكليفٍ قبل تكليف هذا العالم الموجود، وإلى ما صار إليه الناس في الخلق الأوّل، وإلى سرٍّ من أسراره وحكمةٍ من حَكِمَه!

فلابدّ قبل بيان ذلك والكلام فيها من تحقيق حقيقة ما تدلّ عليه الآية من الخلق والتكليف؛ وتقدّم على الأدلّة النقليّة الدالّة عليه من الآيات والأخبار ما يقتضي ثبوت مدلول الآية ويستدعيه من اعتقاداتنا الصحيحة المسلّمة الثابتة المُجمع عليها التي لا يمكن ولايستطيع أحدٌ إنكاره؛ ثمّ بعد ذكر الآيات ونقل الأحاديث الواردة عن آل بيت العلم والحكمة والعصمة (عليهم السلام) وقرائنها من الأصول المعتمدة والمدارك المعتبرة بأسانيدها المعنعنة الغير المضطربة نجعل فصلاً ونذكر تحته جملةً ممّا يرجع المقام من كلمات بعض الأجلّة من العلماء الإماميّة رضوان الله عليهم من المُثبتين والنافين، ونذكر من كلمات علماء العامّة إن اقتضى الأمر.

فنقول مستعيناً من الله تعالى ومستعيذاً به من الشيطان الرجيم:

عالمٌ ترتّبيٌ: يترتّب على التفصيل المذكور في المطلب الثاني؛

توضيح ذلك:

أنّه لمّا عُلِمَ معنى قوله تعالى لداود عليه السلام: «كُنتُ كَنزاً مَخفيّاً فَأحْبَبتُ أن أُعرف فَخَلَقتُ الخَلقَ لِكَي أُعرف»[1]، واتّضح لك حقيقة مقتضى الخلقة وأنّه هوكونه تعالى معروفاً مشهوداً

---

١. هو حديثٌ قدسيٌ و قد تقدّم الحديث في ص ١٠٩، وراجع تعليقتنا عليه بهامش الصفحة.

بصفاته الحسنة لترتّب آثارها؛ وعلمت ضرورة وجود المعرّف لله تعالى من بدو الخلق إلى انتهائه، وأنّه لابدّ منه قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق؛ وتحقّق أنّ أسمائه من الذوات البشريّة ومعرّفاته من الهياكل القدسيّة مختلفة المراتب في إطلاق هذا المنصب الإلهي والتشريف السبحاني وتقييده؛ فلابدّ من يوم جمعٍ ومشهودٍ قبل هذه النشأة الدنيويّة! ويقتضي ضرورة عالم عَرض بدو السفر الإنساني وسيره في العوالم قبل ترخّصه عن الحضرة الإلهيّة وهبوط روحه عن العوالم الملكوتيّة. ويستدعي لزوم يوم تكليفٍ قبل عالم الخلق والشهود يتجلّى الربّ فيه على الأرواح البشريّة ويُريهم صُنعَه ويُسمِعهم خطابَه ويعرّف فيه نَفسه لجميع الناس بمرأى واحد! ويختار في ذلك العالم من يريد اختياره معرّفاً لنفسه، ويطلع إليهم ويصطفي من اصطفاه من عباده ويعرّف معرّفيه للخلق ويطلع كلّ واحدٍ منهم على منصبه. ويقف كلّ امامٍ ومعرّفٍ على هويّة رعيّته وحقيقة مهيّتهم، ويمثّل لكلّ خليفةٍ من خلفاء الله تعالى أُمّته، ويعرّفهم به بأشخاصهم وأسمائهم وحقائقهم، كما مَثَّلَ لخاتم النبيّين صلّى الله عليه وآله أُمّته وعُرِضَت عليه لدى الميثاق؛ وورد بذلك النّصّ في الأحاديث الشريفة.

منها: ما في المجالس الشيخ الثقة المفيد رحمه الله بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «مُثِّلَتْ لي أُمّتي في الطين حتّى نَظَرتُ صَغيرَها وكَبيرَها، ونَظَرتُ في السماوات كلّها فلمّا رأيتُ رَأيتُك يا عليّ! فَاسْتَغفَرْتُ لك ولِشيعَتِكَ إلى يوم القيامة...» الحديث.[١]

وفي البصائر مسنداً عنه صلّى الله عليه وآله: «يا عليّ! لقد مُثِّلَتْ لي أُمّتي في الطين حتّى رأيت صغيرهم وكبيرهم أرواحاً قَبلَ أن يخلق الله الأجساد وانّي مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم...» الحديث.[٢]

وفي البصائر مسنداً بطرقٍ عديدةٍ، ومجالس شيخنا المفيد قُدِّسَ سرُّه بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «ربّي عزّوجلّ مَثَّلَ أُمّتي في الطين، وعلّمني أسمائهم كما علّم آدم الأسماء كلّها، فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت الله لعليٍّ وشيعته».

---

١. الأمالي للشيخ المفيد: ص ٨٩ ح ٥.

٢. بصائر الدرجات: ١٠٤ وعن طريقه رواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٢٧/٦٥.

ورواه فراتُ بن إبراهيم في تفسيره.[١]

وفي حديثٍ في البصائر مسنداً عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ أُمّتي عُرِضَت عليّ عند الميثاق».[٢]

وفي خبرٍ آخر في «البصائر» و«الكافي» مسنداً عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرٌّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ، والإقرار له بالربوبيّة، ولمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله بالنبوّة؛ وعَرَضَ الله على محمّدٍ صلّى عليه وآله أُمّته في الطين وهم أظلّةٌ، وخَلَقَهم من الطينة التي خَلَقَ منها آدم، وخَلَقَ الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عامٍ، وعَرَضَهم عليه وعرَّفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وعرَّفهم عليّاً عليه السلام، ونحن نعرفهم في لحن القول».[٣]

وفي البصائر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مُثِّلَ لي أُمّتي في الطين وعلّمت الأسماء كما علّم آدم الأسماء كلّها، ورأيت أصحاب الرايات، فكلّما مررت بك يا علـيّ وبشيعتك استغفرت لكم».[٤]

وفي الكتاب مسنداً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله مُثّلِتْ له أُمّته في الطين فعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأخلاقهم وحلّاهم[٥].

قال: قلنا له: جُعِلتُ فداك! جميع الأئمة من أوّلها إلى آخرها؟

قال: هكذا قال أبو جعفر عليه السلام».

وفي الكتاب بطريقٍ آخر مثله.[٦]

---

١. البصائر: ١٠٣ و١٠٥، الأمالي للشيخ المفيد: ١٢٦ وكذا رواه الطوسي في الأمالي: ٦٤٩ والكليني في الكافي: ٤٤٣/١.

تفسير الفرات الكوفي: ٣٩٣ وعنه المجلسيُّ في البحار: ٢٢٤/٢٧.

٢. البصائر: ١٠٤ ح ٣، وعنه في بحار الأنوار: ٢٢٦/٣٨.

٣. البصائر: ١٠٩، الكافي: ٤٣٦/١ إلىٰ قوله: ولمحمدٍ صلّى عليه وآله وسلّم بالنبوّة.

٤. تقدّم الحديث عن البصائر قبل قليل.

٥. الحلى والحلي جمع الحلية، وحلية الإنسان ما يرى من لونه وظاهره وهيئته.

٦. بصائر الدرجات: ١٠٥ وعنه في بحار الأنوار: ١٥٣/١٧ ح ٥٧.

وكذلك مُثِّلت الأرواح البشريّة في الخلق الأوّل، وعُرِضَت على الأئمة المعصومين عليهم السلام وعُرفت لهم، فعرفوا المحبّ من المبغض بأسمائهم وأسماء آبائهم وأخلاقهم. ويدلّ على ذلك كثيرٌ من الأخبار الواردة عن أهل بيت العلم والعصمة عليهم السلام، فعليك بأزيد من عشرة أحاديث مسندة في البصائر فقط، فراجع![1]

[أسماء ذلك العالم]

ويسمّى ذلك العالم بيوم الميثاق، ويوم الجمع، ويوم الشاهد، ويوم المشهود، ويوم العَرض الأوّل، ويوم الخلق الأوّل، ويوم التكليف الأوّل، ويوم البعث الأوّل، ويوم الإقرار، ويوم الولاية، ويوم بلى، وعالم الذرّ، وعالم ألَست، وعالم الأظلّة.

ويمكن أن يقال: إنّ عالم الأظلّة باستقلاله عالمٌ غير عالم الذرّ كعالم الأرواح. وصرّح بذلك بعض الأجلاء، لكن يُستفاد بمعونة القرائن الظاهرة الموجودة في بعض الأخبار أنّه قد وقع تعبيراً عن عالم الذرّ في لسان الحديث، ولا ينافي كونه فى الواقع عالماً آخر أيضاً.

[وجه ضرورة ذلك العالم]

ولا يخفى على ذي مُسكةٍ أنّه لولا ذلك الخلق الأوّل وتجلّي الربّ فيه وتعريف الله تعالى نفسه باسماع خطابه على الذرّات البشريّة والأرواح النورانيّة الإنسانيّة قبل هبوطها عن العوالم العُلوية وامتزاجها بالأجزاء الأرضيّة المُلكيّة لم يكن أحدٌ يعرف ربّه! ولولا ترخّص الأرواح البشريّة الملكوتيّة عن الحضرة الإلهيّة بمعرفة خالقها ومعرّفيه وحكّامه وخلفائه لم يدر بشرٌ مَن خالقه ورازقه!

توضيح المراد:

إنّ الحقيقة البشريّة والغريزة الإنسانيّة بعد اعتراء الظلمات العنصريّة عليها، وانكسار أنوار الروح بالأغشية المُلكيّة وامتزاجها بالأجزاء الأرضيّة، وانكدار صفائها بالكثافات

---

١. راجع البصائر ص٩٩ (الباب الحادي عشر) وص ١٠٣ (الباب الرابع عشر منه).

الجسمانيّة، وانقطاعها عن الحضرة الإلهيّة بالتوجّه إلى العوالم السفليّة، وانفصالها عن السدة السنيّة القدسيّة، وهبوطها إلى المنازل الأرضيّة، وبُعدها عن الساحة الإلهيّة بوصال العلائق الدنيويّة، وتحليل قواها بالأمراض النفسيّة، ولوثها بما يقتضيه الطينة الجسمانيّة الظلمانيّة، وسكون حواسّها بالعلل النفسانيّة لا يمكن للبشر تحصيل المعرفة بالله وصفاته وحقائق صنعه بمشاهدة هذا العالم الضيّق الصغير، بل الأصغر بالنسبة إلى العوالم الغيبيّة العلويّة والنظر إليه بهذه الحواسّ الظاهرة القاصرة العنصريّة.

ولا يجديه التوجّه بالحواسّ الباطنيّة الروحيّة والإقبال إلى العوالم الأُلوهيّة بالعقل المكسوف والقلب المستور بالأغشية الجهليّة بَعدَ بُعده عن الحضرة الإلهيّة. ولا يتأتّى له من المعارف الحقّة ما يحصل لدى تجرّد الروح وحال نورانيّتها وإشراقها وصفائها في العوالم النورانيّة الروحانيّة الملكوتيّة.

ألا ترى أنّ الإنسان كلّما بالَغَ في تزكية النفس عن ظلمة أوصافها وسوء أخلاقها بابداء أنوار الروح عليها وزاد زهده في الدنيا وكثر تصفيته عن الصفات النفسانيّة وتحليته بالصفات القدسيّة وتنوّرت النفس بالأنوار الروحيّة، وتجرّد عن العوالم الدنيويّة وقويت روحه وملكوتيّته وضعفت قواه المُلكيّة العنصريّة، وبعُدَ بقربه إلى العوالم الروحيّة الأُخرويّة الملكوتيّة عن الظلمات النفسيّة، واستروح روح اليقين، وآنس بما استوحش منه الجاهلون، واستلان ما استوعر منه المترفون، يحصل له من المعارف الإلهيّة ما لا يحصل لغيره، وينكشف له من العوالم القدسيّة ما لا ينبغي لسواه، ويشاهد بعين قلبه ما لا تراه العيون، ويسمع بسمع قلبه ما لا تسمعه الأُذُن، ويدرك بالحواسّ الروحيّة ما لا يدرك بالحواسّ الظاهريّة البشريّة العنصريّة، وذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعلَمونَ عِلْمَ اليَقينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحيمَ * ثُمّ لَترونَّها عَيْنَ الْيَقينِ﴾![1]

وكذلك عكس القضيّة: فإنّه كلّما زاد شوق النفس ورغبته وميله إلى عالمها السفلى واطمأنّ بالحياة الدنيا وحصلت لحزب الشيطان وجند النفس غلبةٌ في معركة القلب الإنساني، واستولت الظلمات النفسانية عليه ظلماتٌ بعضها فوق بعض وأظلمت الروح

---

١. سورة التكاثر: الآيات ٥ ـ ٧.

بالصفات النفسانيّة البهيميّة والسبعيّة، وتخلّقت بأخلاق النفوس الأرضيّة، وتكدّرت بظلمات صفاتها، وسكنت حواسّها بظهور إمارة النفس عليه، ومات القلب، وعميت عينه، وضعفت بصيرته، وصمّت أذنُه، وغدا مغموراً في الظلمات، وصار في غطاءٍ عن ذكر الله تعالى، يبعد الإنسان عند ذلك عن العوالم الروحيّة العلويّة والمعارف الملكوتيّة الإلهيّة والكمالات الروحانيّة الحقّة، ولا تُغنيه الآيات والنُّذُر، صمٌّ بكمٌ عميٌ، أوليائه الطاغوت، يخرجونه من النور إلى الظلمات.

فالتكليف الأصولي [الأوّلي] في عالم الأظلّة وتجرّد الأرواح والذرّات العقليّة البشريّة عن الظلمات الجسمانية أجدر وأحرى! وتجلّي الرّب عليهم وأخذ الميثاق والإقرار عنهم، وتعريفه ذاته بذاته وإسماعهم خطابه من غير وساطة أحدٍ قبل انكدار أنوار الروح بالطينة الجسمانيّة الظلمانيّة ووقوعه في المجالس النفسانيّة أحسن وأولى.

فيقتضي العقل وجود يوم تكليفٍ وعالَم عَرضٍ وجَمعٍ يتجلّى الربّ فيه على الأرواح العقليّة البشريّة في الهياكل الذرّية، ويعرّف نفسه عليها ويُريها صنعه ويعرّفها معرّفيه في حال نورانيّتها وصفائها، ليهلك من هلك عن بصيرةٍ تامّةٍ ويحيى من حيّ كذلك! ويكون المبدء الروحي الإنساني على ما يقتضيه منتهاه ومرجعه ويتّحد المبدء والغاية بأن يكون من الله وإلى الله. ولولا ذلك العالم واكتساب الأفراد البشريّة المعارف الإلهيّة في سابق يومها على حال نورانيّتها وروحانيّتها، وتحصيل المعرفة في عالم الصفاء والنورانيّة والتجرّد لم يدر أحدٌ مَن ربّه وخالقُه! ولم يعرفه أحدٌ بأوصافه الجلاليّة والجماليّة والإكراميّة.

[ذكر تسعة أحاديث مسندة في هذا المعنى]

وأُشير إلى هذا المعنى في تسعة أحاديث مسندة وهي:

١. ما في تفسير فرات بن إبراهيم وبصائر الدرجات عن أبي عبدالله عليه السلام: «أخرج الله من ظَهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ فعرّفهم نفسه وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه!...» الحديث.

٢. وفي الكافي والتوحيد للشيخ الثقة الصدوق رحمه الله: عن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه

السلام: «أخرج من ظَهر آدم ذرّيّته إلى القيامة، فخرجوا كالذّر فعرّفهم وأراهم نفسه (صنعه في التوحيد)، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه».

٣. وفي العلل: عن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «لولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ولا من رازقه».

٤. وفي تفسير عليّ بن ابراهيم: عن أبي عبدالله عليه السلام: «لولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ورازقه».

٥. وعن أبي محمّدٍ العسكريّ عليه السلام في حديثٍ: «ثبتوا المعرفة وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ومن رازقه».

٦. وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «ثبت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف ويذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدر أحدٌ من خالقه ورازقه».

٧. وعن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «ولولا ذلك لم يعلموا إذا سألوا من ربّهم ومن رازقهم».

٨. وعنه عليه السلام: «لولا ذلك لم يعلموا مَن ربّهم ولا من رازقهم».

٩. وعن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام: «وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحدٌ خالقه ولا رازقه...» الحديث.

وسنذكر هذه الأحاديث مسنداً كمّلا في محلّها إن شاء الله تعالى.[١]

فبالجمله: إنّ معرفة الإنسان ربّه وخالقه ورازقه موقوفٌ لتجلّي الربّ عليه وإرائة صنعه ونفسه بمظهرٍ مثالي إليه. وذلك لا يحصل في هذا العالم السفلى لعدم إمكان رؤيته تعالى ودرك تجلّيه بالحواسّ الظاهريّة البشريّة والمشاعر النفسانيّة المُلكيّة[٢]، بل يُدرك المظاهرُ

---

١. انظر ما سيأتي في ص ١٩٦ من الكتاب ذيل عنوان (الأدلة النقلية من الكتاب والسنة).

٢. قال المؤلف قدّس سرّه: إعلم أنّ رؤية الله تعالى إنّما يُتصوَّر على أقسام أربعة؛ والنفي والإثبات الوارد في أخبار أهل بيت العلم والحكمة عليهم السلام كلّ منهما ناظرٌ إلى قسمٍ واحدٍ منها.

الأوّل: أن يراد بها رؤية ذاته الأحديّة بهذه الباصرة الدائرة ودركه بالحواسّ الظاهرة العنصريّة أو بعين النفس.

فلا شبهة لذي بضاعة دينيّة في أنّ ذلك من الممتنعات في جميع العوالم المُلكية والملكوتيّة في الدنيا والآخرة!

←

← وذلك لأنّ الإحساس بالشيء حالة وضعيّة للجوهر الحسّاس بالقياس إلى المحسوس الوضعي، ففرض ما لا وضع له ولا جهة محسوساً كفرض ما لا جهة له في جهة أو ما لا وضع له ذا وضع؛ وهذا فرض أمرين متناقضين؛ فالمفروض محال.

ويُستفاد هذا المعنى عن مكتوبة أحمد بن إسحاق رواها الكليني رحمه الله في «الكافي» والصدوق رحمه الله في «التوحيد» مسنداً قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه النّاس، فكتب عليه السلام: لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواءٌ ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصحّ الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه! لأنّ الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه، وكان فى ذلك التشبيه لأنّ الأسباب لابدّ من اتّصالها بالمسبَّبات.

(راجع الكافي: ٩٧/١ ح ٤، التوحيد: ص ١٠٩ ح ٧، وعن التوحيد في البحار: ٣٤/٤ ح ١٣).

وهذا القسم من الرؤية هو المراد في الأخبار المنافية للرؤية، كمكتوبة محمد بن عبيد المرويّة في الكافي والتوحيد مسنداً، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن الرؤية وما ترويه العامّة والخاصّة، وسألته أن يشرح لي ذلك، فكتب عليه السلام بخطّه: اتّفق الجميع لا تمانع بينهم أنّ المعرفة من جهة الرؤية ضرورة، فإذا جاز أن يُرى الله عزّوجلّ بالعين وقعت المعرفة ضرورة! ثمّ لم تخلُ تلك المعرفة من أن تكون إيماناً أو ليست بإيمان؛ فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيماناً فالمعرفة التي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان لأنّها ضدّه، فلا يكون في الدنيا أحدٌ موناً! لأنّهم لم يروا الله عزّ ذكره، وإنْ لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيماناً لم تخل هذه المعرفة التي هي من جهة الاكتساب أن تزول أو لا تزول في المعاد! فهذا دليلٌ على أن الله عزّوجلّ لا يُرى بالعين إذ العين تؤدّي إلى ما وصفناه. (الكافي ج ١ ص ٩٦ ح ٣ + التوحيد ص ١٠٩ ح ٨).

وكمكتوبة يعقوب بن إسحاق المرويّة في الكتابين الكافي والتوحيد، قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟!

فوقّع عليه السلام: يا أبا يوسف! جلّ سيّدي ومولاي والمنعم عَلَيّ وعلى آبائي أنْ يُرى!

قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله ربّه؟

فوقّع عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسولَه بقلبه من نور عظمته ما أَحَبّ! (الكافي: ج ١ بابٌ في إبطال الرؤية ص ٩٥ ح ١، التوحيد: ١٠٨ ح ٢ وعنه في البحار: ٤٣/٤ ح ٢١).

الثاني: أنْ يُرادَ بها رؤيته جلّ ذكره بعين القلب والبصيرة الباطنة والحواسّ الروحيّة القلبيّة بحقائق الإيمان لا بجوارح الأبدان!

فهي بمعناها أمرٌ جائزٌ في العالَمين (الدنيا والآخرة)، لكن وقوعها يختصّ بخلفاء الله تعالى من الأنبياء والأوصياء ←

→ صلوات الله عليهم والعلماء الراسخين المقتبسين من أنوار علومهم!

وقد أشير إلى هذا القسم من الرؤية في غير واحدٍ من الأخبار، منها: ما في الكافي والتوحيد مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: جاء حبرٌ إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين! هل رأيتَ ربّك حين عبدته؟

فقال: ويلك! ما كنت أعبد ربّاً لم أره!

قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك! لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان!

(الكافي: ١/ ٩٧ ح ٦، البحار: ٤/ ٤٤ ح ٢٣ عن التوحيد).

ويُستفاد من هذه الرواية الشريفة: أنَّ حقّ العبودة أنْ يكون مع الرؤية القلبيّة الحاصلة بحقائق الإيمان!

وفي التوحيد بإسناده عن مرازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله ربّه عزّوجلّ بقلبه! (التوحيد ص ١١٦ وعنه في البحار: ٤/ ٤٣ ح ١٩).

وفي الكتاب مسنداً قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: هل رأى رسول الله ربّه عزّوجلّ؟ فقال: نعم، بقلبه رآه! أما سمعت الله عزّوجلّ يقول: (ما كَذَبَ الفُؤادُ ما رَأىٰ) أي: لم يَرَه بالبصر ولكن رآه بالفؤاد. (التوحيد: ١١٦ ذيل ح ١٩، والآية في سورة النجم: ١١).

وفي الكافي بإسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبيه، قال: حَضَرتُ أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجلٌ من الخوارج، فقال له: يا أبا جعفر! أيّ شيءٍ تعبد؟! قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: «بَل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان...» الحديث. (الكافي: ١/ ٩٧ ح ٥ وعنه في البحار: ٤/ ٢٦ ح ١، التوحيد ص ١٠٨ ح ٥).

الثالث: أنْ يُراد بها رؤيته بمظهرٍ من مظاهر صفاته بهذا البصر الجسماني، سواء علم مظهريّة ذلك الشيء أم لم يُعلم!

فهذا أمرٌ جائزٌ واقعٌ في العوالم كلّها بلا اختصاصٍ بعالمٍ دون عالمٍ ولا انحصارٍ في وقوعها لشخصٍ دون شخصٍ، بل هي واقعةٌ لكلّ فردٍ من أفراد البشر! وهذا هو المعنيُّ في كلام الإمام حسين بن علي عليهما السلام في دعاء يوم عرفة: «عَمِيَت عينٌ لا تراك»! وفي دعائه عليه السلام: «أنت الذي تعرّفت إليّ في كلّ شيءٍ، فرأيتك ظاهراً في كلّ شيءٍ وأنت الظاهرُ لكلّ شيءٍ».

وفيما رُوِيَ عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله فيه»! [البحار: ٢٧/ ٩٨، الميزان: ٨/ ٢٦٣] وقد استقصينا الكلام في هذا الموضوع في أوّل المطلب الثاني فراجع.

الرابع: أنْ يُرادَ بها رؤية مظهر مثاليّ لله تعالى بعين القلب والبصر الأمري الملكوتي. ولا ينفكّ هذه الرؤية من العلم بكون المظهر مثالاً له جلّ ذكره.

فهذا ممّا لا يمكن وقوعه من البعد في الدنيا! وأمّا ما رُويَ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وعن غيره من الهياكل القدسيّة والخلفاء الإلهيّة من رؤيتهم الربّ في هذه النشأة بهذا المعنى من الرؤية وأنّهم رؤوا ربّهم في صورة كذا

←

← وكذا. فذلك إنّما هو لظهور سلطان الآخرة وتجرّد الروح عن الدنيا وما فيها وخلوص حواسّها عن الحجب والأغشية البشريّة بالقوى الملكوتيّة الروحانيّة كما لا يخفى!

فما رواه الشيخ الثقة الجليل أبوالقاسم بن قولويه في باب إحدى وعشرين من «كامل الزيارات» عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن محمّد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن محمّد بن سنان، عن أبي سعيد القمّاط، عن ابن أبي يَعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: بينما رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم في منزل فاطمة (عليهما السلام) والحسينُ عليه السلام في حجره اذْ بكى وخرَّ ساجداً، ثمّ قال: يا فاطمة! يا بنت محمّد! إنَّ العليّ الأعلى تَرائى لي في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورةٍ وأهيأ هيئةٍ، وقال لي: يا محمّد! أتحبّ الحسين؟

فقلت: نعم! قُرَّةَ عَيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجِلْدَةُ ما بَينَ عَينَيَّ!

فقال لي: يا محمّد! ـ ووضع يَدَهُ على رأس الحسين عليه السلام ـ بورِك مِن مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني! ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونَكالي على من قتله وناصَبَهُ وناواهُ ونازَعَهُ، أما إنّه سيّد الشهداء من الأوّلين والآخرينَ في الدنيا والآخرة... الحديث. [كامل الزيارات: الباب ٢١ ص ٦٦ ح ١، وعنه المجلسي في البحار: ٢٣٨/٤٤ ح].

وأمثال ذلك من الأخبار الكثيرة الشريفة خاليةٌ عن وصمة الإشكال، ولا ينبغي ردّها بظاهرها كما هو دأب جمعٍ من أبناء عصرنا من عُصبةٍ انتحلوا العلم وأشخصوا أنفسهم على غير استحقاقٍ في سادة الفضل، الذين لا يقبلون ما لا تصل إليه عقولهم الكاسدة، ويردّون ما لا يفهمون من طرائف الأخبار ونفائسها! ولا يُرى منهم إلاّ التجاسر على كتاب الله وسنن أوصيائه عليهم السلام لقصور باعهم في علم الحديث وضعف قواهم في هذا المضمار! رزقنا الله وإيّاهم عقلاً كاملاً ولُبّاً راجحاً، وأعاذنا من شرور أنفسنا!

فمتن الحديث المذكور له معنى حَسَن وتوجيهٌ وجيه؛ نَعَم! سنده ضعيفٌ مطعونٌ كما لا يخفى لأرباب الفنّ!

ثمّ إنَّ المراد من «المظهر المثالي» ليس ما يساويه تعالى في النوع، وانّ المثال غير المثل كما لا يخفى، بل المراد منه هو مظهر الحقيقة المقدّسة، أعني: الذي من شاهده وعرفه بحقيقته وشؤونه فكأنّما رأت ذاته الأحديّة المجرّدة عن الأشباه والأمثلة المنزّة عن الشكل والصورة العارية عن المهيّة لأجلِ رابطةٍ وجوديّةٍ بينها.

ومعلومٌ أنَّ المظاهر المثاليّة متفاضلةٌ. فرُبَّ مثالٍ بالنسبة إلى مثالٍ آخر كالحقيقة بالنسبة إلى المثال؛ فالرؤية المثاليّة تتفاضل وتتفاوت على اختلاف المراتب وحسب القرب والبعد منه تعالى.

هذا إجمال الكلام في المقام ولا يقتضي أزيد من هذا؛ ويفيدك في الباب فوائد جمّة ما رواه شيخنا الثقة الصدوق ابن بابويه رحمه الله في التوحيد والعيون بإسناده معنعناً عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعليّ بن موسى الرضا عليهما السلام: يابن رسول الله! ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث: «إنّ المؤمنين يزورون ربّهم في منازلهم في الجنّة»؟

←

المثاليّةُ الإلهيّة بالحواسّ الروحيّة ويُرى بالمشاعر الباطنيّة. وذلك لا يكون إلّا في عالم الملكوت الأعلى لدى تجرّد الروح وصفائها ونورانيّتها.

وإلى رؤية الإنسان ربّه بالمعنى المذكور في الخلق الأوّل أُشير فيما رواه شيخنا الصدوق رحمه الله في «التوحيد» بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له:

← فقال عليه السلام: يا أبا الصلت! إنّ الله تعالى فضّل نبيّه محمّداً صلّى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيّين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومبايعته مبايعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته،فقال عزّوجلّ: (مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أطاعَ الله) وقال: (إنَّ الذينَ يُبايِعونَك إنَّما يُبايِعونَ الله يَدُ الله فَوقَ أيديهِم) وقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «من زارني في حياتي وبعد موتي فقد زار الله، ودرجة النبي صلّى الله عليه وآله في الجنّة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنّة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى!

قال: فقلت له: يابنَ رسول الله! فما معنى الخبر الذي رووه أنّ ثواب لا إله إلاّ الله النَّظَرَ إلى وجه الله؟

فقال عليه السلام: يا أبا الصلت! مَن وَصَفَ الله بوجهٍ كالوجوه فقد كفر، ولكن وجه الله أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم، هم الذين بهم يُتَوَجَّهُ إلى الله عزّوجلّ وإلى دينه ومعرفته! وقد قال الله: (كُلُّ مَنْ عَلَيها فان ويَبقى وجهُ ربِّك ذو الجَلالِ والإكرامِ) وقال عزّوجلّ: (كُلُّ شيءٍ هالِكٌ إلاّ وَجهَهُ)؛ فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثوابٌ عظيمٌ للمؤمنين يوم القيامة. وقد قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «مَن أبغَضَ أهلَ بيتي وعترتي لَمْ يَرَني ولَم أرَهُ يوم القيامة». وقال صلّى‌الله عليه وآله وسلّم: «إنَّ فيكم من لا يراني بعد أنْ يفارقني».

يا أبا الصلت! إنّ الله تبارك وتعالى لا يُوصف بمكانٍ ولا يدركه الأبصار والأوهام...» الحديث.

[التوحيد: ص ١١٧ ح ٢١، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ١١٥، الأمالي للصدوق: ص ٤٦٠، وعن هذه الثلاثة في البحار: ٣١/٤ ح ٦].

فيظهر على المتأمّل فيما ذُكرَ معنى قوله تعالى: (وُجُوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ). (سورة القيامة: ٢٢ و٢٣).

استرواحٌ بتشطير شيخنا الفقيه الوجيه عبدالحسين التسترى الكاظمي شارح الكفاية أبيات مولانا الجليل الصدر العاملي رضوان الله تعالى عليهما:

(عَليٌّ بِشَطرِ صِفاتِ الإلهِ ... خُصِّصْتَ وَغيري يَرَى الْكُلَّ لَك

فَتَسييرُك الفُلك مِمّا بِهِ ... (حُبيتَ وَفيك يَدُورُ الفَلَك)

(ولَمّا أرادَ الإلهُ المِثالَ) ... لِقُدسي أوصافِهِ شَكَّلَك

ولَمّا قَضى أنْ تَكونَ الدَّليلَ ... (لِنَفي المَثيلِ لَهُ مَثَّلَك)

(ولَولا الْغُلُوُّ لَكُنتُ أقُولُ) ... ولكِنَّ مَنْ قالَ قَبلي هَلَك

بِأنَّك أنتَ الإلهُ الذي

(جَميعُ صِفاتِ المُهَيمنِ لَك)

(منه رحمه الله تعالى)

أخبرني عن الله عزّوجلّ، هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟

قال: نعم، وقد رأوه قبلَ يوم القيامة!

فقلت: متى؟

قال عليه السلام: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾! ثمّ سكت ساعةً، ثمّ قال: وإنّ المؤمنين لَيَرونَهُ في الدنيا قبل يوم القيامة، أَلَستَ تَراهُ في وقتك هذا؟!

قال أبوبصير: فقلت له: جُعِلتُ فداك! فأحَدِّثُ بهذا عنك؟

فقال: لا، فإنّك إذا حَدَّثتَ به فأنكره منكرٌ جاهلٌ بمعنى ما تقوله، ثمّ قَدّرَ أنَّ ذلك تشبيهٌ كَفَرَ! وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون الملحدون»[1].

فإجمال هذا التفصيل: إنّ [الله] تبارك وتعالى خلق الخلق لكي يُعرَف، والمعرفة التي هي مقتضى الخلقة لا تحصل إلّا بتجلّيه وإرائته تعالى نفسه بمظهر مثاليّ عليهم وتعريفه نفسه بخطابه؛ وذلك لا يمكن إلّا في حال نورانيّة الأرواح البشريّة وتجرّدها عن الأغشية الظلمانيّة، فيلزم بالضرورة وجود عالم تعريفٍ قبل هذا العالم المُلكي، ولولاه لم يعرف أحدٌ من ربّه ولا من رازقه!

فما ترى أنت من المعارف والعلوم الإلهيّة إنّما هو من بركات المعرفة الحاصلة في الخلق الأوّل المثبتة على القلوب في عالم الأظلّة المُشار إلى ثبتها مضافاً إلى ما مرّ من الأخبار فيما رُويَ عن باقر أهل البيت وصادقهم عليهم السلام في أخبارهم بقولهما: «فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه يوماً»[2].

وفي حديثٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «وأثبت في قلوبهم المعرفة الحاصلة في الخلق الأوّل المثبتة على القلوب هي أصل المعرفة والفطرة التي خُلِقَ الناس عليها. وهي من صنع الله تعالى وليس للعباد فيها صنعٌ»[3]. وهي المعرفة الضروريّة الفطريّة المَعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[4].

---

١. التوحيد: ١١٧ ح ٢٠، وبهامشه: «كفر» فعل ماض جواب إذا.

٢. تقدم في ص ١٣٩ برقم ٦ عن مولانا الصادق عليه السلام.

٣. في حديث عن مولانا الصادق عليه السلام كما في الكافي: ١٦٣/١.

٤. لقمان: ٢٥، والزمر: ٣٨.

وما تشاهد أنت من الإقرار والتوحيد والإسلام في هذه النشأة الحاضرة إنما هو من آثار تلك المعرفة الكسبيّة الحاصلة في العرض الأوّل المكتوبة على الأرواح البشريّة وتبعات الفطرة الإلهيّة التي فطر الناس عليها. وما تُعاينُ أنت من التشكّلات المختلفة والتلوّثات المتباينة بين الأفراد البشريّة إنما هو ظهور تلك الصفة الأصليّة الميثاقيّة في هذه النشأة باختيارٍ منهم؛ فمنهم مؤمنٌ وسعيدٌ لا يَشُذُّ منهم شاذٌ ولا يدخل فيهم داخلٌ! ﴿أولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾[1]، فالله أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها؛ ومنهم كافرٌ وشقيٌّ ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل في يوم الميثاق! لا يكون هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء! كما ورد في الأحاديث الشريفة.[2]

فالميثاق المثبت على القلوب والعهد المكتوب عليها إنما هو كالبذور والحبوب المنثورة في أرض القلب في هذه النشأة الدنيويّة التي هي مزرعة الآخرة، وهذه النشأة الحاضرة والحياة الدنيويّة إنما هي لتربيتها وإنباتها وبُدُوِّ صلاحها وفسادها؛ فبذر الإيمان يُنبتُ بمرور الأيّام وينمو يوماً فيوماً بسقي أرض القلب بالطاعات والحسنات، وتطهيرها من المعاصي وتهذيبها عن الأخلاق الذميمة، وتنقيتها عن الأرجاس النفسانيّة، كتقليب الأرض وتنقيتها من الأحجار والشُّوك والحشيش والنباتات الخبيثة المانعة عن نبات البذر والمفسدة للزرع إلى أن ياتي عليه يوم حصاده. وهو كشجرةٍ طيّبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء تُؤتي أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها، فالله أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويقيناً مع يقينهم![3]

وكذلك حبّة الجحود وبذر الكفر المزروع في قلوب أهلها، فإنّه ينمو في هذه النشأة بمرور الأيّام ويُنبت يوماً بعد يومٍ بسقي أرضه بمعاصي والسيّئات وتكثر أصوله حيناً بعد حينٍ، وتزيد فروعه بتوارد الأرياح النفوس الأرضيّة حتّى تصير صفحة القلب في غطاءٍ منه ويستولي خبثه ورينه عليه، فيأتي عليه حصاده. وهو كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ من فوق

---

١. المجادلة: ٢٢.

٢. انظر ما سيأتي من روايات ذيل عنوان «روايات أخرى في الخلق الأول والميثاق المأخوذ على الإنسان» في ص ١٨٦ من الكتاب.

٣. اشارة إلى الآيتين ٢٤ و٢٥ من سورة إبراهيم عليه السلام، والآية ٣ من سورة الفتح.

الأرض، إنّها شجرةٌ تخرج في أصل الجحيم طَلْعُها كأنّه رؤوس الشياطين، فإنّهم لآكـلونَ منها فَمالئونَ منها البُطونَ! ثمّ إنّ لهم عليها لَشَوباً مِن حَميمٍ، ثمّ إنّ مَرجِعَهم لإلى الجحيم![1]

وسيأتي تحقيق هذا التفصيل في محلّه إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أنّ تطابق ما يختاره الإنسان من السعادة والشقاوة، وباختياره التامّ في هذه النشأة الحاضرة وقدومه إلى الله على مختاره مع ما اختاره في التكليف الأوّل لا ينافي الاختيار.

واتّحاد أمر الملكّف في عالمي التكليف الأوّلي الذرّي والثانويّ الشهوديّ لا يوجب سلب الاختيار عنه ولا يستدعي شيئاً من الجبر أصلاً!

واستكشاف مختاره من الإيمان وعدمه في الخلق الأوّل بعاقبة أمره وآخر مختاره من الأمرين في هذه النشأة الموجودة لا يثبت الجبر وعدم الاختيار في أحدٍ من العالَمَينْ!

هذا! ثمّ لِيُعلَم أنّه لولا ذلك الخلق الأوّل وتجلّي الربّ على ذرّات الهويّات والأرواح البشريّة المستخرجة من ظَهْرِ أبيهم وإسماعهم خطابه وابتلاهم بأمره واختبار افراد البشر قبل ورودهم إلى الدنيا بالتوحيد والولاية، وأخذ العهد والميثاق على الأرواح الملكوتيّة الإنسانيّة المجرّدة عن الكثافة الجسمانيّة المُلكيّة قبل هبوطها على هذا العالم الجسمي وانكدارها بظلمة الأجزاء العنصريّة ولوثها بالأرجاس السفليّة، لم يبق وجهٌ وجيهٌ لتشريف المعرّفين بين الناس للخلافة الإلهيّة واستحقاقهم للولاية الحقّه على من دونهم وترجيحهم على غيرهم! وكذلك يبقى تفضيل بعض خلفاء الله تعالى على بعضٍ في الرتبة في هذه النشأة الحاضرة بلا وجهٍ وجيهٍ! ولا يوجب أفضليّة بعض الأنبياء والأوصياء في منصبه على بعض الشرافة والافتخار.

توضيح المراد:

إنّ الله تبارك وتعالى اختار بني آدم وأكرمهم على غيرهم بالصور الحسنة والهيئآت الجميلة والنعم الخاصّة، وفضّلهم على سائر بريّته بتسليطهم على غيرهم وتسخير ما في السماوات

---

١. اشارة إلى الآية ٢٦ من سورة إبراهيم عليه السلام والآية ٦٤ إلى ٦٨ من سورة الصافّات.

والأرض لهم، وبعث الرسل إليهم، وجعلهم حاكماً على كثيرٍ ممّن خَلَق، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَرَزَقناهُمْ مِنَ الَّطيِّبَاتِ وَفَضَّلنَاهُمْ عَلَى كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفضِيلاً﴾[1]. واصطفى زمرةً من أفراد البشر وجعلهم مظاهراً لحقيقة ربوبيّته وحججاً على بريّته وخلفاء في أرضه وأُمناء على عباده وأدلاء في بلاده وكلمةً لقدرته ودُعاةً لكلمته وحَفَظَةً لسرّه وعلاماتاً لنفسه وسِماتاً لذاته ومظاهراً لصفاته، وقال تعالى: ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحَاً وَآلَ إبرَاهِيمَ وَآلَ عِمرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾[2]، وقال: ﴿يَا مُوسَىٰ إنّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِي ...﴾ الآية[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإنَّهُ فِي الآخرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[4]

ثمّ فضّل بعض خلفائه على بعضٍ، وجعل بينهم مراتب بإطلاق منصب الولاية وتقييدِه، والتقييد على مراتبه، وقال تعالى: ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعضَهُمْ عَلَىٰ بَعضٍ مِنهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعضَهُمْ دَرَجَاتٍ ...﴾[5]. وعنى من البعض محمّداً صلّى الله عليه وآله، فإنّه فضّله على جميع الأنبياء.

ولاريب أنّ فضل الأنبياء على سائر أفراد البشر إنما هو لقابليّتهم وأولويّتهم على غيرهم بالطاعة والمعرفة، وليس مجرّد اصطفاءٍ بلا جهةٍ.

وكذلك تفضيل بعض الأنبياء والأوصياء على بعضهم واختلاف مراتبهم ودرجاتهم إنما هو على حسب اختلاف مزاياهم النفسيّة وفضائلهم الكسبيّة وتفاوت درجاتهم في الصفات القدسيّة وقربهم من الحضرة الإلهيّة بحسب الطاعة والانقياد، وإلّا فالإنسان متماثل الذات، متجانس الصورة والهيئة، متّحد الأصل والمادّة والنسب، لا تفاضل بين أفراد البشر، ولا مزيّة ولا شرافةَ لواحدهم على الآخر، النسب واحدٌ من آدم وحوّاء، وهم وُلد آدم، خُلقُوا من ترابٍ، وليس [لأحدٍ من] قبضتي التراب فضيلة على الآخر!

---

١. سورة الإسراء (بني اسرائيل): ٧٠.

٢. آل عمران: ٣٣.

٣. سورة الأعراف: ١٤٤.

٤. سورة البقرة: ١٣٠.

٥. سورة البقرة: ٢٥٣.

ألا ترى ما رواه الطبرسيُّ في الاحتجاج (صحيفة ١٨٥) من حديثٍ طويلٍ عن أبي عبدالله عليه السلام أجاب به عن مسائل كثيرةٍ سألها رجلٌ زنديقٌ، «قال الرجل: فما بال وُلد آدم فيهم شريفٌ ووضيعٌ؟

فقال عليه السلام: الشريف المُطيع، والوضيع الْعاصي!

قال: أليس فيهم فاضلٌ ومفضولٌ؟

قال عليه السلام: إنما يتفاضلون بالتقوى.

قال: فتقول أن وُلد آدم كلّهم سواءٌ في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى؟!

قال: نعم، إنّي وجدت أصل الخلق التُّراب، والأب آدم والأمّ حوّاء، خَلَقَهُم إلهٌ واحدٌ، وهم عبيده، إنّ الله عزّوجلّ اختار من وُلدِ آدم أناساً طهّر ميلادهم، وطيّب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فَهُم أزكى فروع آدم. ما فعل ذلك إلا لأمرٍ استحقّوه من الله عزّوجلّ، ولكن عَلِم الله منهم حين ذرأهم أنّهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً. فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده. وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواءٌ إلّا من اتّقى الله أكرمه، ومن أطاعه أحبّه، ومن أحبّه لم يعذّبه بالنار...» الحديث.[1]

وفي حديثٍ رواه الكلينيُّ رحمه الله بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام: قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: «يا معشرَ قريش! إنّ حسب الرجل دينه، ومروءته خُلقه، وأصله عقله، قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثىٰ وَجَعَلنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَيٰكُمْ﴾[2].

ثمّ قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله لسلمان: يا سلمان! ليس لأحدٍ من هؤلاء عليك فضلٌ إلّا بتقوى الله عزّوجلّ، وإن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل»[3].

---

١. الاحتجاج: ٢/ ٧٧ (ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هو من طبع القديم الحجري)، بحار الأنوار: ١٠/ ١٩٤.

٢. الحجرات: ١٣.

٣. الكافي (الروضة): ٨/ ١٨١ ح ٢٠٣، رجال الكشي: ص ١٤، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٨١ (عن الكافي والكشي ←

وروى الصدوق رحمه الله بإسناده عن أبي عبدالله محمّد بن موسى بن نصر الرازي، قال: سمعت أبي يقول: «قال رجلٌ للرّضا عليه السلام: والله! ما على وجه الأرض رجلٌ أشرف منك آباءاً!

فقال عليه السلام: التقوى شرّفهم، وطاعةُ الله أحاطتهم.

فقال له آخر: أنت والله خير الناس!

فقال عليه السلام له: لا تحلُف يا هذا! خيرٌ منّي من كان أتقى لله تعالى وأطوع له. والله ما نُسِخَت هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أتْقَيٰكُمْ﴾ ...» الحديث.[1]

ويفيدك في المقام فوائد جمّة ما في «الكافي» بإسناده عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«قلت له: إنّ للإيمان درجاتٌ ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله؟ قال: نعم. قلت: صِفهُ لي رحمك الله حتّى أفهمه!

قال: إنّ الله سبق بين المؤمنين كما يُسبق بين الخيل يوم الرهان، ثمّ فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كلّ امرىءٍ منهم على درجة سبقه، لا ينقصه فيها من حقّه، ولا يتقدّم

← وأمالي المفيد).

و هذا لفظ الكافي:

علي بن ابراهيم، عن عبدالله بن محمّد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، عن حنان، قال: سمعت أبي يروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد فأقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتّى بلغوا سلمان، فقال له عمر بن الخطّاب: أخبرني من أنت ومن أبوك وما أصلك؟!

فقال: أنا سلمان بن عبدالله! كنت ضالاً فهداني الله عزّوجلّ بمحمّد صلّى الله عليه وآله وكنت عائلاً فأغناني الله بمحمّد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمّد، هذا نسبي وهذا حسبي!

قال: فخرج رسول الله وسلمان رضي الله عنه يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء! جلست معهم...

الحَسَب: الشرافة، ويُطلَقُ غالباً على الشرافة الحاصلة من جهة الآباء.

المروءة مهموزة: الإنسانيّة، مشتقّة من «المرء» وقد تخفّفت بالقلب والادغام «المُرَّة». (مرآة العقول: ٢٦ / ٧١).

١. الآية في سورة الحجرات: ١٣. والحديث رواه الصدوق في عيون الأخبار: ١ / ٢٦١ ح ١٠، ورواه عنه المجلسيُّ في البحار: ٤٦ / ١٧٧ و ٩٣ / ٢٢٤.

مسبوقٌ سابقاً ولا مفضولٌ فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأُمّـة أواخـرها؛ ولو لم يكـن للسابق إلى الإيمان فضلٌ على المسبوق إذاً للحقَ آخِرُ هذه الأمّة أوّلها!

نعم، ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على مـن أبـطأ عـنه، ولكـن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين، وبالإبطاء عن الإيمان أخّر الله المقصّرين! لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأوّلين وأكثرهم صلوةً وصوماً وجهاداً وزكوةً وحجّاً وإنفاقاً! ولو لم يكن سوابق يُفضّل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدَّمين على الأوّلينَ، ولكن أبى الله عزّوجلّ أن يدرك آخر درجات الإيـمان أوّلها ويقدّم فيها من أخرّ الله، ويؤخّر فيها من قدّم الله!

قال: قلت: أخبرني عمّا ندب الله عزّوجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان!

فقال: قول الله عزّوجلّ: ﴿سَابِقُوا إِلىٰ مَغفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَـعَرضِ السَّـمَاءِ وَالأرضِ أُعِدَّتْ لِلَّذينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ (الحديد: ٢١)، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السّابِقُونَ أولئِكَ المُـقَرَّبُونَ﴾ (الواقـعة: ١٠ـ١١)، وقـال: ﴿وَالسّـابِقُونَ الأوّلُـونَ مِـنَ المُـهاجِرِينَ وَالأنْصَارَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإحْسانٍ رَضيَ اللهُ عَنهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التـوبة: ١٠٠). فـبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم، ثمّ ثنّى بالأنصار، ثمّ ثلّث بالتابعين لهم بـإحسان، فوضع كلّ قومٍ على قدر درجاتهم ومنازلهم عنده، ثمّ ذكر ما فضّل الله عزّ وجلّ به أولياءه بعضهم على بعضٍ، فقال عزّوجلّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعضَهُمْ عَلىٰ بَعضٍ مِنهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ ورَفَعَ بَعضَهُم دَرَجاتٍ ...﴾ إلى آخر الآية (البقرة: ٢٥٣)، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعضَ النَّبِيّينَ عَلىٰ بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٥٥)، وقال: ﴿أنظُرْ كَيفَ فَضَّلْنَا بَعضَهُمْ عَلىٰ بَعضٍ ولَلآخِرَةُ أكـبَرُ دَرَجاتٍ وَأكبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٢١)، وقال: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ﴾ (آل عمران: ١٦٣)، وقال: ﴿يُؤتِ كُلَّ ذِي فَضلٍ فَضلَهُ﴾ (هود: ٣)، وقال: ﴿الَّذينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبيلِ اللهِ بِأمْوَالِهِمْ وَأنفُسِهِمْ أعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ﴾ (التـوبة: ٢٢)، وقـال: ﴿وَفَـضَّلَ اللهُ المُجاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٌ مِنْهُ وَمَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ﴾ (النساء: ٩٥ و٩٦)، وقال: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أولئِكَ أعظَمُ دَرَجَةً مِـنَ الَّـذِينَ

أنفقوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ (الحديد: ١٠)، وقال: ﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٌ﴾ (المجادلة: ١١)، وقال: ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَؤُونَ مَوطِئاً يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدوٍّ نَيْلاً إلّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إنَّ اللهَ لا يَضِيعُ أجْرَ المُحسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠)، وقال: ﴿وَمَا تُقَدِّموا لأنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ (البقرة: ١١٠ والمزمل: ٢٠)، وقال: ﴿فَمَنْ يَعمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرَاً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ (الزلزال: ٧ و٨)؛ فهذا ذكر درجات الإيمان ومنازله عند الله عزّ وجلّ».[١]

ويومي إلى المراد قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلىٰ بَعضٍ﴾.[٢]

فإنّ ذكر إحاطة علمه تعالى لحقائق المخلوقات العُلويّة والسفليّة واطّلاعه على مهيّاتهم وبيان التفضيل بين الأنبياء بعده يومي إلى أنّ اختلاف مراتبهم وتفضيل بعضهم على بعضٍ إنما اقتضاه اختلاف استعداداتهم النفسيّة وقربهم الباطني، وليس مجرّد اختيارٍ وتفضيلٍ على مقتضى المصالح الكونيّة. ويُنبئك عن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ في الدُّنيا وَإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحينَ إذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينِ﴾![٣]

فإنّ ذكر وقت اصطفائه تعالى واختياره إبراهيم عليه السلام بعد الإخبار عنه يرشد إلى أنّ سببه ومقتضيه هو كونه سلماً لله تعالى.

وعليك في المقام بما رُوىَ عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الله اتّخذ محمّداً عبداً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ عليّاً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عزّ وجلّ فنصحه، وأحبّ الله عزّ وجلّ فأحبّه...» الحديث.[٤]

---

١. الكافي: ٢/٤٠ـ ٤٢، وعنه في بحار الأنوار: ٣٠٨/٢٢ ح ٩.

٢. الاسراء: ٥٥.

٣. البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١.

٤. الكافي: ١٤٦/٨ ح ١٢٣، تفسير العياشي: ٤٨/٢ ح ١٩ وعنه في بحار الأنوار: ٢١١/٩٣، ورواه القاضي نعمان المغربي في كتاب شرح الأخبار: ١٢/٣ ح ٩٤٠ بهذا اللفظ: إنّ الله عزّوجلّ اتخذ محمداً عبداً قبل أن يتخذه رسولاً، وكان علي أحبّ الله، فأحبّه الله، ونصح لله فنصح الله له... الحديث.

وسنقرأ بُعَيدَ هذا من الأحاديث ما يفيد في المقام، ويثبت المدّعى عَدُّ اختلافهم في درجات منصبهم فضلاً وفضيلةً لهم.

[مدار التفضيل والتفاضل عند الله]

بيان ذلك: إنّ الاصطفاء والتفضيل الإلهي في مورده لا يخلو من وجهين:

الأوّل: [أن] يكون مجرّد اختيارٍ وتفضيلٍ من الله تعالى للمصالح والحِكَم الكونيّة من دون مزيّةٍ في ذات الفاضل، فإنّه تعالى وإن لا يُسأل عن فعله لكن هذا القسم من اختيار الله و تفضيله لا يُعدّ فضيلةً لذات الفاضل، ولا يُرى بذلك للمختار مزيّةٌ، ولا يوجب الشرافة، ولا يستدعي مزيد حسبٍ لواجده على فاقده، ولا ينبغي لواجده التفاخر على غيره! وأكثر التفضيلات الكونيّة إنما هو من هذا القبيل، كفضل الصحيح على السقيم، والأعمى على البصير، والسميع على الأصمّ، والناطق على الأخرس، والغنيّ على الفقير، وأمثال ذلك ممّا فضّل الله به بعض الناس على بعضٍ لمصالح كونيّةٍ وقال: ﴿أنْظُرْ كَيفَ فَضَّلْنَا بَعضَهُمْ عَلىٰ بَعضٍ﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾.[2]

ويرشدك إلى ما ذُكِرَ ما في سورة الفجر من قوله تعالى (١٥ إلى ١٧) وما أفاده الطبرسيُّ رحمه الله في تفسيره، وأذكرهما معاً، قال:

«﴿فَأمّا الإنْسَانُ إذَا مَا ابْتَلَيهُ رَبُّهُ﴾ أي: اختبره وامتحنه بالنعمة ﴿فَأكْرَمَهُ﴾ بالمال ﴿ونَعَّمَهُ﴾ بما وسع عليه من أنواع الإفضال ﴿فَيَقُولُ رَبّي أكْرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك ويسرّ ويقول: ربّي أعطاني، هذا لكرامتي عنده ومنزلتي لديه. أي: يحسب أنّه كريمٌ على ربّه حيث وسّع الدنيا عليه. ﴿وَأمّا إذا مَا ابْتَلَيهُ﴾ بالفقر والفاقة ﴿فَقَدَرَ﴾ أي فضيّق وقتر ﴿عَلَيهِ رِزقَهُ﴾ وجعله على قدر البلغة ﴿فَيَقولُ رَبّي أهَانَنِ﴾ أي: فيظنّ أنّ ذلك هوانٌ من الله ويقول: ربّي أذلّني بالفقر!

---

١. الإسراء: ٢١.

٢. النحل: ٧١.

ثمّ قال: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس كما ظنّ، فإنّي لا أُغني المرءَ لكرامته عَلَيَّ، ولا أفقره لمهانته عندي، ولكنّي أوسع على من أشاء وأضيق على من أشاء بحسب ما توجبه الحكمة ويقتضيه الصلاح، ابتلاءً بالشكر والصبر! وإنما الإكرام على الحقيقة يكون بالطاعة، والإهانة تكون بالمعصية. ثمّ بيّن سبحانه ما يستحقّ به الهوان، فقال: بل إنما أهنت من أهنت لأنّهم عصوني، ثمّ فصّل العصيان، فقال: ﴿بَلْ لا تُكْرِمونَ اليَتِيمَ﴾ ...» انتهى.[1]

الثاني: أن يكون التفضيل والاصطفاء لمزيّةٍ في نفس المصطفى، ولفضيلةٍ من جهة المختار، واستند لقابليّة ذات الفاضل وأهليّته، واستدعاه استحقاقه واقتضاه تقدّمه العملي على غيره.

فهذا القسم من الاصطفاء والاختيار هو فضيلةٌ على الحقيقة، وبه يحصل الشرف ويحقّ أن يفتخر به صاحبه على غيره، ويباهي واجده على فاقده كفضل العالم على الجاهل، والمؤمن على الكافر، والعادل على الفاجر، والمجاهد على القاعد كما فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجاتٌ منه ومغفرةٌ ورحمةٌ![2] لكون تفضيل الأنبياء على غيرهم من أفراد البشر ومراتبهم في التفضيل وتقدّم كلّ واحدٍ منهم على الآخر موجب علوّ المقام ورفعة الدرجة، وعدّ ذلك فضلاً وفضيلةً في مقام الافتخار.

وكون فضيلة كلّ واحدٍ منهم باعتبار درجات منصبهم إنما يقتضي كونه من الوجه الثاني، أعني كونه في قبال الفضائل الذاتيّة التحصيليّة ومزاياهم الكسبيّة. ومعلومٌ أنّها إنّما هي باعتبار القرب فى الحضرة الإلهيّة. والقرب في حضرته إنما يحصل بالمهاجرة عن موطن النفس ابتغاءً لوجهه وطلباً لمرضاته، ويتأتّى بالسلوك في السفر إلى الله بمطيّة العقل وتقوية القوى الروحيّة الملكوتيّة بالاتّباع إلى الله والطاعة.

فالإنسان إنما يتفاضل بالانقياد إلى مولاه؛ ومدار الفضيلة هو التقوى، وأحبّ الخلق إلى الله أطوعهم إليه، وأكرمهم عنده أتقاهم، وأفضلهم لديه أفضلهم في الطاعة، وأولاهم به أولاهم اتّباعاً، وأكثرهم قرباً إليه أوفرهم حظّاً في العبادة. ويفيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إنّ

١. مجمع البيان: ٣٥٢/١٠ من طبعة مؤسسة الأعلمي في بيروت.

٢. إشارة إلى الآيات ٩٥و٩٦ من سورة النساء.

أكرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتقيٰكُمْ﴾.[١]

وورد في إفادة هذا المعنى أخبارٌ كثيرةٌ، ونقتصر بذكر ثلاث عشر حديثاً محذوف السند للاختصار.

١. عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أكرَمُ الناس أتقاهُم».[٢]

٢. عنه صلّى الله عليه وآله: «ألا أخبركُم بخير رجالكم؟

قالوا: بلى يا رسول الله!

قال: التقيّ النقيّ السمح الكفّين...» الحديث.[٣]

٣. عنه صلّى الله عليه وآله: «إنّكم من وُلد آدم، وآدم من تراب، والله! لَعَبدٌ حبشيٌّ أطاع الله خيرٌ من سيّدٍ قرشيٍّ عصى الله تعالى، وإنّ أكرمكم عند الله أتقاكم».[٤]

٤. عن أمير المؤمنين عليه السلام، حين قيل له: أيُّ الناس خيرٌ عند الله؟

قال: «أخوَفهم لله، وأعملهم بالتقوى، وأزهدهم في الدنيا».[٥]

٥. عنه عليه السلام: «أفضل الناس من جاهد هواه».[٦]

٦. عنه عليه السلام: «أحبّ العباد إلى الله [يوم القيامة] أطوعهم له».[٧]

٧. عنه عليه السلام: «أجدر الناس برحمة الله أقومهم بالطاعة».[٨]

٨. عنه عليه السلام: «أقرب الناس من الله سبحانه أحسنهم إيماناً».[٩]

٩. عن أبي جعفرٍ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ، قال عليه السلام: «فاتّقوا الله واعملوا لما عند الله! ليس بين الله وبين أحدٍ قرابةٌ، أحَبُّ العباد إلى الله عزّوجلّ أتقاهم وأعملهم

---

١. الحجرات: ١٣.

٢. بحار الأنوار: ٧٠/ ٣٧٥.

٣. الكافي: ٢/ ٥٧ وعنه في بحار الأنوار: ٦٧/ ٣٧، التهذيب للطوسي،: ٧/ ٤٠٠ ح٦.

٤. تفسير علي بن إبراهيم القمي: ٤٩٩، وعنه المجلسي في بحار الأنوار: ٧/ ٢٣٩.

٥. الأمالي للصدوق: ص ٢٤١، وعن الأمالي المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٧٠/ ٣٠٩ و٣٧٨.

٦. عيون الحكم: ص ١٢١.

٧. الكافي: ٥/ ٣٤٠، وعنه في بحار الأنوار: ٢٢/ ١١٨.

٨. عيون الحكم: ص ١١٢، غرر الحكم: ٣١٩٢.

٩. عيون الحكم ص ١٢١، غرر الحكم: ٣١٩٣.

بطاعته؛ يا جابر! والله ما يُتقَرَّب إلى الله تعالى إلّا بالطاعة».[١]

١٠. عن أبي عبد الله عليه السلام: «أكرمكم عند الله أتقاكم. والنسب واحدٌ، من آدمَ وحوّاء خلقكم».[٢]

١١. عن القاسم بن الوليد: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: مَن أكرم الخلق على الله تعالى؟ قال عليه السلام: أكثرهم ذكراً لله وأعملهم بطاعة الله».[٣]

١٢. عنه عليه السلام: «أفضل الناس مَن عَشَقَ العبادةَ فعانقَها وأحَبَّها بقلبه وباشَرَها بجسده».[٤]

١٣. وروي: «أنّ رجلاً سأل عيسى بن مريم (على نبيّنا وآله وعليه السلام): أيُّ الناس أفضل؟ فأخذ قبضتين من ترابٍ فقال: أيُّ هاتَينِ أفضل؟! الناس خُلِقوا من ترابٍ، فَأكرمهم أتقاهم».[٥]

وبهذا المعنى الثابت المحقّق عند كلّ ذي مُسكةٍ استدلّ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله على أفضليّته على وُلد آدم، وقال صلّى الله عليه وآله: «إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فأنا أتقى وُلد آدم وأكرمهم على الله عزّوجلّ ثَناه، ولا فخرَ».[٦]

فاختصاص الأنبياء وخلفاء الله تعالى بالولاية الإلهيّة بين أفراد البشر واختلافهم في الفضيلة في هذا الكون الحاضر وتفاوت درجاتهم في منصب الخلافة الحقّة الإلهيّة بالإطلاق والتقييد؛ والتقييد بمراتبه من جهة فضائلهم الكسبيّة واستحقاقهم الذاتيّ على حسب مراتب أهليّتهم واستحقاقهم وقدوم كلّ واحدٍ منهم على العالم السفلي المُلكي حائزاً رتبته؛ ومجيء كلّ فردٍ منهم على منصبٍ معيّنٍ ورتبةٍ معلومةٍ ودرجةٍ مشخصّةٍ من الخلافة

---

١. الكافي: ٧٤/٢ ح ٣، ورواه عنه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٩/٦٧ ح ٤.

٢. لم أجده بهذا اللفظ في المصادر الحديثية، ولعله روي عنه عليه السلام بلفظ آخر قريب منه.

٣. المحاسن للبرقي: ٥٩٨/٢ عن بعض أصحابنا عن الإمام الصادق عليه السلام، كذا في بحار الأنوار: ١٦٤/٩٠، ورواه المجلسيُّ بالاسناد المذكور (عن القاسم بن الوليد) في بحار الأنوار: ٢٢٣/٨٨ نقلاً عن كتاب الغايات.

٤. الكافي: ٨٣/٢، وعنه في بحار الأنوار: ٢٥٣/٧٠.

٥. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤٥١/٤٧، تفسير كنز الدقائق: ٣٥٠/١٢ (طبعة وزارة الثقافة).

٦. الأمالي للصدوق: ص ٦٣٠، بحار الأنوار: ١٢٠/١٦ و٣١٥.

والولاية إنما يستدعي وجود عالم ميثاقٍ وتكليفٍ قَبلَ هذه النشأة الدنيويّة ليتأهلوا ويستحقّوا بما امتازهم الله تعالى به على سائر أفراد البشر، ويكتسب كلّ واحدٍ منهم ما يستحقّ به درجةً من الخلافة الإلهيّة، وليقتضي ما يحقّ رتبته من المنصب الإلهي على حسب ما اكتسب واقتضى! ويكون جهة فضيلة كلّ واحدٍ منهم على الآخر مكتسبةً قبل سفره إلى العالم العنصري، ويفوز كلّ واحدٍ منهم رتبةً من الولاية بأهليّته واستحقاقه، ويدرك من جهات الفضيلة والقرب الإلهي ما يقتضيه أمره ويستدعيه منصبه، ويكون فضيلته على غيره بحسب استحقاقه وقابليّته، ويُولَد كلٌّ على رتبته الكسبيّة ومنصبه الاستحقاقي.

ولا ينبغي استناد امتياز خلفاء الله عن غيرهم وتفضيل بعضهم على بعضٍ إلى كسبيّات هذه النشأة الموجودة، ولا يمكننا إثباته بظواهر حالاتهم في هذا العالم الحاضر، لاقتضاء ظاهر أمرهم في هذا الكون خلاف ما هم عليه من المناصب والفضائل! ألا ترى أفضليّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله على سائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام ووجدانه منصب النبوّة المطلقة دونهم وسبقه إلى الكلّ في الفضيلة وتبعيّة الكلّ إليه مع كون جمعٍ من الأنبياء السالفين وخلفاء الله الماضين أطول أعماراً وأكثر طاعةً وأشدّ ابتلاءً وأوفر عناءً في هذه النشأة الحاضرة عنه صلّى الله عليه وآله؟!

فلو استُند الأمر إلى كسبيّات هذا العالم المُلكي لم يبق بَعدُ وجهٌ وجيهٌ لأفضليّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله! وأنّى لنا اثبات أفضليّته، بل يلزم أفضليّة غير واحدٍ من الأنبياء على خاتمهم (صلّى الله عليه وآله وعليهم)!...[1] من الأنبياء وتأمّل آثارهم والنظر إلى تاريخ حياتهم حتّى يبرهن لك الأمر وتتبيّن الرشد من الغيّ!

ويلزم أيضاً على تقدير استناد الأمر إلى كسبيّات هذا العالم الموجود أن يكون كلّ نبيٍّ مفضولاً عمّن سبق عليه قبل زمان إتيان ما يوجب له الفضيلة. فلمّا أتى ما يفضله ويرجح على عمل سابقه يصير حينئذٍ فاضلاً، فيختصّ لفضيلته كلّ واحدٍ على غيره لزمانٍ دون زمانٍ. وهذا بظاهره فاسدٌ كما ترى!

---

١. كذا في الأصل.

فلابدّ من استناد أمرهم واختلاف درجاتهم إلى كسبيّات عالم الخلق الأوّل واضافة تفضيل بعضهم على الآخر على الجهات المحصّلة المكتسبة في يوم الميثاق.

ويرشدك إلى الحقّ عدم إسناد أفضليّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله على غيره في لسان أخبار آل بيته إلى كسبيّات هذه النشأة الحاضرة، بل يُستدلّ فيها بجهاته الكسبيّة في عالم الأظلّة، وأولويّته في الطاعة على من سواه في الخلق الأوّل، وتقدّمه على غيره فى إجابة دعوة ربّه، وسبقه إلى الإقرار في يوم الميثاق والتكليف الأوّل.

[سبعة أحاديث في علّة سبقه صلّى الله عليه وآله وسلّم سائر الأنبياء]

ونقتصر من الأخبار المفيدة لهذا المعنى بذكر سبعة أحاديث:

الأوّل: ما في «بصائر الدرجات» و«الكافي» و«العلل» بأسانيدهم عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: بأيّ شيءٍ سبقتَ الأنبياء وأنت بُعِثَت آخرهم وخاتمهم؟!

قال: إنّي كنت أوّل من آمن بربّي، وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين: ﴿وأشهَدَهُمْ عَلىٰ أنفسِهِمْ ألَسْتُ بِربِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، وكنت[١] أنا أوّل نبيٍّ قال بَلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عزّوجلّ».[٢]

الثاني: ما في البصائر والكافي مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «سئلَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: بأيّ شيءٍ سَبَقَت وُلدَ آدم؟!

قال صلّى الله عليه وآله: إنّي أوّل من أقرّ ببَلى! إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهَدَهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بَلى، فكنت أوّل من أجاب».[٣]

---

١. في الكافي: فكنتُ.

٢. بصائر الدرجات: ص ٢٤، الكافي: ١ / ٤٤١ ح ٦ + ج ٢ / ١٠ ح ١، علل الشرائع: ١ / ١٢، تفسير العياشي: ٢ / ٣٩ ح ١٠٧.

٣. تفسير نور الثقلين: ٢ / ٩٤ ح ٣٤٢.

الثالث: في الكافي والتوحيد والعلل مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام:

«فلمّا أراد الله عزّوجلّ أن يخلق الخلق ونثرهم بين يديه، فقال لهم: مَنْ رَبُّكُم؟ فأوّل مَن نَطَقَ رَسولُ الله (صلّى الله عليه وآله) وأميرالمؤمنين والأئمة (صلوات الله عليهم اجمعين) فقالوا: أنتَ رَبُّنا. فَحَمَلَهُم العلم والدين، ثمّ قال للملائكة: هولاء حَمَلَةُ ديني وعلمي وأُمنائي في خَلقي وهُمُ المسؤلونَ. ثمّ قال لبني آدم: أقِرُّوا لله بالرّبوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة...» الحديث.[١]

فتأمّل بعين الدّقة في هذا الحديث الشريف كيف فرّع الإمام عليه السلام شؤونهم ومزايا منصبهم وفوزهم إلى الخلافة الإلهيّة وبلوغهم الفضائل السنيّة الجمّة وكونهم حَمَلَة علم الله ودينه وأُمنائه على خلقه على سبقهم بالإقرار بالله في عالم الميثاق والتكليف الأوّل!

الرابع: في «الخصال» و«معاني الأخبار» مسنداً عن الصادق عليه السلام: «لمّا قال الله عزّوجلّ لجميع أرواح بني آدم: (ألستُ بِرَبِّكُم؟ قالوا: بلى!) كان أوّل من قال بلى محمّدُ صلّى الله عليه وآله، فصار بسبقه إلى بلى سيّد الأوّلين والآخرين وأفضل النّبيّين والمرسلين...» الحديث.[٢]

الصدوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطباً لعليٍّ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ:

«فلمّا خلقه استخرج ذريّته من ظهره فاستنطقهم وأقرّهم بربوبيّته، فأوّلُ خلقٍ أقرّ له بالربوبيّة أنا وأنت والنبيّون على قدر منازلهم وقُربهم من الله عزّوجلّ. فقال الله تعالى: صدقتما وأقررتما يا محمّد يا علي، وسبقتما خلقي إلى طاعتي وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما، فأنتما صفوتي من خلقي والأئمة من ذريّتكما...» الحديث[٣].

فينبئك هذا الحديث الشريف عن أنّ كون خاتمَي الولاية بالنبوّة والوصاية صفوتَي خلق الله إنما هو لسبقهما بالإقرار والإيمان بالله في التكليف الأوّل في عالم الذّر.

السادس: ما رواه السيد حيدر الآملي في «الكشكول»، قال المفضل بن عمر: «سئلت

---

١. الكافي: ١/١٣٣، العلل: ص ١١٨ وعنه في بحار الأنوار: ٥/٢٤٤ ح ٣٢.

٢. الخصال: ١/١٤٦، معاني الأخبار: ص٤٢، بحار الأنوار: ١١/٦٦ ح ١٢ (عن الخصال).

٣. تأويل الآيات: ٢/٧٧٣ ـ ٧٧٤، ورواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٢٥/٣ عنه وعن كنز جامع الفوائد.

مولاي الصادق عليه السلام بما استحقّ الرسول سيادة الخلق أجمعين؟

قال: بسبقه في الذّر لمّا قال الله تعالى: ألستُ بربّكم؟ وكان هو أوّل من سبق بـالجواب فقال بَلى، فبعثه الله عزّوجلّ... أجمعين».

السابع: ما رواه الشيخُ في المصباح في دعاء يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة، وفيه: «انّ الخامس تصلّي على عبدك المنتجب في الميثاق»[1].

ويدلّ على المراد أحاديث عديدةٌ أخرى نذكرها إن شاء الله عند ذكر أخبار المسئلة.

[الأولويّة والسبق في لسان الآيات والروايات المفسّرة لها]

وإلى هذا السبق والأولويّة، والأولويّة التي أوجبت لمحمدٍ صلّى عليه وآله وسلّم الفـضل والفضيلة على الكلّ أشير بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ﴾[2].

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم أوّل من دخل تلك النار، فذلك قوله: ﴿قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ﴾ »[3].

تقرير: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان هو أوّل من امتثل بأمر مولاه بالدخول نار يوم التكليف الأوّل، وأوّل من أقرّ بالربوبيّة وأجاب دعوته، وأوّل من نطق وقال بلى، وأوّل من أقرَّ بكلّ حقٍّ وصدقٍ في ذلك اليوم، وجب أن يكون أوّل من يعتقد بالرحمن ولداً إن كان له ولدٌ، فالعلّة المذكورة في الآية الشريفة قائمةٌ مقام جـزاء الشـرط المـحذوف، أي لو كـان للرحمن ولدٌ فأنا أوّل من يقرّ به ويعتقد لأنّي أوّل العابدين، فلا يخفى بعدُ على ذي مسكةٍ أنّ صاحب الحقيقة المحمديّة بسبقه إلى بلى في الإقرار بالربوبيّة وتقدّمه على الكلّ بإجابة ربّه في يوم التكليف الأوّل وعالم ألست بلغ إلى ما بلغ من مراتب الفضل والفـضيلة وفـاز إلى

---

١. رواه الشيخ في مصباح المتهجد: ٤٠٦، بأول دعاء مروي عن صاحب الزمان عليه السلام بهذا اللفظ: اللهم صلّ على محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وحجة ربّ العالمين المنتجب فـي المـيثاق...، وكـذلك فـي مـصباح الكفعمي: ٥٤٦.

٢. الزخرف: ٨١.

٣. الكافي: ٢/٧ ح ٣، وعنه في بحار الأنوار: ٩٧/٦٤.

منصب النبوّة المطلقة، وعرض ولايته على الكلّ وغدا نبيّ الكلّ. بعث الانبياء بنبوّته، ونطق بذلك غيرُ واحدٍ من أحاديث الخاصّة والعامّة:

منها: ما في «كفاية الطالب» و«مناقب الخوارزمي» و«إرشاد الديلمي» وغيرها من كتب الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني ملكٌ فقال: واسئل من أرسلنا من قبلك على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب»[1].

وفي الباب الخامس والمائة من كتاب اليقين ـ وهو موجودٌ عندنا ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«أتى رجلٌ إلى أمير المؤمنين وهو في مسجد الكوفة وقد احتبى بحمائل سيفه. فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ في القرآن آية قد أفسدت عليّ ديني وشكّكتني في ديني! قال: وما ذاك؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[2]، فهل في ذلك الزمان نبيٌّ غير محمّدٍ صلّى الله عليه وآله فيسأله عنه؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إجلس أخبرك إن شاء الله، إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الذي بارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنَا﴾[3]، فكان من آيات الله التي أراها محمداً صلى الله عليه وآله أنّه انتهى به جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى، فلمّا دنا منه أتى جبرئيل عيناً فتوضّأ منها، ثمّ قال يا محمّد، توضّأ.

ثمّ قام جبرئيل فأذّن ثمّ قال للنبي (صلى الله عليه وآله): تقدّم فصلّ واجهَر بالقراءة، فإنّ خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلّا الله جلّ وعزّ. وفي الصفِّ الأوّل آدم[4] ونوح وإبراهيم وهود وموسى وعيسى، وكلّ نبيٍ بعث الله تبارك وتعالى منذ خلق الله السماوات

---

١. المناقب للخوارزمي: ٣١٢، ورواه الديلمي في إرشاد القلوب: ٢١٠ عن أخطب خوارزم عن ابن مسعود، ورواه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ـ طبعة دار إحياء تراث اهل البيت ـ ص ٧٥ ثم قال: رواه الحاكم في النوع الرابع والعشرين من «معرفة علوم الحديث».

٢. الزخرف: ٤٥.

٣. الآية الأولى من سورة الإسراء المباركة.

٤. في كتاب اليقين: أبوك آدم.

والأرض إلى أن بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله. فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بهم غير هائبٍ ولا محتشمٍ.

فلمّا انصرف أوحى الله إليه كلمح البصر: سَلْ يا محمّد ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾. فالتفت إليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بجميعه، فقال: بمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلّاالله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين وصيّك، وأنت رسول الله سيّد النبيّين، وإنّ عليّاً سيّد الوصيين، أخذت على ذلك مواثيقنا لكما بالشهادة.

فقال الرجل: أحييت قلبي وفرّجت عني يا أمير المؤمنين!»[١].

أقول: ورواه في الباب الثامن والأربعين بعد المائة من كتاب «اليقين» بطريقٍ آخر بتغييرٍ يسير[٢].

وفي مناقب ابن شهرآشوب قال: سئل الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَسْئَلِ الَّذينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٣] فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لمّا أسري بي إلى السماء الرابعة أذّن جبرئيل وأقام وجمع النبيين والصدّيقين والشهداء والملائكة، ثمّ تقدّمتُ وصلّيتُ بهم، فلمّا انصرفت قال لي جبرئيل: قلْ لهم بمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا اله إلّا الله وأنّك رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين»[٤].

وفي تفسير فرات بن إبراهيم (ره) عن زرارة بن أعين، قال: «قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: آيةٌ في كتاب الله تعالى نسألك قال: وما هي؟ قلت: قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، من هؤلاء الذين أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بسؤالهم؟

فقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا أسري به إلى السماء فصار في السماء

---

١. ورواه أيضاً الطبري الشيعي في نوادر المعجزات: ٧٢، وشرف الدين الحسيني في تأويل الآيات: ٢/٥٦٤، وأخرجه المجلسي في بحار الأنوار: ١٨/٣٩٤ عن كشف اليقين.

٢. اليقين: ٢٩٤.

٣. يونس: ٩٤.

٤. كذا رواه المحدّث البحراني في كتابه غاية المرام: ١/٩٨ عن ابن شهرآشوب في المناقب.

الرابعة جمع الله لي النبيّين والصدّيقين والملائكة، فأذّن جبرئيل عليه السلام وأقام الصلاة ثمّ تقدّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فصلّى بهم، فلمّا انصرف قال: بِمَ تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا أله إلّا الله وأنّك رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، فهو معنى قوله: ﴿فَسْئَلِ الَّذينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾»[1].

وفي «غاية المرام» نقلاً عن تفسير الثقة ابن ماهيار، بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الإسراء: «فإذا ملكٌ قد أتاني فقال: يا محمّد! سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ماذا بعثتم؟ فقال لهم: معاشر الرسل والنبيّين! على ماذا بعثكم الله قبلي؟ قالوا: على ولايتك يا محمّد وولاية عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[2].

وفي غير واحدٍ من كتب أكابر أصحاب الحديث عن سلمان رضي الله عنه في حديث احتجاجٍ طويلٍ جدّاً احتجّ به عليٌ عليه السلام على وفد الروم نذكر منه محلَّ الحاجة، قال عليٌّ عليه السلام:

«إنَّ الله بمنِّه وطَوله وفضلهِ له الحمد كثيراً دائماً قد صدق وعده، وأعزَّ دينه، ونصر محمّداً عبده ورسوله، وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ، إنّه تبارك وتعالى اختصَّ محمّداً صلّى الله عليه وآله واصطفاه وهداه، وانتجبه لرسالته إلى الناس كافّةً برحمته، وإلى الثقلين برأفته، وفرض طاعته على أهل السماء والأرض، وجعله إماماً لمن قبله من الرسل، وخاتماً لمن بعده من الخلق، وورثه مواريث الأنبياء، وأعطاه مقاليد الدنيا والآخرة، واتخذه نبيّاً ورسولاً وحبيباً وإماماً، ودفعه إليه، وقربّه يمينَ عرشِه بحيث لا يبلغه ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، فأوحى الله إليه في وحيه ما أوحى ﴿مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأى﴾[3]، وأنزل علاماته على الأنبياء، وأخذ ميثاقهم: ﴿لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرنَّه﴾[4]. ثم قال للأنبياء: ﴿قال أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْري قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا

---

١. تفسير فرات الكوفي: ١٨١ ـ ١٨٢.

٢. رواه المحدث البحراني في غاية المرام: ٥٧/٣ (الحديث الأول) بعد ما روى في هذا المعنى ثلاثة أحاديث من طرق العامّة.

٣. النجم: ١١.

٤. آل عمران: ٨١.

وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، وقال: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ والإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ...» الحديث[2].

وفي غير واحدٍ من كتب الحديث ومنها كتاب «مختصر بصائر الدرجات» مسنداً عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام، قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ تفرّد في وحدانيّتِه، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارتْ نوراً، ثمّ خلق من ذلك النورِ محمّداً صلّى الله عليه وآله وخلقني وذريّتي، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روحُ الله وكلماتُهُ فبنا احتجّ على خلقِه، فما زِلنا في ظُلَّةٍ خضراءَ حيث لا شمسَ ولا قمرَ ولا ليلَ ولا نهارَ ولا عين تطرف نعبده ونقدّسه ونسبّحه، وذلك قبل أن يخلق الخلقَ وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[3]، يعني لتؤمننّ بمحمّدٍ ولتنصرنّ وصيّه وسينصرونه جميعاً.

وإنّ الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمّدٍ صلّى الله عليه وآله بالنصرة بعضِنا لبعضٍ، فقد نصرتُ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم وجاهدتُ بين يديه وقتلتُ عدوّه ووفيتُ لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله، ولم ينصرني أحدٌ من أنبياء الله ورسلِه، وذلك لما قبضهم اللهُ إليه وسوف ينصرونني ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها، وليبعثنّهم الله أحياءً من آدمَ إلى محمّدٍ صلى الله عليه وآله كلّ نبيٍ مرسلٍ يضربون

---

١. آل عمران: ٨١.

٢. بحار الأنوار: ٦٣/٣٠ ـ ٦٤ ضمن حديث جاثليق الرومي نقله العلامة المجلسي عن إرشاد القلوب بحذف الاسناد مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه، والآية الشريفة في سورة الأعراف: ١٥٧.

٣. آل عمران: ٨١.

بين يديَّ بالسيف هَامَ الأمواتِ والأحياءِ والثقلَينِ جميعاً، فيا عجباه وكيف لا أعجب من أمواتٍ يبعثهم الله أحياءً يلبّونَ زُمرةً زُمرةً بالتلبية لبّيك لبّيك يا داعيَ الله قد أطلّوا[١] بسكك الكوفة قد شَهروا سُيوفَهم على عواتِقهم ليضربونَ بها هَامَ الكَفَرةِ وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأوّلين والآخرين حتّى ينجز الله ما وعدهم في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾[٢] أي: يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً في[٣] عبادي ليس عندهم تقيّةٌ وإنّ لي الكرّةَ والرجعةَ...» الحديث بطوله[٤].

[ذكر موارد أولويّة النبيّ المطلق]

وفي المعنى أخبارٌ أخر ينافي ذكرها الاختصار، وهو ـ أعني النبي صلى الله عليه وآله ـ المطلق بأولويّته وسبقه في الإقرار بالله في التكليف الأول تحلّى بفضيلة الأولويّة واكتسى حلية السبق على من دونَه في عدّةٍ مواضعَ من التشريفات الإلهيّة:

الأوّل: إنّه أوّل من قرع باب الاستنارة تشريفاً له من الله تعالى لعلمه بالسبق منه إلى الإقرار في عالم ألست. وقد أشير إلى هذا فيما ذكرنا من الحديث الخامس من تفضيله على جميع الأنبياء عليهم السلام.

الثاني: إنّه أوّل من أخذ له الميثاق بنبوّته في عالم الميثاق، كما روي مسنداً في الكافي والعلل عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ لمّا أخرج ذريّة آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له وبالنبوّة لكلّ نبيٍ، فكان أوّل من أخذ له الميثاق بنبوّته محمّد بن

١. في نقل العلامة المجلسي في البحار (٥٣ / ٤٦): تخلّلوا بسكك الكوفة.

٢. الآية ٥٥ من سورة النور.

٣. كذا في المصدر، وفي البحار: من عبادي.

٤. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ٣٢، وفيه: وانّ لي الكرّة بعد الكرّة والرجعة بعد الرجعة، وفي البحار: انّ لي الكرّة بعد الرجعة.

عبد الله صلى الله عليه وآله...» الحديث[١].

الثالث: إنّه أوّل من تنشقّ عنه الأرض وأوّل قادمٍ على الله تعالى، كما روى شيخ الطائفة في أماليه بإسناده عنه صلى الله عليه وآله: «أنا سيّدُ ولد آدمَ يومَ القيامة ولا فخرَ، وأنا أوّلُ من تنشقّ الارضُ عنه ولا فخرَ»[٢]. وعنه صلّى عليه وآله وسلّم: «أخبرني جبرئيل عن الله عزوجلّ وقال: أوّلُ من تنشقّ عنه الأرضُ يومَ القيامة...» الحديث.[٣]

وفي «معالم الزلفى» عن بصائر سعد بن عبد الله بإسناده عن شعيب الحداد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا أوّلُ وافدٍ على العزيز الجبّار يومَ القيامة...» الحديث[٤]. وسيأتي ما يدلّ على هذا.

الرابع: إنّه أوّلُ من يُدعى به يومَ القيامة، كما روي عنه صلّى عليه وآله وسلّم: «يا علي! إنّه أوّل من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي...» الحديث[٥].

وفي أمالي شيخ الطائفة بإسناده عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام: «إذا كان يوم القيامة جمع الله في صعيدٍ واحدٍ من الأوّلين والآخرين عراة حفاة... إلى أن قال: ينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيُّ الأمّي، قال: فيقول الناس: قد اسمعت كلاً فسمّ باسمه، قال: فينادي أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبد الله؟ قال: فيقوم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيتقدّم أمام الناس كلّهم...» الحديث[٦].

وعن القمي بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب... إلى أن قال: فأوّلُ من يُدعى بنداءٍ يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمّد بن عبد الله النبيّ القرشيّ العربيّ، قال: فيتقدّم حتّى يقف على يسار رسول الله صلّى الله

---

١. الكافي: ٢/ ٨، وعنه في البحار: ١١٦/٦٤.

٢. الأمالي: ٢٧١ رقم ٥٠٦.

٣. رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره كما في البحار: ٤٢/ ٢٢٥.

٤. رواه الكليني في الكافي: ٢/ ٦٠٠ح ٤، ونحوه في مختصر بصائر الدرجات: ٨٩.

٥. رواه الصدوق في الأمالي: ٤٠٢، ومحمد بن سليمان الكوفي في مناقبه: ١/ ٣٠١، وابن بطريق في العمدة: ٢٣٠ والمجلسي في بداية الجزء الثامن من البحار عن أمالي الصدوق عليه الرحمة.

٦. الأمالي للطوسي: ٦٧.

عليه وآله وسلّم... إلى أن قال: فأوّلُ من يدعى من ولد آدم للمسائلة محمّد بن عبدالله، فيدنيه الله حتّى لا يكون خلقٌ أقرب إلى الله يومئذٍ منه...» الحديث[1].

الخامس: إنّه أوّل من يشفع ويفتح به باب الشفاعة، كما روي في أمالي شيخ الطائفة عنه صلّى الله عليه وآله: «أنا أوّلُ شافعٍ وأوّلُ مشفّعٍ»[2]. و عنه صلّى عليه وآله وسلّم: «أنا فاتح باب الشفاعة يوم القيامة»[3].

السادس: إنّه أوّل من يدخل الجنّة من الأنبياء، ولن يدخل الجنّة نبيٌّ قبلَه، كما روي في المجالس للشيخ الثقة المفيد رحمه الله بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الجنّة محرّمةٌ على الأنبياء حتى أدخلها، ومحرّمةٌ على الأمم كلّها حتّى تدخلها شيعتنا أهل البيت»[4].

وفي أمالي شيخ الطائفة بإسناده عن رسول الله: «آتي يوم القيامة باب الجنّة فاستفتح، فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: أنا محمّدٌ، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك»[5].

وفي مناقب الخوارزمي عنه صلى الله عليه وآله: «يا علي! أنا أوّل من يدخل الجنّة وأنت معي تدخلها»[6]. وسيأتي بعيد هذا ما يدلّ على هذا.

ولا يخفى على المتأمّل العارف أنّ هذه الفضائل الستّة السنيّة ـ أعني كونه أوّل من خلق، وأوّل من أخذ له الميثاق، وأوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل من يدعى به يوم القيامة، وأوّل من يشفع، وأوّل من يدخل الجنّة وأمثال ذلك ممّا سنشير إليه ـ كلّ ذلك من مقتضيات منصبه وشؤون رتبته من الخلافة الإلهيّة ولوازم إطلاق نبوّته، ومن ضروريّات كونه نبيّ الكلّ ووليّ

---

١. تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١/١٩١ ـ ١٩٢، وعنه في بحار الأنوار: ٧/٢٨٠.

٢. وأخرجه ابن حبان في الثقات: ١/٢١ بإسناده عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم.

٣. ذكره ابن العربي في الفتوحات المكية: ٢/٦٥١ بأنه ممّا اختصّ به الرسول صلّى عليه وآله وسلّم على سائر الرسل والأنبياء.

٤. الأمالي: ٧٤ ح ٨، ورواه أيضا في كتابه الآخر الاختصاص: ٣٥٦.

٥. لم أجده في أمالي شيخ الطائفة، وقد روي في مصادر أهل السنّة: رواه مسلم في صحيحه: ١/١٣٠ و عبد بن حميد الكشي في مسنده كما في منتخبه: ٣٧٩ وكذا أحمد بن حنبل في مسنده كما في كنز العمال: ١١/٤٠٥.

٦. المناقب: ٦١ ح ٣١.

الكلّ وإمام الكلّ ودليل الكلّ ومعلم الكلّ وروح الكلّ وحاكم الكلّ والآمر والناهي في الكلّ، وأعطاه الله هذا المنصب وشرّفه بذلك وميزّه به وفضّله على غيره بسبقه بالإقرار والإيمان بالله على الكلّ، وأوّليته وأولويّته بإجابة دعوة ربّه في الخلق الأول، وتقدّمه إلى طاعة الله في عالم التكليف الأوّل. ولولا ذلك اليوم والتكليف الأوّل وعالم الميثاق ليبقى كلّ هذه الفضائل والتشريفات الإلهيّة بلا جهةٍ، ولا يكون لها وجهٌ وجيهٌ كما لا يخفى!

فعالم الذرّ والميثاق كما ترى ضروريُّ الوجود، ولا يُتوهّم أنّ السبق بالإقرار في التكليف الأوّل والطاعة إلى الله بالدخول إلى نار ذلك اليوم قبل الكلّ بظاهر[ه] أمرٌ سهلٌ جزئيٌ وليس من الأمور الخطيرة المهمّة الشاقّة الكثيرة العناء، حتّى يترتّب عليه هذا النحو من التكريم والتفضيل والتشريف، ويستدعي لصاحبه السبق في الفضيلة والتقدّم على جميع أفراد البشر، ويستوجب هذا القدر من الفضائل والمزايا الجمّة التي لا يحصيها إلّا الله، ويقتضي منصب النبوّة المطلقة.

وذلك: أنّ رأس الأعمال وأتعبها لدى الحقيقة وأحمزها وأشقّها عند التأمل هو الانقياد بقيد العبوديّة وخضوع النفس على ذلّ طوق الطاعة وتحميله على ربقها. وما ترى من العمل على الأوامر الفرعيّة الصادرة من حضرة المولى ولو احتاج إلى ألف مشقّةٍ وصعوبةٍ أمرٌ سهلٌ يسيرٌ بعد الدخول تحت قيد العبوديّة وقبول ذلّها والتطوّق بطوقها.

ألا ترى أنّ الإنسان إنّما يتحاشا عن اسم العبوديّة ويعزّ عليه معروفيّته واشتهاره بذلك، وبعد قبوله هذا الاسم وتحميله على نفسه يحضر لتمام أنواع الخدمة ولا يشقّ عليه إقامة أوامر مولاه، ولا يتحاشا بعد عن تأدية وظائف العبوديّة. ولكون أمر الانقياد بالعبوديّة أمراً مهمّاً أحمز الأعمال لدى المتأمّل وأفضلها وركن كلّ فريضةٍ وروحها، فرضه الله تعالى على أشرف الجوارح البشريّة وأميرها ومدبّرها ومديرها، أعني القلب السري الأمري الملكوتيّ الإلهي، كما ورد في الأخبار، وساير الأعمال المفروضة على الجوارح الخارجيّة الملكيّة بأسرها مظهراتٌ ومحصلاتٌ لهذه الفريضة القلبيّة، وكلّها كواشف عن هذه الفريضة الشريفة المهمّة والأمر الخطير القلبي، وإنّما هو ميزان الأعمال وتفاضل وتراجح الأعمال على حسب ما يظهره ويحصّله من العبوديّة والانقياد.

[شأن صاحب الحقيقة العلويّة عليه السلام]

فبالجملة: إنّ فضل الأنبياء وخلفاء الله تعالى على ساير أفراد البشر وتفضيل بعضهم على بعضٍ، واختلاف مراتبهم في منصب الولاية الإلهيّة، وأفضليّة نبيّنا على الكلّ، واصطفاء الله تعالى بعض عباده على بعضٍ وتخصيصهم بالتشريفات الخاصّة أمرٌ يقتضيه أهليّة كلّ واحدٍ واستحقاقه المكتسب في عالم الذرّ.

ولمّا كان صاحب الحقيقة العلويّة المسمّى بملكوتيّته باللوح المحفوظ والقلم الأعلى وأمّ الكتاب والكتاب المبين والإمام المبين، وعند وجوده البشريّ بعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام هو السابق بالإقرار بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخلق الأوّل صار أقرب الأولياء إلى الله تعالى وأحبّ الخلق بعد نبيّه المطلق إليه، وفاز بذلك إلى منصب الولاية المطلقة. وأشيرإلى منصبه السامي بقوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ وَالذينَ آمَنُوا...﴾ الآية[1]، فراجع تفسيرها، وغدا عليه السلام بسبقه إلى الإقرار في طبقة النبيّ المطلق من منصبه وأخبر الله تعالى نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بحديثه القدسي: «يا محمّد! إنّ عليّاً في طبقتك»[2].

ولتابعيّته المطلقة للإمام الأوّل ـ أعني النبيّ المطلق ـ اختار الله تعالى في اطلاعه الثاني على الخلق بين الكلّ وجعله متبوع الكلّ ووليّ الكلّ وإمام الكلّ وقائد الكلّ وسيّد الكلّ بعد صاحب النبوّة المطلقة، وذلك أنّ أقرب الخلق من الأنبياء هو المتأسّي التابع لهم كما ورد في الحديث الشريف العلوي المرتضوي على محدّثه السلام: «إنّ أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به»[3]، وعنه عليه السلام: «أقرب الناس من الأنبياء أعلمهم بما أمروا به[4]...» الحديث.

ومعلومٌ أنّ الأقرب والأولى بالأنبياء هو الأحبّ إلى الله تعالى كما ورد في الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «أحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه صلّى عليه وآله وسلّم

---

١. الآية ٥٥ من سورة المائدة.

٢. تفسير فرات الكوفي: ١٩٣ وهذه العبارة هي صدر الحديث المذكور هناك.

٣. نهج البلاغة: باب حكمه عليه السلام، رقم ٩٦.

٤. عيون الحكم: ص ١٢٠.

والمقتصّ أثره...» الحديث[1]. وكان عليٌّ عليه السلام أطوع الناس إلى الإمام وأولاهم اتّباعاً للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما ورد في الحديث المنقول بسند المؤالف والمخالف عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال:

«لما أسري بي إلى السماء إلى السدرة المنتهى وقفتُ بين يدي الله عزّوجلّ، فقال: يا محمّد! فقلت: لبّيك وسعديك! قال: قد بلوت خلقي فأيّهم رأيت أطوع لك؟ قلت: ربّ عليّاً، قال: صدقت يا محمّد، فهل اتخذت لنفسك خليفةً يؤدّي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لايعلمون؟ قال: قلت: ربّ اختر لي! فإنّ خيرتك خيرتي، قال: اخترت لك عليّاً فاتخذه لنفسك خليفةً ووصيّاً، ونحلته علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقاً، لم يبلغها أحدٌ قبلَه وليست لأحدٍ بعدَه...» الحديث[2].

[رواياتٌ في أنّ علياً أوّلُ من آمن بالنبيّ في مبعثه الأوّل]

فلمّا كان عليٌّ عليه السلام أوّلَ من آمن بالنبيِّ المطلق صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم مبعثه الأوّل وأوّل من صدّقه وأطاعه وسلّم عليه يوم العرض الأوّل كما يفيده غير واحدٍ من الأخبار، منها:

ما في البصائر مسنداً عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ أمّتي عرضت عليّ عند الميثاق، وكان أوّلَ من آمن بي وصدّقني عليٌّ عليه السلام، وكان أوّل من آمن بي وصدّقني حيث بعثت، فهو الصدّيق الأكبر»[3].

وفي مجالس المفيد رحمه الله بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عامٍ وعلّقها بالعرش وأمرها بالتسليم عليّ والطاعة

---

١. نهج البلاغة: ٢٢٧، الخطبة ١٦٠، قال عليه السلام: فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلّى عليه وآله وسلّم فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ والْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ....

٢. المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي: ٤١٠/١، اليقين لابن طاووس: ١٦٠. ومن العامة رواه موفق بن أحمد المشهور بأخطب خوارزم ـ وهو من أعيان علمائهم ـ في مناقبه: ٣٠٠ رقم ٢٩٩.

٣. بصائر الدرجات: ١٠٤ ح ٣، وعنه في بحار الأنوار: ٢٢٦/٣٨.

لي، وكان أوّل من سلّم عليّ وأطاعني من الرجال روح عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[١].

وفي الباب السابع والعشرين بعد المائة من كتاب «اليقين» للسيّد بن طاووس قدّس سرّه في حديثٍ طويلٍ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّه أوّلُ من آمن بالله ورسولِه ولم يسبقْهُ إلى الإيمان بي أحد بعثت[٢] ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ[٣]...»

---

١. الأمالي: ١١٣ ح ٦.

٢. كذا في بعض نسخ كتاب اليقين، وفي المطبوعة منه: بعث، ولم يفهم معناه ولم يذكر في رواية الاحتجاج كما جاء بهامش الكتاب.

٣. يقول المؤلف عفى الله عنه: المراد من المبعث في هذا الحديث الشريف هو المبعث الأول من مبعثي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما يستفاد من نفس هذا الحديث، ومعلوم أنّ ذلك مقتضى اطلاق منصبه صلّى الله عليه وآله وسلّم ويستدعي اطلاق نبوته وعمومية أمره بالضرورة وجود مبعث آخر له صلّى الله عليه وآله وسلّم على كافة الخلق غير مبعثه في هذه النشأة الحاضرة.

و قد أشير الى مبعثه الأول في غير واحد من الأخبار:

منها: ما في الباب الرابع والثمانين من كفاية الطالب مسنداً عن ابن عباس: قال رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم: خلق الله قضيباً من نور قبل أن يخلق الدنيا بأربعين ألف عام، فجعله أمام العرش كان أول مبعثي فشقّ منه نصفاً فخلق منه نبيّكم والنصف الآخر علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي البصائر بإسناده عن معمر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى (هذا نذير من النذر الأولى) يعني محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث دعاهم بالاقرار بالله في الذرّ الاول (البصائر: ٨٤).

وفي حديث طويل سنذكره بتمامه إن شاء الله، ورواه الصدوق بإسناده عن مفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا مفضل أما علمت أن الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روحٌ إلى الأنبياء وهم أرواحٌ قبل خلق الخلق بألفي عام؟

قلت: بلى! قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره ووعدهم الجنة على ذلك وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟

فقلت: بلى (علل الشرائع: ١٦١).

و هذا المعنى هو المعنيّ بقوله صلى الله عليه وآله في مقام المفاخرة (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) وقوله صلى الله عليه وآله: (نبّئتُ وآدم بين الروح والجسد).

قال رئيس المحدثين شيخ الحفظة، المولود بدعاء مولانا الإمام الغائب المنتظر عليه السلام، والمنعوت في لسان الأصحاب بـ «الصدوق» قدس سرّه: ويجب أن يعتقد أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد والأئمّة عليهم السلام، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله وأكرمهم وأوّلهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين (وأشهدهم على

←

الحديث[1].

وفي أمالي شيخ الطائفة بإسناده عن الحارث الهمداني، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثٍ طويلٍ، قال عليه السلام: «ألا إنّي عبد الله وأخو رسوله وصدّيقه الأول، قد صدّقته وآدم بين الروح والجسد، ثمّ إني صدّيقه الأوّل في أمّتكم حقّاً، فنحن الأوّلون ونحن

← أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى)، وأنّ الله بعث نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله للأنبياء في الذّر، وأنّ الله عزّ وجلّ أعطى ما أعطى كلّ نبيّ على قدر معرفته ومعرفة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسبقه إلى الإقرار به. ونعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته عليهم السلام. انتهى محل الحاجة من الكلام، وفيه فوائد جمّة لمن تأمّل بنظر الدقّة! (رسالة الصدوق في الاعتقادات في عدد الأنبياء والأوصياء).

و إلى هذا أشار الشيخ المحدث المجدّد محيي السنّة ابن شهرآشوب في كتابه المناقب بقوله: وإن كان آدم أول الأنبياء فنبوة محمد أقدم منه، قوله صلى الله عليه وآله: كنت نبياً وآدم منخول في طينته. (مناقب آل أبي طالب، فصل في اللطائف: ج ١ ص ٢١٤ + بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤٠٢).

و قال صاحب «كشف الغمّة» في الكتاب: قال صلى الله عليه وآله: «أنا الأول والآخر لأنه أولٌ في النبوّة وآخر في البعثة». (كشف الغمة للإربلي: ١٣/١).

و في «تفسير الصافي» في سورة الفتح:

قال بعض أهل المعرفة: قد ثبت عصمته (صلى الله عليه وآله) فليس له ذنب، فلم يبق لإضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب والمراد أمته كما قيل «إياك ادعو واسمعي يا جارة» قال (ما تقدم من ذنبك) من آدم إلى زمانه (وما تأخر) من زمانه إلى يوم القيامة، فإنّ الكل أمته، فإنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع محمد (صلى الله عليه وآله) من اسم الباطن من حيث كان نبيا وآدم بين الماء والطين، وهو سيد النبيين والمرسلين، فإنه سيد الناس فبشر الله تعالى محمدا (صلىالله عليه وآله) بقوله: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) لعموم رسالته إلى الناس كافة. وما يلزم الناس رؤية شخصه فكما وجّه في زمان ظهوره رسوله عليا (عليه السلام) إلى اليمن لتبليغ الدعوة، كذلك وجّه الرسل والأنبياء إلى أممهم من حين كان نبياً وآدم بين الماء والطين، فدعا الكلَّ إلى الله، فالكلّ أمته من آدم إلى يوم القيامة، فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس وما تأخر منها، وكان هو المخاطب والمقصود «الناس» فيغفر الكل ويسعدهم وهو اللائق بعموم رحمته التي وسعت كل شيء! وبعموم مرتبة محمد (صلى الله عليه وآله) حيث بعث إلى الناس كافة بالنص، ولم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة، وإنما اخبر أنه مرسل إلى الناس كافة، والناس من آدم (عليه السلام) إلى يوم القيامة فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدّم من ذنبه ولما تأخّر (تفسير الصافي: ٥ / ٣٨).

انتهي تعليقة المؤلف قدس الله نفسه الزكيه.

١. العبارة المنقولة في المتن من الحديث الشريف مذكورة في ص ٣٥٠ من كتاب اليقين.

الآخرون...» الحديث[١].

ويُستفاد من هذه الأحاديث الشريفة وجهُ تسميتِه عليه السلام بـ «الصدّيق الأكبر» المتفّق عليه بين الفريقين بلغ إلى ما بلغ[٢] من منصب الولاية وفضّله الله على بريّته، واستدعى أوّليّته بالإيمان في عالم الميثاق وسبقه بالتصديق والإقرار التسليم على النبي صلى الله عليه وآله في الخلق الأول مزايا له على الخلائق، وأوجب عليه السبق والأوّليّة في عدّة مواضع من التشريفات الإلهية.

الأول: إنّه أوّل من فتح به باب الاستنارة الوجوديّة تشريفاً له من الله تعالى منه بذلك!

الثاني: إنّه أول من أُخذ له الميثاق من الأئمة، كما روي في الباب الثامن عشر من الجزء العاشر من «بصائر الدرجات» بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لقد أسرى بي ربّي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى... إلى أن قال:

يا محمد! عليٌّ الأوّل، أوّل من أخد ميثاقي من الأئمة، يا محمّد! عليٌّ الآخر، آخر من أقبض روحه من الأئمة...» الحديث[٣].

ورواه السيّد البحراني في «البرهان» عن سعد بن عبد الله، لكن فيه بدل ميثاقي «ميثاقه»[٤].

الثالث: إنّه أوّل من تنشقّ الأرض عنه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، كما في غير واحدٍ من كتب محدّثي العامّة والخاصّة، و نحن نذكر لفظ كتاب «اليقين» بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه قال لعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام:

«يا أبا الحسن! كلّم الشمس فإنّها تكلّمك! قال عليه السلام: السلام عليك أيّها العبد المطيع لله ولرسوله.

فقالت الشمس: وعليك السلام يا اميرالمؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين. أنت

---

١. الأمالي للطوسي: ٦٢٥، ورواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ١٧٨/٦ عن مجالس المفيد.

٢. من هنا صفحة واحدة سقطت من الأصل، نقلنا ما سقط من مخطوطة النجف.

٣. بصائر الدرجات: ٥٣٤ ح ٣٦.

٤. البرهان في تفسير القرآن: ٢٣٠/٤ (من الطبعة الجديدة).

يا عليُّ وشيعتك في الجنّة. يا علي! أوّلُ من تنشقُّ عنه الأرض محمّدٌ ثمّ أنت. وأوّل من يُحيى محمدٌ ثمّ أنت. وأوّل من يُكسى محمّدٌ ثمّ أنت...» الحديث[1].

ورواه الخوارزميُّ في مناقبه[2].

الرابع: إنّه أوّل الناس لقاءاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأوّلهم وروداً عليه، كما في الطرفة العشرين من كتاب «الطرف» للسيد المعتمد ابن طاووس ـ والكتاب موجودٌ عندنا[3] ـ عن مفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله إنّه قال: «أيّها الناس! الله الله في أهل بيتي! فإنّهم أركان الدين ومصابيح الظُلَم ومعدن العلم. عليٌّ أخي ووارثي ... إلى أن قال: أوّل الناس بي إيماناً وآخرهم عهداً وأوّلهم لي لقاءاً يوم القيامة...» الحديث.

وفي أمالي شيخ الطائفة بإسناده عن سلمان، قال: «إنّ أوّل هذه الأمّة وروداً على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أوّلها إسلاماً عليُّ بن أبي طالب عليه السلام»[4].

الخامس: إنّه أوّل من يصافح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما رواه شيخ الطائفة في أماليه عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «عليٌّ أوّلُ من آمن بي وأوّلُ من يصافحني يوم القيامة وهو الصدّيقُ الأكبر...» الحديث[5].

---

١. اليقين: ١٦٤، والحديث أورده المؤلف في كتابه الآخر الغدير: ٣٩٢/٣. وإلى هذا الحديث و كذا حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام أشار أبو القاسم الزاهي المتوفى ٣٥٢ في شعره بقوله:

مكـلّمُ الشمسِ ومَن رُدَّت لهُ ... ببابلٍ و الغربُ منها قد قبطْ

والحديث أخرجه أيضا الحموئي في فرائد السمطين: ١/ ١٨٥ ح ١٤٧، والقندوزي في ينابيع المودة: ١٤٠/١ باب ٤٩.

٢. المناقب: ١١٣ رقم ١٢٣ بإسناده عن شهردار الديلمي أحد مشايخ الخطيب الخوارزمي في الرواية.

٣. منه نسختان في مكتبة المؤلف رحمه الله مكتبة أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف، إحداهما برقم ٢٥٤ كتبت سنة ٩٢٧، وأخرى برقم ٢٤٧٨، كتبت سنة ١٠٧٨. راجع فهرس مخطوطات المكتبة بقلم المحقق الطباطبائي.

٤. الأمالي: ٢٤٦ رقم ٢٤، وعنه في بحار الأنوار: ٢١١/٣٨.

٥. الأمالي: ١٤٧ ح ٥٥، ورواه الخركوشي في شرف النبي كما في مناقب ابن شهرآشوب: ١/ ٢٩٠.

و ذكره المصنف في كتاب الغدير: ٣١٣/٢ وقال: أخرجه الطبراني عن سلمان وأبي ذر. والبيهقي والعدني عن حذيفة. والهيثمي في المجمع: ١٠٢/٩، والحافظ الكنجي في الكفاية: ٧٩ من طريق الحافظ ابن عساكر وفي

←

وفي الكتاب وغيره عن أبي ذر وسلمان جميعاً، قالا: «أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بيد عليٍّ عليه السلام فقال: إنّ هذا أوّلُ من آمن بي، وهذا أوّلُ من يصافحني يوم القيامة»[1].

السادس: إنّه أوّل من يقرب لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الموقف، كما رواه الشيخ ـ شيخ الطائفة ـ في أماليه والمفيد في المجالس بإسنادهما عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه، عن جدّه، قال:

«قال عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام على منبر الكوفة: أيّها الناس! إنّه كان لي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عشر خصالٍ هنّ أحبُّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس: قال لي رسول الله: يا علي! أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الخلائق إليّ يوم القيامة في الموقف بين يدي الجبّار...» الحديث[2].

وفي حديث فتح خيبر المتفّق عليه بين الخاصّة والعامّة عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنت في الآخرة أقرب الناس منّي»[3].

السابع: إنّه أوّل من يُدعى به يومَ القيامة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كما ورد به الحديث النبوي ونقله الشيخ الثقة ابن بطريق في «العمدة». قال صلّي الله عليه وآله وسلّم: «يا علي! إنّه أوّل من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي... إلى أن قال: وإنّي أخبرك يا

← آخره: وهو بابي الذي أوتى منه وهو خليفتي من بعدي. وذكره باللفظ الأول المتقي الهندي في إكمال كنز العمال: ٥٦/٦.

١. الأمالي للطوسي: ٢١٠ ح ٣٦١. وقال ابن شهرآشوب في المناقب (٣/ ٢٥):

و في تاريخ بغداد بالاسناد عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذٌ بيد عليٍّ يقول: هذا أوّلُ من يصافحني يوم القيامة.

قال السيّد الحميري:

وانّك خيرُ أهلِ الأرضِ طُرّا	وأفضلهم مَعا حَسَبا ودينا
وأوّلُ مَن يُصافحُني بكفّ	إذا بَرزَ الخَلائِقُ ناشرِينا

٢. أمالي الطوسي: ١٩٣، وأمالي المفيد: ١٧٤ ح ٤.

٣. رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في الغارات: ٦٢/١، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب: ٢٤٩/١، والقاضي نعمان في شرح الأخبار: ٣٨١/٢ رقم ٧٤٠.

علي إنّ أمّتي أوّل الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثمّ أنت أوّل من يُدعى بك لقرابتك ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد...» الحديث[1].

وفي أمالي شيخ الطائفة بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديثٍ طويلٍ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيدٍ من الأوّلين والآخرين... إلى أن قال: فينادي [منادٍ من تلقاء العرش] أين نبيُّ الرحمة محمّد... إلى أن قال: ثمّ ينادي بصاحبكم، فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثمّ يؤذن للناس فيمرّون...» الحديث[2].

وفي إرشاد الديلمي عن جابر، عنه عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة ويجمع الله الأوّلين والآخرين لفصل الخطاب ودعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودعا بأمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حلّةً خضراءَ يضيء بها ما بين المشرق والمغرب، ويكسى عليٌّ عليه السلام مثلها، ثمّ يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس فنحن والله نُدخل أهلَ الجنّة الجنة ونُدخل أهلَ النار النار، ثمّ يُدعى بالنبيّين عليهم السلام... الحديث»[3].

وفي مناقب الإمام الخوارزمي بإسناده أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم آخى بين المسلمين يوم بدر، ثمّ قال: «يا علي! أنت أخي ووزيري، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي، أما علمت يا علي أنّ أوّل من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي، قال: فأقوم عن يمين العرش في حلّةٍ خضراءَ من حلل الجنّة، ثمّ يُدعى بالنبيّين بعضهم في اثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللاً خضراء من حلل الجنّة، وأنت تنادى بعدي قبل الأنبياء فتكسى حلّة من حلل الجنّة...» الحديث[4].

وفي حديثٍ ذكرنا بعضه فيما سبق عن أبي جعفرٍ عليه السلام أنّه قال: «فأوّل من يُدعى بنداءٍ يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمّد بن عبدالله النبيّ القرشيّ العربيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: فيتقدّم حتّى يقف على يمين العرش، قال: ثمّ يُدعى بصاحبكم فيتقدّم

---

١. العمدة: ٢٢٩ رقم ٢٥٨، رواه ابن بطريق ضمن حديث المؤاخاة عن مسند أحمد بن حنبل بالاسناد والمتن.

٢. الأمالي: ٦٧، وفي بحار الأنوار: ١٧/٨ رواه عن الأمالي وعن بشارة المصطفى ومجالس المفيد.

٣. إرشاد القلوب: ٢٩٤/٢.

٤. المناقب: ١٤٠ رقم ١٥٩.

حتّى يقف على يسار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم»[١].

الثامن: إنّه أوّل من يدخل الجنّة من الناس كما ورد في حديث المؤالف والمخالف، ونحن نذكر لفظ الشيخ الثقة شيخ مشايخ الأجلة أبي الحسن بن شاذان قدّس سرّه في المنقبة التاسعة والأربعين من كتابه «مناقب المائة» ـ الموجود عندنا ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أوّل من يدخل الجنّة من النبيّين والصدّيقين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقام اليه أبو دجانة، فقال له: ألم تخبرنا عن الله أنّه أخبرك أنّ الجنّة محرّمةٌ على الأنبياء حتّى تدخلها أنت، وعلى الأمّة حتّى تدخلها أمّتك؟ قال: بلى، ولكن أما علمت أنّ حامل لواء القوم امامهم عليّ[٢] بن أبي طالبٍ عليه السلام حامل لواء الحمد يوم القيامة بين يديّ، فداخلٌ به الجنّة وأنا على اثره، فقام عليٌّ عليه السلام وقد أشرق وجهه سروراً وهو يقول: الحمد لله الذي شرّفنا بك يا رسول الله»[٣].

التاسع: إنّه أوّل من يرد على الحوض كما في «العمدة» للشيخ الأجل أبي الحسين يحيى ابن بطريق بإسناده عن سلمان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أوّل الناس وروداً على الحوض أوّلهم إسلاماً عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٤].

وفي غير واحدٍ من كتب المحدّثين من العامّة والخاصّة بإسنادهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا علي! إنّك غداً على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين، وإنّك أوّل من يرد عليّ الحوض»[٥].

وفي أمالي شيخ الطائفة مسنداً في حديثٍ طويلٍ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يا علي! إنّ الله عزّ وجلّ أعطاني فيك بسع خصال: أنت أوّل من تنشقّ عنه القبر معي!

---

١. تقدّم الحديث عن تفسير القمي في ص ١٦٥.

٢. مائة منقبة: وعليّ حامل اللواء (مع واو العاطفة).

٣. مائة منقبة: ص ٨١، ورواه الخوارزمي أيضا في المناقب: ٣١٧.

٤. العمدة: ٦٦ رقم ٨٠.

٥. رواه الخوارزمي في المناقب: ٢١٨ رقم ١٤٣ عن شهردار بن شيرويه الديلمي، وعن المناقب رواه الإربلي في كشف الغمة: ١/ ٢٩٠.

وأنت أوّل من يقف معي على الصراط فيقول للنار: خذي هذا فهو لك، وذري هذا فليس هو لك، وأنت أوّل من يكسى إذا كسيت ويحيى إذا حييت، وأنت أوّل من يقف معي عن يمين العرش، وأوّل من يقرع معي باب الجنّة، وأوّل من يسكن معي علّيين، وأوّل من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»[١].

فلا يخفى على المتأمّل الخبير أنّ هذه الفضائل التسعة السنيّة أعني: كونه أوّل من خلق، وأوّل من أخذ له الميثاق من الأئمة عليهم السلام، وأوّل من تنشقّ عنه الأرض بعد النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأوّل الناس لقاءاً لرسول الله، وأوّل من يصافحه، وأوّل من يمرّ به في الموقف، وأوّل من يدعى به يوم القيامة بعد رسول الله، وأوّل من يدخل الجنة، وأوّل من يرد على الحوض، وأمثال ذلك من التشريفات الإلهيّة كلّها من مقتضيات منصبه وشؤون ولايته المطلقة وخلافته الإلهيّة العامّة، ومن لوازم كونه إمام الكلّ ووليّ الكلّ.

وإنّما تشرّف بهذا المنصب المنيع وبلغ إلى ما بلغ وأعطاه الله ما أعطاه وفضّله على غير النبيّ المطلق من الخلق أجمعين لسبقه بالإقرار بالله ورسوله وأولويّته بالطاعة في عالم التكليف الأوّل، وأولويّته بالتبعيّة والإيمان بالله والتسليم على الإمام الأوّل الأولى بالناس كلّهم.

فهو عليه السلام بسبقه إلى الإيمان بالله ورسوله في الخلق الأوّل جعله الله تعالى أمير المؤمنين من الأوّلين والآخرين، ومرجع جميع النفوس والأرواح من الأنبياء والأولياء والأوصياء في عالمي الأمر والخلق، وشرّفه بذلك في نشأتي الغيب والشهود، وتحلّى بحلية الولاية المطلقة، وغدا وليّ الكلّ وأمير الكلّ وإمام الكلّ، وعرضت ولايته على الكلّ، وبعث الأنبياء بولايته، وكان أولى الناس بالنبيّين كأولويّته بساير الناس من أنفسهم، وأخذ ميثاق ولايته على الملائكة والأنبياء. وورد بذلك النصّ في غير واحدٍ من الأخبار المأثورة المرويّة عن الفريقين، ونحن نقتصر بذكر أربعة عشر حديثاً محذوف السند، فمن أراد السند فليراجع إلى أُصولها التي نذكرها:

---

١. الأمالي: ٦٤١ رقم ١٣٣٥.

[ذكر أربعة عشر حديثاً تفيدنا في المقام]

الأوّل: في الباب الثامن والخمسين بعد المأة من كتاب «اليقين» في حديثٍ طويلٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن الله تبارك وتعالى: «يا محمّد! إنّك رسولي إلى جميع خلقي، وإنّ عليّاً وليّي وأمير المؤمنين، وعلى ذلك أخذت ميثاق ملائكتي وأنبيائي [و جميع خلقي من قبل أن أخلق خلقاً في سمائي[1]] وأرضي، محبّةً منّي لك يا محمّد ولعليّ ولولدك ما...» الحديث[2].

الثاني: في أمالي شيخ الطائفة ومجالس الصدوق قدّس سرُّهما بإسنادهما عن أبي عبدالله عليه‌السلام: «إنّ ولايتنا ولاية الله عزّ وجلّ التي لم يُبعث نبيٌّ قطُّ إلّا بها...» الحديث[3].

وهذا الحديث روي في البصائر بطرقٍ أربعةٍ عن الإمامين الباقرين الصادقين عليهما السلام[4].

الثالث: في بصائر الدرجات، عن أبي سعيدٍ الخُدري قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعته يقول: يا عليّ! ما بعث الله نبيّاً إلّا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كرهاً»[5].

الرابع: في الكتاب، عن أبي الحسن عليه السلام قال: «ولاية عليٍّ عليه السلام مكتوبٌ[6] في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبيّاً إلّا بنبوّة محمّدٍ وولاية وصيّه عليٍّ عليه السلام»[7].

الخامس: في الكتاب، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيّين على ولاية عليٍّ عليه السلام، وأخذ عهد النبيّين بولاية

---

١. الزيادة من نقل المجلسي في البحار.

٢. اليقين: ٤١٢، والعبارة في ص ٤٢٦ منه.

٣. أمالي الطوسي: ٦٧١ رقم ١٤١٢، والحديث ينتهي بقوله عليه السلام (إلا بها) فكلمة «الحديث» اضافية في المتن، ورواه المفيد في أماليه أيضا: ١٤٢ رقم ٩.

٤. بصائر الدرجات: ٩٥.

٥. المصدر السابق: ٩٢.

٦. كذا في البصائر، وفي البحار: مكتوبة، وهو الصحيح.

٧. البصائر: ٩٢ ح ١.

عليٌّ عليه السلام»[١].

السادس: في الكتاب، عن سعد بن طريف قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن جبرئيل أتاني فقال: يا محمّد! ربّك يأمرك بحبّ عليّ بن أبي طالبٍ ويأمرك بولايته»[٢].

السابع: في الكتاب، عن عبد الأعلى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما نُبِّئَ نبيٌّ قطُّ إلّا بمعرفة حقّنا وبفضلنا عمّن سوانا»[٣].

الثامن: في الكتاب، عن أبي بصيرٍ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما من نبيٍّ نُبِّئَ، ولا من رسولٍ أُرسل[٤] إلّا بولايتنا وبفضلنا عمّن سوانا»[٥].

التاسع: في الكتاب، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «قال والله إنّ في السماء لسبعين صنفاً من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض أن يعدّوا عدد صنفٍ منهم ما عدّوهم، وإنّهم ليدينون بولايتنا»[٦].

العاشر: في الكتاب، عن الثمالي، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «أوحى الله إلى نبيّه: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٧]، قال: إنّك على ولاية عليٍّ، وعليٌّ هو الصراطُ المستقيم»[٨].

الحادي عشر: في الكتاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة وأباها مَلَك يُقال لها فطرس فكسر الله جناحها، فلمّا ولد الحسين بن عليّ عليهما السلام بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملكٍ إلى محمّدٍ صلى

---

١. البصائر: ٩٣ ح ٤.

٢. البصائر: ٩٤ ح ٩.

٣. بصائر الدرجات: ٩٤ ح ١.

٤. كذا في البصائر، وفي الأصل (من رسول رسول) بتكرار الرسول، فصححناه على المصدر.

٥. البصائر: ٩٤ ح ٢.

٦. البصائر: ٨٧ ح ٤.

٧. الزخرف: ٤٣، وفي الرواية (و استمسك) بالواو، فبدلناها بالفاء وفاقا للآية الشريفة.

٨. البصائر: ٩١ ح ٧.

الله عليه وآله يهنِّئُهُم[1] بولادته، فمرَّ بفطرس، فقال له فطرس: يا جبرئيل! إلى أين تـذهب؟ يقال: بعثني الله إلىٰ محمّد أهنّئهم بمولودٍ ولد في هذه الليلة، فقال له فطرس: احملني معك وسَلْ محمّداً يدعو لي، فقال له جبرئيل: اركب جناحي، فركب جناحه فأتى محمّداً صلى الله عليه وآله، فدخل عليه وهنّأهُ، فقال له: يا رسول الله! إنّ فطرس بيني وبينه أُخوّة وسئلني أن أسألك أن تدعو الله له أن يردّ عليه جناحه!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لفطرس: أتفعل؟ قال: نعم، فعرض عليه رسـول الله صلى الله عليه وآله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: شأنك بالمهد فتمسّح به وتمرّغ فيه، قال: فمضى فطرس فمشى إلى مهد الحسين بن عليّ عليهما السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعو له، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فنظرت إلى ريشه وأنّه ليطلع ويجري منه الدّم ويطول حتّى لحق بجناحه الآخر وعرج مع جبرئيل إلى السماء وصار إلى موضعه»[2].

الثاني عشر: ما رواه غيرُ واحدٍ من المحدِّثين من العامّة والخاصّة ونحن نذكر لفظ ما في الباب العاشر من كتاب «اليقين» نقلاً عن كتاب المناقب للحافظ ابن مردويه،

عن أنس بن مالك قال: «بينما أنا عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ قال صلى الله عليه وآله: يطلع الآن، قلتُ: فداك أُمّي وأبي مَنْ ذا؟ قال: سيّد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيّين وأولى الناس بالنبيّين، قال: فطلع عليٌّ عليه السلام...» الحديث[3].

الثالث عشر: في الباب الرابع والثلاثين من الكتاب، عن أنس بن مالك، قال: «كنت خادم رسول الله صلى الله عليه وآله، فبينا أنا أُوضّيه فقال: يدخل داخلٌ هو أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وخير الوصيّين وأولى الناس بالنبيّين وأمير الغرّ المحجّلين، فقلت: اللهمَّ اجعله رجلاً من الأنصار، قال: فإذا عليٌّ عليه السلام قد دخل»[4].

---

١. كذا في البصائر وفي نقل البحار، وأظنّه مصحف، والصحيح أن يقال: يهنّئه.

٢. البصائر: ٨٨ ح ٧.

٣. اليقين: ١٤١.

٤. اليقين: ١٧٩.

الرابع عشر: في البصائر، عن جابرٍ عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[١]، قال:

«عهد إليه في محمّدٍ والأئمّة من بعده، فترك ولم يكن له عزمٌ فيهم أنّهم هكذا، وإنّما سمّى أُولوا العزم [أولي العزم][٢] لأنّه عهد إليهم في محمّدٍ والأوصياء من بعده والمهدي [و سيرته][٣] عليهم السلام، فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به»[٤].

هذه جملةٌ من أخبار الباب وهي كثيرةٌ تزيد عن أربعين حديثاً، وسنقرأ بعضها في مطاوي كلماتنا إن شاء الله تعالى. وقد أخذ الله ميثاق هذه الولاية على الناس في يوم الخلق الأوّل وعالَم الأظلّة، وورد النصّ بذلك في أحاديث كثيرةٍ يقرُب إلى ثلاثين حديثاً مسنداً، ونقتصر في المقام على عشرة أحاديثٍ محذوفة السند:

[عشرة أحاديث في أخذ الله ميثاقَ الولاية يوم الخلق الأوّل]

الأوّل: في الكافي والتوحيد والعلل بإسنادهم عن أبي عبدالله عليه السلام: «فلمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: مَن ربّكم... إلى أن قال:

ثمّ قال النبيّ آدم: أقِرُّوا لله بالربوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة...» الحديث[٥].

الثاني: في كتاب الحضرمي ـ الموجود عندنا ـ عن جابر، قال: «سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن تفسير هذه الآية: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾[٦]...» الحديث. ورواه عليّ بن إبراهيم في تفسيره بتغييرٍ يسيرٍ[٧].

---

١. طه: ١١٥.

٢. ساقطة من الأصل، أثبتناها من المصدر.

٣. كذا في البصائر.

٤. بصائر الدرجات: ٩٠ ح ١.

٥. الكافي: ١/ ١٣٢ ح ٧، التوحيد: ٣١٩، علل الشرائع: ١/ ١١٨.

٦. الآية ١٦ من سورة الجنّ.

٧. تفسير القمي: ٢/ ٣٨٩

الثالث: في البصائر في قول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[1]، عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«إنّ رحم آل محمّدٍ عليهم السلام معلّقةٌ بالعرش يقول: اللهمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَني واقطع مَن قطعني، وهي تجري في كلّ رحمٍ، ونزلت هذه الآية في آل محمّدٍ عليهم السلام وما عاهدهم عليه وما أخذ عليهم من الميثاق في الذّر من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة بعده، وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ الآية.

ثمّ ذكر أعدائهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[2] يعني في أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي أخذ الله عليهم في الذّر، وأخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ»[3].

الرابع: في البصائر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تكاملت النبوّة لنبيّ في الأظلّة حتّى عُرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثّلوا له، فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم»[4].

الخامس: في الكتاب، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: «الذي أُخذ عليهم الميثاق من ولايتنا»[5].

السادس: في تفسير عليّ بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم بالربوبيّة، ولرسوله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بالإمامة، فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ومحمّد نبيّكم وعليّ إمامكم والأئمّة الهادين أئمّتكم...» الحديث[6].

السّابع: في تفسير فرات بن إبراهيم عن محمّد بن عليٍّ عليهما السلام: «لو علم الناس متى سُمّي عليٌّ أميرَ المؤمنين عليه السلام ما اختلف فيه اثنان! قال: قلت: متى؟ قال: فقال

---

١. الرعد: ٢٠.

٢. البقرة: ٢٧.

٣. تفسير القمي: ١/٣٦٣، وكذا في بحار الأنوار رواه المجلسيُّ عن تفسيري القمي والعياشي. ولم أجده في البصائر.

٤. بصائر الدرجات: ٩٣ ح ٧.

٥. البصائر: ١١٠ ح ٢، والآية في سورة الإنسان: ٧.

٦. تفسير القمي: ١/٢٤٦.

لي: في الأظلّة حين أخذ الله الميثاق من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى، محمّدٌ نبيّكم عليٌّ أمير المؤمنين وليّكم»[1].

الثامن: في الفقيه، عنه عليه السلام: «وإنّما جعل الميثاق في الحجر لأنّ الله تعالى لمّا أخذ الميثاق له بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالوصيّة اصطكّت فرائص الملائكة، فأوّل مَن أسرع إلى الإقرار بذلك الحجر...» الحديث[2].

التاسع: في العلل، عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «إنّ الله خلق الخلق... (إلى أن قال) ثمّ دعاهم إلى ولايتنا فأقرّوا والله بها من أحبب، وأنكرها مَن أبغض...» الحديث[3].

العاشر: في اليقين، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: أنت الذي احتجّ الله به في ابتداء الخلق حيث أقامهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ قالوا جميعاً: بلى، فقال: محمّدٌ رسول الله (رسولي صح)[4]، فقالوا جميعاً: بلى، فقال: وعليٌّ أمير المؤمنين، فقالوا جميعاً لا استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفرٌ قليل، وهم أقلّ القليل، وهم أصحاب اليمين»[5].

وسنقرأ في محلّه إن شاء الله تعالى هذه الأحاديث وما في هذا المعنى بأسانيدها كملاً.

فعلم ممّا ذكر أنّ أمر النبوّة والإمامة وتفضيل الأنبياء والأوصياء على سائر أفراد البشر واختصاصهم بهذا المنصب المنيع، وتفضيل بعضهم على بعضٍ، واختلاف مراتبهم ومدارجهم في الخلافة الإلهيّة، واختصاص نبيّنا وأوصيائه بإطلاق المنصب وعموميّة

---

١. تفسير فرات الكوفي: ١٤٧ رقم ١٨٤.

٢. من لايحضره الفقيه: ٢/١٩١ رقم ٢١١٤، ورواه الكليني في الكافي: ٤/١٨٦ وجاء في الهامش:

اصطكت: أي ارتعدت، والفريصة بالمهملتين: اللحمة بين الجنب والكتف. (في)

وقال في القاموس: اصطكت: اضطربت. وقال: الفريص: أوداج العنق. وقال المجلسي رحمه الله: اما سبب اصطكاك فرائصهم فقيل كان ذلك لعلمهم بانكار من ينكره من البشر، والظاهر أنه كان للدهشة وعظم الامر وتأكيد الفرض وخوف أن لا يأتوا في ذلك بما ينبغي.

٣. علل الشرائع: ١/١١٨ مع اختلاف يسير، ورواه الكليني في الكافي: ١/٤٣٦، والصفار في البصائر: ١٠٠ عن مولانا أبي جعفر عليه السلام.

٤. كذا في الأصل.

٥. اليقين لابن طاووس: ٢١٣.

الولاية على كافّة الخلائق، وبعثهم بالنبوّة والولاية على جميع أفراد الإنسان من آدم إلى يوم القيامة، وبلوغهم من الولاية رتبةً تقصر دونها الأفهام، ونيلهم في جميع أيّام الإنسان بتشريفات إلهيّة لا يماثلهم أحدٌ، كلُّ ذلك من ضروريّات الديانة الإسلاميّة ورؤوس المذهب الحنفي، يستدعي ضرورة عالم خلقٍ وتكليفٍ وميثاقٍ واختبارٍ قبل هذه النشأة الدنيويّة، ولولاه يلزم في أساس المذهب من الفساد ما لا نهايةَ له.

[يوم الجمعة يوم جمع الخلائق]

فبالجملة أنّ الله تبارك وتعالى بعدما جمع السماوات والأرض في ستّة أيّام وحصل الفراغ عنها خلق في يوم الجمعة الأرواح البشريّة والذرّات الإنسانيّة المزيّنة بغريزة العقل، وجمعهم فيه لأخذ الميثاق عليهم كما أُشير إلى ذلك فيما رواه شيخُ المحدِّثين جعفر بن محمّد القمّي في كتاب العروس بإسناده عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام:

«خلق الأنبياء والأوصياء يوم الجمعة، وهو اليوم الذي أخذ الله فيه ميثاقهم، خلقنا نحن وشيعتنا من طينةٍ مخزونةٍ لا يشذّ فيها شاذٌّ إلى يوم القيامة»[١].

فجمع الله تعالى الناس في هذا اليوم على الميثاق، وأخذ ميثاق النبيّين والناس أجمعين بولايته وولاية مالكي أزمّة الولاية المطلقة بالنبوّة والوصاية محمّد وعليّ صلوات الله عليهما وآلهما، ومن هنا سمّي ذلك اليوم بالجمعة.

ويرشد إلى هذا المعنى ما روي عن جعفر بن محمّدٍ الصادق عليهما السلام: «سُمّيت الجمعةُ جمعةً لأنّ الله جمع الخلق بولاية محمّدٍ وأهل بيتهِ صلوات الله عليهم»[٢].

وعنه عليه السلام: «جمعَ الله عزّ وجلّ الخلق لولايتنا يومَ الجمعة». وعنه عليه السلام: «سُمّيت الجمعةُ جمعةً لأنّ الله جمع للنبيّ صلى الله عليه وآله أمره»[٣].

وعن أبي جعفرٍ عليه السلام: «إنّما سمّيت الجمعةُ جمعةً لأنّ الله تبارك وتعالى جمعَ فيها

---

١. بحار الأنوار: ٨٦/ ٢٨١ عن كتاب العروس.

٢. الأمالي لشيخ الطائفة: ٦٨٨ رقم ١٤٦١، وعنه في بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٠٩.

٣. بحار الانوار: ٨٦/ ٢٨١ نقلا عن كتاب العروس، مستدرك الوسائل: ٦/ ٥٩.

خلقَه لولاية محمّدٍ صلى الله عليه وآله ووصيّه في الميثاق، فسمّاه يومَ الجمعة لجمعه فيه خلقه»[1].

ومن هنا يعلم وجه ما قيل: «المحمّديّون أهل الجمعة ومحمّدٌ صاحبها»، ولمّا كان يوم الجمعة يوم أخذ الإقرار بالله والميثاق بالولاية، وإن شئت قلت يوم طاعةٍ وفطرةٍ، ويوم جمعٍ وشهودٍ في الحضرة الإلهيّة للعبادة الروحيّة بالإقرار والتوحيد والولاية بمشهدٍ من صاحب الولاية، ندبَ للناس فيه الفراغ من الاشتغال (الأشغال) الدنيويّة التي حجبت الإنسان وبعّدتهُ عن الحضرة القدسيّة وأوجبت عليه نسيان الميثاق المأخوذ، وأمر بالحضور والاجتماع بالعبادة الروحيّة والصلاة القلبيّة بمحضرٍ من صاحب الولاية في كلّ جمعةٍ تذكاراً للاجتماع والحضور الأوّل المنشئ في الجمعة الأُولى في عالم الأظلّة، وتجديداً للجمع والميثاق المأخوذ في يوم الجمع الأوّل، وجعل مراتب الفضيلة بين المؤمنين وتقدّم بعضهم على بعضٍ بالسبق إلى الحضور للحضرة الإلهيّة بالتعبّد بتبعيّة صاحب الولاية في ذلك اليوم كما كان كذلك بالسبق إليه في الجمعة الأُولى في الخلق الأوّل.

[أحاديث في يوم الجمعة وشأنه]

وإلى هذا المعنى أُشير فيما رواه الشيخ الفقيه الوجيه أبو محمّد جعفر بن أحمد القمّي قدس سره في كتابه العروس ـ الموجود نسخته عندنا ـ عن جابر، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «إذا كان حين يبعث الله العباد أتى بالأيّام يعرفها الخلائق بأسمائها وحليتها يقدّمها يوم الجمعة، له نورٌ ساطعٌ تتّبعه سائر الأيّام كأنّه عروسٌ كريمةٌ ذاتُ وقارٍ تُهدى إلى ذي علمٍ وشأنٍ، ثمّ يكون يوم الجمعة[2] شاهداً لمن حافظ وسارع إليه ثمّ يدخل المؤمنون على قدر سبقهم إلى الجنّة»[3].

١. الكافي: ٣/ ٤١٥، التهذيب: ٣/٣.

٢. ثمّ يكون الجمعة شاهداً وحافظاً لمن سارع إلى الجمعة يدخل المؤمنون... الحديث، كذا وجدت في لفظ بعض المحدّثين (منه رحمه الله في الهامش).

٣. الأمالي للطوسي: ٤٣٧، روضة الواعظين: ٣٣٢، ورواه المحدث النوري في المستدرك: ٦٩/٦ عن كتاب العروس للقمي.

وفي حديثٍ آخر: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحفٌ من فضّةٍ وأقلام من ذهبٍ يكتبون الأوّل فالأوّل على مراتبهم... الحديث»[١].

ولكون الجمعة يوم أخذ ميثاق الولاية ندب في كلّ جمعةٍ زائداً على سائر الأيّام تجديد الولاية والإقرار بها بالصلاة على محمّدٍ وآله، وأمر بتعقيب الصلوات المفروضة في هذا اليوم في الغداة والظهر والعصر بالصلاة على محمّدٍ وآله، كما عقّب الله تعالى ميثاق ربوبيّته بميثاق ولايتهم في جمعة ألست وقال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ومحمّدٌ نبيّكم وعليٌّ أميركم، وذلك لكون معنى الصلاة على النبيّ وآله تجديد ميثاق الولاية المأخوذة على الناس.

وهذا المعنى يفيده ما روي في العلل مسنداً عن موسى بن جعفرٍ عليهما السلام قال: قال الصادق جعفر بن محمّدٍ عليهم السلام: «مَن صلّى على النبيّ وآله فمعناه أنّي على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى...» الحديث[٢].

ومن هنا وظّف الله تعالى في يوم الجمعة ملائكةً يكتبون صلوات المصلّين على صاحب الولاية، كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا كانت عشيّة الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكةٌ من السماء، معها أقلام الذهب وصحف الفضّة، لا يكتبون إلّا الصلاة على النبيّ عليه السلام إلى أن تغيب الشمس من يوم الجمعة»[٣].

وهذا وجه كونه شاهداً وشفيعاً يوم القيامة لمَن صلّى على محمّدٍ وآله، كما روى الشيخ القمّي المتقدّم في كتابه العروس عن الصادق عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة بعث الله الأيّام في صوَرٍ يعرفها الخلق أنّها الأيّام، ثمّ يبعث الله الجمعة أمامها يقدّمها كالعروس ذات جمالٍ وكمالٍ تُهدى إلى ذي دينٍ ومالٍ، قال: فتقف على باب الجنّة والأيّام خلفها، يشهد ويشفع لكلّ من صلّى الصلاة على محمّدٍ وآل محمّد (عليهم السلام) لا غيرهم...» الحديث[٤].

---

١. رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٨٦/ ٣٦٣ عن مجمع البيان وجنة الأمان.

٢. لم أجده في العلل، ورواه في معاني الأخبار: ١١٥ بالاسناد واللفظ.

٣. رواه الصدوق في من لايحضره الفقيه: ١/ ٤٢٤، وفي الخصال: ٣٥١، ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً كما في وسائل الشيعة: ٥/ ٧١ وفي آخره: إلا الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٤. كذا نقله العلامة المجلسي في البحار: ٨٦/ ٣٥٣ عن كتاب العروس.

وقد أُشير إلى كون هذا اليوم شاهداً في قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1].

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «سيّد الأيّام يوم الجمعة، وهي شاهد ومشهود يوم عرفة»[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة»[3].

وعن أحدهما عليهما السلام مثله[4].

ويعلم ممّا ذكر سرّ أفضليّة هذا اليوم على سائر الأيّام، ووجه كونه مختاراً لله تعالى بينها وكونه سيّدها، كما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الله اختار من كلّ شيءٍ شيئاً واختار من الأيّام يوم الجمعة»[5].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: «خير يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة»[6].

وعنه صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل: «هو سيّد الأيّام ونحن ندعوه إلى الآخرة يوم المزيد»[7].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوم الجمعة سيّد الأيّام، يضاعف فيه الحسنات ويمحو فيه السيّئات ويرفع فيه الدرجات ويستجاب (وتُستجاب) فيه الدعوات ويكشف فيه الكربات ويقضى فيه الحاجات العِظام، وهو يوم المزيد لله فيه عُتقاء وطُلقاء من

---

١. البروج: ٣.

٢. روضة الواعظين: ٣٣١، قال الشريف الرضي في كتابه المجازات النبوية (ص ٣١١):
ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " سيد الأيام يوم الجمعة " وهذا القول مجازٌ، والمراد أنّ ليوم الجمعة شرفاً ونباهةً يبين بهما من سائر الأيام، فيكون مقدّماً لها، وعالياً عليها لما يختصّ به من صلاة الجماعة التي ينشر ذكرها، ويعظم أجرها كما يتقدّم السيّد على من دونه بعلوّ القدر، ونباهة الذكر.

٣. معاني الأخبار: ٢٩٨ ح ٢، وقال عليه السلام (رقم ٣ من نفس المصدر): الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم العرفة، والموعود يوم القيامة.

٤. معاني الأخبار: ٢٩٩ ح ٦.

٥. الكافي: ٤١٣/٣.

٦. بحار الأنوار: ٢٧٤/٨٦.

٧. وهو جزءٌ من حديثٍ رواه الهيثميُّ في مجمع الزوائد: ٤٢١/١٠ بإسناده عن أنس بن مالك عن النبي صلّى عليه وآله وسلّم.

النار...» الحديث[1].

فأنت لو تأمّلت فيما ذكرنا تعرف حقّ يوم الجمعة وحرمته، ويتّضح لك معنى ما في الحديث الشريف النبويّ على محدّثه وآله الصلاة أنّه قال: «يوم الجمعة سيّد الأيّام... إلى أن قال:

ما دعا فيه أحدٌ من الناس وعرف حقّه وحرمته إلّا كان حقّاً على الله أن يجعله من عُتقائه وطُلقائه من النار، فإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً وبعث آمناً. وما استخفّ أحدٌ بحرمته وضيّع حقّه إلّا كان حقّاً على الله أن يصليه نار جهنّم إلّا أن يتوب...» الحديث[2].

[تجديد العهد والميثاق في يوم غدير خمّ]

ثمّ اعلم أنّ لاختصاص هذا اليوم بالولاية وصاحبها ـ كما عرفت ـ أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجّة بغدير خمٍّ بجمعٍ من سبعين ألفٍ أو يزيدونَ تجديدَ البيعة المأخوذة في الخلق الأوّل وتأكيد ميثاق الولاية المأخوذ في عالم التكليف الأوّل بخطاب الله تعالى، وأوحى إليه بجبرئيل كما ورد في الحديث بقوله صلى الله عليه وآله:

«جدّد عهدك وميثاقك وبيعته، وذكّرهم ما في الذّر من بيعتي وميثاقي الذي أوثقتهم به، وعهدي الذي عهدت إليهم من الولاية لمولاهم، ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ عليّ بن أبي طالب عليه السلام... إلى أن قال: فأقم يا محمّدُ عليّاً وخُذ عليه البيعة، وجدّد عهدي وميثاقي لهم الذي أوثقتهم عليه، فإنّي قابضك إليّ ومستقدمك...» الحديث[3].

فكان ذلك التجديد للميثاق الأوّل والتذكار للبيعة الأولى يوم الجمعة أيضاً رعاية اختصاصه بالولاية، وإشعار الميثاق المأخوذ يوم الجمعة الأُولى بتطابق الميثاقين. ولمزيد اختصاص هذا اليوم (الجمعة) بصاحبي الولاية المطلقة والخلافة العامّة محمّدٍ وعليٍّ، صلّى

---

١. الكافي: ٣/٤١٤ ح ٥.

٢. تهذيب الأحكام: ٣/٢ ح ٢.

٣. اليقين لابن طاووس: ٣٤٤ ضمن خطبةٍ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في يوم الغدير.

الله عليهما وآلهما، وقع فيه ولادتهما وأشرقت الأرض بنورهما، فولد النبيّ صلى الله عليه وآله على الأشهَر الأصحّ يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل، وولد عليٌّ عليه السلام يوم الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من رجب، وبهذه الخصوصيّة والاختصاص يتوقّع يوم الجمعة ظهور صاحب الولاية الغائب عن الأبصار، وتنشر فيه ألوية الولاية الحقّة، كما ورد في غير واحدٍ من أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام.

ولا يخفى عليك وجه وقوع القيامة الكبرى في يوم الجمعة كما ورد في الحديث الشريف النبوي على محدِّثه وآله الصلاة والسلام، ورواه غيرُ واحدٍ من أئمّة الحديث أنّه صلى الله عليه وآله قال: «يوم الجمعة يتخوّف فيه الحول وشدّة القيامة والفزع الأكبر...» الحديث[1].

وعنه صلى الله عليه وآله: «ما من ملَكٍ مقرّبٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جبالٍ ولا شجرٍ إلّا وهو يشفق يوم الجمعة أن تقوم الساعة فيه...» الحديث. رواه الشيخ الثقة الصالح أحمد بن فهد الحلّي في «عدّة الدّاعي»[2].

وذلك لرجوع القيامة للولاية وصاحبها حيث إنّ القيامة الكبرى يوم عرضٍ وجمعٍ للمُسائلة عن الولاية كما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[4]، وورد النصّ بذلك في أخبارٍ كثيرةٍ بطرق العامّة والخاصّة في تفسير هاتين الآيتين، ونحن نقتصر منها بذكر عشرة أحاديث:

الأوّل: في «الاحتجاج» في حديثٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ النعيم الذي يسأل [العباد][5] عنه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن حلَّ محلّه من أصفياء الله، فإنّ الله أنعم بهم على مَن اتّبعهم من أوليائهم»[6].

الثاني: عن الصادق عليه السلام: «أنّه سأل أبو حنيفة عن الآية المذكورة، فقال له: ما

---

١. لم أجد الحديث بهذا اللفظ في المجاميع الروائية.

٢. عدة الداعي: ٣٨، ورواه الصدوق في الخصال: ٣١٥ ح ٩٧.

٣. التكاثر: ٨.

٤. الصافات: ٢٤.

٥. ليس في الأصل، أضفناه من المصدر.

٦. الاحتجاج: ١/ ٣٧٥ ضمن احتجاجه عليه السلام على زنديقٍ يبدأ من ص ٣٥٨ من الكتاب.

النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام والماء البارد. فقال: لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلةٍ أكلتها أو شربةٍ شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه. قال: فما النعيم جُعِلْتُ فداك؟

قال عليه السلام: نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين، وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءً، وبنا هداهم الله إلى الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الذي أنعم به عليهم وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته».

رواه غيرُ واحدٍ من المفسّرين نقلاً عن العيّاشي بإسناده[1].

الثالث: عن الصادق عليه السلام: «أنّه قال لأبي حنيفة: بَلَغني أنّك تفسّر النعيم في هذه الآية بالطعام الطيّب والماء البارد في اليوم الصائف؟ قال: نعم، فقال عليه السلام: لو دعاك رجلٌ وأطعمك طعاماً طيّباً وسقاك ماءً بارداً ثمّ امتنَّ عليك به، إلى ما كنت تنسبه؟ قال: إلى البخل، قال: أفبخل الله تعالى؟ قال: فما هو؟ قال: حبّنا أهل البيت»[2].

الرابع: في العيون بإسناده وعن الرضا عليه السلام قال: «ليس في الدُّنيا نعيمٌ حقيقيٌ، فقال له بعض الفقهاء ممّن يحضره: فيقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أمّا هذا النعيم هو الماء البارد.

فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته: كذا فسّرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب! فقالت طائفة[3]: هو الماء البارد، وقال غيرهم: هو الطعام الطيّب، وقال آخرون: هو طيب النوم، ولقد حدّثني أبي عن أبيه أبي عبدالله عليهما السلام أنّ أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ فغضب وقال: إنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عباده عمّا تفضّل عليهم به ولا يمُنّ بذلك عليهم، والامتنان بالانعام مستقبحٌ من المخلوقين،

---

١. كالطبرسي في مجمع البيان: ١٠/٤٣٣، والفيض الكاشاني في تفسير الصافي: ٥/٣٧٠، وفي تفسير نور الثقلين: ٥/٦٦٣ عن المجمع.

٢. تفسير الصافي: ٥/٣٧٠ عن العياشي في تفسيره.

٣. (طائفة) ساقطة من الأصل.

فكيف يضاف إلى الخالق عزّ وجلّ ما لا يرضى المخلوقون؟[١]، ولكنّ النعيم حبّنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والنبوّة، لأنّ العبد إذا وفى بذلك أدّاه إلى نعيم الجنّة الذي لا يزول...» الحديث[٢].

الخامس: في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ أكرم وأجلّ أن يطعمكم طعاماً فسوّغكموه[٣] ثمّ يسألكم عنه، ولكن يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمّدٍ وآل محمّدٍ (صلوات الله عليهم أجمعين)»[٤].

السادس: في العلل، بإسناده عن عليٍّ بن موسى الرضا عليهما السلام [..عن النبي] قال: «وعزّة ربّي إنّ جميع أُمّتي لموقوفون يوم القيامة ومسؤولون عن ولايته (يعني ولاية عليّ عليه السلام)، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾»[٥].

السابع: الصدوق بإسناده عن أبي سعيدٍ: «عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾، قال: عن ولاية عليٍّ عليه السلام على ما صنعوا في أمره وقد أعلمهم الله عزّ وجلّ أنّه الخليفة من بعد رسوله»[٦].

الثامن: في تفسير البرهان عن أبي سعيدٍ الخُدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«إذا كان يوم القيامة أمر الله ملَكين يقعدان على الصراط، فلا يجوز أحدٌ إلّا ببراءة علي بن أبي طالبٍ، ومَن لم تكن له براءة أمير المؤمنين أكبّه الله على منخريه في النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾. قلت: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله! ما معنى براءة أمير المؤمنين عليه السلام؟

---

١. كذا في الأصل، وفي المصدر(العيون): ما لا يرضى المخلوق به.

٢. عيون أخبار الرضا: ١/١٣٦ ح ٨.

٣. في الكافي: يسوّغكموه.

٤. الكافي: ٦/٢٨٠ ح ٣، ورواه البرقي في المحاسن: ٢/٤٠٠.

٥. لم أجده في العلل و إنما رواه الصدوق في العيون: ٢/٢٨٠، والآية في سورة الصافات: ٢٤.

٦. معاني الأخبار: ٦٧ ح ٧.

قال: مكتوبٌ لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ بن أبي طالبٍ وصيُّ رسول الله»[١].

التاسع: في أمالي شيخ الطائفة بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على جهنّم لم يجز عليه إلّا من معه جوازٌ فيه ولاية علي بن أبي طالبٍ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني ولاية علي بن أبي طالبٍ عليه السلام»[٢].

العاشر: في خصال القمّي رحمه الله بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتّى يُسئَل عن أربع؛ عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت»[٣].

[صاحب الولاية قسيم النار والجنة]

فيوم الجمعة يشفق فيه قيام الساعة، ويتخوّف فيه هول القيامة والعرض الأكبر لمزيد اختصاص الجمعة للولاية وصاحبها، وكون يوم القيامة يوم إياب الخلق إلى صاحب الولاية ورجوعهم إليه. وعليه في ذلك اليوم حسابهم وهو قسيم الله الجنّة والنار، يقول: هذا للجنّة وهذا للنّار. والناس يدان جميعهم في ذلك اليوم بالولاية، ويقسّم أهل الجنّة والنار من جميع الأمم بالحبّ والبغض لوليّ المطلق، وهو صاحب الجنّة والنار في ذلك اليوم، وقد ورد بذلك نصوصٌ كثيرةٌ لا يسعنا ذكرها في المقام، ونقتصر لترتّب فوائد جمّة لما رواه رئيس المحدّثين شيخ الحفظة الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن المفضّل بن عمر قال:

«قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لِمَ صار أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام

١. رواه ابن شاذان القمي في كتابه مائة منقبة: ٣٦ (المنقبة السادسة عشر) و رواه عنه المحدث البحراني في تفسير البرهان: ٥٩٤/٤ من الطبعة الحديثة.

٢. الأمالي: ٢٩٠ رقم ٥٦٤ و عنه في البحار: ٢٠٨/٣٩، ورواه الطبري في بشارة المصطفى (ص٢٢٧) بلفظ قريب.

٣. الخصال: ٢٥٣ رقم ١٢٥.

قسيم الجنّة والنار؟

قال: لأنّ حبّه إيمانٌ وبغضه كفرٌ، وإنّما خُلِقَت الجنّة لأهل الإيمان وخُلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيمُ الجنّة والنار لهذه العلّة، والجنّة لا يدخلها إلّا أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلّا أهل بغضه.

قال المفضّل: يابن رسول الله! فالأنبياء والأوصياء كانوا يحبّونه وأعدائهم كانوا يبغضونه؟ قال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه، ما يرجع حتّى يفتح الله على يديه، فدفع الراية إلى عليٍ عليه السلام ففتح الله عزّ وجلّ على يديه؟ قلت: بلى!

قال: أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أُتِيَ بالطائر المشويّ قال: اللهمَّ ايتني بأحبّ خلقك إليك ويأكل معي من هذا الطائر، وعنى به عليّاً عليه السلام؟ قلت: بلى، قال: فهل يجوز أن لا يحبَّ أنبياءُ الله ورسلُه وأوصيائُهم عليهم السلام رجلاً يحبّه اللهُ ورسولُه ويحبّ اللهَ ورسولَه؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز أن يكونَ المؤمنون من أُممهم لا يحبّون حبيبَ الله وحبيبَ رسوله وأنبيائِه عليهم السلام؟ قلت: لا!

قال: فقد ثبت أنّ جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام محبّين، وثبت أنّ أعدائهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبّتهم مبغضين، قلت: نعم، قال: فلا يدخل الجنّة إلّا من أحبّه من الأوّلين والآخرين، ولا يدخل النار إلّا من أبغضه من الأوّلين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنّة والنار.

قال المفضّل بن عمر: فقلت له: يابن رسول الله! فرّجت عنّي فرّج الله عنك، فزدني ممّا علّمك الله، قال: سَلْ يا مفضّل، فقلت له: يابن رسول الله! فعليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام يُدخل محبّه الجنّةَ ومبغضَه النّارَ أو رضوانُ ومالكٌ؟

فقال عليه السلام: يا مفضّل! أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو روحٌ إلى الأنبياء وهم أرواحٌ قبل خلق الخلق بألفي عامٍ؟ فقلت: بلى، قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعتِه واتّباعِ أمره ووعدَهم الجنّة على ذلك وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟ قلت: بلى، قال: أفليس النبيّ صلى الله عليه وآله ضامناً

لما وعد وأوعد عن ربّه عزّ وجلّ؟ قلت: بلى، قال: أوليسَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفته وإمامَ أُمّته؟ قلت: بلى، قال: أوليسَ رضوانُ ومالكٌ من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته؟ قالت: بلى!

قال: فعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام إذنْ قسيمُ الجنّة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضوانُ ومالكٌ صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضّل خُذ هذا فإنّه من مخزون العلم ومكنونه لا تُخرجه إلّا إلى أهله»[1].

استرواحٌ بجملةٍ من القصيدة الهائيّة الأُزريّة وتخميسها في احتجاج فاطمةَ عليها السلام على القوم:

وَلِخَطْبِ الخِطابِ أبدَتْ حَنينا ... مـلأ الدَّهـر رنّـةً وأنـينا

وأسـىً أيـقظَ النـبيَّ الأمـينا ... أيّـها القـومُ راقِـبُوا اللهَ فِـينا

نحنُ من روضةِ الجليلِ جَنَاهَا

حبُّنا ديـنُ الحـقِّ والبُـغضُ كُـفرُ ... وَولانـا يـوم القـيامة ذخْـرُ

وبه في الجِنان كـم شـيدَ قَـصْرُ ... نحنُ من بادىء السـماواتِ سـرُّ

لو كَرِهنَا وجودَها ما بَراها

وبـنا اللهُ أكـمَلَ الإيـمانا ... ولنـا زيَّـنَ الإلهُ الجِـنانا

ولأعـدائِـنا بَـرا النـيرانـا ... بَلْ بآثارِنا ولُطفِ رِضـانا

سَطَحَ الأرضَ والسماءَ بَناها

فإلى فَضْلِنا لَدىٰ الحَشْـرِ أيـضٌ ... وَلَدينا في جَـنَّةِ الخُـلدِ حَـوضٌ

ولَـنا فـي النـعيمِ أزْهَـرَ رَوْضٌ ... وَلنا مِن خَـزائِـن الغـيبِ فَـيْضٌ

تَرِدُ المهتدون منه هُداها

إنّ ربّ السَّـما إليـنا تـجَلّىٰ ... وحَـبانا أمْـرَ الجـنان وَوَلّـىٰ

وبها خَصَّ مَنْ بـنا قَـدْ تَـولّىٰ ... إن تروموا الجنان فهي من اللْ

ـهِ إلينا هديّة أهداها

---

١. علل الشرائع: ١/ ١٦١.

بل ولانـا الجِـنان لا تَـدَعُوها | والرّضـا أُمّ روضـها وأبـوها
فاصْحَبوا حـبّنا ومـنّا خُـذُوها | هــي دارٌ لنـا ونـحنُ ذَوُوهَـا

لا يرى غيرُ حِزبِنا مرماها

خُلِقَتْ لِـلّذي إلى الحـقّ دَانَـا | لا لمـن خَـانَ عَـهْدَنا وجَـفانا
فـجِنانُ النـعيمِ مَـهرُ ولانـا | وَكَذاكَ الجَحيم سجنُ عِـدانـا

حسبُهم يومَ حشرِهم سكناها[1]

أيضُ[2] إلى ما نحن فيه:

فكما عرفت أنّ تفضيل الأنبياء والأوصياء على سائر أطباق الناس وتفضيل بعضهم على بعض ووجدان كلّ واحدٍ منهم رتبةً من منصب النبوّة والوصاية وتقديم كلٍّ منهم على الآخر بتشريفاتٍ إلهيّةٍ في الآخرة والأُولى إنّما هو على حسب مراتب أهليّتهم الحاصلة بطاعة الله، واستحقاقهم العلمي المكتسب في عالم الأظلّة يوم الميثاق.

فاعلم أنّ تفضيل الأنبياء وتشريفهم في خلق الأرواح البشـريّة بـخلق أرواحـهم مـن العلّيّين، وخلق روح صاحبي النبوّة العامّة والولاية المطلقة من الكلمة الإلهيّة، وخلق أرواح المؤمنين دون العلّيّين، وخلق أرواح الجبابرة والمستكبرين عن عـبادة الله مـن السـجّين، وكذلك تفضيل الناس بعضهم على بعضٍ في الخلق الثاني بالخلق من العلّيّين ودون العلّيّين، والسجّين ودون السجّين، وجعلهم صنفين وصفّين: صحب يمينٍ وشمالٍ، وجعل أصحاب اليمين المقرّبين وغير مقرّبين، وثبت الإيمان وكتابته على صفحات قلوب صحب الإيمان، وثبت الكفر والجحود على القلوب المستكبرة، كلّ ذلك ممّا لا نستطيع إنكاره ليس إلّا من جهة الاستحقاق العلمي والأهليّة المكتسبة!

فهذه القضايا المسلّمة الثابتة التي لا يردّها إلّا الجاهل المعتوه إنّما يقتضي وجودَ عـالَمِ خلقٍ وتكليفٍ قبل هذا العالم الموجود وتكليفه، ولولاه يلزم من الفساد ما يلزم، وسيجيء إن شاء الله تعالى تفصيل هذه التفضيلات البشريّة وتحقيقها في «المطلب الرابع» تحت عنوان

١. الأزرية للشيخ كاظم الأزري: ١٠٤ ـ ١٠٥.

٢. أيض: آضَ يئيضُ أيضاً: سارَ وعادَ. وآضَ إلى أهله: رجع إليهم.

قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الآية[١].

[الأدلّة النقليّة من الكتاب والسنّة]

هذا، وأمّا الأدلّة النقليّة من الكتاب والسنّة فنقول: أمّا الآيات فهي تبلغ عشرين آيةً نذكرها مرتّبةً مع ما يرجع إليها من الأخبار نقرأها مستعيناً بالله مستعيذاً به من الشيطان الرجيم.

[الآية الأولى]

الآية الأُولى: قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الآية[٢].

١. البرقيُّ في المحاسن: عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف ويذكرونه يوماً ما، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ مَن خالقُه ولا مَن رازقُه»[٣].

٢. البرقيُّ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن رفاعة النخّاس بن موسى:

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، قال: نعم الحجّة على جميع خلقه وهكذا أخذهم يوم أخذ الميثاق وهكذا وقبض يده».

ورواه العيّاشيُّ في تفسيره بتغييرٍ يسير[٤].

---

١. الواقعة: ٧ ـ ٩.

٢. الأعراف: ١٧٢

٣. المحاسن: ١/ ٢٤١ رقم ٢٢٥.

٤. المحاسن: ١/ ٢٤٢ رقم ٢٢٩، تفسير العياشي: ٢/ ٣٧ رقم ١٠٣.

٣. البرقي، عن أبيه، عن فضالة، عن جميل بن درّاج، عن زرارة:

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾، قال عليه السلام: كان ذلك معاينة الله فأنساهم المعاينة وأثبت الإقرار في صدورهم، ولولا ذلك ما عرف أحدٌ خالقَه ولا رازقَه، وهو قول الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله﴾»[1].

٤. الصفّار في الجزء الثاني من البصائر: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسن بن موسى، عن عليّ بن حسّان، عن عبدالرحمن بن كثير:

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ قال عليه السلام:

أخرج الله من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّر فعرّفهم نفسه وأراهم نفسه (كذا في تفسير الفرات) ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه، ثمّ قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى، وأنّ هذا محمّداً رسولي وعليّاً أمير المؤمنين خليفتي وأميني. رواه في الجزء الثاني أيضاً بهذا السند، لكن فيه كذا: وأنّ هذا محمّداً رسولُ الله، وعليّاً أمير المؤمنين».

ورواه فراتُ بن إبراهيم في تفسيره ـ وهو موجودٌ عندنا ـ ولفظ آخر الحديث فيه كذا: «قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى، قال: فإنّ محمّداً رسولي وعليّاً أمير المؤمنين خليفتي وأميني»[2].

٥. الصفّار في الجزء الأوّل من البصائر؛ حدّثنا إبراهيمُ بن هاشمٍ عن أبي عبدالله البرقي، عن ابن سنان أو غيره يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام، قال:

«إنّ حديثنا صعبٌ مستصعبٌ لا يحتمله إلّا صدورٌ منيرةٌ أو قلوبٌ سليمةٌ وأخلاقٌ حسنةٌ، إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فمن وفا لنا وفا الله له بالجنّة، ومَن أبغضنا ولم يؤدِّ إلينا حقّنا ففي النار خالداً مخلّداً».

---

١. الزخرف: ٨٧، والحديث رواه البرقي في المحاسن: ١/ ٢٨١ رقم ٤١١.

٢. بصائر الدرجات: ٩١ ح ٦، تفسير العياشي: ٢/ ٤٠ رقم ١١١.

ورواه الكلينيُّ رحمه الله بتغييرٍ يسيرٍ[١].

٦. العيّاشيُّ محمّد بن مسعود في تفسيره، والسيّد الأجلّ البحراني في تفسير البرهان، والعلامة المجلسي رحمه الله في كتاب الحجّ من بحار الأنوار عن عبيدالله (عبدالله في البرهان) الكلبي (الحلبي في النسخة الموجودة عندنا)، عن أبي جعفرٍ وأبي عبدالله عليهما السلام، قالا:

«حجّ عمر أوّل سنةٍ حجّ وهو خليفةٌ، فحجّ تلك السنة المهاجرينَ والأنصارُ، وكان عليٌّ عليه السلام قد حجّ تلك السنة بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبدالله بن جعفرٍ، إلى أن قالا عليهما السلام: فلمّا دخلوا مكّة طافوا بالبيت، فاستلم عمر الحجر وقال: أما والله إنّي لأعلم أنّك حجرٌ لا يضرّ ولا ينفع، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله استلمَك ما استلمتُك!

فقال له عليٌّ عليه السلام: مَه يا أبا حفصٍ لا تفعل! فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستلم إلّا لأمرٍ قد علمه، ولو قرأت القرآن فعلمتَ من تأويله ما علِمَهُ غيرك لعلمتَ أنّه يضرّ وينفعُ، له عينانِ وشفتانِ ولسانٌ ذَلقٌ يشهد لمن وافاه بالموافاة، قال: فقال له عمر: فأوجدني ذلك من كتاب الله يا أبا الحسن!

فقال عليٌّ عليه السلام: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ فلمّا أقرّوا بالطاعة بأنّه الربّ وأنّهم العباد وأخذ عليهم الميثاق بالحجّ إلى بيته الحرام، ثمّ خلق الله رِقّاً أرقّ من الماء وقال للقلم اكتب موافاة بني آدم في الرق[٢]، ثمّ قال للحجر: احفظ واشهد لعبادي الموافاة، فهبط الحجرُ مطيعاً لله.

يا عمر! أوليسَ إذا استلمت الحجر قلت: أمانتي أدّيتُها وميثاقي تعاهدتُه لتشهد لي بالموافاة؟ فقال عمر: اللهمّ نعم، فقال له عليٌّ عليه السلام: آمِنُ ذلك (من ذلك في البرهان)،

---

١. بصائر الدرجات: ٤٥ ح ٢٠، الكافي: ١/ ٤٠١.

٢. كذا في الأصل، و في البحار: اكتب موافاة خلقي بيتي الحرام فكتب القلم موافاة بني آدم في الرق.

(الأمر ذلك كذا في النسخة الموجودة)».[١]

٧. في الكافي: عليُّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة: «أنّ رجلاً سأل أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ إلى آخر الآية، فقال وأبوهُ يسمعُ:

حدّثني أبي: أنّ الله عزّ وجلّ قبض قبضةً من تراب التربة التي خلق آدمَ منها، فصبّ عليها الماءَ الندب الفرات، ثمّ تركها أربعين صباحاً، ثمّ صبّ عليها الماءَ الملح الأُجاج فتركها أربعين صباحاً، فلمّا اختمرت الطينةُ أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذّر من يمينه وشماله وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخل أصحابُ اليمين فصارت عليهم بَرداً وسلاماً، وأبى أصحابُ الشمال أن يدخلوها».

أقول: ورواه العيّاشيُّ في تفسيره[٢].

٨. في الكتاب: عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة: «عن أبي جعفرٍ عليه السلام سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الآية، قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذّر فعرّفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه».

أقول: ورواه الصدوقُ رحمه الله في التوحيد بإسناده إلّا أنّ فيه مكان قوله عليه السلام: وأراهم نفسه: «وأراهم صنعه»[٣].

٩. في كتاب النكاح من الكافي والتهذيب: عن أبي عليٍّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان، عن ابن أبي عمير، عن عبدالرحمن الحذّاء،

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان عليُّ بنُ الحسين عليهما السلام لا يرى بالعزل

---

١. تفسير العياشي: ٢/ ٣٨ رقم ١٠٥، ورواه عنه المجلسي في بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٢٧ ح ٢٩. وما بين القوسين من المؤلف رحمه الله.

٢. الكافي: ٢/ ٧ ح ٢، العياشي: ٢/ ٣٩ رقم ١٠٩.

٣. الكافي: ٢/ ٧، التوحيد: ٣٣١ ح ٩.

بأساً. فقرء هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، وكلّ شيءٍ أخذ الله منه الميثاق فهو خارجٌ وإن كان على صخرةٍ صمّاء»[1].

١٠. في كتاب الصلاة من التهذيب في أعمال يوم الغدير: الحسين بن الحسن الحسيني، قال: حدّثنا محمّد بن موسى الهمداني، قال: حدّثنا عليّ بن حسّان الواسطي، قال: حدّثنا عليّ بن الحسين العبدي، قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول:

«صيامُ يوم غدير خمٍّ يعدل صيام عمر الدُّنيا... إلى أن قال: وليكن من دعائك في دبر هاتين الركعتين أن تقول: رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ، اللهمَّ فإنّا نشهد أنّه عبدك الهادي من بعد نبيّك، المأخوذ ميثاقه مع ميثاق رسولك صلى الله عليه وآله من جميع خلقك وبريّتك، ورضيت لنا الإسلام ديناً بموالاته، وأتممت علينا نعمتك التي جدّدت لنا عهدك وميثاقك، وذكّرتنا ذلك وجعلتنا من أهل الإخلاص والتصديق بعهدك وميثاقك ومن أهل الوفاء بذلك، وأتممت علينا النعمة التي جدّدت لنا عهدك وذكّرتنا ميثاقك المأخوذ منّا في مبتدأ خلقك إيّانا وجعلتنا من أهل الإجابة، وذكّرتنا العهد والميثاق ولم تنسنا ذكرك فإنّك قلت: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، اللهمَّ بلى شهدنا بمنّك ولطفك..» الدّعاء بطوله.

ورواه شيخنا الأجلّ الثقة محمّد بن المشهدي رحمه الله في كتابه المعروف بـ «المزار» وهو موجودٌ عندنا[2].

١١. الصدوق رحمه الله في العلل: حدّثنا أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة قال:

«سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قال: ثبتت المعرفة

---

١. الكافي: ٥ / ٥٠٤ ح ٤، تهذيب الأحكام: ٤١٧/٧ رقم ١٦٧٠.

٢. تهذيب الأحكام: ١٤٣/٣ ح ٣١٧، المزار لابن المشهدي: ٢٨٨ (صلاة يوم الغدير والدعاء فيها).

ونسوا الوقت[١] وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ مَن خالقه ولا من رازقه»[٢].

أقول: رواه العيّاشيُّ في تفسيره بتغييرٍ يسيرٍ.[٣]

١٢. في الكتاب، بسندٍ أشار إليه وهو: حدّثنا أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن الحسين بن أبي العلاء، عن حبيب عمّن رواه عن أبي عبدالله عليه السلام، قال عليه السلام:

«أتقول في الأرواح إنها جنودٌ مجنّدةٌ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟ قال: فقلت: إنّا نقول ذلك، قال: فإنّه كذلك، إنّ الله عزّ وجلّ أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلّةٌ قبل الميلاد، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، قال: فمن أقرَّ له يومئذٍ هاهنا ومن أنكره يومئذٍ جاء خلافه هاهنا».[٤]

١٣. الطوسيُّ شيخُ الطائفة رحمه الله في الأمالي: أخبرنا جماعةٌ، عن أبي المفضّل قال: حدّثنا أبو نصر ليث بن محمّد بن نصر بن اللّيث البلخي قال: حدّثنا أحمد بن عبدالصمد بن مزاحم الهروي سنة إحدى وستّين ومأتين قال: حدّثني خالي عبدالسّلام بن صالح أبو الصلت الهروي قال: حدّثني عبدالعزيز بن عبدالصمد العمي البصري قال: حدّثنا أبو هارون العبدي، عن أبي سعيدٍ الخُدري قال:

«حجّ عمر بن الخطّاب في إمرته، فلمّا افتتح الطواف حاذى الحجر الأسود فاستلمه وقبّله وقال: أُقبّلُك وأنّي لأعلمُ أنّك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع! ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وآله بك حفيّاً، ولولا أنّي رأيته يُقبّلك ما قبّلتك!

قال: وكان في الحجيج عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فقال: بلى والله أنّه ليضرّ وينفع! قال: فبِمَ قلت ذلك يا أبا الحسن؟ قال: بكتاب الله تعالى، أشهد أنّك لذو علمٍ بكتاب الله تعالى، فأين ذلك من الكتاب؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

---

١. وفي المصدر (العلل): الموقف (بدل الوقت).

٢. علل الشرائع: ١/١١٧ ح ١.

٣. تفسير العياشي: ٢/٤٠ رقم ١١٢.

٤. علل الشرائع: ١/٨٤ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار: ٥/٢٤١.

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، وأخبرك أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم مسح ظهره فاستخرج ذرّيته من صلبه في هيئة الذّر فألزمهم العقل وقرّرهم أنّه الرّب وأنّهم العبيد، فأقرّوا له بالربوبيّة وشهدوا على أنفسهم بالعبوديّة، والله عزّ وجلّ يعلم أنّهم في ذلك في منازلَ مختلفةٍ، فكتب أسماء عبيده في رقٍّ، وكان لهذا الحجر يومئذٍ عينان وشفتان ولسان، فقال له: افتح ففتح فاه فألقمه ذلك الرّق، ثمّ قال له: إشهد لمَن وافاك بالموافاة يوم القيامة.

فلمّا هبط آدم عليه السلام هبط والحجر معه، فجعل في موضعه الذي ترى من هذا المكان، وكانت الملائكة تحجّ هذا البيت من قبل أن يخلق الله آدم، ثمّ حجّه آدم ثمّ نوح من بعده ثمّ هدم البيت ودُرِسَت قواعده فاستودع الحجر من أبي قبيس، فلمّا أعاد إبراهيم وإسماعيل بناء البيت وبناء قواعده واستخرج الحجر من أبي قبيس بوحيٍ من الله عزّ وجلّ فجعلاه بحيث هو اليوم من هذا الركن وهو من حجارة الجنّة، وكان لمّا أُنزلَ في مثل لون الدّر وبياضه وصفاء الياقوت وضيائه فسوّدته أيدي الكفّار ومن كان يلمسه من أهل الشرك بعتائرهم[١].

قال: فقال عمر: لا عشتُ في أُمّةٍ لستَ فيها يا أبا الحسن»[٢].

[الحديث في مصادر أهل السنّة]

أقول: هذا الحديث قد اتّفق على نقله أصحاب الحديث من الفريقين وقد رواه غيرُ واحدٍ من أئمّة محدِّثي العامّة، منهم علاءُ الدِّين عليّ بن حسام الدِّين الشهير بالمتّقي الهندي نقله في كتابه «منتخب كنز العمّال» المطبوع في هامش المسند تأليف الإمام أحمد بن حنبل، والكتاب موجودٌ عندنا، ذكره في صحيفة ٣٥٢ من الجزء الثاني من الكتاب نقلاً عن فضائل مكّة للجندي، والطوالات لأبي الحسن القطّان، ومستدرك الحاكم، وصحيح ابن حبّان، عن أبي سعيدٍ الخدُري قال:

---

١. كذا في المصدر: بعتائرهم، وفي الأصل: فنائرهم .والعتائر جمع عتيرة بمعنى الذبيحة.

٢. الأمالي لشيخ الطائفة: ٤٧٦ رقم ١٠٤١.

«حججنا مع عمر بن الخطّاب فلمّا دخل الطواف استقبل الحجر فقال: إنّي لأعلم أنّك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع ولولا أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلك ما قبّلتك! فقبّله، فقال له عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: يا أميرَ المؤمنين إنّه يضرّ وينفع، قال: بِمَ؟ قال: بكتاب الله عزّ وجلّ، قال: وأين ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ... إلى قوله: بَلَى﴾، خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرّرهم بأنّه الرّب وأنّهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رقٍّ، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له: افتح فاك! ففتح فاه، فألقمه ذلك الرّق فقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وأنّي أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسانٌ ذَلقٌ يشهد لمن استلمه بالتوحيد، فهو يا أميرالمؤمنين يضرّ وينفع.

فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قومٍ لستَ فيهم يا أبا الحسن»[1].

ومنهم العلّامة القسطلاني في الجزء الثالث من «إرشاد الساري» شرح صحيح البخاري في «باب ما ذكر في الحجر الأسود» صحيفة ١٩٥ عند شرح ما رواه البخاريُّ بإسناده عن عمر: «أنّه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: إنّي أعلم أنّك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع، وزاد الحاكم في هذا الحديث: فقال عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: بل يا أمير المؤمنين يضرّ وينفع ولو علمت ذلك من تأويل كتاب الله لعلمت أنّه كما أقول، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فلمّا أقرّوا أنّه الرّب عزّ وجلّ وأنّهم العبيد كتب ميثاقهم في رقٍّ وألقمه في هذا الحجر وأنّه يُبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة، فهو أمين الله في هذا الكتاب، فقال له عمر: لا أبقاني الله بأرضٍ لستَ فيها[2] يا أبا الحسن»[3].

---

١. كنز العمال: ٥ / ١٧٧ رقم (١٢٥٢١). ورواه المصنف رحمه الله في الجزء السادس من موسوعته الخالدة الغدير: ص ١٠٣ ذيل عنوان «جهل الخليفة بتأويل كتاب الله» وذكر هناك عدةً من أهمّ مصادر أهل السنّة، فراجع إن شئت.

٢. وفي لفظ: أعوذ بالله أن أعيش في قومٍ لستَ فيهم يا أبا الحسن.

٣. إرشاد الساري: ٣/١٦١ ح ١٥٩٧.

أقول: هذا الحديث الشريف المروي بسند الفريقين فيه فوائد غير ما نحن فيه لمن تأمّل وتدبّر.

١٤. في خصائص الأئمّة للسيّد الشريف الرضيّ رحمه الله ـ والكتاب موجودٌ عندنا ـ عن أصبغ بن نباتة، قال:

«أتى ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام وكان معنتاً في المسائل، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى عليه السلام؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردّوا عليه الجواب، قال: فثقُلَ ذلك على ابن الكوّاء ولم يعرفه، فقال: وكيف كان ذلك؟ قال له: أوَما تقرء كتاب الله إذ يقول لنبيّنا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب كما تسمع في قول الله يابن الكوّاء! قالوا: بلى، وقال لهم: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وأنا الرحمن الرحيم، فأقرّوا له بالطاعة والربوبيّة وميّز الرُّسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بطاعتهم، فأقرّوا بالميثاق وأشهدهم على أنفسهم وأشهد الملائكة عليهم أن تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ »[1].

ورواه العيّاشيُّ في تفسيره بتغييرٍ يسيرٍ في بعض ألفاظه[2].

١٥. فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره ـ والكتاب موجودٌ عندنا ـ قال: حدّثنا عليُّ بن عتابٍ معنعناً عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«لو أنّ الجهّال من هذه الأُمّة يعرفون متى سمّي أمير المؤمنين لم ينكروا، وأنّ الله تبارك وتعالى حين أخذ ميثاق ذرّية آدم وذلك فيما أنزل الله تعالى على محمّدٍ صلى الله عليه وآله في كتابه قال الله تعالى فنزل جبرئيل كما قرأناه، يا جابر! ألم تسمع بقول الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ وأنّ محمّداً رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، فوالله لسمّاه الله أمير المؤمنين في

---

١. خصائص الأئمة: ٨٧.

٢. تفسير العياشي: ٢/ ٤١ ح ١١٦، ورواه عن العياشي والشريف الرضي الطباطبائيُّ في الميزان: ٨/ ٣٢٤.

الأظلّة حيث أخذ ميثاق ذرّية آدم عليه السلام»[1].

١٦. في الكتاب: حدّثني أحمد بن محمّد بن أحمد بن طلحة الخراساني معنعناً عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «قلت له: يابن رسول الله! متى سُمّي [علي] أمير المؤمنين عليه السلام؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى حيث أخذ ميثاق ذرّية ولد آدم، وذلك فيما أنزل على محمّدٍ صلى الله عليه وآله كما قرأناه ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأنّ محمّداً عبدي ورسولي وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، فسمّا الله تعالى أمير المؤمنين حيث أخذ ميثاق ذرّية بني آدم»[2].

١٧. في الكتاب: حدّثني جعفرُ بن محمّدٍ الفزاري معنعناً، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «لو أنّ الجهّال من هذه الأمّة يعلمون متى سمّي عليٌّ أميرَ المؤمنين لم ينكروا ولايتَه وطاعتَه.

قال: فسألته: ومتى سمّي عليٌّ أميرَ المؤمنين؟ قال: حيث أخذ الله ميثاق ذرّية آدمَ، وكذا نزل به جبرئيل على محمّدٍ صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأنّ محمّداً عبدي ورسولي وأنّ عليّاً أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى، ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: والله لقد سمّاه الله تعالى باسم ما سمّى باسمه أحداً من قبله»[3].

ورواه السيّد الأجلّ ابن طاووس رحمه الله في كتاب «اليقين» ـ الموجود عندنا ـ نقلاً عن كتاب محمّد بن العبّاس بن عليّ بن مروان بسند كذا، حدّثنا عليّ بن العبّاس البجلي قال: حدّثنا محمّد بن مروان النزال، قال: حدّثنا زيد بن المعدل، عن أبان بن عثمان، عن خالد بن يزيد، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «لو أنّ الجهّال...» الحديث[4].

١٨. في الكتاب: حدّثني عثمان بن أبي محمّدٍ معنعناً عن أبي خديجة، قال: قال

١. تفسير فرات الكوفي: ١٤٦ ح ١٨١.

٢. المصدر السابق: ١٤٦ ح ١٨٢.

٣. تفسير فرات الكوفي: ١٤٦ ح ١٨٣.

٤. اليقين: ٢٨٤.

محمّد بن عليٍّ عليهما السلام: «لو علم الناس متى سمّي عليٌّ أميرَ المؤمنين ما اختلف فيه اثنان، قال: قلت: متى؟ قال: فقال لي: في الأظلّة حين أخذ الله الميثاقَ من بني آدمَ من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى، محمّدٌ نبيّكم، عليٌّ أمير المؤمنين وليّكم»[1].

١٩. في الكتاب، حدّثني جعفرُ بن محمّدٍ الأزدي معنعناً، عن جابر الجعفي، قال: «قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: متى سمّي عليّ أمير المؤمنين؟ قال: قال لي: أوَما تقرأ القرآن؟ قال قلتُ: بلى، قال: فاقرأ، قلت: وما أقرأ؟ قال: إقرأ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ إلى آخر الآية، فقال لي: هيه[2] وإلى أيْشٍ ومحمّدٌ رسولي وعليٌّ أمير المؤمنين، فثمّ سمّاه ـ يا جابرُ ـ أميرَ المؤمنين»[3].

بيانٌ من المحدِّث المجلسي قدس سره:

قوله عليه السلام: «هيه» بالهاء للسكت، أي هي الآية التي أردت ولكن لا تعرف أنّها انتهت. «إلى أيش» أي: إلى أيّ شيءٍ. ثمّ ذكر تتمّة الميثاق، ويحتمل أن يكون «هيه» منعاً للقراءة وأمراً بالسكوت ليذكر تتمّة الميثاق. في القاموس: يُقال لشيءٍ يطرد «هيه هيه» بالكسر، وهي كلمة استزادة أيضاً[4].

٢٠. في الباب الخامس والستّون من كتاب اليقين[5] قال: فيما نذكره من المجلّد الأوّل من كتاب الدلائل تأليف الشيخ الثقة أبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، بتقديم تسمية مولانا عليّ عليه السلام بأمير المؤمنين، فقال ما هذا لفظه:

وأخبرني أبو عبدالله الحسين بن عبدالله البزّاز قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أحمد بن لؤلؤ البزار، قال: حدّثنا أبوسهيل أحمد بن عبدالله بن زياد، قال: حدّثني أبوالعبّاس عيسى بن إسحاق، قال: سألت إبراهيم بن هراسة، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي،

---

١. تفسير فرات الكوفي: ١٤٧ ح ١٨٤.

٢. كذا في الأصل، وفي تفسير الفرات ـ طبعة وزارة الثقافة ـ: «هَبْهُ» بالباء.

٣. المصدر السابق: ١٤٥ ح ١٨٠.

٤. بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٧٨

٥. هو للسيد الثقة الوجيه عليّ بن طاووس رحمه الله، وهو موجودٌ عندنا (منه رحمه الله).

قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام: «لو علم الناس متى سُمّي عليٌّ أمير المؤمنين، قال: كان ذلك حيث أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ومحمّدٌ رسولي وعليٌّ أمير المؤمنين».[1]

أقول: وذكره في موضعٍ آخر من الكتاب نقلاً عن كتاب محمّد بن العبّاس بن مروان بطريقه، ونقله أيضاً في الباب السادس والثلاثون بعد المائة من الكتاب، روايةً عن السيّد النسّابة فخار بن معد الموسوي.

٢١. في الباب الحادي والسبعون والخامس والسبعون من كتاب اليقين، قال: فيما نذكره من كتاب الإمامة[2] بالأسانيد الصحاح في أنّ عليّاً عليه السلام سمّي بأمير المؤمنين عند ابتداء الخلائق، فقال ما هذا لفظه: حدّثنا العرني الحسن بن الحسين، قال: حدّثني ابن العلاء، عن معروف بن خربوذ المكّي،

عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «لو يعلم الناس متى سُمّي عليٌّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقّه، فقيل له: متى سمّي أمير المؤمنين؟ فقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، قال: محمّدٌ رسول الله وعليٌّ أمير المؤمنين».[3]

٢٢. مدينة المعاجز وغاية المرام للسيّد العلّامة البحراني رحمه الله: عن ابن شيرويه، يرفعه إلى حذيفة اليماني قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو يعلم الناس متى سُمّي عليٌّ أميرَ المؤمنين ما أنكروا فضلَه، سمّي أمير المؤمنين وآدمُ بين الرّوح والجسد، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ وقالت الملائكة بَلى، فقال الله تبارك وتعالى: أنا ربّكم ومحمّدٌ نبيّكم وعليٌّ وليّكم وأميركم».[4]

---

١. اليقين لابن طاووس: ٢٢٢.

٢. هو دلائل الإمامة للشيخ الثقة الأجلّ محمّد بن جرير الطبري (منه رحمه الله).

٣. اليقين: ٢٣١.

٤. غاية المرام: ٨٢/١، مدينة المعاجز: ٦٧/١.و رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٨٥/٢٦ عن اليقين لابن طاووس وفي: ١٧٨/٣٦ عن العلامة في كشف الحقّ.

٢٣. العيّاشيُّ في تفسيره: عن جابر، قال أبو جعفر عليه السلام:

«يا جابر! لو يعلم الجهّال متى سمّي أمير المؤمنين عليّ لم ينكروا حقّه، قال: قلت: جعلت فداك! متى سمّي؟ فقال لي: قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ... إلى... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأنّ محمّداً نبيّكم رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين، قال: ثمّ قال لي: يا جابر! هكذا والله جاء بها محمّدٌ صلى الله عليه وآله»[1].

٢٤. في تفسير العيّاشي: عن أبي بصير: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ قلت: قالوا بألسنتهم؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم، فقلت: وأيّ شيءٍ كانوا يومئذٍ؟ قال: صنع بهم ما اكتفي به»[2].

٢٥. في تفسير العيّاشي: عن زرارة قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.. إلى قوله: بَلَى﴾، قال: كان محمّدٌ عليه وآله السلام أوّلَ من قال بلى، قلت: كانت رؤية معاينة؟ قال: نعم فأثبت المعرفة في قلوبهم ونسوا ذلك الميثاق وسيذكرونه بعد، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ مَن خالقه ولا من رازقُه»[3].

٢٦. في تفسير البرهان عن «الثاقب في المناقب»[4]: عن أبي هاشم الجعفري، قال: «كنت عند أبي محمّدٍ العسكري فسأله محمّد بن صالح الأرمني عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية، قال: ثبتوا المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه يوماً، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ من خالقه ومن رازقه.

قال أبو هاشم: فجعلتُ أتعجّب في نفسي من عظيم ما عظم الله وليّه من جزيل ما حمله، فأقبل أبو محمّد صلوات الله عليه وقال: الأمر أعجب ممّا عجبت منه ـ يا أبا هاشم ـ وأعظم! ما ظنّك بقومٍ من عرفهم عرف الله ومَن أنكرهم أنكر الله، ولا مؤمن حتّى يكون بولايتهم

---

١. تفسير العياشي: ٤١/٢ رقم ١١٤.

٢. تفسير العياشي: ٤٠/٢ رقم ١١٠.

٣. تفسير العياشي: ٣٩/٢ رقم ١٠٨.

٤. لأبي جعفر محمّد بن علي بن حمزة الطوسي المتوفى حدود ٥٦٠ صاحب كتاب الوسيلة. وكتابه هذا طبع بتحقيق الشيخ نبيل رضا علوان في قم سنة ١٤١٢.

مصدّقاً وبمعرفتهم موقناً»[1].

٢٧. في الكافي: عليّ بن إبراهيم، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي الربيع القزّاز، عن جابر، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«قلت له: لِمَ سمّي أمير المؤمنين؟ قال: الله سمّاه وهكذا نزل في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأنّ محمّداً رسولي وأنّ عليّاً أمير المؤمنين (عليهما الصلاة والسلام)»[2].

ورواه العيّاشيُّ في تفسيره، وهذا لفظه: عن جابر قال:

«قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: مَن سمّى أمير المؤمنين؟ قال: قال الله، أنزلت هذه الآية على محمّدٍ صلى الله عليه وآله: وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وأنّ محمّداً رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين؟ فسمّاه الله ـ والله ـ أمير المؤمنين»[3].

[فذلكة القول في المستفاد من الآية الشريفة]

أقول: هذه جملةٌ من الأخبار الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[4].

واقتصرنا بهذه الجملة من الأخبار خوفاً للإطالة، وهي كافيةٌ شافيةٌ على من اتّبع الهدى، ولا ينبغي للمتأمّل في هذه الأحاديث المعنعنة المسندة المعتبرة التجاسر على كتاب الله تعالى والردّ عليه واستعمال العقل الكاسد والرأي الفاسد في تأويل آياته الباهرة. فالآية الشريفة يستفيد منها المتأمِّل في أحاديثها مطالب ثلاثة:

١. البرهان ـ الطبعة المحققة ـ: ٢ / ٦١٥.

٢. الكافي: ١ / ٤١٢ ح ٤، وما بين القوسين من المؤلف.

٣. تفسير العياشي: ٢ / ٤١ رقم ١١٣، وفيه: متى سمي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟..

٤. الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣.

الأوّل: وجود عالم عرضٍ وجمعٍ قبل هذا العالم الموجود، وخلق الذراري البشريّة عن الظهور الأمرية. ولكون ذرّية كلّ رجلٍ مأخوذاً من صلبه مع كون جميعهم من صلب آدم صحّ أن يقال: إنّ الله تعالى أخذهم من صلب بني آدم، كما يصحّ أن يقال: إنّه أخذهم من صلب آدم. فاختلاف التعبير في الآية والحديث من جهة هذا الاستعمال السائغ الشائع الذي لا مجالَ للطعن فيه.

الثاني: إشهاد الخلق على أنفسهم وإنطاقهم وأخذ الميثاق عنهم بالربوبيّة والنبوّة والولاية وبيان لسان استنطاقهم والإخبار عن تلبيتهم وإقامة الشهود عليهم.

الثالث: نتيجة ذلك الخلق والتكليف إقامة الحجّة بذلك على المعتذرين وقطع عذرهم. وذلك أنّ أخذ الميثاق والتكليف في الخلق الأوّل لمّا كان يتجلّى الرّب على جميع العباد وتعريفه نفسه بقوله: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا وأنا الرحمن الرحيم، وخطابه إليهم معاينةً بقوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بمرئى ومسمعٍ واحدٍ، كان أخذه مواثيقهم بالربوبيّة والولاية بخطابٍ واحدٍ من متكلّمٍ واحدٍ في مجمعٍ واحدٍ على حالٍ واحدٍ، لا ينبغي لأحدٍ أن يعتذر بالغفلة، ولا بأنّما أشرك آبائي من قبل لتسوية الكلّ في الكلّ، وعدم تقدّم تكليف الآباء على الأبناء وعدم مزيّة أحدهم على الآخر في أمرٍ يقتضي المحل لهذا الاعتذار. فوحدة جميع الأفراد البشريّة حالاً ومحلّاً وزماناً وتكليفاً وخلقاً واشتراكهم في جميع الخصوصيّات قاطع وجوه الاعتذار نافي موضوعه كما لا يخفى.

ثمّ لا يخفى عليك أنَّ جملة الذين أوّلوا الآية خلاف ما نصّ به أهل بيت العلم والعصمة قد اكتفى اللاحق منهم في مقام الردّ لمجرّد نقل الخلاف عن سابقه، واتّبع بعضهم بعضاً صمّاً وبكماً وعمياً من غير تأمّلٍ وتدبّرٍ. فأنت لو تتأمّل كلماتهم وتتحرّى أقوالهم تجد مرجعها ومآل جميعها إلى خلافٍ واحدٍ اشتبه عليه الأمر وخفي عليه الحقّ!

ألا ترى أنَّ واحداً منهم قال في مقام الرّد على أخبار المسألة: رووا في ذلك آثاراً بعضها مرفوعةٌ وبعضها موقوفٌ وجعلوها تأويلاً للآية[1]. ثمّ اتّبع من بعده إليه واستند في مقام الردّ لمجرّد هذا الكلام من غير تحقيقٍ وتدقيقٍ عن الحقيقة! وإلّا كيف يتّبع المتأمّل الواقف على

---

١. لاحظ تفسير مجمع البيان: ٤/ ٣٩٠ ذيل تفسير الآية الشريفة.

الأخبار المتحلّي بعلم الحديث ويقلّد على من سبق عليه في هذا القول الفاسد، ويرى الأحاديث المذكورة وأمثالها مرفوعةً أو موقوفةً؟!

وكذلك استدلّ واحدٌ من سلفهم في مقام الرّد بأنّ العقل يبطله! بتقريب: أنّ الذريّة المستخرجة في العالم الأوّل إمّا أن كانوا عقلاء واجدين لشرط التكليف أو لا، فإن كانوا في الصفة الأولى وجب أن يذكروا الخلق الأوّل وميثاقه بعد خلقهم في هذا العالم الموجود؛ لأنّ العاقل لا ينسى ما يجري هذا المجرى، وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل قبح خطابهم وتكليفهم[1].

واتبع عليه جمعٌ في استدلاله هذا وركنَ إليه وأعرض به عن الكتاب والأخبار المتواترة من غير تأمّلٍ في فساده ومن غير التفاتٍ بأنّ العقل التكليفي المصحّح للتكليف لا ربطَ له أصلاً للحفظ والنسيان، وإنّما هو أمرٌ يرجع إلى القوّة الحافظة!

وسنبسّط الكلام في هذا الدليل ووجه نسيان الميثاق المأخوذ بعد ذكر الآيات والأخبار إن شاء الله تعالى.

[الآية الثانية]

الآية الثانية في سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[2].

١. الكافي: محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، عن عليّ بن حسّان، عن عبد الرحمان بن كثير: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾، قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق».

أقول: ورواه العيّاشيُّ في تفسيره[3].

٢. الصفّار في بصائر الدرجات: حدّثنا الحسن بن علي بن إبراهيم، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله جعل لنا شيعةً فجعلهم من نوره،

---

١. مجمع البيان: ٣٩٠/٤ ـ ٣٩١.

٢. البقرة: ١٣٨.

٣. الكافي: ٤٢٢/١ ح ٥٣، تفسير العياشي: ٦٢/١ ح ١٠٩، وعنهما في تفسير الصافي: ١٩٣/١.

وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرّفهم نفسه»[١].

٣. في الكتاب: عن الحسن بن علي بن معاوية، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن عيسى بن أسلم، عن معاوية بن عمّار قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جُعِلتُ فداك! هذا الحديث الذي سمعته منك ما تفسيره؟ قال: وما هو؟

قال (قلت): إنّ المؤمن ينظر بنور الله، فقال: يا معاوية! إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته، وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرّفهم نفسه، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، أبوه النور وأُمّه الرحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الذي خلق منه»[٢].

٤. في الكتاب: حدّثنا محمّد بن عيسى، عن سليمان الجعفري قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال: يا سليمان! اتّقِ فراسةَ المؤمن فإنّه ينظر بنور الله. فسكت حتّى أصبت الخلوة، فقلت: جعلت فداك! سمعتك تقول اتّق فراسةَ المؤمن فإنّه ينظر بنور الله تعالى؟

قال: نعم يا سليمان! إنّ الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه، أبوه النورُ وأُمّه الرحمة، وإنّما ينظر بذلك النور الذي خُلِقَ منه»[٣].

[الآية الثالثة]

الآية الثالثة في سورة آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[٤].

١. في العلل: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضى الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن زياد القندي، عن عبدالله بن سنان،

عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السماوات والأرض خلق

---

١. بصائر الدرجات: ١٠٠ ح ٣.

٢. المصدر السابق: ١٠٠ ح ٢.

٣. المصدر السابق: ٩٩ ح ١.

٤. آل عمران: ٨٣.

بحرين بحراً عذباً وبحراً أُجاجاً، فخلق تربة آدم من البحر العذب وشنّ عليها من البحر الأُجاج، ثمّ جبّل آدم فعرك عرك الأديم، فتركه ما شاء الله، فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضةً من كتفه الأيمن فخرجوا كالذّر، فقال: هؤلاء إلى الجنّة، وقبض قبضةً من كتفه الأيسر وقال: هؤلاء إلى النار، فأنطق الله عزّ وجلّ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار.

فقال أهلُ اليسار: يا ربّ! لِمَ خلقت لنا النار ولم يتبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولاً؟ فقال الله عزّ وجلّ لهم: ذلك لعلمي بما أنتم صائرون إليه وأنّي سائلكم. فأمر الله عزّ وجلّ النار فاستقرّت، ثمّ قال لهم: تقحّموا جميعاً في النار فإنّي أجعلها عليكم برداً وسلاماً، فقالوا: يا ربّ! إنّما سألناك لأيّ شيءٍ جعلتها لنا هرباً منها ولو أمرت أصحاب اليمين ما دخلوا؟ فأمر الله عزّ وجلّ النار فأُسعرت، ثمّ قال لأصحاب اليمين: تقحّموا جميعاً في النار، فتقحّموا جميعاً، فكانت عليهم برداً وسلاماً!

فقال لهم جميعاً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟﴾ قال أصحاب اليمين: بلى طوعاً، وقال أصحاب الشمال: بلى كرهاً، وأخذ منهم جميعاً ميثاقهم وأشهدهم على أنفسهم، قال: وكان الحجر في الجنّة فأخرجه الله عزّ وجلّ، فالتقم الميثاق من الخلق كلّهم، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، فلمّا أسكن الله عزّ وجلّ آدم الجنّة وعصى أهبط الله عزّ وجلّ الحجر، فجعله في ركن بيته، وأهبط آدم على الصفا فمكث ما شاء الله، ثمّ رآه في البيت فعرفه عرف ميثاقه وذكره، فجاء إليه مسرعاً فأكبّ عليه وبكى عليه أربعين صباحاً تائباً من خطيئته ونادماً على نقضه ميثاقه. قال: فمن أجل ذلك أُمرتم أن تقولوا إذا استلمتم الحجر: أمانتي أدّيتُها وميثاقي تعاهدتُه لتشهدَ لي بالموافاة يوم القيامة»[1].

٢. في تفسير العيّاشي: عن عمّار بن أبي الأحوص، عن أبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى خلق في مبتدئ الخلق بحرين: أحدهما عذبٌ فرات، والآخر ملحٌ أُجاج. ثمّ خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات، ثمّ أجراه على البحر الأُجاج فجعله حمأً مسنوناً وهو خلق آدم. ثمّ قبض قبضةً من كتف آدم الأيمن فذّر لها في صلب آدم، فقال:

---

١. علل الشرائع: ٢/ ٤٢٥ ح ٦، وعنه في بحار الأنوار: ٩٦/ ٢١٧.

هؤلاء في الجنّة، ولا أُبالي ولا أُسئَل عمّا أفعل في هؤلاء، وهؤلاء سيسألون.

قال أبو عبدالله عليه السلام: فاحتجّ يومئذٍ أصحاب الشمال وهم ذرّ على خالقهم، فقالوا: يا ربّنا بِمَ أوجبت لنا النار وأنت الحكيم العدل من قبل أن تحتجّ علينا وتبلونا بالرُّسل وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا؟ فقال الله تبارك وتعالى: فأنا أخبركم بالحجّة عليكم الآن في الطاعة والمعصية والإعذار بعد الإخبار.

قال أبو عبدالله عليه السلام: فأوحى الله إلى مالك خازن النار أن مُر النار تشهق ثمّ تخرج عنقاً منها، فخرجت لهم، ثمّ قال الله تعالى لهم: ادخلوها طائعين، فقالوا: لا ندخلها طائعين، ثمّ قال: ادخلوها طائعين أو لأُعذّبنّكم بها كارهين، قالوا: إنّما هربنا إليك منها وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا وصيّرتنا من أصحاب الشمال، فكيف ندخلها طائعين، ولكن ابدأ بأصحاب اليمين في دخولها كي تكون قد عدلت فينا وفيهم.

قال أبو عبدالله عليه السلام: فأمر أصحاب اليمين وهم ذرٌّ بين يديه، فقال: ادخلوا هذه النار طائعين، قال: فطفقوا يتبادرون في دخولها فولجوا فيها جميعاً فصيّرها الله عليهم برداً وسلاماً ثمّ أخرجهم منها. ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ فقال أصحاب اليمين: بَلى يا ربّنا! نحن بريّتك وخلقك مقرّين طائعين، وقال أصحاب الشمال: بَلى يا ربّنا! نحن بريّتك وخلقك كارهين، وذلك قول الله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

قال عليه السلام: توحيدهم لله»[1].

[الآية الرابعة]

الآية الرابعة في سورة آل عمران، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

---

١. تفسير العياشي: ١/١٨٢ ح ٧٨.

٢. آل عمران: ٨١.

١. عليُّ بن إبراهيم في تفسيره: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلّا ويرجع إلى الدُّنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَلَتَنْصُرُنَّه﴾ يعني أمير المؤمنين، ثمّ قال لهم في الذّر: ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي: عهدي، ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾، قال الله للملائكة: ﴿فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وهذه مع الآية التي في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾[1]، والآية التي في سورة الأعراف قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وقد كتبت هذه الثلاث آيات في ثلاث سور».[2]

٢. وفي «مختصر بصائر الدرجات» سعد بن عبدالله، تأليف الشيخ الأجلّ العلّامة الحجّة الشيخ حسن بن سليمان الحلّي رحمه الله ـ والكتاب موجودٌ عندنا ـ قال ما لفظه:

ومن كتاب الواحدة روى عن محمّد بن الحسن بن عبدالله بن الأطروش الكوفي، قال: حدّثنا أبو عبدالله جعفر بن محمّد البجلي، قال: حدّثني أحمد بن محمّد بن خالد البرقي، قال: حدّثني عبدالرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ تفرّد في وحدانيّته، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرّيتي، ثمّ تكلّم بكلمةٍ فصارت روحاً فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتجب عن خلقه فما زلنا في ظلّةٍ خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبّحه، وذلك قبل أن يخلق الخلق وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ﴾ الآية، يعني المؤمنين ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ بمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ وصيّه وسينصرونه جميعاً. وأنّ الله أخذ ميثاقي مع

---

١. الأحزاب: ٧.

٢. تفسير القمي: ١/١٠٦.

ميثاق محمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنصرة بعضنا لبعضٍ، فقد نصرت محمّداً صلى الله عـليه وآله وجاهدت بين يديه وقتلت عدوّه ووفيت لله بما أخذ عليَّ من الميثاق والعهد، أنا الذي احتجّ الله به عليكم في ابتداء خلقكم وأنا الشاهد يوم الدِّين...» الحديث[1].

أقول: وسيجيء في ذكر الأخبار قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أنت الذي احتجّ الله به في ابتداء الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال: ﴿أَلَسْتُ بِـرَبِّكُمْ﴾؟ قـالوا: بلى...» الحديث[2].

[الآية الخامسة]

الآية الخامسة: في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[3].

١. في تفسير العيّاشي: عن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عنه عليه السلام قال: «إنّ الله تعالى قال لماءٍ: كُن عذباً فراتاً أخلق منك جنّتي وأهـل طـاعتي، وقـال لمـاءٍ: كُن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهـلَ مـعصيتي، فأجـرى المـائين عـلى الطـين، ثـمّ قبض قبضةً بهذه وهي يمينٌ، فخلقهم خلقاً كالذّر، ثمّ أشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بِـرَبِّكُمْ وعليكم طاعتي؟

قالوا: بلى! فقال للنار: كوني ناراً، فإذا نارٌ تأجّج، وقال لهم: قَعُوا فيها! فمنهم من أسـرع ومنهم من أبطأ في السعي ومنهم من لم يبرخ[4] مجلسه، فلمّا وجـدوا حـرّها رجـعوا فـلم يدخلها منهم أحدٌ، ثمّ قبض قبضةً بهذه فخلقهم خلقاً مثل الذّر مثل أُولئك ثمّ أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين. ثمّ قال لهم: قَعُوا في هذه النار! فمنهم من أبطأ ومـنهم مـن أسرع ومنهم من مرّ بطرف العين، فوقعوا فيها كلّهم، فقال: أُخرجوا منها سالمين، فخرجوا لم يُصبْهم شيءٌ!

---

١. مختصر بصائر الدرجات: ٣٢.

٢. رواه شيخ الطائفة في الأمالي: ٢٣٢ رقم ٤١٢.

٣. الأنعام: ٢٨.

٤. في البحار: لم يَرِمِ، وقال المجلسي في بيان له ذيل الرواية: يقال رام يريم اذا برح و زال من مكـانه، و اكـثر مـا يستعمل في النفي.

وقال الآخرون: يا ربّنا! أقِلْنا نفعل كما فعلوا، قال: قد أقلْتُكُم، فمنهم من أسرع في السعي ومنهم من أبطأ، ومنهم من لم يبرحْ مجلسه مثل ما صنعوا في المرّة الأُولى، فذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾»[1].

أقول: يستفاد من هذه الآية والرواية معنى ما في سورة المؤمنين من قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[2]، ويعلم أنّ قوله تعالى: ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ إخبارٌ عن أمرٍ واقعٍ محقّقٍ، وإشارةٌ إلى الكلمة الذرّية، وإعلامٌ عمّا قاله صَحبُ الشمال واستدعوه من الإقالة وإعادة التكليف بدخول النار في الخلق الأوّل لعلّهم يعملون صالحاً فيما تركوا، وعدم طاعتهم وانقيادهم بعد إعادتهم ثانياً وثالثاً، ونقضهم الميثاق مرّةً بعد أُخرى بعد مسئلتهم الإقالة بعد أُخرى، المستفاد من الحديث المذكور تحت آية ١٣ ورواية ١ و٦ و١٤ من الأخبار، نذكرها في محلّه إن شاء الله تعالى. فالمعنى أنّها كلمةٌ هو قائلها في الذرّ والميثاق.

[الآية السادسة]

الآية السادسة: ما في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[3].

١. عليُّ بن إبراهيم في تفسيره، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ يقول: نُنكّسُ قلوبَهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها، ونُعمي أبصارَهم فلا يُبصرون بالهدى»[4].

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: «إنّ أوّل ما يُغلَبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثمّ الجهاد بألسنتكم، ثمّ الجهاد بقلوبكم، فمن لم يَعرف قلبُه معروفاً ولم يُنكر

---

١. تفسير العياشي: ١/٣٥٨ ح ١٨، و عنه في البحار: ٥٣/ ٢٥٦.

٢. المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

٣. الأنعام: ١١٠.

٤. وفي الأصل: يعمى أبصارهم فلا يبصرون الهدى، فأوردناه مطابقا للمصدر.

منكراً نُكِسَ قلبُه، فجُعل أسفلُه أعلاه، فلا يَقبل خيراً أبداً ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَـرَّةٍ﴾ يعني في الذّر والميثاق».[1]

٢. عليُّ بن إبراهيم: حدّثني محمّد بن علي بن بلال، عن يونسَ قال: «اختـلف يـونسُ وهشام بن إبراهيم في العالِم الذي أتاه موسى عليه السلام، أيّهما كان أعلم؟ وهل يجوز أن يكون على موسى حجّةً في وقته وهو حجّةُ الله على خلقه؟ فقال قاسم الصيقل: فكتبوا إلى أبي الحسن الرِّضا عليه السلام يسألونه عن ذلك!

فكتب في الجواب: أتى موسى عليه السلام العالم... إلى أن كتب: قـال (يـعني العـالم) إنّني وكّلت بأمرٍ لا تطيقه، ووكّلت [أنت][2] بأمرٍ لا أطيقه. ثـمّ حـدّثه العـالم بـما يـصيب آل محمّدٍ عليهم السلام من البلاء حتّى اشتدّ بكائهما. ثمّ حدّثه عن فضل آل محمّدٍ عليهم السلام حتّى جعل موسى يقول: يا ليتني كنت من آل محمّدٍ عليهم السلام، وحتّى ذكر فلاناً وفلاناً وفلاناً ومبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قومه وما يلقى منهم ومن تكذيبهم [إيّاه][3] وذكر له تأويل هذه الآية ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإنّه أخذ عليهم الميثاق»[4].

[الآية السابعة]

الآية السابعة: في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَـقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الآية[5].

١. القمّي: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ يعني في الذر الأوّل، قال: لا يؤمنون في الدُّنيا بما كذّبوا في الذّر، وهو ردٌّ على من أنكر الميثاق في الذّر الأوّل. ثمّ قال: ﴿وَمَـا

---

١. تفسير القمي: ١/٢١٣.

٢. ليس في الأصل، أضفناه من المصدر.

٣. ليس في الأصل، أضفناه من المصدر.

٤. تفسير القمي: ٢/٣٨.

٥. الأعراف: ١٠١ـ١٠٢.

وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: ما عهدنا عليهم في الذّر لم يضرّا به[1] وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين[2].

٢. العيّاشيُّ على ما حكى عنه السيّد في البرهان عن أبي ذرّ، قال: «والله ما صدق أحدٌ ممّن أخذ اللهُ ميثاقَه فوفى بعهد الله غير أهل بيت نبيّهم وعصابةٍ قليلةٍ من شيعتهم، وذلك قول الله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾»[3].

[الآية الثامنة]

الآية الثامنة: في سورة يونس، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية[4].

١. الصفّار في البصائر: حدّثنا محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمّد الجعفي، عن أبي عبدالله عليه السلام، وعن عقبة عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«إنّ الله خلق الخلق فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن يخلقه من طينة الجنّة، وخلق من أبغض ممّا أبغض وكان ما أبغض أن يخلقه من طينة النار، ثمّ بعثهم في الظّلال، قال: قلت: أيّ شيءٍ الظّلال؟ قال: ألم ترَ إلى ظلّك في الشمس شيءٌ وليس بشيءٍ! ثمّ بعث فيهم النبيّينَ يدعونهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله﴾[5].

ثمّ دعاهم إلى الإقرار بالنبيّين فأقرّ بعضُهم وأنكر بعضُهم، ثمّ دعاهم إلى ولايتنا، فأقرّوا لله بها من أحببَ وأنكرها من أبغضَ، وهو قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾، ثمّ قال أبو جعفر: كان التكذيب ثَمّة»[6].

---

١. في المصدر: لم يفوا به في الدنيا.

٢. تفسير القمي: ١/٢٣٦.

٣. تفسير العياشي: ٢/٢٣ رقم ٥٩.

٤. يونس: ٧٤.

٥. الزخرف: ٨٧.

٦. بصائر الدرجات: ١٠٠ ح ١.

ورواه المحدّثُ الثقة العيّاشيُّ في تفسيره، ورواه ثقةُ المحدّثين شيخنا الصدوق في العلل بسند كذا: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن محمّد بن عبدالله الجعفي وعقبة جميعاً عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «إنّ الله...» الحديث، وفيه بدل قوله عليه السلام: ثمة «ثمّ» بلا تاء[1].

٢. عليُّ بن إبراهيم القمّي رحمه الله: حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، قلت: معاينةً كان هذا؟

قال: نعم، فثَبتتِ المعرفةُ ونَسوا الموقفَ وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يَدرِ أحدٌ مَن خالقُه ورازقُه، فمنهم من أقرّ بلسانه في الذّر ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾»[2].

٣. العيّاشيُّ: عن زرارة وحمران، عن أبي جعفرٍ وأبي عبدالله عليهما السلام: «إنّ الله خلق الخلق وهم أظلّةٌ فأرسل إليهم رسولَه محمّداً صلى الله عليه وآله، فمنهم من آمن به ومنهم من كذّبه، ثمّ بعثه في الخلق الآخر، فآمن به من كان آمن به في الأظلّة وجحده من جحده يومئذٍ، فقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾»[3].

ورواه الشيخُ الحلّيُّ رحمه الله في المختصر عن تفسير ابن الجحام، بإسناده المعنعن عن محمّد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام بتغييرٍ يسير[4].

٤. العيّاشيُّ في تفسيره: عن أبي بصيرٍ: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ لكن كذّبوا به من قبل، قال: بعث الله الرسل إلى الخلق وهم في أصلاب الرِّجال وأرحام النساء، فمن صدّق حينئذٍ صدّق بعد ذلك، ومن كذّب حينئذٍ كذّب بعد ذلك».

---

١. تفسير العياشي: ٢/١٢٦ ح ٣٧، علل الشرائع: ١/١١٨ ح ٣.

٢. تفسير القمي: ١/٢٤٨.

٣. تفسير العياشي: ٢/١٢٦ ح ٣٥.

٤. مختصر بصائر الدرجات: ١٧٣.

ورواه غيره من المحدّثين في كتبهم[١].

أقول: يستفاد من هذا الحديث الشريف بعث الله أنبيائه إلى الخلق في الذّر الأوّل، فكلٌّ منهم قد بعث على أُمّته حسب منصبه إلّا نبيّنا، فإنّه قد بعث إلى جميع الخلائق من الأوّلين والآخرين من رسولٍ ونبيّ ووصيّ وإمامٍ ورعيّةٍ، كما يستفاد من الحديث الثالث المذكور، وذلك لإطلاق منصبه وعموميّة أمره، فبعثه الله إلى الكلّ قبل أن يبعث أحداً من النبيّين والمرسلين، وأخذ ميثاقه على الكلّ بخطاب «ومحمّدٌ نبيّكم»، فهو الرسول الأوّل والنذير الأوّل والمبعوث الأوّل، وقد أُشير إلى مبعثه الأوّل وبعثه إلى الكلّ مضافاً إلى ما ذكر من الحديث الثالث وما ذكرناه من الأخبار صحيفة...[٢]

فيما رواه عليُّ بن إبراهيم بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الله تعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل فأقامهم صفوفاً قدّامه وبعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله، فآمن به قومٌ وأنكره قومٌ آخر...» الحديث[٣].

وعن المفضّل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما بعث الله نبيّاً أكرم من محمّدٍ صلى الله عليه وآله، ولا خلق قبله أحداً، ولا أنذر الله خلقه بأحدٍ من خلقه قبل محمّدٍ صلى الله عليه وآله...» الحديث[٤]. وسنذكرهما مسنداً كملاً تحت آية...[٥].

[الآية التاسعة]

الآية التاسعة: في سورة الرعد، قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ... إلى قوله: وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

١. تفسير العياشي: ٢/١٢٦ ح ٣٦ ورواه عنه كثيرٌ من المفسرين من أصحابنا في تفاسيرهم.

٢. كذا في الأصل.

٣. تفسير القمي: ٢/٣٤.

٤. أمالي الطوسي: ٦٦٩ ح ١٤٠٦.

٥. كذا في الأصل.

سُوءُ الدَّارِ﴾[١].

١. عليُّ بن إبراهيم: حدّثني أبي، عن محمّدبن الفضيل، عن أبي الحسن عليه‌السلام، قال: «إنّ رحم آل محمّدٍ صلى الله عليه وآله معلّقةٌ بالعرش يقول: اللهمَّ صِلْ مَن وصلني واقطَعْ من قطعني، وهي تجري في كلّ رحمٍ، ونزلت هذه في آل محمّدٍ صلى الله عليه وآله، وما عاهدهم عليه وما أخذ عليهم من الميثاق في الذّر من ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بعده، وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ الآية، ثمّ ذكر أعدائهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يعني في أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي أخذ الله عليهم في الذّر وأخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ، ثمّ قال: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾»[٢].

٢. الإمام عليه السلام في تفسيره: «﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾: المأخوذ عليهم لله بالربوبيّة، ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعلي عليه السلام بالإمامة، ولشيعتهما بالمحبّة والكرامة من بعد ميثاقه وإحكامه وتغليظه، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: من الأرحام والقرابات...» الحديث.[٣]

[الآية العاشرة]

الآية العاشرة: في سورة الحجّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[٤].

١. الكلينيُّ في كتاب النكاح من الكافي: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن النعمان، عن سلام بن المستنير قال: «سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾؟ قال: المخلّقة الذّر الذين خلقهم الله في صلب آدمَ، أخذ عليهم الميثاقَ ثمّ أجراهم من

---

١. الرعد: ٢٠ ـ ٢٥.

٢. تفسير القمي: ٣٦٣/١.

٣. وهو في ضمن حديثٍ طويلٍ روي عن مولانا الباقر عليه السلام، رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٣٨٨/٢٤ رقم ١١٢ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

٤. الحج: ٥.

أصلاب الرِّجال وأرحام النساء، وهم الذين يخرجون إلى الدُّنيا حتّى يُسألوا عن الميثاق. وأمّا قوله: ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فهم كلّ نَسَمَةٍ لم يخلقهم الله في صُلب آدمَ حين خلق الذرَّ وأخذ عليهم الميثاق، وهم النُّطَفُ من العَزْل والسِقط قبل أن تنفخ فيه الروح والحياة والبقاء»[1].

أقول: ذكره الحلّيُّ رحمه الله في مختصر البصائر نقلاً عن كتاب المشيخة تأليف الحسن بن محبوب[2].

[الآية الحادية عشرة]

الحادية عشرة في سورة الروم، قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ الناسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ﴾[3] الآية.

١. الكلينيُّ رحمه الله: عن عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَتي فَطَرَ الناسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وفيه المؤمن والكافر»[4].

أقول: ورواه الصدوقُ رحمه الله في التوحيد عن محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله، عن عليّ بن إبراهيم إلى آخر الرواية سنداً ومتناً[5].

٢. الكلينيُّ: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: «سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[6] قال: الحنيفيّة من الفطرة التي فطر الناسَ عليها لا تبديلَ لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به.

---

١. الكافي: ١٢/٦ ح ١.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ١٦٩.

٣. الروم: ٣٠.

٤. الكافي: ١٢/٢ ح ٢.

٥. التوحيد: ٣٢٩ ح ٣.

٦. الحج: ٣١.

قال زرارة: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الآية، قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى القيامة فخرجوا كالذّر، فعرّفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحدٌ ربّه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ مولودٍ يولد على الفطرة؛ يعني على المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه، فذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ »[١].

ورواه الصدوقُ رحمه الله بهذا السند عن أبيه رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن إبراهيم بن هاشم ومحمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب ويعقوب بن يزيد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن زرارة[٢].

٣. الصدوق رحمه الله: عن أبيه قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: «أصلحك الله! قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٣]؟ قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم، قلت: وخاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه ثمّ قال: لولا ذلك لم يعلموا مَن ربّهم ولا من رازقُهم»[٤].

أقول: في هذا المعنى أخبارٌ أُخر حاصلها أنّ الله تعالى فطر جميع أفراد البشر على التوحيد والمعرفة، وخلقهم على التوحيد والإسلام الميثاقي المأخوذ عليهم في الخلق الأوّل، والناس فيه واحدٌ على شرعٍ سواءٍ، كلّهم مقرّون به بقولهم بَلىٰ كما سمعت في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٥]، وهو المنبت على القلوب البشريّة والمكتوب عليها، فلا تبديلَ لخلق الله.

هذا وسيأتي تفصيلُ هذا الإجمال في المطلب الرابع إن شاء الله تعالى.

---

١. الكافي: ٢/ ١٢ ح٣، والآية الأخيرة في سورة لقمان: ٢٥.

٢. التوحيد: ٣٣٠ ح ٩.

٣. الروم: ٣٠.

٤. التوحيد: ٣٣٠ ح ٨، وعنه في بحار الأنوار: ٣/ ٢٧٨.

٥. آل عمران: ٨٣.

[الآية الثانية عشرة]

الثانية عشر: في سورة الأحزاب، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾[1].

١. عليُّ بن إبراهيم: حدّثني أبي عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن سنان، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«أوّل من سبق من الرسل إلى بَلى رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لمّا أُسري به إلى السماء: تقدّم يا محمّد! فقد وطئتَ موطئاً لم يطأه أحدٌ قبلك مَلَكٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ. ولولا أنّ روحه ونفسه كانت من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، فكان من الله عزّ وجلّ كما قال الله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[2] أي: بل أدنى، فلمّا خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه عليهم السلام، فقال الصادق عليه السلام:

كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبيّة، ولرسوله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام بالإمامة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ومحمّدٌ نبيّكم وعليٌّ إمامُكم والأئمّة الهادون أئمّتكم؟ فقالوا: بَلى، فقال الله تعالى: ﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: لئلّا يقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء له بالربوبيّة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، فذكر جملة الأنبياء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ومنك يا محمّد، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم ومن نوح ومن إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء ورسول الله صلى الله عليه وآله أفضلهم.

ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء بالإيمان به، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ

---

١. الأحزاب: ٧.

٢. النجم: ٩.

بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين، تخبروا أُممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة»[١].

أقول: قال عليُّ بن إبراهيم في تفسير الآية: «هذه الواو زيادةٌ في قوله (ومنك) وإنّما هو «منك ومن نوح»، فأخذ الله الميثاق لنفسه على الأنبياء، ثمّ أخذ لنبيّه على الأنبياء والأئمّة، ثمّ أخذ للأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

[الآية الثالثة عشرة]

الثالثة عشر: في سورة الزخرف، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٣].

١. الكلينيُّ رحمه الله: عن عليِّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن علي الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدمَ عليه السلام أرسل الماءَ على الطين، ثمّ قبض قبضةً فعركها ثمّ فرّقها فرقتين بيده، ثمّ ذرأهم فإذا هم يدبّون، ثمّ رفع لهم ناراً، فأمر أهلَ الشمال أن يدخلوها، فذهبوا إليها فهابوها ولم يدخلوها! ثمّ أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها، فأمر الله عزّ وجلّ النار فكانت عليهم برداً وسلاماً، فلمّا رأى ذلك أصحاب الشمال قالوا: «ربّنا أقِلنا» فأقالَهم، ثمّ قال لهم: ادخُلوها، فذهبوا فقاموا عليها فلم يدخلوها، فأعادهم طيناً وخلق منها آدم.

وقال أبو عبدالله عليه السلام: فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء.

قال عليه السلام: فيرونَ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أوّلُ من دخل تلك النار، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾»[٤].

---

١. تفسير القمي: ١/٢٤٦.

٢. تفسير القمي: ٢/١٧٦.

٣. الزخرف: ٨١.

٤. الكافي: ٢/٧ ح ٣.

٢. السيّد البحرانيُّ في غاية المرام: عن محمّد بن خالد الطيالسي ومحمّد بن عيسى بن عبيد بإسنادهما عن جابر بن يزيد الجعفي قال:

قال أبو جعفر محمّدُ بنُ عليٍّ الباقر عليهما السلام: «كان اللهُ ولا شيءَ غيره ـ وهو حديثٌ طويلٌ نذكر منه محلّ الحاجة ـ قال:

فلمّا أراد الله إخراج ذرّية آدم عليه السلام لأخذ الميثاق سلك النور فيه، ثمّ أخرج ذرّيته من صلبه يلبّون فسبّحنا فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك لما دَرَوْا كيف يسبّحون الله عزّ وجلّ، ثمّ تراءى[1] لهم لأخذ الميثاق منهم بالربوبيّة، فكنّا أوّل من قال بَلى عند قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ثمّ أخذ الميثاق منهم بالنبوّة لمحمّدٍ ولعليٍّ (عليهما وآلهما الصلاة والسلام) بالولاية، فأقرَّ مَن أقرّ وجحد مَن جحد.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فنحن أوّلُ خلقٍ ابتدأ الله وأوّل خلقٍ عبدَ الله وسبّحه، ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين، فبنا عُرِفَ الله وبنا وحّد الله وبنا عُبِدَ الله وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب الله مَن أثاب وعاقب من عاقب.

ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من عبَد الله وأوّل من أنكر أن يكون له ولدٌ وشريكٌ، ثمّ نحن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أودعنا بعد ذلك صلب آدمَ عليه السلام، فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام من صلبٍ إلى صلبٍ...» الحديث.

وذكره العلّامة المجلسي رحمه‌الله وغيره من العلماء المحدّثين رضوان‌الله عليهم أجمعين[3].

← و علق المصنف رحمه الله على الحديث في الهامش بقوله: نبين لك معنى قوله‌عليه السلام وأمثاله ممّا يوهم الفساد في المطلب الرابع إن شاء الله.

١. تراءى لهم: المراد أن الله عزّ وجلّ عرّف نفسه لهم فعرفوه.

٢. الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٣. رواه المحدث البحراني طاب ثراه أيضا في حلية الأبرار: ١/ ١٣ ح ٢ وفي مدينة المعاجز: ٢/ ٣٧١ بهذا اللفظ، وفي غاية المرام: ١/ ٤٠ الحديث السابع من الباب بلفظ قريب ونقله العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ٢٥/ ١٧ ح ٣١.

٣. في مختصر البصائر: من تفسير الآيات التي نزلت في محمّدٍ صلى الله عليه وآله، تأليف الثقة الدَّيِّن الجليل محمّد بن العبّاس المعروف بابن الجحام عنه، عن الحسن بن محمّد بن يحيى العلوي، حدّثنا عليُّ بن أحمد بن محمّد العقيقي العلوي، عن أبيه قال: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن أحمد بن النضر الجعفي، عن علي بن النّعمان، عن إسحاق بن عمّار،

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ قال: حيث أخذ الله ميثاق بني آدمَ فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل من قال بَلى.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: أوّل العابدين أوّل المطيعين»[1].

[الآية الرابعة عشرة]

الرابعة عشر: في سورة التغابن، قوله تعالى: ﴿هُوَ الذي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ الآية[2].

١. الصفّار: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصحّاف، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، فقال: عرف الله ـ والله ـ إيمانَهم بولايتنا وكفرهم بها يوم أخذ الله عليهم الميثاق في صلب آدمَ وهم ذرٌّ»[3].

أقول: ورواه عليُّ بن إبراهيم، ولفظه كذا: «سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، فقال عليه السلام: عرف الله عزّ وجلّ إيمانَهم بولايتنا وكفرَهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاقَ وهم ذرٌّ في صلب آدمَ عليه السلام»[4].

---

١. مختصر بصائر الدرجات: ١٧٣.

٢. التغابن: ٢.

٣. بصائر الدرجات: ١٠١ ح ٢.

٤. تفسير القمي: ٢/ ٣٧١، رواه عن علي بن الحسين عن أحمد بن أبي عبد الله عن ابن محبوب عن الحسين بن نعيم الصحاف عن الصادق عليه السلام.

ورواه الكلينيُّ رحمه الله في موضعين من الكافي عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن ابن نعيم. ورواه الشيخ حسن الحلّي عن مشيخة ابن محبوب[1].

[الآية الخامسة عشرة]

الخامسة عشر: في سورة الجنّ، قوله تعالى: ﴿وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾[2].

١. جعفر بن محمّد بن شريح الحضرمي في كتابه ـ وهو موجودٌ عندنا ـ عن حميد بن شعيب السبعي، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: «سألت أبا جعفرٍ عليه السلام عن تفسير هذه الآية ﴿وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ يعني أنّهم لو استقاموا على الولاية في الأصل تحت الأظلّة حين أخذ الله ميثاق ذرّية آدم عليه السلام لأسقيناهم ماءً غدقاً، يعني لأسقيناهم أظلّتهم الماء العذب الفرات...» الحديث[3].

أقول: ورواه عليُّ بن إبراهيم ولفظه سنداً ومتناً كذا: أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر قال:

«سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ يعني على الولاية في الأصل عند الأظلّة حين أخذ الله ميثاق ذرّية آدم، أسقيناهم ماءً غدقاً، يعني لكنّا وضعنا أظلّتهم في الماء الفرات العذب»[4].

٢. الشيخ حسن الحلّي في المختصر، والسيّد البحراني في البرهان عن تفسير الآيات تأليف محمّد بن العبّاس المعروف بابن الجحام، قال: حدّثنا أحمد بن هوذة الباهلي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد، عن سماعة قال:

---

١. الكافي: ٤١٣/١ ح ٤، مختصر بصائر الدرجات: ١٦٤.

٢. الجنّ: ١٦.

٣. الأصول الستة عشر: ٦٣، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ٢٨/٢٤ عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة.

٤. تفسير القمي: ٣٩١/٢.

«سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ قال: يعني لو استقاموا على الولاية في الأصل عند الأظلّة حين أخذ الله الميثاق على ذرّية آدم، ﴿لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾ يعني لكنّا أسقيناهم من الماء الفرات العذب»[1].

ونقله المحدّث المجلسيّ رحمه الله عن «كنز جامع الفوائد» وهو موجودٌ عندنا[2].

بيان الحديث: إنّ المراد من الآية الشريفة: لو كانوا اجتمعوا في عالم الأظلّة والذّر على الولاية العلويّة على صاحبها آلاف السلام والتحيّة لجعلنا أرواحهم في أجسادٍ مخلوقةٍ من الماء العذب دون المالح، وما كان في الطينة اختلافٌ.

[الآية السادسة عشرة]

السادسة عشر: في سورة النجم، قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾[3].

١. عليُّ بن إبراهيم: حدّثنا عليّ بن الحسين، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمّد بن علي ابن أسباط، عن عليّ بن معمّر، عن أبيه قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ قال: إنّ الله تعالى لمّا ذرأ الخلق في الذرّ الأوّل فأقامهم صفوفاً قدّامه، وبعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله فآمن به قومٌ وأنكره قومٌ آخر، فقال الله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ يعني به محمّداً حيث دعاهم إلى الله عزّ وجلّ في الذّر الأوّل»[4].

٢. الصفّار: حدّثنا بعضُ أصحابنا، عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن أسباط، عن عليّ بن معمّر، عن أبيه قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى:

---

١. مختصر بصائر الدرجات: ١٧٤، تفسير البرهان: ٥/ ٥٠٩ (من طبعة مؤسسة البعثة).

٢. بحار الأنوار: ٢٤/ ٢٨ ح ٥، وقال في بيانٍ ذيله: أي صببنا على طينتهم الماء العذب الفرات، لا الماء الملح الأجاج، كما مرّ في أخبار الطينة. والحديث في كنز الفوائد: ٣٥٥ و٣٥٦.

٣. النجم: ٥٦.

٤. رواه القمي في تفسيره كما في بحار الأنوار: ٥/ ٢٣٤ ح ٧.

﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾ يعني محمّداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم بالإقرار بالله في الذّر الأوّل»[1].

٣. شيخُ الطائفة الطوسيّ في المجالس: أخبرنا الحسين بن إبراهيم القزويني قال: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن وهبان، قال: حدّثنا أبو القاسم عليّ بن حبشي، قال: حدّثنا أبو الفضل العبّاس بن محمّد بن الحسين، قال: حدّثنا أبي، قال: حدّثنا صفوان بن يحيى عن الحسين، عن المفضّل،

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «ما بعث الله نبيّاً أكرم من محمّدٍ صلى الله عليه وآله، فذلك قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2] فلم يكن قبله مطاعٌ في الخلق ولا يكون بعده إلى أن تقوم الساعة في كلّ قرنٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»[3].

[الآية السابعة عشرة]

السابعة عشر: في سورة الواقعة، قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[4].

١. محمّد بن إبراهيم النعماني رحمه الله في كتاب الغيبة: أخبرنا عليُّ بن الحسين، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين الرازي، عن محمّد بن علي، عن محمّد بن سنان، عن داود بن كثير الرقي، قال: «قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام: جُعلت فداك! أخبِرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾!

قال عليه السلام: نطق الله بها يوم ذرأ الخلق في الميثاق قبل أن يخلق الخلق بألفي عامٍ، فقلت: فسِّر لي ذلك، فقال: إنّ الله جلّ وعزّ لمّا أراد أن يخلق الخلق خلقهم من طينٍ ورفع لهم ناراً وقال لهم: ادخلوها، فكان أوّل من دخلها محمّدٌ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين

١. بصائر الدرجات: ١٠٤ ح ٦، وفي مختصره للحلي: ١٦٥.

٢. الرعد: ٧.

٣. أمالي الطوسي: ٦٦٩ رقم ١٤٠٦.

٤. الواقعة: ١٠ ـ ١١.

عليه السلام والحسن والحسين وتسعة الأئمّة إمامٌ بعد إمامٍ عليهم السلام، ثمّ أتبعهم بشيعتهم، فهم والله السابقون»[١].

[الآية الثامنة عشرة]

الثامنة عشر: في سورة الإنسان، قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[٢].

١. الصفّار في البصائر: حدّثنا محمّد بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن الفضيل:

«عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الذي أخذ عليهم الميثاق من ولايتنا».

ورواه الكلينيُّ رحمه الله بتغييرٍ يسيرٍ[٣].

قال العلّامة المحدّث المجلسيُّ رحمه الله في بيان الحديث: ما ذكره عليه السلام من تأويل الإيفاء بالنذر بالوفاء في عالم الأجساد بما أوجب على نفسه من ولاية النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم في الميثاق بطنٌ من بطون الآية، ولا ينافي ظاهره من الوفاء بالنذر والعهود المعهودة في الشريعة، وما سيأتي في باب نزول الآية إذا نزلت في نذر أهل البيت عليهم السلام الصوم لشفاء الحسين عليه السلام[٤].

[الآية التاسعة عشرة]

التاسعة عشر: في سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لايَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْكَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[٥].

---

١. كتاب الغيبة: ٩١ ح ٢٠.

٢. الإنسان: ٧.

٣. بصائر الدرجات: ١١٠ ح ٢، الكافي: ٤٣٤/١ ضمن الحديث رقم ٩١.

٤. بحار الأنوار: ٣٢٢/٢٤.

٥. الأنعام: ١٥٨.

١. محمّد بن يعقوب الكلينيّ قدّس سرُّه: عن محمّد بن يحيى، عن حمدان بن سليمان، عن عبدالله بن محمّد اليماني، عن منيع بن الحجّاج، عن يونس، عن هشام بن الحكم:

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني في الميثاق ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾، قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصّةً، قال: لا ينفع إيمانها لأنّها سلبت»[1].

قال شيخنا المحدّث العلامة النقّاد الشيخ شرف الدِّين النجفي قدّس سرّه في «الآيات الباهرة» بعد ذكر الحديث ما لفظه:

«فقوله: من الميثاق، أي: من يوم الميثاق المأخوذ عليهم في الذّر لله تعالى بالربوبيّة، ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعليٍّ عليه السلام بالولاية والوصيّة، فالذي يكون منهم قد آمن من يوم الميثاق ينفعه إيمانه الآن، ومن لم يكن آمن لم ينفعه الإيمان لأنّه قد سلبه أوّلاً، وبالله المستعان وعليه التكلان. اعلم ثبّتك الله على الإيمان الذي آمنت به في الميثاق إلى حين الفراق...» الكلام[2].

ولقد أجاد ما أفاده العالم الأديب الشيخ عبد الصمد الخامنه[3] بشعره الجيّد العذب المحكيّ عنه:

الله أبـــدعه خـلقاً وفـضّله ... خُلقاً وأحسن في الإيجاد هَـيكلَه

إن عُـدّ خـلق وجـود كـان أوّله ... لولا حدوث عـليّ لا دُجِـيْتَ لَـهُ

قدماً وقلت هو الباري بلا سببٍ

سـمّاه والده زيـداً وبـعض تـلا ... عَمْرواً وفيه اختلاف بينهم حـصلا

فالأمر فيه إلى ربّ السّـماء وُكِـلا ... شقَّ الإله اسـمه مـن اسـمه فكِـلا

هما عليٌّ حكيمٌ شامخ الرُّتَبِ

وقال الأديب ميرزا إبراهيم المتخلّص بـ«ساغر»[4] بالفارسيّة:

---

١. الكافي: ١/٤٢٨ ح ٨١.

٢. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: ١/١٦٨.

٣. ذكرنا ترجمة موجزة عنه في هامش ص ٧٦.

٤. تقدمت ترجمته بهامش ص ٧٦، فراجع إن شئت.

يا علي آن كه تـرا نـام نكـو ايـزد پـاك	كرده از نام خود از فرط بزرگى مشـتق
خاك درگاه تو صد مرتبه بـه از تسـنيم	خار دربار تو صـد بـار بـه از اسـتبرق

هذه تسع عشر آية أُشير فيها إلى الخلق الأوّل والميثاق المأخوذ على البشر في صعيدٍ واحدٍ، وجمعهم في الأظلّة، وتكليفهم بالتوحيد والولاية. والأحاديث التي ذكرناها في تأويلها ستّون حديثاً. وأمّا ما ورد غيرها من الأخبار فهي كثيرةٌ جدّاً يقتصر دونها التواتر، بحيث قال شيخنا الحرّ العامليُّ رحمه الله في «الفصول المهمّة» إنّها تزيد على ألف حديثٍ، ونذكر تمام كلامه في محلّه إن شاء الله. ونحن نقتصر بذكر ثلاثٍ وسبعين حديثاً غير ما سردناه من الأخبار تحت الآيات الشريفة فنقول:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

[روايات أخرى في الخلق الأول والميثاق المأخوذ على الإنسان]

١. ما رواه البرقيُّ أحمد بن أبي عبدالله محمّد بن خالد القمّي رحمه الله في المحاسن، عن عليّ بن الحكم، عن أبان، عن زرارة،

عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف كان ابتداء الخلق ما اختلف اثنان! فقال: إنّ الله تبارك وتعالى قبل أن يخلق الخلق قال: كُن ماءً عذباً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي، وقال: كُن ماءً ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، ثمّ أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر مؤمناً، ثمّ أخذ طين آدم من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فإذا هم كالذّر يدبّون، فقال لأصحاب اليمين: إلى الجنّة بسلام، وقال لأصحاب النار: إلى النار ولا أُبالي. ثمّ أمر ناراً فاستعرت[1]. فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها! فهابوها، فقال لأصحاب اليمين ادخلوها! فدخلوها، فقال: كوني برداً وسلاماً فكانت برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربّ أقِلنا! فقال: قد أقلتكم فادخلوها، فدخلوها فذهبوا فهابوها، فثمّ ثبتت الطاعة والمعصية، فلا يستطيع[2] هؤلاء أن يكونوا من

١. كذا في المحاسن، وفي الكافي: فأسعرت.

٢. سيتّضح لك معناه في المطلب الرابع إن شاء الله تعالى (منه رحمه الله).

هؤلاء، ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء»[١].

أقول: ورواه الكلينيُّ رحمه الله في «الكافي» عن أبي علي الأشعري ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن إسماعيل، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان... الحديث سنداً ومتناً[٢].

٢. البرقي: عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن بكير بن أعين قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية وهم ذرٌّ يوم أخذ الميثاق على الذّر، بالإقرار له بالربوبيّة، ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة، وعرض على محمّدٍ أُمّته في الطين وهم أظلّةٌ، وخلقهم من الطينة التي خلقها منها آدمَ عليه السلام، وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عامٍ، وعرضهم عليه وعرّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، ونحن نعرفهم في لحن القول»[٣].

أقول: ورواه الصفّار رحمه الله في البصائر عن محمّد بن الحسن وعليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ابن بكير، عن أبي جعفرٍ عليه السلام.

ورواه الكلينيُّ رحمه الله في موضعين من الكافي بإسناده، ورواه العيّاشيُّ في تفسيره[٤].

٣. البرقيُّ رحمه الله: عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عبدالكريم الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت: لِمَ جعل استلام الحجر؟ فقال عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ حيث أخذ ميثاق بني آدمَ دعا الحجر من الجنّة، فأمره بالتقام الميثاق[٥] فالتقمه، فهو يشهد لمن وافاه بالحقّ».

أقول: ورواه الكلينيُّ رحمه الله في كتاب الحجّ من الكافي بإسناده[٦].

٤. البرقيُّ رحمه الله: عن يحيى بن إبراهيم، عن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدّه، عن رجلٍ من أصحابه يُقال له عمران: «أنّه خرج في عمرةٍ زمن الحجّاج، فقلت له: هل لقيت أبا جعفرٍ

---

١. المحاسن: ٢٨٢/١ رقم ٤١٢.

٢. الكافي: ٦/٢ ح ١.

٣. المحاسن: ١٣٥/١ رقم ١٦.

٤. الكافي: ٤٣٧/١ ح ٩، تفسير العياشي: ١٨٠/١ ح ٧٤، مختصر البصائر: ١٦٦.

٥. في الكافي: فالتقم الميثاق.

٦. المحاسن: ٣٣٠/٢ ح ٩٣، الكافي: ١٨٤/٤ ح ٢.

عليه السلام؟ فقال: نعم، فقلت: فما قال لك؟ قال: قال لي يا عمران! ما خبر الناس؟ فقلت: تركت الحجّاج يشتم أباك على المنبر ـ يعني عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ـ فقال لي: أعداء الله يدعون سبّنا[١]، أما أنّهم لو استطاعوا أن يكونوا من شيعتنا لكانوا ولكنّهم لا يستطيعون! إنّ الله أخذ ميثاقنا وميثاق شيعتنا ونحن وهم أظلّةٌ، فلو جهد الناس من أن يزيدوا فيه رجلاً أو ينقصوا منه[٢] رجلاً ما قدروا على ذلك».

ورواه في موضعٍ آخرَ من الكتاب بتغييرٍ يسيرٍ في بعض الألفاظ[٣].

٥. البرقيُّ رحمه الله: عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: «لا تخاصموا الناس، فإنّ الناس لو استطاعوا أن يحبّونا لأحبّونا، إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا يوم أخذ ميثاق النبيّين، فلا يزيد فيهم أحداً أبداً ولا ينقص منهم أحداً أبداً»[٤].

٦. الصفّار أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ: حدّثني أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن داود العجلي، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماءً ملحاً مالحاً أُجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم[٥] كالذّر يدبّون: إلى الجنّة بسلام! وقال لأصحاب الشمال يدبّون[٦] إلى النّار ولا أُبالي! ثمّ قال: فقال الله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

قال: ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين، فقال: ألستُ بربّكم؟ ثمّ قال: وإنّ هذا محمّدٌ رسول الله وإنّ هذا عليٌّ أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى، فثبتت لهم النبوّة وأخذ الميثاق على أُولي العزم ألا إنّي ربّكم ومحمّدٌ رسولي وعليٌّ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي،

---

١. في المحاسن: يبدهون بسبنا.

٢. كذا في الأصل، وفي المحاسن: أن يزيدوا فيهم رجلا أو ينقصوا منهم رجلا.

٣. المحاسن: ١/ ١٣٥ ح ١٧، و ١/ ٢٤٣ ح ٤٨.

٤. المحاسن: ١/ ٢٠٣ ح ٤٩.

٥. (فيهم) ليس في الكافي.

٦. (يدبون) ليس في الكافي.

وإنّ المهدي أنتصر به لديني وأُظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأُعبَد به طوعاً وكرهاً، قالوا: أقررنا وشهدنا يا ربّ! ولم يجحد آدم عليه السلام ولم يقرّ[١]، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عليه السلام، ولم يكن لآدم عليه السلام عزمٌ على الإقرار به، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[٢].

قال: إنّما يعني فترك، ثمّ أمر ناراً فأُجّجت، فقال لأصحاب الشمال: ادخلوها، فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: ادخلوها، فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحاب الشمال: يا ربّنا أقِلنا! فقال: قد أقلتكم، اذهبوا فادخلوها، فهابوها، ثمّ ثبتت الطاعة والمعصية والولاية».

ورواه أيضاً عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن رجلٍ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله.

أقول: ورواه الكلينيُّ رحمه الله في صحيفة ١٣٩ بإسناده بتغييرٍ يسيرٍ في بعض ألفاظه[٣].

٧. الصفّار رحمه الله: عن الحسن بن محبوب، عن صالح بن سهل، عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأيّ شيءٍ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخالقهم؟ قال: إنّي كنت أوّلَ من أقرّ بربّي، وأوّلَ مَن أجاب حيث أخذ الله ميثاقَ النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى، وكنت أنا أوّلَ نبيٍّ قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله»[٤].

أقول: ورواه الكلينيُّ رحمه الله بإسناده، وهذا لفظ سنده: عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل، عن أبي عبدالله عليه السلام. ورواه الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده. ورواه الشيخ حسن الحلّي رحمه الله في المختصر عن مشيخة

---

١. يعني اعتقد آدم عليه السلام بجنانه الولاية وما أنكرها وما عزم الإقرار بلسانه فمن الأنبياء من عزم ذلك فهو من أُولي العزم (منه رحمه الله).

٢. طه: ١١٥.

٣. بصائر الدرجات: ٩٠ ح ٢، وح ٣ باسناد آخر كما ذكر المؤلف، الكافي: ٢/ ٨ ح ١.

٤. بصائر الدرجات: ١٠٣ ح ٢.

ابن محبوب بتغييرٍ أشرنا إليه في الهامش[١].

٨. الصفّار رحمه الله: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن الحسن بن علي بن النعمي، عن ابن مسكان، عن عبدالرحيم القصير، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ أُمّتي عرضت عليّ عند الميثاق، وكان أوّلَ مَن آمن بي وصدّقني عليٌّ عليه السلام، وكان أوّل من آمن بي وصدّقني حيث بعثت، فهو الصدِّيقُ الأكبر».

ورواه العيّاشيُّ في تفسيره واللّفظ فيه[٢].

٩. الصفّار: حدّثنا عليّ بن إسماعيل، عن سعدان بن مسلم، عن صالح بن سهل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله: «بأيّ شيءٍ سبقتَ ولد آدمَ عليه السلام؟ قال: أنا أوّلُ من أقرّ ببَلى، إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بَلى، فكنت أوّلَ من أجاب».

أقول: وروى الكلينيُّ رحمه الله بإسناده مثلَه[٣].

١٠. الصفّار: حدّثنا محمّد بن حمّاد، عن أخيه أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام، قال: سمعته يقول: «خلق الله الأنبياء والأوصياء يومَ الجمعة، وهو اليومُ الذي أخذ الله فيه ميثاقَهم، وقال: خلقنا نحن وشيعتنا من طينةٍ مخزونةٍ لا يشذّ منها شاذٌّ إلى يوم القيامة»[٤].

١١. الصفّار: عن محمّد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «قد أخذ الله ميثاقَ شيعتِنا معنا على ولايتنا، لا يزيدونَ ولا ينقصونَ...» الحديث[٥].

---

١. الكافي: ٢/ ١٠ ح ١، علل الشرائع: ١/ ١٢٤ ح ١، مختصر بصائر الدرجات: ١٥٧.

٢. بصائر الدرجات: ١٠٤ ح٣ وعنه في بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٢٦.

٣. بصائر الدرجات: ١٠٦ ح ١٢، والكليني في الكافي: ٢/ ١٢ ح٣، عقد رحمه الله باباً سمّاه (باب أن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله أول من أجاب وأقرّ بالربوبية).

٤. بصائر الدرجات: ٣٧ ح ١١.

٥. بصائر الدرجات: ٣٨ ح ١٧.

١٢. الصفّار: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما تكاملت النبوّةُ لنبيٍّ في الأظلّة حتّى عُرضتْ عليه ولايتي وولايةُ أهل بيتي ومثلوا له، فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم». رواه في موضعين من البصائر[١].

١٣. الكافي: عن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبدالرحمن ابن كثير، عن داود الرقّي قال:

«سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[٢]، فقال: ما يقولون؟ فقلت: يقولون إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقَه، فقال: كذبوا! من زعم هذا فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه، قلت: بيّن لي جعلت فداك!

فقال: إنّ الله حمّل دينه وعلمه الماءَ قبل أن تكون أرضٌ أو سماءٌ أو جنٌّ أو إنسٌ أو شمسٌ أو قمرٌ، فلمّا أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: مَن ربّكم؟ فأوّل من نطق رسولُ الله وأميرُ المؤمنين والأئمّةُ صلوات الله عليهم أجمعين، فقالوا: أنت ربّنا، فحمّلهم العلمَ والدِّين.

ثمّ قال للملائكة: هؤلاء حَمَلة ديني وعلمي وأُمناء في خلقي وهم المسؤولون، ثمّ قال لبني آدمَ: أقرّوا لله بالربوبيّة ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا: نعم ربّنا أقررنا! فقال الله للملائكة اشهدوا! فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرّيةً من بعدهم فتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داودُ ولايتنا مؤكّدةٌ عليهم في الميثاق»[٣].

أقول: ورواه الصدوق قدس سره في باب ٤٨ من كتابه التوحيد، وفي العلل بإسناده إلّا أنّ

---

١. بصائر الدرجات: ٩٣ ح ٧، وعنه في بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٨١.

٢. هود: ٧.

٣. الكافي: ١/ ١٣٢ ح ٧.

في لفظه بمكان نثرهم بين يديهم: خلقهم ونشرهم بين يديه[1].

١٤. الكافي: عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن عبدالله بن سنان، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جُعلتُ فداك! إنّي لأرى بعض أصحابنا يَعتريه النَزَقُ والحِدّةُ والطَيْشُ فأغتمُّ لذلك غمّاً شديداً، وأرى مَن خالفنا فأراه حَسَن السَّمت، قال: لا تقل حسَن السَمْت، فإنّ السّمتَ سمتُ الطريق ولكن قُل حَسن السيماء، فإنّ الله يقول ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾[2]، قال: قلت: فأراه حسَن السيماء وله وقارٌ، فأغتمّ لذلك؟

قال: لا تغتمّ لما رأيت من نَزَقِ أصحابك، ولما رأيت من حُسن سيماء من خالفك! إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد أن يخلق الخلقَ خلق تلك الطينتين ثمّ فرّقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً بإذني! فكانوا خلقاً بمنزلة الذّر يسعى، وقال لأصحاب الشمال: كونوا خلقاً بإذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذّر يَدرُجُ، ثمّ رفع لهم ناراً فقال: ادخلوها بإذني، فكان أوّل من دخلها محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، ثمّ أتبعه أُولوا العزم من الرّسل وأوصيائهم وأتباعهم.

ثمّ قال لأصحاب الشمال: ادخلوها بإذني! فقالوا: ربّنا خلقتنا لتحرقنا! فعصوا، فقال لأصحاب اليمين: اخرجوا بإذني من النار! فخرجوا لم تكلّم منهم النار كلّما[3] ولم تؤثّر فيهم أثراً، فلمّا رآهم أصحاب الشمال قالوا: ربّنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا ومُرنا بالدخول، قال: قد أقلتكم فادخلوها، فلمّا أن دنوا وأصابهم الوَهَج رجعوا فقالوا: يا ربّنا! لا صبر لنا على الاحتراق، فعصوا، فأمرهم بالدخول ثالثاً، كلّ ذلك يعصون ويرجعون، وأمر أُولئك ثلاثاً كلّ ذلك يطيعون ويخرجون، فقال لهم: كونوا طيناً بإذني، فخلق منه آدم، قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، وما رأيت من نَزَق أصحابك وخُلقهم فممّا أصابهم من لَطْخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حُسن سيماء من خالفكم ووقارِهم فممّا أصابهم من لَطْخ أصحاب اليمين»[4].

---

١. التوحيد: ٣١٩ح ١.

٢. الفتح: ٢٩.

٣. وفي الأصل: كلّها، وأثبتناه على المصدر (الكافي).

٤. الكافي: ٢/١١ح ٢.

١٥. الكافي: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي بصيرٍ قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرٌّ؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه يعني في الميثاق».

أقول: ونقله المجلسيُّ رحمه الله في المجلّد الثالث من بحار الأنوار عن العيّاشي، ورواه العيّاشيُّ في تفسيره[1].

١٦. الكافي: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:

«إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له وبالنبوّة لكلّ نبيٍّ، فكان أوّل من أخذ له عليهم الميثاق بنبوّته محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال الله عزّوجلّ لآدم: انظر ماذا ترى؟ قال: فنظر آدم عليه السلام إلى ذرّيته وهم ذرٌّ قد ملأ السماء. قال آدم: يا ربّ! ما أكثر ذرّيتي ولأمرٍ مّا خلقتهم؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟

قال الله عزّ وجلّ: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ويؤمنون برسلي ويتّبعوهم. قال آدم: يا ربّ! فما لي أرى بعض الذرّ أعظم من بعضٍ، وبعضهم له نورٌ كثيرٌ، وبعضهم له نورٌ قليلٌ، وبعضهم ليس له نورٌ؟ فقال الله جلّ وعزّ: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم، قال آدم عليه السلام: يا ربّ! فتأذن لي في الكلام فأتكلّم؟ قال الله جلّ وعزّ: تكلّم، فإنّ روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي، قال آدم: يا ربّ! فلو كنت خلقتهم على مثالٍ واحدٍ وقدرٍ واحدٍ وطبيعةٍ واحدةٍ وجبلّةٍ واحدةٍ وألوانٍ واحدةٍ وأعمارٍ واحدةٍ وأرزاقٍ سواءٍ لم يبغِ بعضُهم على بعضٍ، ولم يكن بينهم تحاسدٌ ولا تباغضٌ ولا اختلافٌ في شيءٍ من الأشياء!

قال الله تعالى: يا آدم! بروحي نطقت وبضعف قوّتك[2] تكلّفت ما لا علم لك به! وأنا الخالق العليم، بعلمي خالفت بين خلقهم، وبمشيئتي يمضي فيه أمري، وإلى تدبيري وتقديري صايرون لا تبديلَ لخلقي، إنّما خلقت الجنّ والإنس ليعبدون، وخلقت الجنّة لمن عبدني

---

١. الكافي: ١٢/٢ ح ١، بحار الأنوار: ٢٥٧/٥ ح ٥٧ عن العياشي في تفسيره.

٢. خ ل: طبيعتك.

وأطاعني منهم واتّبع رسلي ولا أُبالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتّبع رسلي ولا أُبالي...» الحديث بطوله[1].

أقول: ورواه الصدوق رحمه الله بإسناده في العلل في الباب التاسع، وهذا لفظ سنده: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضى الله عنه قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، وحدّثنا أبي رضى الله عنه قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول... الحديث.

ورواه شيخنا الأجلّ محمّد بن محمّد بن نعمان المفيد في «الاختصاص»، والكتاب موجودٌ عندنا[2].

١٧. الكلينيُّ رحمه الله في الفروع من الكافي: عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقهما، ولذلك يقال أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة»[3].

١٨. الكلينيُّ رحمه الله في كتاب الحجّ من الكافي: عن محمّد بن يحيى وغيره، عن محمّد ابن أحمد، عن موسى بن عمر، عن ابن سنان، عن أبي سعيد القمّاط، عن بكير بن أعين، قال:

«سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأيّ علّةٍ وضع الله الحجرَ في الركن الذي هو فيه ولم يوضع في غيره، ولأيّ علّةٍ يُقبّل، ولأيّ علّةٍ أُخرج من الجنّة، ولأيّ علّةٍ وضع ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره، وكيف السبب في ذلك؟ تخبرني ـ جعلني الله فداك ـ فإنّ تفكّري فيه لعجبٌ!

قال: فقال عليه السلام: سألت وأعضلتَ في المسألة واستقصيتَ، فافهم الجواب وفرّغ قلبك وأصغِ سمعك أخبرك إن شاء الله؛ إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهي

١. الكافي: ٢/ ٨ ح ٢.

٢. علل الشرائع: ١/ ١٠ ح ٤، الإختصاص: ٣٣٢.

٣. الكافي: ٤/ ١٨٤ ح ١.

جوهرةٌ أُخرجت من الجنّة إلى آدمَ عليه السلام، فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق، وذلك لأنّه لمّا أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرّيتَهم حين أخذ الله عليهم الميثاقَ في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ترائى لهم، ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام، فأوّل من يبايعه ذلك الطير وهو ـ والله ـ جبرئيل عليه السلام، وإلى ذلك المقام يسند القائم عليه السلام ظهره، وهو الحجّة، والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان، والشاهد على من أدّى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عزّ وجلّ على العباد.

وأمّا القبلة والاستلام فلعلّة العهد تجديداً لذلك العهد والميثاق وتجديداً للبيعة، ليؤدّوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كلّ سنةٍ ويؤدّوا إليه ذلك العهد والأمانة الذَين أخذا عليهم، ألا ترى أنّك تقول: «أمانتي أدّيتُها وميثاقي تعاهدتُه لتشهدَ لي بالموافاة»؟ ووالله ما يؤدّي ذلك أحدٌ غيرُ شيعتِنا، ولا حفظ ذلك العهد والميثاق أحدٌ غيرُ شيعتنا، وأنّهم ليأتوه فيعرفهم ويصدّقهم، ويأتيه غيرهم فينكرهم ويكذّبهم، وذلك أنّه يحفظ ذلك غيركم، فلكم ـ والله ـ يشهد وعليهم ـ والله ـ يشهد بالخَفْر والجحود والكفر، وهو الحجّة البالغة من الله عليهم يوم القيامة، وله لسانٌ ناطقٌ وعينان في صورته الأُولى يعرفه الخلقُ ولا ينكره، يشهد لمن وافاه وجود العهد والميثاق عنده بحفظ العهد والميثاق وأداء الأمانة، ويشهد على كلّ من أنكر وجحد ونسيَ الميثاق بالكفر والإنكار.

فأمّا علّةُ ما أخرجه الله من الجنّة فهل تدري ما كان الحجر؟ قلت: لا! قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله، فلمّا أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذه أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنةٍ الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذه الله عزّ وجلّ عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم عليه السلام في الجنّة يذكّره الميثاق ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنةٍ، فلمّا عصى آدم وأُخرج من الجنّة، أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ولوصيّه عليه السلام وجعله تائهاً حيراناً!

فلمّا تاب الله على آدم حوّل ذلك الملك في صورة درّةٍ بيضاءَ، فرماه من الجنّة إلى آدم عليه السلام وهو بأرض الهند، فلمّا نظر إليه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرةٌ،

وأنطقه الله عزّ وجلّ فقال له: يا آدم! أتعرفه؟ قال: لا! قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربّك. ثمّ تحوّل إلى صورته التي كان مع آدم عليه السلام في الجنّة، فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟ فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثمّ حوّله الله عزّ وجلّ إلى جوهرة الحجر درّةً بيضاءَ صافيةً تضيءُ، فحمله آدم عليه السلام على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل عليه السلام حتّى وافا به مكّة، فما زال يأنس به بمكّة ويجدّد الإقرار له كلّ يومٍ وليلةٍ.

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ لمّا بنى الكعبة وضع الحجر في ذلك المكان، لأنّه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان، وفي ذلك المكان ألقمه الملك الميثاق، ولذلك وضع في ذلك الركن، ونحّى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحوّاء إلى المروة ووضع الحجر في ذلك الركن، فلمّا نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبّر الله وهلّله ومجّده، فلذلك جرت السنّة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصّفا، فإنّ الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخذ الميثاق له بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالوصيّة اصطكّت فرائصُ الملائكة، فأوّل من أسرع إلى الإقرار ذلك الملك، ولم يكن فيهم أشدّ حبّاً لمحمّدٍ وآل محمّدٍ صلّى الله عليه وعليهم منه، ولذلك اختاره الله من بينهم وألقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسانٌ ناطقٌ وعينٌ ناظرةٌ، يشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق».

أقول: ورواه الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده، وذكر في الفقيه شطراً منه[1].

١٩. الكلينيُّ رحمه الله: عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن موسى، عن العبّاس بن معروف، عن ابن أبي نجران، عن عبدالله بن سنان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي حمزة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: «قال له رجلٌ كيف سُمِّيت الجمعةُ جمعةً؟

قال: إنّ الله عزّ وجلّ جمع فيها خلقه لولاية محمّدٍ ووصيّه (عليهما وآلهما السلام) في الميثاق، فسمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه»[2].

---

١. الكافي: ١٨٤/٤ ح ٣، علل الشرائع: ٤٢٩/٢ ح ١ وشطراً منه في من لا يحضره الفقيه: ١٩١/٢.

٢. الكافي: ٤١٥/٣ ح ٧.

٢٠. الكلينيُّ رحمه الله في كتاب النكاح من الكافي: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن جهم قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:

قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً... إلى أن قال: ويكتبان الميثاق في عينيه، فإذا أكمل الله له الأجل بعث الله ملكاً فزجره زجرةً، فيخرج قد نسي الميثاق...» الحديث[1].

٢١. الكلينيُّ رحمه الله في الكتاب من الكافي[2]: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق النطفة التي ممّا أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أو ما يبدو له فيه... إلى أن قال: ثمّ يوحي الله إلى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري واشترطا لي البداء فيما تكتبانِ، فيقولان يا ربّ ما نكتب؟ فيوحي إليهم أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أُمّه، فيرفعان رؤوسهما فإذا اللّوح يقرعُ جبهةَ أُمّه، فينظران فيه فيجدان في اللّوح صورتَه وزينته وأجله وميثاقَه شقيّاً أو سعيداً وجميع شأنه، قال: فيملي أحدهما على صاحبه، فيكتبان جميع ما في اللّوح ويشترطانِ البداءَ فيما يكتبان، ثمّ يختمانِ الكتاب ويجعلانه بين عينيه...» الحديث[3].

٢٢. الكلينيُّ رحمه الله في كتاب العقيقة من الكتاب: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل وغيره، قال:

«قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: جعلت فداك! الرجل يدعو للحبلى أن يجعل الله ما في بطنها ذكراً مستوياً. قال: يدعو ما بينه وبين أربعة أشهر... إلى أن قال عليه السلام: وميثاقه بين عينيه ينظر إليه، ولا يزال منتصباً في بطن أُمّه حتّى إذا دنى خروجه بعث الله إليه ملكاً، فزجره زجرةً، فيخرج وينسى الميثاق»[4].

---

١. الكافي: ١٣/٦ ح ٣.

٢. أي في كتاب النكاح.

٣. الكافي: ١٣/٦ ح ٤.

٤. الكافي: ١٦/٦ ح ٦.

٢٣. الكلينيُّ رحمه الله في الكتاب[١] من الكتاب: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة بن أعين قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إذا وقعت النطفة في الرحم استقرّت فيها أربعين يوماً... إلى أن قال عليه السلام:

ثمّ يبعث الله ملكين خلّاقين، فيقال لهما: اخلقا كما يريد الله ذكراً أو أُنثى صوّراه، واكتبا أجله ورزقه ومنيّته وشقيّاً وسعيداً، واكتبا عليه الميثاق الذي أخذته في الذرّ عليه بين عينيه. فإذا دنى خروجه من بطن أُمّه بعث الله إليه ملكاً يُقال له زاجر، فيزجره فيفزع فزعاً، فينسى الميثاق ويقع إلى الأرض يبكي من زجرة الملك»[٢].

٢٤. الكلينيُّ رحمه الله في كتاب الشهادات من الكافي: عن عدّةٍ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن عبدالله بن سنان قال:

«لمّا قدِمَ أبو عبدالله عليه السلام على أبي العبّاس وهو بالحيرة، خرج يوماً يريد عيسى بن موسى، فاستقبله بين الحيرة والكوفة ومعه ابن شبرمة القاضي، فقال له: إلى أين يا أبا عبدالله؟ فقال: أردتك، فقال: قد قصّر الله خطوك، قال: فمضى معه.

فقال له ابن شبرمة: ما تقول يا أبا عبدالله في شيءٍ سألني عنه الأمير فلم يكن عندي فيه شيءٌ؟ فقال: وما هو؟ قال: سألني عن أوّل كتابٍ كُتب في الأرض، قال: نعم، إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدمَ عليه السلام ذرّيَته عرضَ العين في صوَر الذرِ نبيّاً فنبيّاً وملكاً فملكاً ومؤمناً فمؤمناً وكافراً فكافراً...» الحديث بطوله[٣].

٢٥. الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي رحمه الله في العلل: عن علي بن أحمد بن محمّد قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي، عن محمّد بن إسماعيل البرمكي، عن علي بن العبّاس، عن القاسم بن الربيع الصحّاف، عن محمّد بن سنان: أنّ أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله علّة استلام الحجر:

---

١. أي في كتاب العقيقة من الكافي.

٢. الكافي: ١٦/٦ ح ٧.

٣. الكافي: ٣٧٨/٧ ح ١.

«إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أخذ مواثيق بني آدم التقمه الحجر، فمن ثَمّ كلّف الناس بمعاهدة ذلك الميثاق، ومن ثَمّ يقال عند الحجر: أمانتي أدّيتُها وميثاقي تعاهدتُه لتشهدَ لي بالموافاة، ومنه قول سلمان رحمة الله عليه: لتجيئنّ الحجر يوم القيامة مثل أبي قبيس له لسانٌ وشفتان يشهد لمن وافاه بالموافاة»[1].

٢٦. الصدوق رحمه الله في العلل: عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن حسن الصفّار، عن العبّاس بن معروف، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن أبي بصير وزرارة ومحمّد بن مسلم كلّهم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الحجر الأسود، ثمّ أخذ الميثاق على العباد، ثمّ قال للحجر التقمه والمؤمنون يتعاهدون ميثاقهم»[2].

٢٧. الصدوق رحمه الله في الكتاب: عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن محمّد بن الحسين ابن أبي الخطّاب، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن عبدالكريم بن عمرو الخثعمي، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الأرواح جنودٌ مجنّدةٌ، فما تعارفَ منها في الميثاق ائتلف هاهنا، وما تناكرَ منها في الميثاق اختلف هاهنا، والميثاق هو في هذا الحجرِ الأسود، أما والله إنّ له لعينين وأُذنين وفماً ولساناً ذلقاً، ولقد كان أشدّ بياضاً من اللّبن، ولكن المجرمين يستلمونه والمنافقين كمثله فبلغ ما ما ترون»[3].

٢٨. الصدوق رحمه الله في الكتاب: عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن الحسين بن أبي العلاء، عن حبيب قال: حدّثني ثقةٌ عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق العباد وهم أظلّةٌ قبل الميلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف؛ وما تناكر منها اختلف»[4].

---

١. علل الشرائع: ٢/٤٢٤ ح ٢ (باب علة استلام حجر الأسود).

٢. علل الشرائع: ٢/٤٢٤ ح ٥.

٣. علل الشرائع: ٢/٤٢٦ ح ٧.

٤. علل الشرائع: ١/٨٤ ح ١.

٢٩. الصدوق رحمه الله في العلل: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمّد بن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كنّا عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا: فيه حِدّةٌ، فقال: من علامة المؤمن أن تكون فيه حِدّةٌ، قال: فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّةٌ، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى في وقتٍ ما ذرأهم أمرَ أصحاب اليمين وأنتم هُمْ أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وَهَجٌ، فالحِدّة من ذلك الوَهَج، وأمر أصحاب الشمال وهُمْ مخالفوهم أن يدخلوا النارَ فلم يفعلوا، فمن ثَمّ لهم سمتٌ ولهم وقارٌ»[١].

٣٠. الصدوق رحمه الله في الخصال والمعاني: حدّثنا عليُّ بن أحمد بن موسى رضى الله عنه، قال: حدّثنا حمزة بن القاسم العلوي العبّاسي قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك الكوفي الفزاري، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين بن زيد الزيّات، قال: حدّثنا محمّد بن زياد الأزدي، عن المفضّل بن عمر،

«عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾[٢] هذا شرطُ عامّةٍ من آمن به متى سُئل، ومتى سُئل واحدٌ منهم[٣]: أولم تؤمن؟ وجب أن يقول بَلى، كما قال إبراهيم عليه السلام، ولمّا قال الله تعالى لجميع أرواح بني آدم: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بَلى!

قال عليه السلام: أوّل من قال بَلى محمّدٌ صلى الله عليه وآله، فصار بسبقه إلى بلى سيّد الأوّلين والآخرين وأفضل النبيّين والمرسلين، فمن لم يُجِب عن هذه المسألة بجواب إبراهيمَ فقد رغب عن ملّته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾»[٤].

أقول: هذا الحديث طويلٌ جدّاً أخذنا منه محلّ الحاجة.

٣١. الصدوق رحمه الله في الخصال: حدّثنا أبي رضى الله عنه قال: حدّثني محمّد بن

---

١. علل الشرائع: ١/ ٨٥ باب ٨٠، وفيه حديث واحد هو ذا.

٢. البقرة: ٢٦٠.

٣. جملة (متى سئل واحد منهم) ساقطة من الأصل، أثبتناها من المصدر.

٤. الخصال: ٣٠٤ ح ٨٤، معاني الأخبار: ١٢٦ ح ١. والآية الشريفة في سورة البقرة: ١٣٠.

يحيى العطّار، عن سهل بن زياد الآدمي قال: حدّثنا أبو الحسين عمرو بن سفيان الجرجاني رفع الحديث إلى أبي عبدالله عليه السلام: «أنّه قال لرجلٍ من مواليه: يا فلان! ما لك لا تخرج؟ قال: قلت: جُعلت فداك! اليوم الأحد، قال: وما للأحد؟ قال الرّجل: للحديث الذي جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: احذروا حدّ الأحد، فإنّ له حدّاً مثل حدّ السيف!

قال: كذبوا كذبوا! ما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله! فإنّ الأحد اسمٌ من أسماء الله عزّ وجلّ، قال: قلت: جعلت فداك، فالاثنين؟ قال: سمّيَ باسمها. قال الرجل: فسمّي باسمهما[1] ولم يكونا.

قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا حدّثت فافهم، إنّ الله تبارك وتعالى قد علم اليوم الذي قبض فيه نبيّه صلى‌الله عليه وآله، واليوم الذي يظلم فيه وصيّه فسمّاه باسمهما... إلى أن قال: قلت: فالجمعة؟ قال عليه السلام: جمع الله عزّ وجلّ الخلق لولايتنا يوم الجمعة...» الحديث[2].

٣٢. الصدوق رحمه الله في التوحيد: حدّثنا عليُّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدّقاق رحمه الله قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير،

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل تراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رآه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ألستُ بربّكم قالوا بلى، ثمّ سكت ساعةً ثمّ قال: وإنّ المؤمنين يرونه في الدُّنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت له: جُعِلت فداك، فأُحدِّث بهذا عنك؟ فقال: لا، فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكرٌ جاهلٌ بمعنى ما تقوله، ثمّ قدر أنّ ذلك تشبيه كفر[3]، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون»[4].

٣٣. الطوسيُّ شيخُ الطائفة المحقّة؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن قدّس سرُّه في الأمالي: أخبرنا محمّد بن محمّد قال: أخبرني المظفّر بن محمّد قال: أخبرنا أبو بكر محمّد بن

---

١. كلمة (باسمهما) ممسوحة في الأصل، أثبتناها من المصدر(الخصال).

٢. الخصال: ٣٨٣ح ٦١.

٣. (كفر) هنا فعل ماضٍ جواب إذا.

٤. التوحيد: ١١٧ح ٢٠.

أحمد بن أبي الثلج قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن موسى الهاشمي قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله الذاري عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي زكريّا الموصلي، عن جابر، عن أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام:

«أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ: أنت الذي احتجّ الله بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً، فقال لهم: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بلى، قال: ومحمّدٌ رسولي؟ قالوا: بلى، قال: وعليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وصيّي؟ فأبى الخلق جميعاً إلّا استكباراً وعتوّاً من ولايتك إلّا نفرٌ قليلٌ، وهم أقلّ القليل، وهم أصحاب اليمين»[١].

أقول: ورواه السيّدُ الأجلّ ابنُ طاووس رحمه الله في كتاب «اليقين» نقلاً عن كتاب «التنزيل» تأليف الكاتب الثقة محمّد بن أحمد بن أبي الثلج[٢]، ولفظه هذا:

حدّث الحسن بن محبوب، عن أبي زكريّا الموصلي، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه:

«أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليٍّ عليه السلام: أنت الذي احتجّ الله به في ابتداء الخلق حيث أقامهم، فقال: ألست بربّكم؟ قالوا جميعاً: بلى، فقال: محمّدٌ رسولي؟ فقالوا جميعاً: بلى، فقال: وعليٌّ أمير المؤمنين؟ فقالوا جميعاً: لا، استكباراً وعتوّاً عن ولايتك إلّا نفرٌ قليلٌ، وهم أقلّ القليل، وهم أصحاب اليمين».

أقول: ورواه السيّد رحمه الله في موضعٍ آخر من كتاب «اليقين» نقلاً عن كتاب محمّد بن العبّاس بن علي بن مروان[٣]، ورواه الشيخُ الجليل الطبري رحمه الله في «بشارة

---

١. أمالي الطوسي: ٢٣٢ رقم ٤١٢/٤.

٢. أقول: ابن أبي الثلج الذي نقل السيد ابن طاووس رحمه الله الحديث عن كتابه هو أبو بكر محمّد بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل الكاتب المعروف بابن أبي الثلج، وأبو الثلج هو عبد الله بن إسماعيل، قال النجاشي رحمه الله: ثقةٌ عينٌ كثير الحديث له كتب، منها كتاب ما نزل في القرآن في أمير المؤمنين عليه السلام.

أقول: هذا الكتاب هو الذي نقل عنه السيد رحمه الله الحديث المذكور. (منه رحمه الله)

٣. هو أبو عبد الله محمّد بن العبّاس بن علي بن مروان بن ماهيار البزّاز المعروف بابن الجحام. قال النجاشي رحمه الله: ثقة ثقة من أصحابنا عين سديد كثير الحديث. له كتاب المقنع في الفقه، كتاب الدواجن، كتاب ما نزل في القرآن في أهل البيت عليهم السلام. وقال جماعة من أصحابنا إنّه كتابٌ لم يصنَّف في معناه مثله، انتهى. هذا الكتاب الأخير هو الذي نقل عنه السيد رحمه الله الحديث المذكور (منه رحمه الله).

المصطفى»[1] الموجود نسخته عندنا[2].

٣٤. الشيخ الطوسي رحمه الله: عن إبراهيم الأحمري قال: حدّثنا أبو جعفر المطالبي، قال: حدّثنا أبو عبدالله محمّد بن خالد التميمي الخراساني، عن علي بن أبان، عن الأصبغ بن نباتة قال: «كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي لأحبّك في السرّ كما أحبّك في العلانية، قال: فنكت أمير المؤمنين عليه السلام الأرض بعودٍ كان في يده ساعةً، ثمّ رفع رأسه فقال: كذبت والله ما أعرف وجهك في الوجوه ولا اسمك في الأسماء!

قال الأصبغ: عجبت من ذلك عجباً شديداً! فلم أبرح حتّى أتاه رجلٌ آخر، فقال: والله يا أمير المؤمنين إنّي لأحبّك في السرّ كما أُحبّك في العلانية! قال: فنكتَ بعوده ذلك في الأرض طويلاً ثمّ رفع رأسَه فقال: صدقتَ، إنّ طينتنا طينةٌ مرحومةٌ أخذ الله ميثاقَها يوم أخذِ الميثاق، فلا يشذّ منها شاذٌّ ولا يدخل فيها داخلٌ إلى يوم القيامة...» الحديث[3].

٣٥. الشيخُ الطوسيُّ رحمه الله في الكتاب: قال: أخبرنا أبو عبدالله محمّد بن محمّد قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد، عن العبّاس بن معروف، عن محمّد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن جدّه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره الله أن يوصي إلى أفضل عشيرته من عصبته، وأمرني أن أُوصي فقلت: إلى مَن يا ربّ؟ فقال: أوصِ يا محمّدُ إلى ابن عمّك عليّ بن أبي طالبٍ، فإنّي قد أثبتّه في الكتب السالفة، وكتبت فيها أنّه وصيّك، وعلى

---

١. رواه ابن طاووس في ص ٢١٣ من اليقين بإسناده عن الحسن بن محبوب عن أبي زكريا الموصلي وفي ص ٢٨٣ منه عن طريق محمد بن عباس بن مروان، ورواه الطبري في بشارة المصطفى: ١٩١ ح ٥، وعن الطبري رواه المجلسي في بحار الأنوار: ١٢٧/٦٤.

٢. من مخطوطات القرن الحادي عشر في مكتبة المؤلّف رحمه الله مكتبة أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف برقم ٨٣٠. راجع فهرس مخطوطات المكتبة بقلم المحقق الطباطبائي رضوان الله عليه.

٣. أمالي الطوسي: ٤٠٩ رقم ٩٢١، ورواه الصفار في البصائر باسناد آخر عن البرقي عن خلف بن حماد عن سعد الاسكاف عن الأصبغ ضمن حديث طويل، ورواه بلفظه واسناده المفيد في الاختصاص: ٣١٠.

ذلك أخذت ميثاقَ الخلائق ومواثيقَ أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبيّة ولك يا محمّدُ صلّى الله بالنبوّة ولعلي بالولاية».

ورواه الشيخُ الأجلّ محمّد بن أبي القاسم الطبريّ في «بشارة المصطفى»، والكتاب موجودٌ عندنا[1].

٣٦. الشيخُ الطوسيُّ رحمه الله في الغيبة روى حديثاً طويلاً وفيه كيفيّة الصلاة لمحمّدٍ وآله، ومنه: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ صلِّ على محمّدٍ سيّد المرسلين وخاتم النبيّين وحجّة ربّ العالمين، المنتجب في الميثاق، المصطفى في الظلال»[2].

٣٧. شيخُ المحدّثين في عصره فراتُ بن إبراهيم الكوفيّ رحمه الله في تفسيره، قال: حدّثني إسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم الفارسي معنعناً عن أبي جعفر محمّدبن عليّ عليهما السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ! قال: لبّيك، قال له: أتى الشيطان الوادي، فَأْتِ الوادي فانظر من فيه؟ فأتى الوادي فدارَ فيه، فلم يرَ أحداً، حتّى إذا صار على بابه لقي شيخاً فقال: ما تصنع هنا؟ قال: أرسلني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال: أتعرفني؟ قال: ينبغي أن تكون أنت يا ملعون! قال: فلابدّ من أن أُصارعك، قال: لابدّ منه، فصارعه فصرعه عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، قال: قُم عنّي... إلى أن قال: فقال: ألا أُصارعك مرّةً أُخرى؟ قال: نعم، فصرعه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قُم عنّي حتّى أُبشّرك، فقام عنه، فقال: لمّا خلق الله تعالى آدم عليه السلام خرجوا ذرّيته من ظهره مثل الذّر، قال: فأخذ ميثاقهم، قال: ألستُ بربّكم؟ قال: فأشهدهم على أنفسهم، فأخذ ميثاق محمّدٍ صلى الله عليه وآله وميثاقك، فعرّف وجهك الوجوه وروحك الأرواح، فلا يقول لك أحدٌ أحبّك إلّا عرفته، ولا يقول لك أحدٌ أبغضك إلّا عرفته...» الحديث.

ورواه ابنُ شهرآشوب في مناقبه[3].

٣٨. الكوفيُّ رحمه الله في التفسير، قال: حدّثني سعيد بن الحسن بن مالك قال: حدّثنا

---

١. أمالي الطوسي: ١٠٤ رقم ١٦٠، بشارة المصطفى: ٧٤.

٢. الغيبة: ٢٧٧.

٣. تفسير فرات الكوفي: ١٤٧ ح ١٨٥، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٨٦.

بكّار عن الحسن بن الحسين قال: حدّثنا منصور بن مهاجر عن سعاد،

«عن أبي جعفرٍ عليه السلام أنّه سُئِلَ عن هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾[1] الآية، فقال عليه السلام: مَثَلُ أجراه الله تعالى في شيعتنا يجري لهم في الأصلاب، ثمّ يزرعهم في الأرحام، ويخرجهم للغاية التي أخذ عليهم ميثاقهم في الخلق، فمنهم أتقياء شهداء... إلى أن قال عليه السلام: فمن ألهمه الله تعالى الخير وأسكنه في قلبه بلغ منه غايته التي أخذ عليها ميثاقه في الخلق الأوّل، صدق الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

٣٩. فراتُ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره: عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يا عليّ! من يهدي الله فلا مضلّ له، ومن يضللهُ فلا هاديَ له، لقد أخذ الله تعالى ميثاقي وميثاقَك وأهل مودّتك وشيعتك إلى يوم القيامة فيكم شفاعتي، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، هم شيعتك يا علي»[3].

٤٠. محمّد بن إبراهيم النعماني المعروف بـ«ابن أبي زينب» قدّس سرُّه، قال في كتابه الغيبة:

حدّثنا عليّ بن الحسين المسعودي قال: حدّثنا محمّد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا محمّد بن الحسين الرازي، عن محمّد بن علي الكوفي، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن جبلة، عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنّه يرجع إليهم شابّاً موفّقاً، لا يثبت عليه إلّا من قد أخذ الله ميثاقَه في الذّر الأوّل»[4].

أقول: ورواه في موضعٍ آخر من الكتاب، إلّا أنّ فيه بمكان قوله عليه السلام «إلّا» من لفظة «إلّا مؤمن». ورواه شيخُ الطائفة أبو جعفر الطوسيّ رحمه الله في «الغيبة» بهذا السند، عن الحسن بن علي العاقولي، عن الحسين بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي

---

١. الفتح: ٢٩.

٢. تفسير فرات الكوفي: ٤٢٣ ح ٥٦٠.

٣. تفسير فرات الكوفي: ٢٤٥ ح ٣٣٠، والآية الشريفة هي الآيه التاسعة من سورة الزمر.

٤. كتاب الغيبة للنعماني: ١٩٤ ح ٤٣.

بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «لو قد قام القائم...» الحديث بتغييرٍ يسيرٍ في بعض ألفاظه[1].

٤١. محمّد بن إبراهيم النعماني في الكتاب: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّدٍ عليهما السلام في خطبةٍ طويلةٍ يذكر فيها حالَ الأئمّة عليهم السلام وصفاتهم، قال عليه السلام: «فالإمام هو المُنتجب المُرتضى والهادي المُجتبى والقائم المُرتجى، اصطفاه الله لذلك واصطنعَه على عينه في الذّرِ حين ذرَأَهُ وفي البريّة حين بَرَأَهُ ظِلّاً قبل خلقِ نسمةٍ عن يمين عرشه...» الحديث.

ورواه الكلينيُّ في الكافي[2].

٤٢. الشيخ الثقة أبو محمّد جعفر بن أحمد القمّي رحمه الله في «كتاب العروس» ـ ونسخته موجودةٌ عندنا ـ قال الصادق عليه السلام: «سمّيت الجمعةُ جمعةً لأنّ الله جمع الخلقَ لولاية محمّدٍ صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلوات الله عليهم».

أقول: وروى الشيخ الطوسيُّ رحمه الله في المجالس مثله[3].

٤٣. القمّيُّ رحمه الله في الكتاب: روى عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام يقول: «خلق الله الأنبياء والأولياء يومَ الجمعة وهو اليومُ الذي أخذ الله فيه ميثاقَهم، خلقنا نحن وشيعتنا من طينةٍ مخزونةٍ، لا يشذّ فيها شاذٌّ إلى يوم القيامة»[4].

٤٤. السيّد الثقة الأجلّ ابن طاووس رحمه الله في كتاب «اليقين» مسنداً معنعناً عن علقمة بن محمّد الحضرمي، عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليهما السلام، والحديث طويلٌ جدّاً نذكر منه محلَّ الحاجة؛ قال عليه السلام:

---

١. كتاب الغيبة: ٢١٩ ح ٢٠، والغيبة لشيخ الطائفة: ٤٢٠ ح ٣٩٨.

٢. كتاب الغيبة: ٢٣١ ح ٧، الكافي: ١/٢٠٣ ح ٢.

٣. أمالي الطوسي: ٦٨٨ ح ١٤٦١.

٤. ورواه الصفار في بصائر الدرجات: ٣٧ ح ١١ بطريقه عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد بن حماد، عن ابراهيم بن عبدالحميد بالإسناد واللفظ.

«حجَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله من المدينة وقد بلَّغ جميعَ الشرائع قومَه غير الحجّ والولاية... إلى أن قال عليه السلام:

فلمّا وقف رسول الله صلى الله عليه وآله بالموقف أتاه جبرئيلُ عليه السلام عن أمر الله عزّ وجلّ فقال: يا محمّد! إنّ الله يقرء عليك السلام ويقول لك إنّه قد دنى أجلُك ومدّتك، وإنّي أستقدمك على ما لابدّ منه ولا عنه محيص، إعهد عهدك وتقدّم في وصيّتك، واعهد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء، فسلّمْهُ إلى وصيّك وخليفتك من بعدك حجّتي البالغة على خلقي عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، فأقمهُ للناس وجدّد عهدَك وميثاقَك وبيعتَه، وذكّرهُم ما في الذّر من بيعتي وميثاقي الذي أوثقتهم به، وعهدي الذي عهدتُ إليهم من الولاية لمولاهم ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام... إلى أن قال:

فأقمْ يا محمّدُ عليّاً وخُذ عليه البيعة، وجدّد عهدي وميثاقي لهم الذي أوثقتهم عليه، فإنّي قابضك إليّ ومستقدمك...» الحديث.

أقول: ورواه الشيخُ الثقة الطبرسيّ رحمه الله في الاحتجاج بتغييرٍ يسيرٍ[1].

٤٥. السيّد ابن طاووس رحمه الله في «الإقبال»، قال رحمه الله:

فصلٌ فيما نذكره من عمل العيد الغدير السعيد ممّا رويناه بصحيح الأسانيد. فمن ذلك بالأسانيد المتّصلة ممّا ذكره ورواه محمّد بن علي الطّرازي في كتابه عن محمّد بن سنان، عن داود بن كثير الرقي، عن عمارة بن جوين أبي هارون العبدي، وروينا بأسانيدنا أيضاً إلى الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان، فيما رواه عن عمارة بن جوين العبدي أيضاً قال:

«دخلت على أبي عبدالله عليه السلام في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة فوجدته صائماً، فقال: إنّ هذا اليوم يومٌ عظّم الله حرمتَه على المؤمنين، إذ أكمل الله لهم فيه الدِّين وتمّم عليهم النعمةَ، وجدّد لهم ما أخذ عليهم من الميثاق والعهد في الخلق، إذ أنساهم الله ذلك الموقف ووفّقهم للقبول منه، ولم يجعلهم من أهل الإنكار الذين جحدوا... إلى أن قال عليه السلام: فمن صلّى فيه ركعتين ثمّ سجد وشكر الله عزّ وجلّ مائة مرّةً ودعا بهذا الدّعاء

---

١. الاحتجاج: ٦٦/١ وعنه في بحار الأنوار: ٢٠١/٣٧ ح ٨٦.

بعد رفع رأسه من السجود، والدّعاء:

اللهمَّ إِنّي أَسْأَلُك بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ وَأَنَّكَ وَاحِدٌ... (إلى أن) يَا مَنْ هُوَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ كَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تَفَضَّلْتَ عَلَيَّ بِأَنْ جَعَلْتَنِي مِنْ أَهْلِ إِجَابَتِكَ وَأَهْلِ دِينِكَ وَأَهْلِ دَعْوَتِكَ وَوَفَّقْتَنِي لِذَلِكَ فِي مُبْتَدَإِ خَلْقِي تَفَضُّلاً مِنْكَ وَكَرَماً وَجُوداً ثُمَّ أَرْدَفْتَ الْفَضْلَ فَضْلاً وَالْجُودَ جُوداً وَالْكَرَمَ كَرَماً رَأْفَةً مِنْكَ وَرَحْمَةً إِلَى أَنْ جَدَّدْتَ ذَلِكَ الْعَهْدَ لِي تَجْدِيداً بَعْدَ تَجْدِيدِكَ خَلْقِي وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً نَاسِياً سَاهِياً غَافِلاً فَأَتْمَمْتَ نِعْمَتَكَ بِأَنْ ذَكَّرْتَنِي ذَلِكَ وَمَنَنْتَ بِهِ عَلَيَّ وَهَدَيْتَنِي لَهُ...» الحديث[1].

٤٦. السيّد ابن طاووس رحمه الله في «اليقين»، قال في الباب التاسع والثلاثين بعد المائة ما هذا لفظه:

«فيما نذكره من تسمية مولانا عليّ عليه السلام بأمير المؤمنين من رواية أبي عمرو محمّد بن عمر بن عبدالعزيز الكشّي من طريق الجمهور في حديث بعض رجالهم الذين رووا عنهم وصدّقوهم، أنقله من خطّ جدّي أبي جعفرٍ الطوسيّ، قال: حدّثنا محمّد بن مسعود قال: حدّثني عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضّال قال: حدّثني العبّاس بن عامر وجعفر بن محمّد بن حكيم[2]، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن فضيل الرسان،

عن أبي داود قال: حضرته عند الموت وجابر الجعفي عند رأسه قال: فهمَّ أن يحدّث فلم يقدر، قال: ومحمّد بن جابر أرسله، قال: فقلت: يا أبا داود! حدِّثنا الحديث الذي أردت، قال: حدّثني عمران بن حصين الخزاعي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر فلاناً وفلاناً أن يسلّما على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين فقال: من الله ومن رسوله؟ فقال: من الله ومن رسوله، فقال: إنّكم سألتموني مَن وليّكم بعدي وقد أخبرتكم به، وأخذت عليكم الميثاقَ كما أخذ الله تعالى على بني آدمَ ألست بربّكم قالوا بَلى، وايمُ اللهِ لئن نقضتموها لتكفرون»[3].

٤٧. في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

١. إقبال الأعمال: ٢/ ٢٧٦

٢. خ ل: حكم.

٣. اليقين: ٣٨٨.

«وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ»[1].

٤٨. في «تأويل الآيات الباهرة» للسيّد العلّامة المحدّث الجليل شرف الدِّين النجفي رحمه الله، و«معالم الزلفى» للمحدِّث النحرير النقّاد البحراني رحمه الله، و«بحر المعارف»[2] للشيخ الشهيد الهمداني الحائري رحمه الله، كلّهم نقلاً عن «كتاب المعراج» للشيخ الأجلّ رئيس الحفظة ابن بابويه الصدوق قدس سره، عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال:

«سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب عليّاً عليه السلام ويقول:

يا عليّ! إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيءَ معه، فخلقني وخلقك روحين[3] من نور جلاله، وكنّا أمامَ عرش ربّ العالمين نسبّح اللهَ ونقدّسه ونحمده ونهلّله، وذلك قبل أن خلق السماوات والأرضين، فلمّا أراد أن يخلق آدمَ خلقني وإيّاك من طينةٍ واحدةٍ من طينة عليّين، وعجنَنا بذلك النور وغمسَنا في جميع الأنوار وأنهار الجنّة، ثمّ خلق آدمَ واستودع صلبَه تلك الطينة والنور، فلمّا خلقه استخرج ذرّيتَه من ظهره، فاستنطقهم وقرّرهم بدينه، فأوّلُ من خلقه فأقرّ له بالربوبيّة أنا وأنت والنبيّونَ على قدر منازلهم وقربهم عن الله عزّ وجلّ، فقال الله تبارك وتعالى: صدّقتُما وأقررتُما يا محمّدُ ويا عليُّ، سبقتما خلقي إلى طاعتي وكذلك كنتما في سابق علمي فيكما، فأنتما صفوتي من خلقي والأئمّة من ذرّيتكما وشيعتكما وكذلك خلقتكم...» الحديث بطوله.

قال سيّدنا العلّامة النجفي رحمه الله بعد نقل الحديث: وهذا يدلّ على أنّ أمير المؤمنين أفضل من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لأنّه سبقهم إلى الإقرار هو والنبيّ المختار صلّى

---

١. نهج البلاغة: ٤٣، قطعة من الخطبة الأولى من النهج الشريف، عنوانها (اختيار الأنبياء).

٢. بحر المعارف في العرفان والتصوف،طبع مرة سنة ١٣٩٣ في بمبئي و أخرى في تبريز، و طبعته منشورات حكمت في طهران بالتصوير على طبعة حجرية سنة ١٣٧٠ش.، وأخرى محققة مترجمة سنة ١٣٧٣ش.، قام بالعمل عليها حسين أستاد ولي.

٣. وفي كتاب المحتضر لحسن بن سليمان الحلي(ص ٢٥١ ح ٣٤٠): زوجين من نور جلاله (بالزاء المعجمة).

الله عليهما وعلى ذرّيتهما الأخيار ما اطّرد الليل والنهار[1].

٤٩. في كنز الفوائد المنتخب من «تأويل الآيات الباهرة» نقلاً عن محمّد بن العبّاس رحمه الله قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن موسى النوفلي، عن محمّد بن عبدالله، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي زكريّا الموصلي، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جدّه:

«أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام (صلوات الله عليهم أجمعين): يا عليّ! قوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إلّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنْ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[2] المجرمون هم المنكرون لولايتك ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[3] فيقول لهم أصحاب اليمين: ليس من هذا أُوتيتم، فما الذي سلككم في سقر يا أشقياء؟ قالوا: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[4]، وقالوا لهم: هذا الذي سلككم في سقر يا أشقياء! يوم الدّين يوم الميثاق حيث جحدوا وكذّبوا بولايتك وعتوا عليك واستكبروا»[5].

٥٠ . في «تفسير البرهان» و«غاية المرام» للسيّد المحدّث العلامة الحجّة السيّد هاشم التوبلي البحراني قدس سره، نقلاً عن «اختصاص» الشيخ الأجلّ المفيد رحمه الله قال:

روي عن جابر الجُعفي قال: «كنت ليلةً من بعض الليالي عند أبي جعفرٍ عليه السلام، فقرأت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾[6]، قال: فقال: مَهْ يا جابر! كيف قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾؟ قال: هذا تحريف يا جابر! قال: قلت: تخبرني جعلني الله فداك؟ قال: أفلا أخبرك بتأويله الأعظم؟ قال قلت: بلى جعلني الله فداك!

قال: فقال: يا جابر! سمّى الله الجمعةَ جمعةً لأنّ الله عزّ وجلّ جمع في ذلك اليوم الأوّلين والآخرين، وجميعَ ما خلق الله من الجنّ والإنس وكلّ شيءٍ خلق ربّنا والسماوات

---

١. تأويل الآيات: ٢/٧٧٣، ورواه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٣/٢٥ عنه وعن كنز الفوائد.

٢. المدثر: ٣٨ ـ ٤٢. ٣. المدثر: ٤٣ ـ ٤٥.

٤. المدثر: ٤٦ ـ ٤٧. ٥. تأويل الآيات: ٢/٧٣٨ ح ٩.

٦. الجمعة: ٩.

والأرضين والبحار والجنّة والنار، وكلّ شيءٍ خلقه الله في الميثاق فأخذ الميثاق منهم له بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية في ذلك اليوم. قال الله للسماوات والأرض: ﴿اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1]، فسمّى الله ذلك اليوم الجمعة لجمعه فيه الأوّلين والآخرين.

ثمّ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ من يومكم هذا الذي جمعتم فيه، والصلاة أمير المؤمنين عليه السلام؛ يعني بالصلاة الولاية وهي الولاية الكبرى، ففي ذلك اليوم أتت الرُّسل والأنبياء والملائكة وكلّ شيءٍ خلق الله والثقلان الجنّ والإنس والسماوات والأرضون والمؤمنون بالتلبية لله عزّ وجلّ، فامضوا إلى ذكر الله وذكر الله أمير المؤمنين، ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ يعني الأوّل ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني أمير المؤمنين وولايته ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من تبعة الأوّل وولايته ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ﴾ يعني بيعةَ أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني بالأرض الأوصياء، أمر الله بطاعتهم وولايتهم، كما أمر بطاعة الرسول وطاعة أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما)، كنّى الله في ذلك عن أسمائهم فسمّاهم بالأرض ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾، قال جابر: وابتغوا من فضل الله، قال: تحريفٌ! هكذا نزلت: وابتغوا من فضل الله على الأوصياء ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ثمّ خاطب الله عزّ وجلّ في ذلك الموقف محمّداً صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمّد! إذا رأوا الشكّاك والجاحدون تجارةً ـ يعني الأوّل ـ أو لهواً ـ يعني الثاني ـ انصرفوا إليها! قال: قلت: انفضّوا إليها؟ قال: تحريفٌ! هكذا نزلت: وتركوك مع عليٍّ قائماً، قُل يا محمّدُ ما عند الله من ولاية عليٍّ والأوصياء خيرٌ من الله، والتجارة ـ يعني بيعة الأوّل والثاني ـ للذين اتّقوا، قال قلت: ليس فيها للّذين اتّقوا؟ قال: فقال: بلى هكذا نزلت الآية، وأنتم همُ الذين اتّقوا والله خير الرازقين»[2].

---

١. فصّلت: ١١.

٢. رواه المحدث البحراني في غاية المرام: ٢٤١/٤ وفي تفسير البرهان: ٣٧٩/٥ من الطبعة الجديدة عن الشيخ ←

أقول: ذكرنا الحديث بتمامه لكثرة فائدته.

٥١. في تفسير العيّاشي عن زرارة، قال:

«قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: أرأيت حين أخذ الله الميثاق على الذّر في صلب آدمَ فعرّفهم على نفسه كانت معاينةً منهم له؟

قال: نعم يا زرارة! وهم ذرٌّ بين يديه وأخذ عليهم بذلك الميثاق بالربوبيّة، ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ثمّ كفّل لهم بالأرزاق وأنساهم رؤيته، وأثبت في قلوبهم معرفتَه، فلابدّ من أن يخرج الله إلى الدُّنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق، فمن جحد ممّا أخذ عليه الميثاق لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله لم ينفعه إقراره لربّه بالميثاق، ومن لم يجحد ميثاق محمّدٍ صلى الله عليه وآله نفعه الميثاق لربّه»[1].

٥٢. في تفسير البرهان: سعد بن عبدالله، عن المعلّى بن محمّد البصري، قال: حدّثنا أبو الفضل المدني، عن ابن مريم الأنصاري، عن المنهال بن عمرو، عن زرّ بن حبيش،

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الأوصياء هم أصحاب الصراط وقوفاً عليه، لا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم عليهم السلام عند أخذهم المواثيق عليهم، ووصفهم في كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ﴾[2] وهم الشهداء على أوليائهم، والنبيُّ صلى الله عليه وآله الشهيد عليهم أخذ لهم مواثيقَ العباد بالطاعة، وأخذ بالنبيّ صلى الله عليه وآله الميثاق بالطاعة، فجرت نبوّته عليهم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾»[3].

٥٣. في تفسير العيّاشي، عن الحلبي قال: «سألته عليه السلام: لِمَ جعل استلام الحجر؟

قال عليه السلام له: إنّ الله حيث أخذ الميثاق من بني آدم دعا الحجر من الجنّة وأمره والتقم الميثاق فهو يشهد لمن وافاه بالموافاة».

← المفيد في كتاب الاختصاص. والحديث في الاختصاص: ١٢٨. والآيات المذكورة في الرواية هي آيات ٩ و١٠ من سورة الجمعة.

١. تفسير العياشي: ١/١٨١ ح ٧٥.

٢. الأعراف: ٤٦.

٣. البرهان في تفسير القرآن: ٢/٧٩، والآية الأخيرة هي آية ٤١ من سورة النساء.

ورواه الشيخ الفقيه ابنُ إدريس في «السرائر» نقلاً عن كتاب نوادر لأحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي[١].

٥٤. في الكتاب: عن أبي بصير: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أخبرني عن الذّر حيث أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بَلى وأسرَّ بعضهم خلاف ما أظهر، فقلت: كيف علموا القول حيث قيل لهم ألست بربّكم؟ قال: إنّ الله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه»[٢].

٥٥. في تفسير العيّاشي: عن عبدالله بن ميمون القدّاح قال:

«سمعت زيد بن عليٍّ يقول: يا معشر من يحبّنا لا ينصرنا[٣] من الناس أحدٌ، فإنّ الناس لو يستطيعوا أن يحبّونا لأحبّونا، والله لأحبّتنا أشدُّ خزانةً من الذهب والفضّة، إنّ الله خلق ما هو خالقٌ ثمّ جعله أظلّةً. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ الآية، ثمّ أخذ ميثاقنا وميثاق شيعتنا، فلا ينقص[٤] منها واحدٌ ولا يزداد فينا واحدٌ»[٥].

٥٦. العيّاشيُّ في تفسيره: عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى هبط إلى الأرض في ظللٍ من الملائكة على آدم بوادٍ يُقال له الروحاء، وهو وادٍ بين الطائف ومكّة، قال: فمسح على ظهر آدمَ ثمّ صرخ بذرّيته وهم ذرٌّ، قال: فخرجوا كما تخرج النمل من كورها فاجتمعوا، فقال الله: يا آدمُ! هؤلاء ذرّيتك أخرجتُهم من ظهرك لآخذَ عليهم الميثاقَ لي بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة كما أخذت عليهم في السماء، قالِ آدم: يا ربّ! فما تريد منهم في الميثاق؟ فقال الله: أن لا يشركوا بي شيئاً، فقال آدم: فمن أطاعك منهم يا ربّ فما جزاؤه؟ قال الله: أسكنه جنّتي، قال: فمَن عصاك فما جزاؤه؟ قال: أسكنه ناري...» الحديث[٦].

٥٧. في «غاية المرام» و«معالم الزّلفى» للسيّد المحدّث العلامة البحراني قدّس سرُّه،

---

١. تفسير العياشي: ٢/٣٩ ح ١٠٦، مستطرفات السرائر: ٥٦١.

٢. تفسير العياشي: ٢/٤٢ ح ١١٧. وعنه في بحار الأنوار: ٦٤/١٠٢.

٣. وفي نسخة البرهان: ألا ينصرنامن الناس أحد؟ (٣/٢٤٢ من الطبعة المحققة).

٤. كلمة (ينقص) ساقطة من الأصل، أثبتناه من المصدر.

٥. تفسير العياشي: ٢/٢٠٧ ح ٢٤، والآية الشريفة في سورة الرعد: ١٥.

٦. تفسير العياشي: ٢/٢١٨ ح ٧٣.

عن محمّد بن خالد الطيالسي، ومحمّد بن عيسى بن عبيد، بإسنادهما عن جابر بن يزيد الجعفي قال:

قال أبو جعفر محمّدُ بن عليٍّ الباقر عليهما السلام: «كان الله ولا شيءَ غيرُه ولا معلومَ ولا مجهولَ، فأوّل ما ابتدء من خلقٍ خلقه أن خلق محمّداً وخلقَنا أهلَ البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّةً خضراءَ بين يديه ولا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، ففضل نورنا من نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح الله تعالى ونقدّس ونحمده ونعبده حقّ عبادته، ثمّ بدأ (بدا لله) الله تعالى أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان: لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين به أيّدته وبه نصرته.

ثمّ كيّف الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك، ثمّ خلق السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة و(النار) فكتب عليهما مثل ذلك، ثمّ خلق الله الملائكة وأسكنهم السماء، ثمّ تراءى لهم تعالى وأخذ منهم الميثاق له بربوبيّته ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، فأضطربت فرائص الملائكة فسخط الله تعالى على الملائكة واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه وتقرّون (يقرّون) بما أُخذ عليهم ويسألونه الرضا، فرضي عنهم بعدما أقرّوا بذلك فأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصّهم نفسه واختارهم لعبادته.

ثمّ أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح فسبّحنا، فسبّحت الملائكةُ بتسبيحنا، ولولا تسبّح (تسبيح) أنوارنا ما دروا كيف يسبّحون الله ولا كيف يقدّسونه! ثمّ إنّ الله خلق الهواء[1] فكتب عليه: لا إله إلّا الله محمّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين وصيّه به أيّدته وبه نصرته. ثمّ خلق الله الجنّ فأسكنهم الهواء وأخذ الميثاق منهم له بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، فأقرّ منهم مَن أقرّ وجحد منهم من جحد. فأوّل من جحد إبليس لعنه الله تعالى فختم له بالشقاوة وما صار إليه. ثمّ أمر الله أنوارنا أن تسبّح فسبّحت فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك ما دروا كيف يسبِّحون الله. ثمّ خلق الله الأرضَ فكتب على أطرافها: لا إله إلّا الله محمّدٌ رسول الله عليٌّ أمير المؤمنين وصيّه، به أيّدته وبه نصرته.

---

١. كلمة (الهواء) ساقطة من الأصل.

فبذلك ـ يا جابر ـ قامتِ السماوات بلا عمدٍ وثبتت الأرضُ. ثمّ خلق الله تعالى آدم عليه السلام من أديم الأرض ونفخ فيه من روحه، ثمّ أخرج ذرّيته من صلبه فأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، أقرَّ منهم مَن أقرّ وجحد منهم مَن جحد، فكنّا أوّل مَن أقرّ بذلك.

ثمّ قال لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله: وعزّتي وجلالي وعلوّ شأني لولاك ولولا عليٌّ وعترتكما الهادين المهتدين الراشدين ما خلقتُ الجنّةَ ولا النارَ ولا المكانَ ولا الأرضَ ولا السماءَ ولا الملائكةَ ولا خلقاً يعبدني. يا محمّد! أنت حبيبي وخليلي وصفيّي وخيرتي من خلقي، أحبّ الخلق إليَّ وأوّل من ابتدأت من خلقي، ثمّ من بعدك الصِّديق عليّ بن أبي طالبٍ أمير المؤمنين وصيّك، به أيّدتك ونصرتك وجعلته العروة الوثقى ونور أوليائي ومنار الهدى، ثمّ هؤلاء الهداة المهتدون، من أجلكم ابتدأت خلقَ ما خلقتُ، فأنتم خيارُ خلقي وأحبّائي وكلماتي وأسمائي الحسنى وأسبابي وآياتي الكبرى وحجّتي فيما بيني وبين خلقي، فخلقتكم من نور عظمتي وأحتجب بكم عمّن سواكم من خلقي، وجعلتكم أستقبل بكم وأسأل بكم، وكلّ شيءٍ هالك إلّا وجهه وأنتم وجهي لا تُبيدون ولا تهلكون ولا يهلك ولا يبيد من تولّاكم. ومَن استقبلني بغيركم فقد ضلّ وهوى، وأنتم خيار خلقي وحمَلَة سرّي وخزّان علمي وسادة أهل السماوات وأهل الأرض.

ثمّ إنّ الله تعالى هبط إلى الأرض في ظللٍ من الغمام والملائكة، وأهبط أنوارنا معه، فأوقفنا صفوفاً بين يديه نسبّحه في أرضه كما سبّحناه في سمائه، ونقدّسه في أرضه كما قدّسناه في سمائه، ونعبده في أرضه كما عبدناه في سمائه، فلمّا أراد الله إخراج ذرّية آدمَ عليه السلام لأخذ الميثاق وسلك النور فيه. ثمّ أخرج ذرّيته من صلبه يلبّون فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا ذلك لما دروا كيف يسبّحون الله عزّ وجلّ! ثمّ تراءى لهم لأخذ الميثاق منهم بالربوبيّة، فكنّا أوّل من قال بَلى عند قوله: ألستُ بربّكم، ثمّ أخذ الميثاق منهم بالنبوّة لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله ولعليٍّ بالولاية، فأقرّ مَن أقرّ وجحد مَن جحد.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فنحن أوّلُ خلقٍ ابتدأ الله وأوّلُ خلقٍ عبد الله وسبّحه ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميّين، فبنا عُرِفَ الله وبنا

وحّد الله وبنا عُبِدَ الله وبنا أكرم الله مَن أكرم من جميع خلقه وبنا أثاب الله مَن أثاب وعاقب مَن عاقب. ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[1]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[2].

فرسول الله صلى الله عليه وآله أوّلُ من عبدَ الله وأوّلُ من أنكر أن يكون له ولدٌ وشريكٌ، ثمّ نحن بعد رسول الله، ثمّ أودعنا بعد ذلك صلب آدمَ عليه السلام، فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام إلى صلبٍ ولا استقرّ في صلبٍ إلّا تبيّن عن الذي انتقل منه انتقاله وشرف الذي استقرّ فيه حتّى صار في عبدالمطّلب، فوقع بأُمّ عبدالله فاطمة، فافترق النور جزئين جزءٌ في عبدالله وجزءٌ في أبي طالبٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[3] يعني في أصلاب النبيّين وأرحام نسائهم. فعلى هذا أجرانا الله في الأصلاب والأرحام حتّى أخرجنا في أوان عصرنا وزماننا، فمن زعم أنّا لسنا ممّن جرى في الأصلاب والأرحام وولّدنا الآباءُ والأمّهاتُ فقد كذب»[4].

أقول: نقلنا هذا الحديث بتمامه في المطلب الثاني أيضاً[5]، ففيه فوائدُ جمّةٌ ودلائلُ على مطالبَ كثيرةٍ، هو المسكُ ما كرّرته يتضوّع.

٥٨. في المجلّد الأوّل من بحار الأنوار: روى الشيخ أحمدُ بن فهدٍ في «المهذّب» وغيره بإسنادهم عن المعلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال لي:

«يا معلّى! يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله ميثاقَ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه عليهم السلام...» الحديث[6].

٥٩. في تفسير العيّاشي: عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك وتعالى عرض على آدمَ في الميثاق ذرّيته، فمرَّ به النبيّ صلى الله عليه وآله

---

١. الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦.

٢. الزخرف: ٨١.

٣. الشعراء: ٢١٩.

٤. غاية المرام: ١/ ٤٠ الحديث السابع، ورواه أيضا في حلية الأبرار: ١/ ١٣ وفي مدينة المعاجز: ٢/ ٣٧١.

٥. تقدم في ص ١٢٥ (الحديث الخامس).

٦. بحار الأنوار: ٥/ ٢٣٧ ح ١٥.

وهو متّكئٌ على عليّ، وفاطمةُ تتلوهما، والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) يتلوان فاطمةَ، فقال الله: يا آدم! إيّاك أن تنظر إليهم بحسدٍ أهبطك من جواري...» الحديث[1].

٦٠. في كتاب السماء والعالم من «بحار الأنوار» نقلاً عن «الدرّ المنثور»، عن أبي سعيدٍ الخُدري قال:

«سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله سُئل عن العَزْل، فقال: لا عليكم أن تفعلوا إن يكن ممّا أخذ اللهُ منها الميثاقَ فكانت على الصخرة نفخ فيه الروحُ»[2].

٦١. في الكتاب من الكتاب عن الكتاب: عن ابن مسعود أنّه سُئل عن العَزل، فقال: «لو أخذ الله ميثاقَ نسمةٍ من صلب رجلٍ ثمّ أفرغه على صَفا لأخرجه من ذلك الصّفا، فإن شئت فاعْزِل وإن شئت لا تعْزِل»[3].

٦٢. في حجّ «المستدرك» نقلاً عن «المزار» القديم، زيارة المُصافَقَةِ لسائر الأئمّة عليهم السلام وتجديد العهد لهم صلوات الله عليهم، روى عنهم عليهم السلام قال:

«إنّ زيارتنا إنّما هي تجديد العهد والميثاق المأخوذ في رقاب العباد، وسبيل الزائر أن يقول عند زيارتهم عليهم السلام: جئتك يا مولاي زائراً لك ومسلّماً عليك ولائذاً بك، أُجدّد ما أخذ الله لكم في رقبتي من العهد والميثاق والولاية لكم والبراءة من أعدائكم، معترفاً بالفرض من طاعتكم، ثمّ ضَعْ يدكَ اليُمنى على القبر وقُل: هذه يدُ مصافَقَةٍ لك على البيعة الواجبة، فاقبلْ منّي ذلك يا إمامي الزيارة»[4].

أقول: يعلم توضيح الرواية ممّا رويناه في استلام الحجر وتجديد العهد والميثاق المأخوذ على العباد بمصافقته ولمسه، فراجِعْ وافهَمْ.

٦٣. في زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله عن بُعدٍ، نقلها غيرُ واحدٍ من أصحاب الحديث في كتبهم عن الشيخ المفيد والسيّد ابن طاووس والشهيد رحمهم الله:

«السلام عليك يا حجّةَ الله على الأوّلينَ والآخرينَ، والسابقَ إلى طاعة ربّ العالمين،

---

١. تفسير العياشي: ١/٤١ ح ٢٧.

٢. بحار الأنوار: ٥٧/ ٣٨٢ ح ١٠٦، الدر المنثور: ٣/١٤٤.

٣. بحار الأنوار: ٥٧/ ٣٨٣ ح ١٠٧، الدرّ المنثور: ٣/١٤٤.

٤. مستدرك الوسائل: ١٠/٢٢٣ رقم ١١٩٠١.

والمهيمنَ على رسله... الفائزَ بالسِّباق، والفائتَ عن اللّحاق... أوّل النبيّين ميثاقاً وآخرهم مبعثاً، الذي غمستَهُ في بحر الفضيلة والمنزلةِ الجليلة»[1].

٦٤. في كتاب «الكشكول فيما جرى لآل الرسول»[2] ـ الموجود نسخته عندنا[3] ـ تأليف العلّامة الأجلّ السيّد النحرير حيدر بن عليّ الحسينيّ الآمليّ قدّس سرُّه:

«قال المفضّل بن عمر: سألت مولاي الصادقَ عليه السلام: بما استحقّ الرسولُ صلى الله عليه وآله سيادةَ الخلق أجمعين؟ قال: بسبقه في الذّرِ لمّا قال الله تعالى: ألستُ بربّكم، وكان هو أوّل من سبقَ بالجواب فقال: بَلى، فبعثه الله عزّ وجلّ إلى الذّر أجمعين...» الحديث.

٦٥. العيّاشيُّ: عن أبي ذرّ قال: «قال والله ما صدق أحدٌ ممّن أخذ ميثاقَه فوفى بعهد الله غير أهل بيت نبيّهم وعصابةٍ قليلةٍ من شيعتهم، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[4]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[5].

٦٦. في مختصر بصائر سعد بن عبدالله ـ الموجود نسخته عندنا ـ المعلّى بن محمّد البصري قال: حدّثني أبو الفضل المدني، عن أبي مريم الأنصاري، عن منهال بن عمرو، وعن زرٍّ بن حُبيش، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعته يقول:

«إذا دخل الرجل حفرته أتاه ملكان اسمهما منكرٌ ونكيرٌ... إلى أن قال: فالأوصياء هم أصحابُ الصراط وقوفٌ عليه، لا يَدخل الجنّة إلّا من عرفَهم وعرفوه، ولا يدخل النارَ إلّا من أنكرهم وأنكروه؛ لأنّهم عرفاء الله عزّ وجلّ، عرّفهم عليه عند أخذ المواثيق عليهم،

---

١. إقبال الأعمال: ٣/١٢٤، المزار للشهيد الأول: ١٠ (والعبارة المذكورة في ص ١٢ منه).

٢. طبع الكتاب بتقديم السيد عبد الرزاق المقرّم في المطبعة الحيدرية بالنجف، وطبعته مرة أُخرى مؤسسة البلاغ في بيروت سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، ونسخة منه عليها تاريخ ٧٦٢ هـ في مكتبة جامعة إلهيات في مشهد الرضا عليه السلام.

٣. منه نسختان في مكتبة المؤلف رحمه الله مكتبة أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة في النجف الأشرف برقم ٢١٣٦ مع إلزام الناصب للشيخ مفلح بن الحسن الصيمري؛ وأخرى برقم ١٥٨ كتابة سنة ١٠٢٢ مع كتاب الأنوار البدريّة وعليها اسم طهماسب القاجاريّ وختم مؤيد الدولة وضياء لشكر. راجع فهرس مخطوطات المكتبة بقلم المحقق الطباطبائي.

٤. الأعراف: ١١٢.

٥. تفسير العياشي: ٢/٢٣ رقم ٥٩، والآية الأخيرة هي الآية الأولى من سورة الرعد.

ووصفَهُم في كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ وهم الشهداء على أوليائهم، والنبيُّ صلى الله عليه وآله الشهيدُ عليهم، أخذ لهم مواثيقَ العباد بالطاعة، وأخذ النبيُّ صلى الله عليه وآله عليهم الميثاقَ بالطاعة، فجرتْ نبوّته عليهم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾»[1].

٦٧. في الكتاب: عن مشيخة ابن محبوب، عنه، عن داود قال:

«سألت أبا عبدالله عليه السلام: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الذينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ قال: إنّ الله تعالى قد علم بما هو مكوّنه قبل أن يكوّنه وهم ذرّ، وعلم من يجاهد ومن لا يجاهد، كما علم أنّه يُميت خلقَه قبل أن يميتهم»[2].

٦٨. العيّاشيُّ: عن أبي بصيرٍ، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال:

«سألته عن قول الله: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[3] الآية، قال: يعني في الميثاق، قال: ثمّ قرأت عليه ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾، فقال أبو جعفر عليه السلام: لا، ولكن اقرأها: التائبين العابدين».

ورواه سعدُ بنُ عبدالله القمّي رحمه الله بإسناده في «بصائر الدرجات» على ما نقله عنه الشيخ الأجلّ الحسن بن سليمان الحلّي رحمه الله في «مختصر البصائر» الموجود نسخته عندنا[4].

٦٩. محمّد بن يعقوب الكليني رحمه الله: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن أبي عبيدة وزرارة جميعاً،

«عن أبي جعفرٍ عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يذكر فيه تحاكم مولانا زين العابدين عليه السلام ومحمّد بن الحنفيّة إلى الحجر الأسود: فانطلقا حتّى أتيا الحجر، فقال عليُّ بن الحسين عليهما السلام لمحمّدٍ: ابدأ أنت فابتهلْ إلى الله عزّ وجلّ واسألهُ أن ينطقَ لك الحجرَ

---

١. بصائر الدرجات: ٥١٨ ح ٩، وفي مختصر البصائر للحلّي: ١٦١ رواه بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. والآية الشريفة في سورة النساء: ٤١.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ١٦٩، والآية الشريفة في سورة آل عمران: ١٤٢.

٣. التوبة: ١١١.

٤. تفسير العياشي: ٢/١١٢ ح ١٤٠، مختصر بصائر الدرجات: ٢١، والآيتان في سورة التوبة: ١١١ ـ ١١٢.

ثمّ سلْهُ، فابتهلَ محمّدُ بن الحنفيّة في الدّعاء وسأل الله عزّ وجلّ ثمّ دعا الحجرَ فلم يجبْه!

فقال له عليُّ بن الحسين عليهما السلام: يا عمّ! لو كنت وصيّاً لأجابك! فقال له محمّدٌ: فادعُ أنت يابن أخي وسَلْه، فدعا الله عليّ بن الحسين عليهما السلام بما أراد، ثمّ قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاقَ الأنبياء وميثاقَ الأوصياء وميثاقَ الناس أجمعين لما أخبرتنا مَنْ الوصيّ والإمامُ بعد الحسين بن عليّ عليهما السلام؟ قال: فتحرّك الحجرُ حتّى كاد أن يزولَ...» الحديث[1].

٧٠. ابن قولويه في «كامل الزيارة» الموجود نسخته عندنا[2]: حدّثني محمّد بن جعفر الرزّاز، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب وأحمد بن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن الحسن أبيه، عن مروان بن مسلم،

عن بُرَيد بن معاوية العِجلي قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يابنَ رسول الله! أخبرني عن إسماعيلَ الذي ذكره اللهُ في كتابه حيث يقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[3] إنّ الناس يزعمون أنّه إسماعيلُ بن إبراهيم!

فقال عليه السلام: إنّ إسماعيلَ مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم عليه السلام كان حجّةً لله قائماً صاحبَ شريعةٍ، فإلى مَن أُرسل إسماعيلُ إذن؟ فقلت: جُعلت فداك، فمَن كان؟

قال عليه السلام: ذلك إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فكذّبوه وقتلوه وسلخوا وجهه فغضب الله عليهم، فوجّه إليه اسطاطائيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل! أنا اسطاطائيل ملك العذاب، وجّهني إليك ربّ العزّة لأعذّب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل: لا حاجةَ لي في ذلك يا إسطاطائيل، فأوحى الله إليه فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال: يا ربّ إنّك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولأوصيائه عليهم السلام بالولاية، وأخبرت خير خلقك بما يفعل أُمّته بالحسين بن

---

١. الكافي: ١/٣٤٨ ح ٥.

٢. حقق العلامة الأميني طاب ثراه هذا الأثر القيّم وقابله مع نسخٍ عريقةٍ في الصحة وقام بطبعه في النجف الأشرف عام ١٣٥٦ من الهجرة، شكر الله مساعيه الجميلة وحشره مع مواليه الطاهرين.

٣. مريم: ٥٤.

عليّ عليهما السلام من بعد نبيّها...» الحديث[1].

٧١. الكشّيُّ رحمه الله في رجاله ص٦٢: بإسناده عن أبان، عن فضيل الرسان، عن أبي داود قال: «حضرته عند الموت وجابر الجعفي عند رأسه، قال: فهمَّ أن يحدِّث فلم يقدر! قال محمّد بن جابر: إسأله[2]، قال: فقلت: يا أبا داود! حدّثنا الحديث الذي أردت، قال:

حدّثني عمران بن حصين الخزاعي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر فلاناً وفلاناً أن يسلّما على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، فقالا: من الله أو من رسوله؟ فقال: من الله ومن رسوله. ثمّ أمر حذيفة وسلمان يسلّمان عليه، ثمّ أمر المقداد فسلّم، وأمر بريدة أخي ـ وكان أخاه لأُمّه ـ فقال: إنّكم سألتموني من وليّكم بعدي وقد أخبرتكم به، وأخذت عليكم الميثاقَ كما أخذ الله تعالى على بني آدمَ ألست بربّكم قالوا بَلى، وأيمُ الله لئن نقضتموها لتكفرن»[3].

٧٢. وقال صاحب «شهاب الثاقب» في الكتاب في ذكر هذه الآية:

«در اخبار وارد است كه جناب ختمى مآب مكرّر مى‌فرمود كه خداوند عالم ما را خلق كرد از نور خود، واز انوار ما خلق كرد انبياء را، واز انوار انبياء خلق كرد مؤمنين را، واز نور مؤمنين خلق كرد ملائكه را، واز انوار ملائكه جنّ را، واز انوار آنها حيوانات را، واز انوار آنها نباتات را، واز انوار آنها جمادات را.

و در خبرى ديگر مروى است كه فرمود: خداوند عالم حقيقت ما را خلق كرد وعطسه كرديم، خداوند مهربان فرمود: الحمد لله ربّ العالمين، پس من از شدّت حيا عرق كردم ويكصد وبيست وچهار هزار قطره عرق از جبين من چكيد، واز هر قطره پيغمبرى خلق شدند ودر دور من طواف مى كردند وبتسبيح وتهليل من تسبيح وتهليل ميكردند. پس از پيغمبران عهد وميثاق گرفت خداوند ايشان كه مردم را دعوت نمايند به يگانگى خدا، و نبوت محمّد صلى الله عليه وآله، وولايت على عليه السلام وآل على عليهم السلام، وبه

---

١. كامل الزيارات: ١٣٨ رقم ١٦٣ / ٣.

٢. كذا في الأصل و فيما رواه ابن طاووس في اليقين: ٣٨٨، ولكن في رجال الكشي و ما نقل عنه في البحار ٣٣٦/٣٧: أرسله (بدل اسأله).

٣. اختيار معرفة الرجال: ١ / ٣٠٨ رقم ١٤٨.

نبوّت خود ايشان. پس بنا بقابليّت هر زمان پيغمبرى فرستاد نيابةً از جناب محمّد صلى الله عليه وآله تا در آخر انبياء مبعوث گردد وجميع انبياء نايب آنجناب بوده‌اند». انتهى.

٧٣. في «كنز الفوائد المنتخب عن تأويل الآيات» نقلاً عن «نخب المناقب» تأليف أبي عبد الله الحسين بن جبر رحمه الله، بالإسناد عن أبي الورد العامي،

عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾[١] هو عليّ بن أبي طالبٍ صلوات الله عليه وآله، والأعمى هنا هو عدوّه، وأولوا الألباب شيعته الموفون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٢] المأخوذ عليهم في الذّر بولايته ويوم الغدير»[٣].

[بيان حال سند أربعين حديثاً مما تقدّم]

أقول: هذه جملةٌ من أخبار المسألة وهي مع ما ذكرناه تحت الآيات مائة وخمسون حديثاً، وقد اقتصرنا بهذه الجملة خوفاً للإطالة والإطناب وإلّا فالأخبار الواردة من الفريقين في المقام كثيرةٌ تضاعف على ما ذكر، وأكثر الأخبار المذكورة نقيّة السند متقنةٌ معتبرةٌ جدّاً، كما لا يخفى على أرباب الفنّ. وكثيرٌ منها في أعلى درجة الصحّة، ونحن نذكّرك حال سند أربعين حديثاً منها لحَسم الكلام، فنقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأوّل:

حديث ١ من آية ١، رجاله أربعةٌ:

١. البرقيُّ أحمد بن محمّد: ثقةٌ من أجلّاء رواتنا.

٢. الحسن بن علي بن فضّال: ثقةٌ من أصحاب الإجماع وممّن أُمرنا بأخذ ما رواه.

---

١. الرعد: ١٩.

٢. الرعد: ٢٠.

٣. تأويل الآيات: ١/٢٣١ ح ٨.

٣. ابن بكير: هو عبد الله بن بكير بن أعين، ثقةٌ من أصحاب الإجماع.
٤. زرارة: وثاقته وجلالته أجلّ من أن يذكر، هو من أوّل طبقة أصحاب الإجماع، فالسند في أعلى درجة الصحّة، وكذلك أكثر ما نذكره في الأربعين، فراجع واغتنم.

الثاني:

حديث ٢ من آية ١، رجاله ثلاثةٌ:
١. البرقي: ثقةٌ جليلٌ.
٢. أحمد بن محمّد بن أبي نصر المعروف بالبزنطي: ثقةٌ جليل القدر من أصحاب الإجماع.
٣. رفاعة: ثقةٌ لا يعترض عليه بشيءٍ من الغمز، فالسند في أعلى درجة الصحّة.

الثالث:

حديث ٣ من آية ١، رجاله خمسةٌ:
١. البرقي: ثقةٌ، جليلٌ.
٢. محمّد بن خالد البرقي: ثقةٌ، ثبتٌ.
٣. فضالة: من أجلّاء الثقات، ومن أصحاب الإجماع.
٤. جميل بن درّاج: وجهُ الطائفة، ثقةٌ من أصحاب الإجماع.
٥. زرارة: أمره في الوثاقة والجلالة غنيٌّ عن الذِّكر، فالسند في أعلى درجة الصحّة كأكثر ما يتلوه.

الرابع:

حديث ٧ من آية ١، رجاله خمسةٌ:
١. عليُّ بن إبراهيم: ثقةٌ ثَبَتٌ معتمدٌ.
٢. إبراهيم بن هاشم القمّي رحمه الله: ثقةٌ، أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم.
٣. محمّد بن أبي عمير: من أصحاب الإجماع من أوثق الناس عند الخاصّة والعامّة وأنسكهم وأورعهم وأعبدهم.

٤. عمر بن أُذينة: وجه الشيعة، ثقةٌ بالاتّفاق.
٥. زرارة: ثقةٌ، أمره أشهر من أن يُذكَر.

الخامس:

حديث ٨ من آية ١، رجاله خمسةٌ، عين ما في سابقه وهم:
١. عليّ بن إبراهيم.
٢. إبراهيم بن هاشم.
٣. ابن أبي عمير.
٤. ابن أُذينة.
٥. زرارة.

السادس:

حديث ١١ من آية ١، رجاله ستّةٌ:
١. أبو الحسن عليُّ بن الحسين والد الصدوق: شيخ القمّيّين وثقتهم.
٢. سعد بن عبدالله: وجيه الطائفة، ثقةٌ جليلُ القدر.
٣. محمّد بن عيسى: قال النجاشيُّ: جليلٌ في أصحابنا، ثقةٌ عينٌ كثير الرواية حسن التصانيف. وقال غيره ما يوهم خلافه. وقال العلامة النقّاد المحدّث النوري قدّس سرّه: الحقّ أنّه ثقةٌ ثبتٌ جليلٌ.
٤. الحسن بن علي بن فضّال: ثقةٌ من أصحاب الإجماع.
٥. عبدالله بن بكير: ثقةٌ من أصحاب الإجماع.
٦. زرارة: معروف الوثاقة والجلالة.

السابع:

حديث ٤ من آية ١، رجاله خمسةٌ:
١. الصفّار: من ثقات المشايخ الأجلّة، أمره أشهر من أن يُذكر.

٢. أحمد بن محمّد: ثقةٌ فقيهٌ وجيهٌ.
٣. الحسن بن موسى، هو المعروف بالخشّاب: ثقةٌ من وجوه الطائفة كثير العلم.
٤. عليّ بن حسّان: ثقةٌ ثقةٌ من أجلّاء الثقات.
٥. عبدالرحمن بن كثير: معتمدٌ بل ثقةٌ.

الثامن:

حديث ٤ من آية ٢، رجاله ثلاثةٌ:
١. الصفّار: ثقةٌ من أعاظم شيوخ الطائفة.
٢. محمّد بن عيسى: ثقةٌ سمعت قول النجاشي رحمه الله والمحدّث النوري رحمه الله في حقّه.
٣. سليمان الجعفري: من أجلّاء الثقات.

التاسع:

حديث ١ من آية ٣، رجاله خمسةٌ:
١. محمّد بن الحسن بن الوليد: ثقةٌ ثقةٌ.
٢. الصفّار، محمّد بن الحسن: ثقةٌ من أجلّاء شيوخنا.
٣. محمّد بن عيسى بن عبيد: ثقةٌ كما سمعت عن النجاشي والعلّامة النوري رحمه الله.
٤. زياد القندي: ثقةٌ في الرواية، معتمدٌ.
٥. عبدالله بن سنان: ثقةٌ من أصحابنا، جليلٌ لا يطعن عليه في شيءٍ، هو الذي ذكر عند الصادق عليه السلام فقال: أمّا أنّه يزيد على السنّ خيراً.

العاشر:

حديث ١ من آية ٤، رجاله ثلاثةٌ:
١. إبراهيم بن هاشم القمّي رحمه الله: ثقةٌ، أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم.
٢. ابن أبي عمير: من أوثق الناس وأورعهم، ومن أصحاب الإجماع.
٣. عبدالله بن مسكان: ثقةٌ عينٌ من الأجلّاء، ومن أصحاب الإجماع.

الحادي عشر:

حديث ٢ من آية ٨، رجاله أربعةٌ:

١. عليُّ بن إبراهيم القمّي: ثقةٌ.

٢. إبراهيم بن هاشم القمّي رحمه الله: ثقةٌ، أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم.

٣. ابن أبي عمير: من أوثق الناس وأورعهم.

٤. ابن مسكان: من أجلّاء الثقات، ومن أصحاب الإجماع.

الثاني عشر:

حديث ١ من آية ٩، رجاله ثلاثةٌ:

١. عليُّ بن إبراهيم القمّي: ثقةٌ.

٢. إبراهيم بن هاشم: ثقةٌ، أوّل من نشر حديث الكوفيّين بقم.

٣. محمّد بن الفضيل: هو محمّد بن القاسم بن الفضيل لمكان رواية إبراهيم بن هاشم، ثقةٌ.

الثالث عشر:

حديث ١ من آية ١٠، رجاله خمسةٌ:

١. محمّد بن يحيى: ثقةٌ.

٢. أحمد بن محمّد: ثقةٌ.

٣. الحسن بن محبوب: ثقةٌ من أصحاب الإجماع.

٤. محمّد بن النعمان، هو أبو جعفر الأحول المعروف بمؤمن الطاق: ثقةٌ جليلٌ.

٥. سلام بن المستنير: في التعليقة يظهر من أخباره كونه من الشيعة، بل من خواصّهم عليهم السلام.

الرابع عشر:

حديث ١ من آية ١١، رجاله خمسةٌ:

١. عليُّ بن إبراهيم القمّي: ثقةٌ.

٢. إبراهيم بن هاشم القمّي: قد ذكرنا حاله.

٣. محمّد بن عيسى بن عبيد: سمعت قول النجاشي والنوري رحمهما الله أنّه ثقةٌ جليلٌ.

٤. يونس بن عبدالرحمن: ثقةٌ، وجيهُ الطائفة عظيمُ المنزلة، من أصحاب الإجماع.

٥. عبدالله بن سنان: ثقةٌ من أصحابنا، جليلٌ لا يطعن عليه في شيءٍ، هو الذي ذُكِرَ عند الصادق عليه السلام فقال: أمّا أنّه يزيد على السّن خيراً.

الخامس عشر:

حديث ٢ من آية ١١، رجاله خمسةٌ:

١. عليُّ بن إبراهيم: ثقة.

٢. إبراهيم بن هاشم: مرّ مراراً.

٣. محمّد بن أبي عمير: مرّ آنفاً.

٤. عمر بن أُذينة: ثقةٌ بالاتّفاق.

٥. زرارة: معروف الوثاقة. هذا سند الكليني في الرواية، ورواها الصدوق رحمه الله بسند كذا عن أبي ثقة عن سعد بن عبدالله القمّي، وجيه الطائفة، ثقةٌ، عن إبراهيم بن هاشم مرّ ذكره. ومحمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، ثقةٌ عينٌ عظيم المنزلة. ويعقوب بن يزيد، ثقةٌ من أجلّاء المشايخ والثقات الأثبات، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة عن زرارة.

السادس عشر:

حديث ٣ من آية ١١، رجاله ثمانيةٌ:

١. أبو جعفر محمّد بن بابويه الصدوق، شيخ الطائفة ورئيس الحَفَظة.

٢. أبو الحسن عليُّ بن الحسين والد الصدوق، شيخ القمّيّين وفقيههم وثقتهم.

٣. سعد بن عبدالله: ثقةٌ وجيه الطائفة.

٤. أحمد بن محمّد: هو ابن عيسى بن عبدالله الأشعري، ثقةٌ وجيهٌ.

٥. محمّد بن عيسى بن عبدالله الأشعري: ثقةٌ، شيخ القمّيّين.

٦. عبد الله بن مغيرة: ثقةٌ ثقةٌ لا يعدل به أحدٌ من جلالته ودينه وورعه.

٧. ابن مسكان: ثقةٌ عينٌ من أصحاب الإجماع.
٨. زرارة: ثقةٌ أيّ ثقة.

السابع عشر:

حديث ١ من آية ١٢، رجاله خمسةٌ:
١. عليٌّ بن إبراهيم القمّي: ثقةٌ.
٢. إبراهيم بن هاشم: مرّ آنفاً.
٣. نضر بن سويد: ثقةٌ جليلٌ صحيحُ الحديث لا مغمَزَ فيه.
٤. يحيى الحلبي: هو يحيى بن عمران بن علي بن أبي شعبة الحلبي، ثقةٌ ثقةٌ، صحيح الحديث. له كتابٌ يرويه جماعةٌ.
٥. ابن سنان: مشترك بين الاثنين هما عبدالله بن سنان ومحمّد بن سنان، أمّا الأوّل فهو ثقةٌ من أصحابنا جليلٌ لا يطعن عليه في شيءٍ! قال فيه الصادق عليه السلام: أما أنّه يزيد على السنّ خيراً. وأمّا محمّد بن سنان فقد اضطربت كلمات أصحاب الرجال فيه وحقّق المحقّقون وأثبتوا بأدلّةٍ متقنةٍ وثاقتَه.

وحسبنا في المقام ما أفاده المحدِّث الخبير النقّاد المتبحّر الواقف على أحوال الرجال، قال رحمه الله في ترجمته: أنّه عندنا من عمدة الثقاة وأجلّة الرواة تبعاً للمحقّقين ونقّاد المحصّلين، ثمّ ذكره رحمه الله تفصيلاً وشواهد على وثاقته، وقال في آخره: استبان من الجميع أنّ الأصحّ توثيق محمّد بن سنان، فعلى طالب التفصيل المجلّد الثالث من المستدرك ص٥٥٧ إلى آخر ص٥٦١.

وقال في موضعٍ آخرَ عند ذكر محمّد الذي أوضحنا وثاقته بل جلالته: فابن سنان مشتركٌ بين ثقتين لا يضرّ عدم تعيين أحدهما.

الثامن عشر:

حديث ١ من آية ١٣، رجاله ستّةٌ:
١. الكلينيُّ، محمّد بن يعقوب: ثقةُ المشايخ الأجلّة.
٢. عليٌّ بن إبراهيم: ثقةٌ.

٣. إبراهيم بن هاشم والد عليّ الثقة: مرَّ آنفاً.

٤. أحمد بن محمّد بن أبي نصر: هو المعروف بالبزنطي، ثقةٌ جليل القدر من أصحاب الإجماع، أمره أجلّ من أن يوصف.

٥. أبان بن عثمان: من الطبقة الثانية من أصحاب الإجماع.

٦. محمّد بن علي الحلبي: ثقةٌ فقيهٌ وجيهٌ جليلٌ.

التاسع عشر:

حديث ١ من آية ١٤، رجاله أربعةٌ:

١. الصفّار: من ثقات المشايخ ووجه الطائفة.

٢. أحمد بن محمّد: هو البزنطيُّ المعروف جلالتُه ووثاقتُه.

٣. الحسن بن محبوب: ثقةٌ جليل القدر.

٤. الحسين بن نعيم الصحّاف: ثقةٌ عينٌ، هذا سند الصفّار، ورواه الكلينيُّ ثقة الإسلام عن محمّد بن يحيى العطّار الثقة الجليل، عن أحمد بن محمّد إلى آخر السند.

العشرون:

حديث ١ من آية ١٥، رجاله ثلاثةٌ:

١. جعفر بن محمّد بن شريح: إماميٌّ صاحب كتابٍ معتمدٍ تلقّاه العلماءُ بالقبول.

٢. حميد بن شعيب السبعي: كوفيٌّ مقبول الرواية، له كتابٌ يرويه جماعةٌ.

٣. جابر بن يزيد الجعفي: كثرت كلمات العلماء فيه، وحسبنا ما أفاده المحدّث النقّاد النوري رحمه الله قال: من أجلّاءالرواة وأعاظم الثقاة بل من حَمَلَة أسرارهم وحفَظَة كنوز أخبارهم.

الحادي والعشرون:

حديث ١ من آية ١٨، رجاله خمسةٌ:

١. الصفّار: من المشايخ الأجلّة الثقات.

٢. محمّد بن أحمد: ثقةٌ جليلٌ.
٣. يعقوب بن يزيد: من أجلّاء المشايخ والثقات الأثبات.
٤. الحسن بن محبوب: كوفيٌّ ثقةٌ روى عن الرضا عليه السلام وعن ستّين رجلاً من أصحاب أبي عبدالله عليه السلام. وكان جليل القدر يعدّ من الأركان الأربعة في عصره، وهو من أصحاب الإجماع.
٥. محمّد بن الفضيل: هو الأزديّ الكوفيّ الثقة، من أصحاب أبي الحسن الرضا عليه السلام بمكان رواية الحسن بن محبوب عنه.

الثاني والعشرون:

حديث ١ من الأخبار، رجاله أربعةٌ:
١. البرقي: أحمد بن محمّد، ثقةٌ.
٢. عليُّ بن الحكم الكوفي: ثقةٌ جليلٌ كثير الرواية.
٣. أبان بن عثمان: فقيهٌ من أصحاب الإجماع.
٤. زرارة: معروف الوثاقة والجلالة.

الثالث والعشرون:

حديث ٢، رجاله أربعةٌ:
١. البرقي: أحمد بن محمّد، ثقةٌ.
٢. الحسن بن محبوب: ثقةٌ من أصحاب الإجماع، جليل القدر.
٣. عليُّ بن رئاب: ثقةٌ جليل القدر، صاحب أصلٍ كبيرٍ رواه عنه جماعةٌ.
٤. بكير بن أعين: كوفيٌّ يكنّى أبا الجهم، روى الكشّيُّ بسندٍ صحيحٍ أنّ الصادق عليه السلام قال فيه بعد موته: لقد أنزله الله عزّ وجلّ بين رسوله وأمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام.

الرابع والعشرون:

حديث ٣، رجاله أربعةٌ:
١. البرقيُّ: أحمد بن محمّد، ثقةٌ.

٢. محمّد بن خالد البرقي: ثقةٌ.
٣. أحمد بن محمّد بن أبي نصر: هو البزنطي، ثقةٌ جليلُ القدر، من أصحاب الإجماع.
٤. عبد الكريم الحلبي: هو ابن عمرو بن صالح الخثعمي، قال النجاشيُّ: كوفيٌّ روى عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام ثمّ وقف على أبي الحسن عليه السلام، كان ثقةً ثقةً عيناً يلقّب كرام، له كتابٌ يرويه عدّةٌ من أصحابنا.

الخامس والعشرون:

حديث ٧، رجاله ثلاثةٌ:
١. الصفّار: ثقةٌ وجيهٌ، عظيم المنزلة، قليل السقوط في الرواية.
٢. الحسن بن محبوب: ثقةٌ من أصحاب الإجماع.
٣. صالح بن سهل: وثّقه المحدّث النوري رحمه الله، وهذا الحديث رواه الكلينيُّ ثقة الإسلام والصدوق شيخ الحفظة الثقات.

السادس والعشرون:

حديث ٨، رجاله خمسةٌ:
١. الصفّار: ثقةٌ وجيه الطائفة.
٢. أحمد بن محمّد: هو ابن عيسى الأشعري، فقيهٌ وجيهٌ ثقةٌ.
٣. الحسن بن علي النعمي: هو ابن النعمان مولى بني هاشم المعروف بالأعلم، ثقةٌ ثبتٌ صحيحُ الحديث.
٤. ابن مسكان: ثقةٌ عينٌ من الأجلّاء، ومن أصحاب الإجماع.
٥. عبدالرحيم القصير: مقبول النقل، عدّه المحدّث النقّاد النوري رحمه الله من الثقات وأقام أدلّةً على وثاقته.

السابع والعشرون:

حديث ١١، رجاله خمسةٌ:
١. الصفّار: ثقةٌ شيخ الرواية.

٢. محمّد بن الحسين: هو ابن أبي الخطّاب، ثقةٌ عينٌ عظيمُ القدر جدّاً.
٣. الحسن بن محبوب: ثقةٌ وجيهٌ من أصحاب الإجماع ومن الأركان الأربعة في عصره.
٤. سيف بن عميرة: ثقةٌ.
٥. أبو بكر الحضرمي: هو عبدالله بن محمّد الحضرمي، مقبول الرواية، صرّح المحدّث الخبير على أحوال الرجال النوريُّ رحمه الله وثاقته. يروي عنه ستّةٌ من أصحاب الإجماع؛ ابن أبي عمير وصفوان ويونس وعبدالله بن مسكان وجميل بن درّاج وعثمان ابن عيسى، والأوّلان لا يرويان إلّا عن ثقة، وهذا من آيات وثاقته.

الثامن والعشرون:

حديث ١٢، رجاله ستّةٌ:
١. الصفّار: من مشايخنا الأجلّة الثقات.
٢. أحمد بن محمّد: ثقةٌ.
٣. عليُّ بن الحكم: كوفيٌّ ثقةٌ جليلُ القدر.
٤. سيف بن عميرة: ثقةٌ.
٥. أبو بكر الحضرمي: مرّ في السند السابق وثاقته.
٦. حذيفة بن أُسيد صاحب النبيّ صلى الله عليه وآله: هو من حواري الحسن عليه السلام في الخبر المرويّ في الكشّي، ذكره العلّامة النقّاد النوري رحمه الله من الثقات.

التاسع والعشرون:

حديث ١٦، رجاله ستّةٌ:
١. محمّد بن يعقوب: ثقة الإسلام شيخ المشايخ الأجلّة قدّس الله أسرارهم.
٢. محمّد بن يحيى: هو أبو جعفر العطّار القمّي رحمه الله، ثقةٌ عينٌ من أجلّاء المشايخ.
٣. أحمد بن محمّد: هو الأشعري، من ثقات الفقهاء ووجيههم.
٤. الحسن بن محبوب: من وجوه الطائفة وثقاته ومن أصحاب الإجماع.
٥. هشام بن سالم: قال النجاشي: ثقةٌ ثقةٌ، له كتابٌ يرويه جماعةٌ.

٦. حبيب السجستاني: حَسَنٌ مقبول الرواية بل ثقةٌ تبعاً للمحدّث النوري رحمه الله. هذا سند الكليني، ورواه الثقة الأجلّ شيخُ الحفظة الصدوقُ رحمه الله عن محمّد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد، ثقةٌ ثقةٌ عينٌ جليلُ القدر، عن محمّد بن الحسن الصفّار ثقةٌ من وجوه شيوخ الطائفة، عن أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعري إلى آخر السند.

ورواه الصدوق رحمه الله أيضاً عن أبيه الثقة الوجيه، عن سعد بن عبدالله وجيه الطائفة ثقة جليل، عن أحمد بن محمّد الأشعري إلى آخر السند.

الثلاثون:

حديث ١٧، رجاله خمسةٌ:

١. محمّد بن يعقوب الكليني: ثقة الإسلام، مفتي الطائفة، مروّج المذهب الأوثق الأثبت.

٢. عليُّ بن إبراهيم: ثقةٌ.

٣. إبراهيم بن هاشم: مرَّ آنفاً.

٤. ابن أبي عمير: أوثق الناس وأورعهم عند المخالف والموالف.

٥. معاوية بن عمّار: ركن العصابة ووجهها، قال النجاشيُّ: كان وجهاً في أصحابنا ومقدّماً كبير الشأن عظيم المحلّ، ثقةٌ.

أقول: ورواه الكلينيُّ أيضاً عن محمّد بن إسماعيل، هو أبو الحسن البندقي النيسابوري، قال شيخنا المحدّث العلامة الحرّ العاملي في خاتمة الوسائل: ذكره الشيخ في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام، وهو الذي يروي الكلينيُّ عنه وعن الفضل بن شاذان، ويعدّ أصحابنا المتأخّرون حديثه حسناً وبعضهم يعدّه صحيحاً، وهو مدحٌ له وتوثيقٌ على قاعدتهم، وهو نقيّ الحديث لا يروي عن ضعيفٍ ولا بالواسطة، وهو مدحٌ له يعلم بالتتبّع، انتهى.[1]

أقول: وقد يقال إنّ المراد منه هو محمّد بن إسماعيل بن بشير البرمكي صاحب الصومعة، قال النجاشيُّ: كان ثقةً مستقيماً، ووثّقه غيرُ واحدٍ من أصحاب الرِّجال.

---

١. وسائل الشيعة: ٣٠/ ٤٦٢.

الحادي والثلاثون:

حديث ١٨، رجاله سبعةٌ:

١. محمّد بن يعقوب الكليني: ثقة الإسلام، أوثق المشايخ الأثبات.

٢. محمّد بن يحيى: ثقةٌ.

٣. محمّد بن أحمد: ثقةٌ من الشيوخ الأجلّة.

٤. موسى بن عمر: هو ابن بزيع، ثقةٌ من غير خلافٍ وطعنٍ فيه.

٥. ابن سنان: هو محمّد، قال المحدّث النقّاد النوري رحمه الله في شرح حاله: إنّه عندنا من عمدة الثقاة وأجلّة الرواة تبعاً للمحقّقين ونقّاد المحصّلين.

٦. أبو سعيد القمّاط: هو خالد بن سعيد بقرينة ابن سنان، كوفيٌّ ثقةٌ.

٧. بكير بن أعين: كوفيٌّ، روى الكشّيُّ بسندٍ صحيحٍ أنّ الصادق عليه السلام قال فيه بعد موته: لقد أنزله الله عزّ وجلّ بين رسوله وأمير المؤمنين عليهما وآلهما الصلاة والسلام.

الثاني والثلاثون:

حديث ٢٠، رجاله خمسةٌ:

١. محمّد بن يعقوب الكليني: شيخ الأجلّة الثقات.

٢. محمّد بن يحيى العطّار: من ثقات المشايخ الأجلّة الثقات.

٣. أحمد بن محمّد: هو الأشعري، وجيه المشايخ وثقتهم.

٤. ابن فضّال: ثقةٌ وجيهٌ من أصحاب الإجماع.

٥. الحسن بن الجهم: هو أبو محمّد، ثقةٌ جليلٌ يروي عنه الأجلّاء.

الثالث والثلاثون:

حديث ٢١، رجاله ستّةٌ:

١. الكلينيُّ رحمه الله: الثقة الجليل.

٢. محمّد بن يحيى العطّار: ثقةٌ من المشايخ الأجلّة.

٣. أحمد بن محمّد: ثقةٌ وجيهٌ.

٤. الحسن بن محبوب: ثقةٌ من وجوه الطائفة ومن أصحاب الإجماع.

٥. ابن رئاب: ثقةٌ جليل القدر، صاحب أصلٍ كبيرٍ.
٦. زرارة: وثاقته وجلالته أشهرُ من أن يُوصف.

أقول: ورواه الكلينيُّ أيضاً عن عليٍّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب.

الرابع والثلاثون:

حديث ٢٢، رجاله خمسةٌ:

١. الكلينيّ: الثقة الجليل الأثبت.
٢. محمّد بن يحيى: هو العطّار، ثقةٌ من المشايخ الأجلّة.
٣. أحمد بن محمّد: ثقةٌ وجيهٌ.
٤. محمّد بن الحسين: هو ابن أبي الخطّاب، ثقةٌ عينٌ عظيمُ المنزلة.
٥. محمّد بن إسماعيل: هو ابن بزيع، ثقةٌ من عيون الطائفة.

الخامس والثلاثون:

حديث ٢٣، رجاله ستّةٌ:

١. الكلينيّ: إمام أصحاب الحديث، الشيخ الثقة.
٢. محمّد بن يحيى: ثقةٌ من المشايخ الأثبات.
٣. أحمد بن محمّد: ثقةٌ وجيهٌ.
٤. ابن محبوب: ثقةٌ من أصحاب الإجماع، أحد الأركان الأربعة في عصره.
٥. ابن رئاب: ثقةٌ جليلُ القدر.
٦. زرارة: معروف الوثاقة والجلالة.

أقول: ورواه الكلينيُّ رحمه الله عن عليٍّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، السند.

السادس والثلاثون:

حديث ٢٤، رجاله ستّةٌ:

١. الكليني: ثقة الإسلام، شيخ الأجلّة الأثبات.
٢. عدّةٌ من أصحابنا: المراد بقوله هذا كما صرّح به عليّ بن إبراهيم وعليّ بن محمّد بن عبدالله بن أُميّة وعليّ بن الحسن.

٣. أحمد بن محمّد بن خالد: ثقةٌ.
٤. محمّد بن خالد البرقي: ثقةٌ تبعاً للمحقّقين.
٥. خلف بن حمّاد: كوفيٌّ ثقةٌ.
٦. عبدالله بن سنان: ثقةٌ جليل القدر من أصحابنا، لا يطعنُ عليه في شيءٍ.

السابع والثلاثون:

حديث ٢٦، رجاله سبعةٌ:
١. ابن بابويه: أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي رحمه الله، صدوق الطائفة، شيخ الحفظة الثقات، رئيس المحدّثين، المولود بدعاء مولانا الحجّة صاحب الأمر عليه الصلاة والسلام.
٢. محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله: ثقةٌ ثقةٌ جليل القدر.
٣. محمّد بن الحسن الصفّار: من ثقات المشايخ الأجلّة.
٤. عبّاس بن معروف: من أجلّاء الثقات.
٥. حمّاد بن عيسى: ثقةٌ، قال المحدّث الخبير بأحوال الرِّجال العلّامة النوري رحمه الله: من عيون الطائفة ومن أصحاب الإجماع وله مناقب جمّة.
٦. حريز: هو ابن عبدالله، قال النوريُّ رحمه الله: حريز من أعاظم الرّواة وعيونها، ثقةٌ ثبتٌ لا مغمزَ فيه[١].
٧. أبو بصير وزرارة ومحمّد بن مسلم.[٢]

الثامن والثلاثون:

حديث ٢٧، رجاله سبعةٌ:
١. الصدوق: إمام أصحاب الحديث.
٢. أبو الحسن عليّ بن الحسين القمّي: والد الصدوق رحمه الله، ثقةٌ من عيون مشايخ الطائفة.
٣. سعد بن عبدالله: ثقةٌ من شيوخ الطائفة وعيونها.

---

١. خاتمة المستدرك: ٤/ ٢٣٥.
٢. كذا في الأصل.

٤. محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب: ثقةٌ جليلُ القدر.
٥. أحمد بن محمّد بن أبي نصر: مرّ مراراً، ثقةٌ من أصحاب الإجماع.
٦. عبدالكريم بن عمرو الخثعمي: ثقةٌ ثقةٌ عينٌ.
٧. عبدالله بن أبي يعفور: من الفقهاء المعروفين الذين هم عيون الطائفة، يعدّ مع زرارة وأمثاله بل في الكشّي بثلاثة طرقٍ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: والله ما وجدت أحداً يطيعني ويأخذ بقولي ـ وفي لفظٍ: يقبل وصيّتي ويطيع أمري ـ إلّا رجلاً واحداً رحمة الله عليه عبدالله بن أبي يعفور، فإنّي أمرته وأوصيته فاتّبع أمري وأخذ بقولي، كذا في المستدرك[1].

التاسع والثلاثون:

حديث ٢٩، رجاله ستّةٌ:
١. الصدوق: شيخ الحفظة الثقة.
٢. عليُّ بن الحسين القمّي رحمه الله: والد الصدوق رحمه الله، ثقةٌ من عيون المشايخ.
٣. سعد بن عبدالله: ثقةٌ وجيهُ الطائفة.
٤. يعقوب بن يزيد: من أجلّاء المشايخ والثقات الأثبات.
٥. محمّد بن أبي عمير: معروف الوثاقة والجلالة.
٦. ابن أُذينة: وجه الشيعة، ثقةٌ بالإتّفاق، فالسند في أعلى درجة الصحّة كسوابقه.

الأربعون:

حديث ٣٠، رجاله سبعةٌ:
١. الصدوق: ثقةٌ أئمّة أصحاب الحديث.
٢. عليُّ بن أحمد بن موسى: هو الدقّاق، من مشايخ شيخنا الصدوق رحمه الله الذي أكثر الرواية عنه مترضّياً.
٣. حمزة بن القاسم العلوي العبّاسي: ثقةٌ جليل القدر من أصحابنا، كثير الحديث.
٤. جعفر بن محمّد بن مالك الكوفي الفزاري: قال شيخنا العلّامة النقّاد الحرّ العاملي قدّس

---

١. الخاتمة: ٤/ ٤١٢.

سرُّه في ترجمته: ضعّفه النجاشي ووثّقه الشيخ وتوقّف العلامة، ويظهر من الشيخ الاطّلاع على ضعف التضعيف، لأنّه قال: إنّه ثقةٌ ويضعّفه قومٌ[1].

٥. محمّد بن الحسين بن زيد الزيّات: هو ابن أبي الخطّاب المعروف، من أجلّاء الثقات، عظيم المنزلة.

٦. محمّد بن زياد الأزدي: هو محمّد بن أبي عمير المعروف جلالته ووثاقته، من أصحاب الإجماع.

٧. مفضّل بن عمر: قال شيخنا العاملي رحمه الله في خاتمة الوسائل في شرح حال مفضّل: وثّقه المفيد رحمه الله في إرشاده وأثنى عليه، وروى الكشّي له مدحاً بليغاً يقتضي جلالته ووكالته وثقته، وروى له ذمّاً ينبغي حمله على ما مرّ في زرارة، وضعّفه النجاشي رحمه الله وتبعه العلاّمة، ووثّقه الحسن بن علي بن شعبة في كتابه، انتهى[2].

أقول: ذكره رحمه الله ترجمة الرجل في الثقات يومي إلى ترجيحه وثاقته زائداً على ما يشعره قوله: وروى له ذمّاً ينبغي حمله على ما مرّ في زرارة. قال المحدّث النقّاد النوري رحمه الله في تحقيق حاله: عندنا تبعاً لجملةٍ من المحقّقين من أجلّاء الرواة وثقات الأئمّة الهُداة عليهم السلام. هذا فليراجع مريد التفصيل في شرح حال الرجل الجليل إلى خاتمة المستدرك من ص٥٦٢ إلى ص٥٧١[3].

أقول:

هذه أخبار المسألة وبيان حال سند أربعين حديثاً منها، فالجميع صحيحٌ وأكثرها في أعلى درجة الصحّة، جميع رجالها ثقاتٌ أثباتٌ أجلّاء من الإماميّة قدّس أسرارُهُم، وظنّي أنّ فيها غنىً لمن تدبّر وكفايةً لمن اتّبع الحقّ، والحقّ أحقُّ أن يُتّبع. ولا يسعنا الجرأة على الله وعلى أئمّة الدِّين وإعمال عقولنا الكاسدة وآرائنا الفاسدة في كتاب الله تعالى وأخبار آل بيت الحكمة والعصمة عليهم السلام مع وجود هذه الأدلّة الكثار من الآيات والأخبار الصحيحة المتقنة المعتبرة.

---

١. وسائل الشيعة: ٣٠/٣٣٣.

٢. وسائل الشيعة: ٣٠/٤٩٦.

٣. وفي الطبعة المحققة من الخاتمة: ٤/٩٥.

ليت شعري بأيّ كتابٍ أم بأيّة سنّةٍ يُعرَض عمّا أخبر به تراجمُ وحي الله ولسانُ حكمته، وكيف يُهمل معنى تفيده الأدلّة الكثيرة من الآيات والأخبار ويؤخذ معنى ليس في الكتاب والسنّة عينٌ ولا أثرٌ ممّا يدلّ عليه؟

وأنت لو تأمّلت في الأخبار المذكورة الواردة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وعليّ بن الحسين وأبي جعفر محمّد بن علي وأبي عبدالله جعفر بن محمّد وأبي الحسن موسى بن جعفر وأبي الحسن الثاني عليّ بن موسى وأبي جعفر الثالث الحسن ابن علي العسكري صلوات الله عليهم أجمعين برواية جماعةٍ تزيد عدّتهم على خمسين وأكثرهم ثقاتٌ عدولٌ أثباتٌ أجلّاءمن أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم أجمعين، وهم:

١. أبو ذرّ الغفاري، ٢. حذيفة اليماني، ٣. أبو حمزة الثمالي، ٤. ابن عبّاس، ٥. أصبغ بن نباتة، ٦. زرارة بن أعين، ٧. محمّد بن مسلم، ٨. عبدالله بن سنان، ٩. عبدالله بن مسكان، ١٠. معروف بن خربوز المكّي، ١١. محمّد بن علي الحلبي، ١٢. معاوية بن عمّار، ١٣. سليمان الجعفري، ١٤. عبدالله بن أبي يعفور، ١٥. عمر بن أُذينة، ١٦. عبيدالله الحلبي، ١٧. حسن بن الجهم، ١٨. سماعة، ١٩. رفاعة بن موسى، ٢٠. خالد بن يزيد، ٢١. أبو هاشم الجعفري، ٢٢. بكير بن أعين، ٢٣. داود الرقّي، ٢٤. أبو سعيد الخدري، ٢٥. حذيفة بن أُسيد الغفاري، ٢٦. حسين بن نعيم الصحّاف، ٢٧. طلحة بن زيد، ٢٨. أبو بكر الحضرمي، ٢٩. حبيب السجستاني، ٣٠. معلّى بن خنيس، ٣١. جابر الجعفي، ٣٢. حمران بن أعين، ٣٣. أبو خديجة، ٣٤. عبدالرحمن الحذّاء، ٣٥. محمّد بن إسماعيل، ٣٦. عبدالرحمن بن كثير، ٣٧. سلام بن مستنير، ٣٨. محمّد بن سنان، ٣٩. مفضّل، ٤٠. صالح بن سهل، ٤١. عبدالرحيم القصير، ٤٢. عمّار بن أبي الأحوص، ٤٣. سعاد، ٤٤. زرّ بن حبيش، ٤٥. علي بن الحسين العبدي، ٤٦. معمّر، ٤٧. محمّد بن عبدالله الجعفي، ٤٨. محمّد بن فضيل، ٤٩. عقبة، ٥٠. أبو بصير[1].

---

١. نذكر حال أربعين رجلاً ممّن تنتهي إليه أسانيد أخبار المسألة على وجه الاختصار والإشارة:

١. أحد أركان الدِّين، ٢. أحد أركان الأربعة، ٣. ثقة جليل، ٤. أحد أكابر الصحابة، ٥. (مشكور) من خاصّة أمير

←

[دفع توهّم]

ولا يخفى عليك بعد فساد ما استند إليه المنكرون من الأدلّة مثل قول بعضهم: «إنّ الأخبار الواردة في المسألة محمولةٌ على التقيّة»، وقد غفل هذا القائل أوّلاً عن أنّ فيها أخباراً نبويّةً مضافاً إلىٰ الأدعية الشريفة، ولا موضع فيها للحمل على التقيّة، مع أنّ التقيّة إنّما تحصل بحديثٍ وحديثين وثلاثةٍ وعشرةٍ لا بألفٍ!

ليت شعري أيّ معنى عظيم هذا قد اشتدّ فيه الأمر على أُمناء الله تعالى واحتاج التقيّة فيه إلى نحو ألف حديثٍ، وفتح باب التقيّة فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وختم في الإمام أبي محمّدٍ العسكري عليه السلام، واتّقى به إمامٌ بعد إمامٍ بحيث قد أظهروا التقيّةَ بالأدعية الشريفة والزيارة؟ فلهذا القائل أن يجيب عن الآيات المذكورة أيضاً بحملها للتقيّة!

وثانياً: أنّ أكثر أخبار المسألة ينافي التقيّة جدّاً، وفيها من رؤوس المطالب وأُصول الخلاف ما فيه التقيّة أولى وأحرى، فكيف تحصل بها التقيّة حيث إنّ فيها ما يدلّ على ولاية عليٍّ عليه السلام وإمامته وتسميته بأمير المؤمنين يوم الميثاق، وكون منكري ولايته والمستكبرين فيها هم أهل النار وأصحاب الشمال؟!

← المؤمنين عليه السلام، ٦. ثقة صادق من أصحاب الإجماع من الستّة الأول، ٧. ورع أوثق الناس من أصحاب الإجماع من الطبقة الأُولى، ٨. ثقة جليل القدر، ٩. ثقةٌ عينٌ من أصحاب الإجماع، ١٠. من الطبقة الأُولى من أصحاب الإجماع، ١١. وجه أصحابنا وفقيههم والثقة الذي لا يطعن عليه، ١٢. ثقة وجيه، ١٣. ثقة له كتاب، ١٤. ثقة ثقة جليل، ١٥. ثقة جليل، ١٦. ثقة وجيه، ١٧. ثبت ثقة، ١٨. ثقة وجيه، ١٩. ثقة جليل، ٢٠. ثقة، ٢١. ثقة، ٢٢ روى الكشّي بسندٍ صحيحٍ أنّ الصادق عليه السلام قال فيه بعد موته: لقد أنزله الله عزّ وجلّ بين رسوله وأمير المؤمنين عليهما وآلهما السلام، ٢٣. ثقةٌ من أهل الورع والعلم، ٢٤. مستقيم، ٢٥. من حواري الحسن عليه السلام، ٢٦. ثقة له كتاب، ٢٧. ثقة عامّي، ٢٨. مقبول الرواية وثّقه المحدّث النوري رحمه الله، يروي عنه من لا يروي إلّا عن ثقة، ٢٩. مقبول الحديث لو لم يكن ثقة، ٣٠. ممدوح من قوّام أبي عبد الله عليه السلام المحمودين عنده، ٣١. قال المحدّث النوري رحمه الله: من أجلّاء الرواة وأعاظم الثقات، بل من حَمَلَة أسرارهم وحفَظَة كنوز أخبارهم، ٣٢. مشكور، ٣٣. قال المحدّث النوري رحمه الله في شرح حاله: فانقدح بحمد الله تعالى سلامة أبي خديجة عمّا يوجب الطعن عليه وأنّه من ثقات الأجلّاء، ٣٤. يروي عنه من لا يروي إلّا عن ثقة، ٣٥. مرّ ذكره في تصحيح السند من الأربعين، ٣٦. يروي عنه من يشعر روايته عنه الاعتماد بل الوثاقة، ٣٧. مرّ آنفاً، ٣٨. مرّ أنّه من عمدة الثقاة وأجلّة الرواة، ٣٩. قد ذكر وثاقته وجلالته في بيان الأسانيد، ٤٠. مرّ آنفاً حسن حاله (منه رحمه الله).

ونظير هذا القول في الفساد ما استدلّ به بعضٌ من أنّ أخبار الباب مرفوعةٌ أو موقوفةٌ أو آحادٌ لا يُسمِن ولا يُغني! فكأنّ هذا القائل ما رجع أخبار المسألة أصلاً إذ لا يجد المتأمّل الخبير مرفوعةً ولا موقوفةً إلّا حديثين أو ثلاثة، ولو لم تكن أخبار هذه المسألة متواترةً لم يوجد للمتواتر مصداقٌ أصلاً!

وشريك ما ذكر في الفساد قولُ من تمسّك في مقام الردّ بضعف السند، ولعَمري أنّ هـذا القائل تفوّه وقد غضّ بصره، وكيف لا وقد رأيت صحّة الأسانيد وأنّ أكثرها في أعلى درجة الصحّة، فكأنّ المستدلّون بمثل هذه الأدلّة الواهية والأقوال الفاسدة مـا رجـعوا أبـداً إلى الأخبار واتّبع واحدهم على الآخر بلا تأمّلٍ وتدبّرٍ، فما أقبح التقليد في المقام ونظائره!

[عمدة أدلّة المنكرين وردّها بنحو مستوفى]

ثمّ اعلم أنّ عمدة أدلّة المنكرين ما أشرنا إليـه سـابقاً مـن أنّ الذرّيـة المسـتخرجـة فـي العالم الأوّل إمّا أن كانوا عقلاء واجدين لشرط التكليف من العقل أو لا، فإن كانوا في الصفة الأُولى أوجب أن يذكروا الخلق الأوّل وميثاقه بعد خلقهم في هـذا العـالم المـوجود؛ لأنّ العاقل لا ينسى ما يجري هذا المجرى، وإن كانوا على الصفة الثانية من فـقد العـقل قـبح خطابهم وتكليفهم[1].

وهذا الدليل كما لا يخفى بعيدٌ عن ساحة من سبق إليه قدّس الله سرّه. والعجب أيّ العجب عمّن اتّبع عليه في دليله هذا جهلاً وعمىً بلا تأمّلٍ فيه، وأنت لو تأمّلت فيه تجده في غاية الضعف والفساد!

أوّلاً: أنّ العقل التكليفي الذي يشترط به التكليف ويقبح بدونه، لا ربطَ له أصـلاً لعـالم الحفظ والنسيان، وهما أمران متغايران يرجع أمر التميّز إلى القوّة العـاقلة ويـرجـع الذكـر والحفظ إلى القوّة الحافظة، فأيّ تلازمٍ بين العقل التكليفي والحفظ؟

ومن المعلومات الأوّليّة أنّ قوى البشريّة الإنسانيّة من الملكية والملكوتيّة لكلّ واحـدٍ منها وظيفةٌ مقرّرةٌ وتكليفٌ خاصٌّ من أُمور مملكة البدن لا يرتبط واحدها عـلى الآخـر، والأمر في جميعها كالقوى الثلاثة الباصرة والسامعة والناطقة، كلّ أمرٍ من أُمـور المـملكة

---

١. أمالي المرتضى: ١/ ٢٠ ـ ٢٣.

البدنيّة يرجع إلى واحدٍ منها بحيث لو عجز واحدٌ منها عن إقامة وظيفته المقرّرة لما يمكن قيام الآخر مقامه ويبقى الباقون على حالها مشتغلين لإقامة ما أمرت به من الوظائف، وليس لواجد قوّةٍ منها ضرورة وجدان واحد آخر منها أيضاً، مثلاً ليس لواجد قوّة البصر لزوم وجدانه قوّة السمع أيضاً، ولا لواجد قوّة النطق ضرورة وجدانه قوّة البصر وهكذا، وهكذا فلا تلازم بين كون الإنسان عاقلاً وبين كونه حافظاً لما وقع من القضايا، ولا إيجاب بين العقل والذّكر.

غاية ما في الباب أنّ التكليف كما يشترط بالعقل كذلك يشترط بحفظ ما يكلّف به وذكره لدى التكليف كما لا يخفى، ولازم فرض التلازم بين الأمرين كون الحفظ دائراً مدار العقل وكون قلّته وكثرته نحو قلّة العقل وكثرته، وهذا واضح البطلان جدّاً!

وثانياً: أنّ وجدان قوّة العقل في زمان التكليف لا يستلزم على المكلّف ضرورة حفظ تكليفه وعدم إنسائه، ولو بإرادة ربّه تعالى بعد انقضاء زمان التكليف أيضاً مدى الأبد ما دام عاقلاً، ولا يستدعي استحالة اقتضاء الحكمة الإلهيّة نسيانه.

ثالثاً: أنّ هذا النسيان يمكن أن يقال إنّه من ضروريّات الخلقة ولوازم البشريّة.

توضيح ذلك:

إنّ مقتضى اقتران الأرواح العلويّة النورانيّة البشريّة بالطبع الحيواني والأجزاء الأرضيّة الظلمانيّة، وهبوطها عن العوالم الملكوتيّة بالكرة وسكونها في النشأة الترابيّة، وانقلاب جوهرها النورانيّة وانعكاس صفائها الذاتيّة وتبدّلها بالكدورة الترابيّة، وظهور الظلمات العنصريّة فيها، وخفاء إنارتها بالأغشية الجسمانيّة يستلزم قهراً بالضرورة خفاءَ معلوماتها العلويّة الملكوتيّة التي كانت تدركها في عالمها بصفائها وإشراقها وإنارتها وتصير قضايا عالمها في غشاءٍ وغطاءٍ لبُعدها عن عالمها. فبعد تكدّرها وتستّر صفائها بحلولها إلى العالم السفلى، واحتجابها بالأغشية الملكيّة، وقصور حواسّها عن الاستعمال بعوائق الحجب الظلمانيّة، لا يتمكّن من الوقوف والاطّلاع على ما كان يشاهدها في عالمها العلوي، ولا يمكن لها استعمال حواسّها الباطنيّة وقواها الملكوتيّة.

نعم، بعد رفع الموانع وخرق الحجب ورفض العوائق البشريّة والانسلاخ عن الأغشية

الترابيّة العنصريّة إمّا باستكمال النفس وتزكيتها عن ظلمة أوصافها وسوء أخلاقها وتحليتها بحلية أنوار الأرواح وإبداء أنوارها عليها وتخلّقها بالأخلاق الإلهيّة وخروجها عن الظلمات إلى النور، أو بالموت وانسلاخ الروح عن قالبها وخلوصها عن المحبس العنصري وتوجّهها إلى عالمها عن دار الغربة، فإنّه عند هاتين الصورتين يتحقّق للإنسان استعمال الحواسّ الروحيّة وجنودها الباطنيّة ويدرك بها ما في العوالم الملكوتيّة العلويّة، وإلى هذا وقعت الإشارة في غير واحدٍ من الأخبار.

وبعبارةٍ أُخرى أنّ النفس الملكوتيّة البشريّة التي هي من عالم الأمر وإن كان لها في ذاتها سمعاً وبصراً وفؤاداً وحواسّاً لكن هذه الحواس البدنيّة والقشور الجسميّة حجبٌ وأغشيةٌ ظلمانيّةٌ على تلك الحواس والقوى الروحيّة وموانعُ عن استعمال مشاعرها الداخليّة.

ومعلومٌ أنّ الحواسَ الظلمانيّة الهيولانيّة كما أنّها لا يدركُ بها إلّا الأُمورُ الظلمانيّة الهيولانيّة لضرورة كون نشأة المدرِك والمدرَك واحدةً كذلك الحواس الروحيّة إنّما تدرك بها الأُمور النورانيّة الملكوتيّة الأمريّة الغيبيّة ما لم ينعكس صفائها ونورانيّتها باقتران الأجزاء الأرضيّة البشريّة وما دام لم تخفَ بالأغشية والحجب الظلمانيّة ولم تتأثّر بالظلمات العنصريّة الترابيّة، فما دام الفطرة الروحانيّة محجوبةً بأغشية النفس ومقهورةً بحكومتها وغلَبَتها، مضطهدةً بجنودها، مكسوفةً إنارتها بظلماتٍ نفسانيّةٍ لا يتمكّن من استعمال حواسّها ومشاهدة عالمها وذكر مشاهداتها الملكوتيّة ومعلوماتها العلويّة وإدراك ما فيها من الشواهد الإلهيّة، ويصير الإنسان حينئذٍ بالنسبة إلى الحواسّ الروحيّة صمّاً وبكماً وعمياً.

[أبيات من القصيدة العينيّة للشيخ الرئيس ابن سينا]

ولقد أجاد فيما أفاد به الشيخ الرئيس من هذا المعنى، نستروح بجملةٍ من قصيدته العذبة المعروفة:

هبطتْ إليكَ منَ المحلِّ الأرفعِ	ورقـاءُ ذاتُ تـعزّزٍ وتَـمنّعِ
محجوبةٌ عن كلِّ مُقلة عـارفٍ	وهي التي سفرت ولم تـتبرقعِ
وصلتْ على كُرهٍ إليك وربّـما	كرِهَتْ فراقَك وهي ذات تفجُّعِ
أنِفَتْ وما أَلِفَتْ فـلمّا واصَـلَتْ	ألفتْ مجاورةَ الخرابِ البَـلقَعِ

وأظنُّها نسِيَتْ عهوداً بالحمى ومنازلاً بفراقها لمْ تَقنَعِ
حتّى إذا اتّصلَتْ بهاء هبوطِها عن ميمِ مركزِها بذاتِ الأجرَعِ
علِقَتْ بها ثاءُ الثَقيلِ فأصبحَتْ بينَ المعالم والطُلولِ الخُضَّعِ
تَبكي وقدْ نسيَتْ عهوداً بالحِمى بمدامعٍ تَهمي ولمّا تقلَعِ[1]
حتّى إذا قرب المسير إلى الحِمى ودَنا الرحيلُ إلى الفضاء الأوسعِ
وغدَتْ تغرّدُ فوق ذروةِ شاهقٍ والعلمُ يرفع كلَّ من لم يُرفَعِ
وتعود عالمةً بكلّ خفيّةٍ[2] في العالمين فخرقها لم يَرقعِ
فهبوطها إذْ كانَ ضربةَ لازبٍ[3] لتكون سامعةً لما لم تسمعِ
فلأيِّ شيءٍ أُهْبِطَتْ من شاهقٍ سامٍ إلى قعر الحضيض الأوضَعِ
إن كان أهبَطها الإله لحكمةٍ طُوِيَتْ عن الفَطِنِ اللّبيب الأورَعِ
إذْعاقها الشرك الكثيفُ فصدَّها قفصٌ عن الأوجِ الفسيحِ الأرفَعِ[4]
فكأنّها برقٌ تألّقَ بالحِمى ثمّ انطوى فكأنّهُ لم يَلمعِ[5]

---

١. خ ل: لم تَتقَطّعِ.

٢. خ ل: حقيقة.

٣. خ ل: لازم.

٤. خ ل: (الأربع).

٥. هذه القصيدة من أجلّ قصائد شيخ الرئيس وأشرفها، وهي أكثر شعره انتشاراً على ألسنة قرّاء العربية، وهي من بحر الكامل في ثلاثين بيتاً في أحوال النفس وتعلّقها بالبدن ومفارقتها عنه. ويقال لها (القصيدة الطيريّة) أيضاً. ولها شروحٌ (الذريعة: ١٧/١٢١). وترجمها الى الفارسية ضياء الدين دري.
طبعت في منطق المشرقيين والقصيدة المزدوجة في المنطق لابن سينا في مقدمة القصيدة المزدوجة ص ٢٣، وحققها وعلق عليها محمّد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية ج ١ ص ٤٢٢ و ٤٢٣.
وذكرها له كلٌ من ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء: ٤٤٦ وابن خلكان في وفيات الأعيان: ٢/١٦٠، والذهبي في تاريخ الاسلام: ٢٩/٢٣٠ في ترجمته رحمه الله من تآليفهم. وأورد السيد محسن الأمين في ترجمته لشيخ الرئيس نماذج مختلفة من شعره، منها القصيدة العينية المشهورة في النفس، وقال عنه: كان شاعرا بالعربية والفارسية (أعيان الشيعة: ٦/٧٨).
و قد شرح القصيدة هذه الحكيم الإلهي ملا هادي السبزواري بالفارسية في كتابه أسرار الحكم: ٣٥٨ ـ ٣٧٤ مع اختلاف في لفظ الأبيات وعددها.

ولعمري لو رجع المنكرون في دليلهم المذكور على أخبار ائمّتهم الذين عندهم تبيان كلّ شيءٍ لوجدوا من أمرهم مخرجاً، ونالوا في تيههم فرجاً، وسمعوا لمقالهم جواباً، حيث إنّ جملةً من الآيات والأخبار الدالّة على التكليف والمخاطبة والاستنطاق في عالم الأظلّة والذرّ وأمر الله عباده بدخول النار واستدعاء أصحاب الشمال الإقالة عن الحضرة الربوبيّة مرّةً بعد أُخرى، كلّ ذلك يدلّ بالإلتزام كون الذرّات البشريّة في الخلق الأوّل واجدين للقوّة العاقلة وغيرهما ممّا يقتضيه أمر التكليف والمخاطبة.

وأُشير إلىٰ هذا المعنى فيما رويناه عن الكليني ومحكيّ العيّاشي من حديث ١٥ بالإسناد عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرٌّ؟ قال عليه السلام: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه يعني الميثاق.[١]

هذا، وقد صرّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث الثالث عشر المذكور تحت الآية الأُولى بكون الذرّات البشريّة عقلاء في الخلق الأوّل، قال عليه السلام: أخبرك أنّ الله تعالى لمّا خلق آدم مسح ظهره فاستخرج ذرّيته من صلبه في هيئة الذّر فألزمهم العقل وقرّرهم أنّه الربّ... الحديث. وصرّح بنسيان الميثاق وموقفه ووقته (ودقّته) وثبت نتيجته على القلوب، وذكره بعد افتراق الأجزاء الملكوتيّة البشريّة عن الأغشية الملكيّة العنصريّة في جملة من الأخبار، منها خمسة روايةٍ ذكرناها تحت الآية الأُولى وهي حديث: ١ و٢ و١١ و٢٥ و٢٦، والرواية الثانية ممّا ذكرناه في الآية الثامنة ووقع بيان وقت النسيان وذكر أنّه من الله تعالى وصدرَ أمره من الحضرة الإلهيّة إلى موكّلي أمر البشر في غير واحدٍ من الأخبار، منها حديث ٢٠ و٢٢ و٢٣ و٤٥ فراجع.

[نسيان الميثاق هو مقتضى الحكمة الإلهيّة]

ثمّ لا يخفى عليك أنّ نسيان الميثاق وموقفه وكيفيّته وعدم ذكره العباد في هذه النشأة إنّما هو مقتضى الحكمة، وفيه نحو عنايةٍ ونوع رأفةٍ وحنانٍ من الله تعالى، إذ لولاه لكان في ذلك نوع إلزامٍ على العباد في هذا الخلق الحاضر، وكان علمهم بسابق مختارهم في التكليف الأوّل

١. تقدم الحديث في ص ٢٤١ من الكتاب.

من الانقياد والاستكبار، وذكرهم بما صاروا إليه في الخلق الأوّل يلزمهم اختيار ما اختاروه هناك في هذه النشأة أيضاً!

وذلك أمرٌ فطريٌّ تقتضيه الطبيعة البشريّة، بل لو كان الإنسان ذاكراً لما وقف عليه في العالم العلويّة النورانيّة الملكوتيّة وعالماً بما كان له من الصفات والنورانيّة والروح والراحة قبل هبوطه عن الملأ الأعلى وكان واقفاً على تفصيل مجاري حالاته في ذلك العالم وميثاقه وتكليفه، ربّما كان إهباطه عن علوّ عالمه إلى حضيض الأرض وتغطية نورانيّته بالأغشية العنصريّة وامتزاج صفاء ملكوتيّته بالظلمات الأرضيّة وبُعده عن الحضرة الإلهيّة وخلوّ يده عن جنّة القُرب وروحها وريحانها ونعيمها وحبسه عمراً طويلاً في دار دنيا بالبلاء محفوفةٌ وبالغدر معروفةٌ موجباً للعناد على العباد ومؤثراً في بعض النفوس بإلزامه على الإنكار والاستكبار عن العبوديّة في هذه النشأة وإن كان مقرّاً منقاداً في التكليف الأوّل، كما أنّ علم الإنسان واطّلاعه القهري لما كان عليه في عالم الملك ووقوفه على ما يشاهده في نشأة الشهود وموته على علمه هذا وعوده إلى عالمه الأوّل وانتقاله عن دارٍ آنَس بزخارفها وخلوّ يده عمّا ملكت، يوجب سوء الخاتمة ويلزم كثيراً من الناس شرّ العاقبة، وقانا الله شرّ ذلك اليوم ولقّانا نضرةً وسروراً!

فالله تعالى برأفته وحنانه أنسى ما مضى من الميثاق والتكليف كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، كما أنسى جميع ما عاينه الإنسان وشاهده في عالم الملكوت وبدء خلق الإنسان من طين، وجدّد عالم التكليف وشرّع التكليف رأساً، لئلّا يكون أحدٌ مأخوذاً بسابق أمره ملزماً بشيءٍ على ما يصير إليه، من شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر.

فصلٌ:

في ذكر جملةٍ من كلمات علماء الإماميّة رضوان الله عليهم نثراً ونظماً

ونقتصر من كلمات النافين كلام السيّد النحرير الشريف المرتضى قدّس سرُّه لجامعيّته مداركهم ونجعله خاتمة المطلب، ونقدّم كلمات المثبتين في الذكر لكون مختارهم مفاد الآيات والأخبار[1]، ونذكر في قسمة المنظوم من نظم بعض علماء العامّة وفضلائهم.

١. انظر أقوال المثبتين والنافين فيما أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ٥ / ٢٦٤ ـ ٢٩٠.

[كلام الشيخ الصدوق]

قال رئيس الحَفَظَة شيخ الحديث صدوق الملّة والدِّين ابن بابويه القمّي قدّس سرُّه في رسالة العقائد:

«ويجب أن يعتقد أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أفضل من محمّدٍ والأئمّة عليهم السلام، وأنّهم أحبّ الخلق إلى الله وأكرمهم وأوّلهم إقراراً به لمّا أخذ الله ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وأنّ الله بعث نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله للأنبياء في الذّر، وأنّ الله عزّ وجلّ أعطى ما أعطى كلّ نبيٍّ على قدر معرفته ومعرفة نبيّنا محمّدٍ صلى الله عليه وآله وسبقه إلى الإقرار به. ونعتقد أنّ الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولأهل بيته عليهم السلام...» إلى آخر الكلام[1].

[كلام الشيخ المفيد]

قال شيخ المشايخ الأجلّة، رئيس الملّة المنعوت بالمفيد محمّدُ بنُ محمّدِ بن نعمان طيّب اللهُ رَمسَه على ما حكى عنه العلّامة المجلسي رحمه الله، قال ما لفظه:

فمنها ما ذكره الشيخ المفيد قدّس الله روحه في «جواب المسائل السرويّة» حيث سئل: ما قوله أدام الله تأييده في معنى الأخبار المرويّة عن الأئمّة الهادية عليهم السلام وخلق الله تعالى الأرواحَ قبل خلق آدمَ عليه السلام بألفي عامٍ وإخراج الذرّية من صلبه على صور الذّر، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الأرواح جنودٌ مجنّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ وما تناكَرَ منها اختلفَ»؟

الجواب وبالله التوفيق: إنّ الأخبار بذكر الأشباح... إلى أن قال رحمه الله:

فصلٌ [حديث الذرّ]:[2]

فأمّا الحديث في إخراج الذرّية من صلب آدمَ عليه السلام على صورة الذّر فقد جاء الحديث بذلك على اختلاف ألفاظه ومعانيه، والصحيح أنّه أخرج الذرّية من ظَهره كالذّر فملأ بهم الأُفقَ وجعل على بعضهم نوراً لا يشوبُه ظلمةٌ، وعلى بعضهم ظلمةٌ لا يشوبُها نورٌ،

---

١. الاعتقادات في دين الإمامية: ٩٣.

٢. كذا عنون الفصل في المسائل السروية: ٤٤.

وعلى بعضهم نوراً وظلمةً، فلمّا رآهم آدمُ عليه السلام عجب من كثرتهم وما عليهم من النور والظلمة، فقال: يا ربّ! ما هؤلاء؟

قال الله عزّ وجلّ له: هؤلاء ذرّيتك! يريد تعريفه كثرتهم وامتلاء الآفاق بهم وأنّ نسله يكون في الكثرة كالذّر الذي رآه يعرِّفه قدره[1] ويبشّره بأفضال[2] نسله وكثرتهم، فقال عليه السلام: يا ربّ! ما لي أرى على بعضهم نوراً لا ظلمةَ فيه، وعلى بعضهم ظلمةً لا يشوبها نورٌ، وعلى بعضهم ظلمةً ونوراً؟

فقال تبارك وتعالى: أمّا الذي عليهم النور منهم بلا ظلمةٍ فهم أصفيائي من ولدك الذين يطيعوني ولا يعصوني في شيءٍ من أمري، فأُولئك سكّان الجنّة. وأمّا الذين عليهم ظلمةٌ ولا يشوبها نورٌ، فهم الكفّار من ولدك الذين يعصوني ولا يطيعوني. فأمّا الذين عليهم نورٌ وظلمةٌ فأُولئك الذين يطيعوني من ولدك ويعصوني، فيخلطون أعمالهم السيّئة بأعمالهم الحسنة، فهؤلاء أمرهم إليَّ، إن شئت عذّبتُهم، وإن شئت عفوتُ عنهم بفضلي.

فأنبأه الله تعالى بما يكون من ولده، وشبّههم بالذّر الذي أخرجهم من ظهره، وجعله علامةً على كثرة ولده. ويحتمل أن يكون ما أخرجه من ظهره وجعل أجسام ذرّيته دون أرواحهم، وإنّما فعل الله تعالى ذلك ليدلّ آدم عليه السلام على العاقبة منه، ويظهر له من قدرته وسلطانه وعجائب صنعه، وأعلمه بالكائن قبل كونه، وليزداد آدم عليه السلام يقيناً بربّه، ويدعوه ذلك إلى التوفّر على طاعته، والتمسّك بأوامره والاجتناب لزواجره.

فأمّا الأخبار التي جاءت بأنّ ذرّية آدمَ عليه السلام استنطقوا في الذّر فنطقوا، فأخذ عليهم العهد فأقرّوا فهي من أخبار التناسخيّة، وقد خلطوا فيها ومزجوا الحقّ بالباطل. والمعتمد من إخراج الذرّية ما ذكرناه دون ما عداه ممّا استمرّ القول به على الأدلّة العقليّة والحجج السمعيّة، وإنّما هو تخليطٌ لا يثبت به أثرٌ على ما وصفناه.

فصلٌ [شبهةٌ في إنطاق الذرّ][3].

---

١. كذا في الأصل، وفي المصدر: ليعرّفه قدرته.

٢. في المصدر: باتّصال نسله.

٣. كذا جاء عنوان الفصل في المسائل السروية.

فإن تعلّق متعلِّقٌ بقوله تعالى تبارك اسمه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فظنّ بظاهر هذا القول تحقّق ما رواه أهل التناسخ والحشويّة والعامّة في إنطاق الذرّية وخطابهم، وأنّهم كانوا أحياءً ناطقين.

فالجواب عنه: إنّ لهذه الآية من المجاز في اللّغة، كنظائرها ممّا هو مجازٌ واستعارةٌ... الكلام بطوله[1].

[محصّل كلام الشيخ المفيد والمناقشة فيه]

أقول: محصّل كلام الشيخ قدس سره: أنّه رحمه الله ليس بنافٍ حديثَ الذر بالجملة ولا مُثبِتٍ كذلك، بل مفصِّلٌ مثبِتٌ بإخراج الذرّية من ظهر آدم كهيئة الذّر، وهذا المقدار هو الصحيح عنده، لكن استنطاق سائر أفراد البشر غير أبيهم آدمَ عليه السلام فليس بصحيح! ويشعر من قوله كما صرّح بذلك في توجيه حديث الأشباح أنّها لم تكن صوراً مجيبةً ولا أرواحاً ناطقةً، بل كانت على مثل صورهم في البشريّة.

وقد يظهر لك ممّا ذكر فساد هذا التفصيل، فإنّ الأخبار الدالّة على الخلق الأوّل وإخراج ذرّية آدمَ من صلبه كلّها تدلّ على أخذ العهد والميثاقِ وذلك لا يكون إلّا بالإنطاق والاستنطاقِ المصرّحِ في الأخبار الكثيرة الصحيحة، ولا تجد حديثاً واحداً يخلو عن دلالة هذا المعنى حتّى نفس الحديث الذي رآه الشيخ صحيحاً وأورده في كلامه من حديث استنطاق آدمَ عليه السلام، فإنّ صدره أعني قوله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّيةَ آدمَ من ظهره ليأخذ عليهم الميثاقَ بالربوبيّة له وبالنبوّةِ لكلّ نبيٍّ، فكان أوّل من أخذ له عليهم الميثاقَ بنبوّته محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله ثمّ قال الله لآدم أُنظر... الحديث، يدلّ بظاهره على المعنى الذي أنكره ونفاه ويشعر بأنّ أخذَ العهود والميثاقِ هو المعنيّ من إخراج ذرّيةِ آدمَ من ظهره!

ويستفاد من لفظة «ثمّ» أنّ استنطاق آدمَ عليه السلام كان بعد أخذ الميثاقِ على ذرّية آدمَ بالربوبيّة والنبوّة، فالعجب كيف صحّ شطرٌ من حديثٍ واحدٍ وما صحّ شطرُهُ الآخر؟ وليس

١. المسائل السروية: ٤٤ ـ ٤٧، وحكاه عنه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٥ / ٢٦٣ كما نصّ عليه المؤلف رحمه الله.

في حديثٍ واحدٍ غير هذا الحديث عينٌ ولا أثرٌ من استنطاق آدمَ على ما فصّل فيه! وما ورد ثاني حديثٍ يدلّ على هذا المعنى حتّى يستند عليه شيخنا المعظّم رحمه الله ويستدلّ بـه على مختاره.

فبالجملة: لو لم يصحّ حديثُ أخذ العهدِ والميثاقِ على الذرّية البشريّة وإقرارهـم كـما صرّح بقوله: «فأمّا الأخبار التي جاءت بأنّ ذرّيةَ آدمَ استنطقوا..» إلى آخر قوله، يبقى حينئذٍ وجودُ الخلق الأوّل وإخراجُ ذرّية آدمَ من ظهره على صورة الذرّ الذي صحّحه ورآه ثابتاً بلا دليلٍ عليلٍ أو غير عليلٍ! فليت شعري أيّ حديثٍ يدلّ على إخراج ذرّية آدمَ عليه السلام من ظهره وهو يخلو عن إفادة قضيّة أخذِ العهد والميثاق حتّى يعتمد عليه شيخنا الأعـظم قدّس سرُّه ويصحّ قوله؟ فالمعتمد من إخراج الذّرية ما ذكرناه، فأنت لو تأمّـلت أحـاديثَ المسألة وآياتِها الباهرة بعين الدقّة ترى هذا الكلامَ بعيداً عن ساحته جدّاً، فياليتَهُ كان منكراً للقضيّة رأساً ولم يكن مفصّلاً لما لم يكن مثبتاً!

[بيان المجلسي في ردّ كلام المفيد]

قال شيخنا المحدّث النقّاد العلّامة المجلسي رحمه الله في المجلّد الثالث من بحار الأنوار ص ٧٤ بعدما حكيناه عنه من كلام شيخنا المفيد قدّس سرُّه ما هذا لفظه:

أقول: طرح ظواهر الآيات والأخبار المستفيضة بأمثال تلك الدلائل الضعيفة والوجوه السخيفة جرأةٌ على الله وعلى أئمّة الدِّين عليهم السلام، ولو تأمّلت فيما يدعوهم إلى ذلك من دلايلهم وما يرد عليها من الاعتراضات الواردة لعرفت أنّ بأمثالها لا يـمكن الاجـتراء على طرح خبرٍ واحدٍ، فكيف يمكن طرح تلك الأخبار الكثيرة الموافقة لظاهر الآية الكريمة بها وبأمثالها؟[1].

[كلام ابن الجوزي]

قال الإمام الحافظ جمال الدِّين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الحنفي الواعظ في الفصل الثاني والأربعين من فصول كتابه[2]:

---

١. بحار الأنوار: ٥ /٢٦٧.

٢. كذا في الأصل، لم يذكر عنوان الكتاب ولا أدري أي كتاب من تأليفات ابن الجوزي يشتمل على هذا الكلام.

«المؤمن على طهارة التوحيد من يوم (ألست بربّكم)، غير أنّه لمّا خالط أوساخ الهوى فدنست ثياب معاملته ! وليس لها تنظّف إلّا بماء العلم في بيت العزلة».

وقال في الفصل الرابع والأربعين: «يا منكرُ يا نكيرُ! أنزلا إلى الخارج من بساتين الأرباح في دار المعاملة، فانظرا هل استصحب شوكة من الشك أو وردة من اليقين استنكهها فمه الذي قال (بَلى) يوم ألستُ!».

[بيان المحدّث العاملي]

قال شيخنا المحدّث النحرير الحافظ الكبير العلّامة الوجيه الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي قدّس سرُّه في «الفصول المهمّة» في باب أنّ الله سبحانه كلّف الخلق كلّهم بالإقرار بالتوحيد ونحوه في عالم الذرّ، وقال بعدما ذكر سبعة أحاديث من أحاديث المسألة ما لفظه:

أقول: والأحاديث في ذلك كثيرةٌ جدّاً قد تجاوزت حدَّ التواتر يزيد على ألف حديثٍ موجودة في جميع كتب الحديث، وربّما ينكرها بعض المتكلّمين من أصحابنا لدليلٍ ضعيفٍ ظنّي غير تامٍّ يظهر من الأحاديث جوابُه، بل لا تعجز عن جوابه الأطفالُ، فلا يقاوم الآيات القرآنيّة والروايات المتواترة؛ لأنّ المنكر له قال: إن كان الناس في ذلك الوقت كاملي العقول يستحيل عليهم النسيان وإلّا استحال تكليفهم، وقد تضمّنت هذه الأخبار أنّهم كانوا يفهمون أنّ لهم خالقاً وذلك حاصلٌ لكلّ طفلٍ في سنّ أربع سنين ونحوها، ولا شك أنّه بعد أُلوفٍ من السنين ينسى ما سمعه وقاله في ذلك الوقت، على أنّ المقدّمة الأُخرى باطلةٌ أيضاً كما لا يخفى، والله الهادي. انتهى كلامه رفع مقامه.[1]

[بيان الشيخ فخرالدين الطريحي]

قال شيخنا المحدِّث الفاضل العلّامة اللّغوي المتبحّر الشيخ فخر الدِّين الطريحي النجفي صاحب «مجمع البحرين» في الكتاب ص ٩٥ في حديث الأئمّة عليهم السلام:

إنّ الله تعالى أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم ألست بربّكم، فمن وفى لنا

---

١. الفصول المهمّة: ١/ ٤٢٥.

وفى الله له بالجنّة. قال بعض المستبصرين: وقع التصريح عنهم عليهم السلام بأنّ فعل الأرواح في عالم الأبدان موافقٌ لفعلهم في يوم الميثاق، والمراد من وفى لنا في عالم الأرواح وعالم الأبدان بما كلّفه الله من التسليم لنا وفى الله له بالجنّة، انتهى.[١]

وقال في مادّة (أخذ) ص ٢٣٣ بعد نقل ما ذكرناه من كلام شيخنا المفيد قدّس سرّه:

أقول: أنت خبيرٌ بأنّ حديث أخذ الميثاق على العباد في عالم الذّر واستنطاقهم فيه مشهورٌ بين الفريقين منقولٌ بطرقٍ عديدةٍ فلا مجالَ لإنكاره، إلّا أنّ بعض علماء القوم جدَّ في الهرب عن ظاهره لما يرد عليه من الآية الشريفة، وذلك لأنّ قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٢] إن كان هذا الإقرار عن ضرورةٍ فلهم أن يقولوا يوم القيامة شهدنا يومئذٍ، فلمّا زال عنّا علم الضرورة ووكّلنا إلى آرائنا فمنّا مَن أصاب ومنّا مَن أخطأ. وإن كان على استدلال مؤيّد بعصمةٍ من الخطأ، فلهم أن يقولوا يوم القيامة شهادتنا يومئذٍ كانت مؤيّدةً بالعصمة فلمّا زالت منّا، فمنّا مَن أصاب ومنّا مَن أخطأ، فيبطل الاحتجاجُ عليهم.

ويمكن الجواب عن ذلك أمّا على اعتقاد أنّ التكليف بالإقرار مطلوبٌ من العباد في كلٍّ من العالمين، فهو أن نقول: إنّا نختار أنّ الإقرار كان عن ضرورةٍ لبُعد احتمال غيره، قولكم لهم أن يقولوا يوم القيامة شهدنا يومئذٍ فلمّا زال عنّا علم الضرورة ووكّلنا إلى آرائنا فمنّا مَن أصاب ومنّا مَن أخطأ[٣].

قلنا:

غير مسلّمٍ أنّ العباد وكّلوا إلى آرائهم في التكليف وإنّما هو من علمٍ ضروريٍّ أيضاً لكنّه مشروطٌ بمقدّماتٍ نظريّةٍ مقدورةٍ مأمورٍ بها، فمن ساعده جدّه وتوفيقه وصل إلى ذلك العلم الضروري وارتفع الاحتجاج عليهم، ومن قصّر عن تحصيل تلك المقدّمات حرم علم الضرورة وقامت الحجّة عليهم يوم القيامة. وأمّا على اعتقاد أنّ التكليف بالإقرار إنّما هو في

---

١. مجمع البحرين: ٤/ ٥٣٠.

٢. ذيل آية الست بربكم، الأعراف: ١٧٢.

٣. مجمع البحرين: ١/ ٤٥.

العالم الأوّل وبه تقوم الحجّة على العباد دون الثاني، وإنّما وقع التكليف الثاني مؤكّداً وكاشفاً عنه، كما يشهد له بعض الأخبار. فالحجّة على العباد قائمةٌ بلا تكلّفٍ، وبذلك يندفع المحظور الموجب لصرف كلٍّ من الآية والحديث عن الظاهر منهما، والله أعلم.

وقال قدّس سرُّه في مادّة «قبض» من الكتاب ص ٣٥٧:

وفي الحديث: «فقبض قبضةً فقال إلى الجنّة ولا أُبالي، وقبض قبضةً فقال إلى النار ولا أُبالي».

قال بعضُ العارفين: قد أشكل هذا على بعض الناس! فقال: كيف يجوز أن يخلق الله قوماً للنار في أصل الخلق ثمّ يكلّفهم طاعته وتركَ معصيته، وهذا ينافي العدلَ وهو منزّهٌ عنه سبحانه؟

وأجاب عنه: بأنّ كلام آل محمّدٍ صلوات الله عليهم لا يرد عليه اعتراضٌ أبداً، وإنّما يقع لعدم فهم السامع مقصدَهم وما عَنوا به، وقد جاء في حديثهم: إنّ الأرواح خُلِقت قبل الأبدان بألفي عامٍ وأمره سبحانه بالإقرار له بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ وأهل بيته بالإمامة، فمنهم من أقرّ بقلبه ولسانه، ومنهم من أقرّ بلسانه دون قلبه، وهو قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]، ثمّ أمر الفريقين بدخول النار فدخل من أقرّ بقلبه ولسانه، وقال الذي أقرّ بلسانه: يا ربّ! خلقتنا لتحرقَنا! فثبتت الطاعة والمعصية للأرواح.

ثمّ إنّه سبحانه لمّا أراد خلق الأجساد خلق طينةً طيّبةً وأجرى عليها الماءَ العذبَ الطيّبَ، وخلق من صنفها أجسامَ محمّدٍ وآله الطاهرين عليهم السلام، وخلق طينةً خبيثةً وأجرى عليها الماءَ المالحَ الخبيثَ، ومزج الطينتين لمقتضى حكمتِه ولطفِه وعركَهما عركَ الأديم، فأصاب كلّاً منهما من لَطخ الأُخرى، فأسكن الأرواح المؤمنة أوّلاً في الطينة الطيّبة فلم يضرّها ما أصابها من لَطخ الأُخرى إذ ليس من سنخها وجوهرِها. وأسكن الروحَ الكافرة أوّلاً في الطينة الخبيثةِ ولم ينفعها ما أصابها من لَطخ الطينة إذ ليس هو من سنخها ولا معدنها، فأصاب المؤمنَ السيئاتُ بسبب المزج، وأصاب الناصبَ الحسناتُ للمزج.

---

١. آل عمران: ٨٣.

وقد ورد أنّ حكمة المزج اشتباهُ الصورتين صورة المؤمن والناصب، ولولاه لامتاز كلّ منهما، وفي ذلك تعبٌ للمؤمن وقصدٌ بالأذى وحتّى تشتبه الأعمال في الظاهر وحتّى يعمل المؤمن في دولة الظالمين ولا يمتاز، وهذا في الأبدان خاصّةً دونَ الأرواح، فالقبضة المذكورة في الحديث كانت في الأبدان التي هي قالبٌ للأرواح المؤمنة والكافرة، وهي تبعٌ للأرواح في الخلق في التكليف والمعاد، فليس في الحديث إشكالٌ مع هذا[1]، انتهى.

وقال قدّس الله سرّه في مادّة «وثق» ص ٤٤٧:

وفي حديث الباقر عليه السلام: «أخذ الله ميثاقَ شيعتنا بالولاية وهم ذرٌّ يوم أخذ الميثاق على الذّر». توضيحه: أنّ الأرواح تعلّقت ذلك اليوم بجسدٍ صغيرٍ مثل النمل، دعاهم إلى الإقرار فأقرّ بعضهم وأنكر بعضهم، فمن ثمّ كان التكذيب. إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ حديث أخذ الميثاق على العباد مشهورٌ بين الفريقين إلّا أنّ بعض العلماء من كلٍّ منهما جدَّ في الهرب عن ظاهره لما يرد عليه، وقد حقّقنا الكلام فيه فيما تقدّم. انتهى[2].

[كلام المحقق المولى محمد صالح المازندراني]

قال شيخنا المحقّق كشّاف نكات الأخبار العلّامة الجليل المولى محمّد صالح المازندراني قدّس سرُّه في شرحه على الكافي عند قوله: «باب آخر منه وفيه زيادة وقوع التكليف الأوّل»:

يفهم من الروايات أنّ التكليف الأوّل وهو ما وقع قبل التكليف في دار الدُّنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب متعدّدة: الأوّل: كان في عالم الأرواح الصرفة. والثاني: كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها. الثالث: كان بعد خلق آدم منها حين أخرجهم من صلبه وهم ذرّ يدبّون يميناً وشمالاً. وكلّ من أطاع من هذه التكاليف الثلاثة فهو يطيع في تكليف الدُّنيا، وكلّ من عصى فيها فهو يعصي فيه، وهنا تكليفٌ خامس يقع في القيامة وهو مختصٌّ بالأطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبيّ صلى الله عليه وآله وهم لا يعقلون

---

١. حديثٌ رواه الحليّ في مختصر بصائر الدرجات: ٢٢٥.

٢. مجمع البحرين: ٤/ ٤٦٥.

وغيرهم ممّن ذكر في محلّه، انتهى[1].

وقال قدّس الله سرّه في شرح قوله في الباب المذكور:

«﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (من ظهور) بدلٌ من (بني آدم) بدل البعض من الكلّ، والمراد بأخذ الذرّية من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلاً بعد نسلٍ وإشهادهم على أنفسهم، فإنّ موادّ الكلّ كانت موجودةً في صلب آدمَ على ترتيب وجودهم في هذه النشأة، فإخراجهم من ظهورهم[2] بني آدم إخراجٌ من ظَهر آدمَ وصلبِهم، فلا ينافي ما دلّ على أنّ الإخراج من ظهر آدم وصلبه، ويؤيّده ما نقل عن ابن عبّاس من أنّه تعالى لمّا خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه كلّ نسمةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾، فنُودي يومئذٍ: جفّ القلم بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة. وروى أنّ الذرّية كانت في صورة إنسانٍ على مقدار الذّر.

وقال محمّد بن جرير الطبري: إنّ آدم لمّا فرغ من حجّه ونام في وادي النعمان وهو وادٍ خلف جبل عرفات، أخرج الله تعالى ما كان في صلبه من ذرّيته إلى يوم القيامة فرآهم آدم، فمن كان في يمينه كان من أهل الجنّة، ومَن كان في يساره كان من أهل النار.

وقال جماعةٌ منهم صاحب الكشّاف: إنّ قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ من باب التمثيل والتخييل... إلى آخر كلامهم[3].

وقال في شرح الرواية الأخيرة من الباب المذكور: وقد ذكر فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي لكونه أوّلَ من امتثل بأمره بالدخول في النار وبالإقرار بالربوبيّة وبكلّ حقٍّ وصدقٍ، فوجب أن يكون أوّل من يعتقد له ولداً لو كان له ولدٌ، فلمّا لم يعتقده بل نفاه علم أنّه ليس له ولدٌ، ويفهم منه أنّ أجزاء الشرط محذوفٌ وأنّ المذكور تعليلٌ له قائمٌ مقامَه؛ أي لو كان للرحمن ولدٌ فأنا أوّل من يقرّ به لأنّي أوّلُ العابدين[4].

وله رحمه الله كلماتٌ أُخر ممّا يقرب ذلك في موضعٍ آخر.

---

١. شرح أصول الكافي: ٨ / ١٥.

٢. في المصدر: من ظهور بني آدم.

٣. شرح أصول الكافي: ٨ / ١٧.

٤. شرح أصول الكافي: ٨ / ٢٠.

[بيان صاحب «كفاية الموحدين» في توجيه متشابهات الأخبار]

وقال سيّد المحقّقين الفقيه الوجيه والعلّامة المتبحّر السيّد إسماعيل الطبرسيّ النوري قدّس الله سرّه في الباب الثامن من المجلّد الأوّل من «كفاية الموحّدين»[1] في توجيه متشابهات الأخبار:

و از جمله آن اخباری كه في الجملة استشمام كرده شده است از او مقاله جبريّة اخبار وارده در باب طينت است چون قولهم عليهم السلام: «إنّا وشيعتنا خلقنا من طينةٍ من علّيّين وخلق عدوّنا من طينة خبال من حمأٍ مسنون»، وچون قولهم عليهم السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءً عذباً فخلق منه أهلَ طاعته، وخلق ماءً مرّاً فخلق منه أهلَ معصيته، ثمّ أمرهما فاختلطا فلولا ذلك ما ولد المؤمن إلّا مؤمناً ولا الكافر إلّا كافراً»، وچون قولهم عليهم السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق النبيّين من طينة علّيّين قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وخلق أبدانهم من دون ذلك، وخلق الكافرين من طينة سجّيل قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين»، و امثال ذلك از اخبار وارده در باب طينت مقصود اشاره اجماليّه است به ذكر آن.

واما وجه استشمام شبهه جبريّه آنكه بعد از اينكه هر يک از كافران به حسب اصل طينت خود از اهل عصيان و طغيان خلق شده است پس به مقتضای همان طينت اصليّهٔ خود مجبول خواهد بود بر معصيت قهراً، و خلاف آن بر خلاف طبيعت و جبلّت او خواهد بود كه خارج از اختيار است، و اين معنی بعينه همان مقالهٔ جبريّه است لا غير.

اما جواب از اين شبهه، پس از وجوهی ست به اختلافِ مسالكِ اصحاب در

---

١. كفاية الموحدين في عقائد الدين، فارسيٌ في ثلاث مجلّدات، للسيد الحاج سيد اسماعيل بن أحمد العلوي النوري الطبرسي القدوسي. كان رحمه الله فقيها محدثا كاملا من العلماء المجاورين في النجف و من الفقهاء الزهاد. تخرج بالميرزا السيد محمّد حسن الشيرازي و يعبر عنه في كتبه بالسيد الأستاذ والميرزا حبيب الله الرشتي وغيرهما.

توفي غرة شعبان سنة ١٣٢١ في الكاظمية ودفن في الصحن الشريف. أعيان الشيعة: ٣١٢/٣، الذريعة: ١٠/١٨.

این باب، چه آنکه جمله از ایشان چون اخباریین از اصحاب قائلند به اینکه اخبار طینت و امثال آن از متشابهات اخبار است، و آنچه لازم است همان تصدیق به مضامین آنهاست علیٰ وجهِ الاجمال، و وکول علم تفاصیل آن اخبار است به سوی أئمهٔ اطهار صلوات الله علیهم اجمعین، و این مسلک طریق احتیاط و نجات است در امثال این مسائل از عقائد.

وجمعی از علماء چون شیخ مفید علیه الرحمة و سیّد مرتضی و أتباع ایشان و جمله‌ای از مفسرین چون طبرسی و غیر او قدّس الله اسرارهم حمل نمودند امثال این اخبار را بر کنایات و مجازات، و آنکه مراد به آنها کنایه است از علم حق تعالی به اعمال عباد در دار تکلیف از حسنات و سیئات، و به آنچه مستوجب می‌شوند از مثوبات و عقوبات بر وفق اعمال، و اشاره است به سوی اختلاف استعدادات مکلّفین و قابلیات ایشان در دار دنیا. گویا به ملاحظه این اختلافات کأنّهم مخلوقينَ من طيناتٍ مختلفة!

و جماعتی از علماء چون سیّد جزایری علیه الرحمه و قبل از آن کثیری از علماء و همچنین کثیری از متأخّرین بنای ایشان بر صحّت اخبار طینت و آنکه همهٔ آنها محمول بر حقیقت است، چه آنکه این اخبار به حسب سند، فوق مرتبهٔ تواتر است و به حسب الدلالة نیز از ظواهر معتبره، بلکه بعضی از آنها از نصوص است، و اینکه این اخبار مبتنی می‌باشند بر تکلیف سابقی که واقع در عالم ذرّ و کائن در زمان اخذ میثاق است، که حق تعالی خلق ارواح نمود در بدو ایجاد عالم، و اخذ میثاق به ربوبیت گرفت از ایشان در آن عالم، و هم چنین اخذ میثاق گرفت به رسالت و امامت، پس بعضی تسلیم آن نمودند بالطوع و الرغبة، و بعضی معرض شدند از قبول.

و در آن عالم نیز همهٔ ایشان در کمال اختیار و شعور و تمیز و عقل بودند مانند آنچه در این عالم تکلیف ظاهری که ملاحظه می‌شود، بلکه در آن عالم اصوب بودند به عالم طبیعت و کثافت، و اخباری که شاهد به این مطلب باشد نیز کثیر است که دلالت دارد به تحقیق تکلیف در ابتداء امر، که

حق تعالی بعد از خلق ارواح از اصحاب یمین و یسار خلق فرمود آتشی را و امر فرمود به اصحاب یمین که داخل شوند در آتش. پس هجوم آوردند اصحاب یمین و یکدفعه داخل آتش شدند، فصارت النار علیهم برداً وسلاماً، و امر فرمود به اصحاب شمال که داخل آتش شوند، اِباء و امتناع نمودند از دخول در آتش، بلکه در بعضی از اخبار وارد است که اصحاب شمال عرض نمودند که: اقاله بنما ای پروردگار ما از مخالفت که ما داخل آتش خواهیم شد مانند اصحاب یمین، پس اِقاله فرمود حق تعالی، و مجدّداً امر فرمودند به دخول نار. پس بعضی از آنها سرعت نمودند در دخول و بعضی مخالفت نمودند.

و بالجمله اخبار وارده به اینکه در بدو ایجاد تکلیفی از جانب حق تعالی توجّه نمود به سوی خلائق از ارواح بسیار است، و بنا بر این اشکالی نخواهد بود در اخبار طینت، زیرا که طینت سعداء اهل طاعت اگر مخمّر شده باشد از ماء عذب و طینت طيّبهٔ طاهره که به مقتضی آن موفّق و مسدّد است در دار تکلیف نیز بحسن اختیار است. پس به جهت آنست که اطاعت نموده است و بندگی نمود خداوند عالم را در بدو ایجاد از روی اختیار و تمیز و عقل، وفضّل الله علیه بتلك النعمة بإزاء تلك الطاعة.

و طینت اشقیاء و اهلِ مخالفت و عصیان اگر مخمّر شده است از ماء مالح مُرّ و طینت خبیثه ملَوَّثه که به مقتضی آن مخذول و غیر موفق است در دار تکلیف به سوء اختیار خود، پس به جهت آن است که عصیان و مخالفت نموده است امر الهی را در بدو ایجاد از روی اختیار و تمیز و عقل، فخذله الله تعالیٰ بتلك الطينة الخبيثة بإزاء تلك المخالفة.

و بالجملة اقتضاء طینت طیّبة مر اعمال صالحه، و اقتضاء طینت خبیثه مر شرور و فساد را نخواهد بود مگر به جهت سبق تکلیف در بدو عالم ایجاد، چنانچه حضرت صادق علیه السلام فرموده است: «إنّ الله تبارك وتعالی خلق في مبتدأ الخلق بحرین أحدهما عذبٌ فراتٌ والآخر ملحٌ أُجاجٌ ثمّ

خلق تربة آدم من البحر العذب الفرات ثمّ أجراه على الأُجاج فجعله حـماً مسنوناً وهو خلق آدم ثمّ قبض قبضةً من كتف آدم الأيمن فذرأها في صلب آدم فقال هؤلاء في الجنّة ولا أُبالي، ثمّ قبض قبضةً من كتفه الأيسر فذرأها في صلب آدم فقال هؤلاء في النار ولا أُبالي ولا أُسئل عمّا أفـعل ولي فـي هؤلاء البداء بعد في هؤلاء وهؤلاء سيبطلون».

قال أبو عبدالله عليه السلام: «فاحتجّ يومئذٍ أصحاب الشمال وهم ذرٌّ على خالقهم، فقالوا: يا ربّنا بِمَ أوجبت لنا النار وأنت الحكم العدل مـن قـبل أن تحتجّ علينا وتبلونا بالرّسل وتعلم طاعتنا لك ومعصيتنا؟ فـقال الله تـبارك وتعالى: فأنا اخترتكم بالحجّة عليكم الآن في الطاعة والمعصية والإعـذار بعد الإخبار».

قال أبو عبدالله عليه السلام: «أوحى الله إلى مالك خازن النار أن مُـر النـار تشهق ثمّ يخرج منها عنقاً فخرجت لهم، ثمّ قال الله لهم: ادخلوها طـائعين، فقالوا لا ندخلها طائعين، ثمّ قال: ادخلوها طائعين أو لأُعذّبنّكم بها كارهين، قالوا: إنّا هربنا إليك منها وحاججناك فيها حيث أوجبتها علينا وصيّرتنا من أصحاب الشمال فكيف ندخلها طائعين؟ ولكن ابدأ بأصحاب اليـمين فـي دخولها كي تكون قد عدلت فينا وفيهم».

قال أبو عبدالله عليه السلام: «فأمر أصحاب اليمين وهم ذرٌّ بين يديه، فقال: ادخلوا هذه النار طائعين. قال: فطفقوا يتبادرون في دخولها فـولجوا فـيها جميعاً فصيّرها الله عليهم برداً وسلاماً ثمّ أخرجهم منها، ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى نادى في أصحاب اليمين وأصحاب الشمال: ألستُ بـربّكم؟ فـقال أصحاب اليمين بلى يا ربّنا نحن بـريّتك وخـلقك مـقرّين طـائعين، وقـال أصحاب الشمال: بلى يا ربّنا نحن بريّتك وخلقك كارهين، وذلك قـول الله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعَاً وَكَرْهاً وَإِلَـيْهِ يُـرْجَعُونَ﴾، قال: توحيدهم لله... انتهى الحديث الشريف».

و دلالت بر اختيار هؤلاء مكلّفين در آن عالم خوب واضح و ظاهر است، و

در این حدیث شریف اشاره فرموده است به اینکه بداء از برای اصحاب شمال خواهد بود، چنانچه در اخبار منقوله از حضرت امیرالمؤمنین علیه السلام در باب کیفیت اخذ میثاق نیز مذکور است، چنانچه در بحار، به طرق عدیده و به اسناد کثیره در جلد سیّم بحار که کتاب عدل است و هم در جلد چهارم بحار که سماء عالم است نقل نموده است از علل و از تفسیر علی بن إبراهیم و از کشّی، هر یک به اسناد خود از حضرت امام محمّد باقر علیه السلام و از حضرت امام جعفر صادق علیه السلام و از حضرت امیرالمؤمنین علیه السلام در حدیث که آنچه محل شاهد است ذکر می‌نمائیم:

قال علیه السلام: «فاغترف ربّنا تبارك وتعالى غرفةً بيمينه من الماء العذب الفرات وكلتا يديه يمين فصلصلها في كفّه فجمدت ثمّ قال لها: منك أخلق النبيّين والمرسلين وعبادي الصالحين والأئمّة المهتدين والدّعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم الدِّين ولا أبالي ولا أُسئل عمّا أفعل وهم يسئلون، ثمّ اغترف غرفةً أُخرى من المالح الأُجاج فصلصلها في كفّه فجمدت ثمّ قال لها: منك أخلق الجبّارين والفراعنة والعتاة واخوان الشياطين والدّعاة إلى النار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أُبالي ولا أُسئل عمّا أفعل وهم يسئلون».

قال علیه السلام: «وشرط ذلك البداء فيهم ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء، ثمّ خلط المائين جميعاً في كفّه فصلصلها ثمّ كفاهما قدّام عرشه وهم سلالة من طين...» الخبر.

چه شرط نمودن بداء در اصحاب شمال دون یمین ظاهر است در اینکه از برای هؤلاء یک نحو فسحه و توسعه می‌باشد در آنچه به آن تکلیف کرده شده‌اند از اطاعت و انقیاد، چه آنکه بدا در این اخبار اگر نسبت داده شود به سوی حق تعالی پس آن به معنی اظهار ما خَفيَ عليهم است از ترک طاعات و عتو و سرکشی چه در ابتداء امر و چه در عالم تکلیف حسّی ظاهری. یعنی حقّ سبحانه و تعالی ظاهر خواهد نمود بر ایشان آنچه بر ایشان مخفی

است از امتحان و اختبار به اوامر و نواهی اتباع رسل و انبیاء و أئمّه المهديّين صلوات الله عليهم أجمعين، و اینکه از برای ایشان توسعه و اختیار است در آنچه به او ممتحن و اختبار کرده خواهند شد در همهٔ عوالم، و اگر بداء نسبت داده شود به سوی مخلوقین چنانچه ظاهر این اخبار است پس آن به معنی بداء در ندامت است و به معنی «تجدّد رأی بعد اَن لم یکُن» است، وبه معنی «ابداء بعد الجهل» است یعنی حق سبحانه شرط نمود به ایشان بدا راکه اگر دست بردارند از عُتوّ و سرکشی، و تسلیم نمایند امر حق تعالی را و انقیاد و فروتنی نمایند مانند اصحاب یمین پس اقاله خواهد نمود حق تعالی عثرات و زلّاتِ ایشان را، و محسوب خواهند شد از عداد سعداء، چنانچه در حدیث سابق نیز اشاره فرمودند که اصحاب شمال طلب اقاله نمودند از حق تعالی فأقالهم الله تعالی.

و مقتضای ظاهر شرایع و ارسال رسل و انزال کتب به سوی کفّار و عتاد و متمرّدین و فراعنه و طواغیت از جمیع امم نیز همین است که اختیار عباد و اقاله حق تعالی ثابت است از برای ایشان در اعمال و عقائد باطله، و مقتضای رحمت الهی نیز همین است که طرد و منع ننماید عباد خود را از باب رحمت خود بعد از رجوع ایشان از عتوّ و سرکشی و انابه ایشان به سوی حق تعالی، و ادعیه و مناجات وارده از ائمهٔ طاهرین علیهم السلام نیز دلالت دارند بر این مدّعی و از ادعیه لیالی قدر است قولهم علیهم السلام: «وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السعداء».

و مقتضی تعمیم بداء في كلّ شيء چنانچه مقتضای اخبار بداء است من قولهم علیهم السلام: «ما بعث الله نبيّاً حتّى يقرّ له بالبداء» نیز آنست که بداء در این امر ثابت باشد که اگر کسی در آن عوالم بنابر تحقّق اخبار اخذ میثاق و اخبار طینت اختیار نمود بسوء اختیار خود عتوّ و سرکشی و کفران را و محسوب شده است از عداد اصحاب شمال آنکه اگر در این عالم تکلیف

حسّی ظاهری توبه و انابه نماید به سوی حق تعالی به نحو صدق و واقعیت و ثبات قدم، و مراجعت نماید از جهل و عناد خود آنکه حق تعالی از او قبول نماید توبه و انابه او را و ملحق فرماید او را به عباده الصالحین و محسوب فرماید او را از سعداء ان شاء الله تعالی.

[كلام السيد نعمة الله الجزائري]

وقال السيّد السند المحدّث الوجيه العلّامة الحجّة السيّد نعمة الله الجزائري في «الأنوار النعمانيّة»[1] ص ۹۳: نورٌ ميثاقيٌ يشتمل على التكليف الأوّل:

اعلم أنّ الأخبار قد استفاضت بل تواترت بأنّ هذه الأرواح قبل دخولها في هذه الأجسام قد حصل لها نوعٌ من التكليف الإلهي لمّا كانت في عالم الملكوت، وقد أخذ الله سبحانه عليها العهودَ المكرّرة والمواثيقَ المغلّظة بأنّه ربٌّ وواحدٌ لا شريكَ له، فأقرّوا عموماً. وأمّا الإقرار بالولاية لعلي عليه السلام وأهل بيته ففي أحد المواثيق ولعلّه الميثاق الأوّل وهي أرواحٌ خالصةٌ قبل أن تباشر الذرّات قد أقرّت وأذعنت، ومن ثَمّ قال عليه السلام: قد أخذ الله ولايةَ الأئمّة عليهم السلام على الناس من يوم العهد والميثاق. وفي أحد المواثيق قد أنكرت ولم تبادر إلى القبول، فمن ثَمّ كانت السعادة والشقاوة من هناك.

ومن هذا قال سيّد الموحّدين عليه السلام: إنّ الله سبحانه قد كتب أسامي شيعتنا وأسامي آبائهم وأُمّهاتهم من وجد منهم ومن لم يوجد إلى يوم القيامة بصحيفةٍ وتلك الصحيفة عندنا. وكانت الكتابة في ذلك الميثاق وهذه الصحيفة الآن بعدها توارثها الأئمّة عليهم السلام انتهت نوبتها إلى مولانا صاحب الزمان عليه السلام، فهو الآن عنده، وكان إذا أتى رجلٌ إلى عليٍّ عليه السلام وقال له «أنا من شيعتك» كذّبه عليٌّ عليه السلام وقال: لست أرى لك اسماً في صحيفة الشيعة، فيكون ذلك الرجل مدّعياً!

وكان بعض خواصّ الشيعة إذا دخل على الصادق عليه السلام رآه يتصفّح كتاباً، فسأله

---

۱. «الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية» للمحدث السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري التستري (۱۰۵۰ ـ ۱۱۱۲) من تلاميذ العلامة المجلسي طاب ثراه والملازمين له، وكان شيخ الإسلام من قبل شاه سليمان الصفوي (ت/ ۱۱۰۵ هـ)، وكتابه هذا مطبوعٌ متداول.

عنه فيقول: هذا الكتاب الذي فيه أسماء شيعتي إلى يوم القيامة، فيقول عليه السلام: أتحبّ أن ترى اسمك واسمَ أبيك؟ فيقول: نعم، فيطلعه عليه. وهذا لا يكون من الأرواح إلّا من بعدما أعطاها الله سبحانه نوعاً من الفهم والشعور تفهم به معنى التكليف والثواب والعقاب؛ لأنّه صار ذلك التكليف الأولى مناطاً لأكثر أحكام هذا التكليف الأُخرى.

روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى ابن أُذينة عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: كنّا جلوساً عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا فيه حدّةٌ، فقال: من علامة المؤمن أن يكون فيه حدّةٌ، فقلنا له: إنّ عامّة أصحابنا فيهم حدّة، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى في وقتٍ ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين ـ وأنتم هم ـ أن يدخلوا النارَ فدخلوها فأصابهم وَهَجٌ، فالحدّة من ذلك الوَهَج، وأمر أصحاب الشمال ـ وهم مخالفونا ـ أن يدخلوا النارَ فلم يفعلوا، فمن ثَمّ لهم سَمتٌ ولهم وقارٌ[1].

والآيات والأخبار دالّةٌ على أخذ الميثاق في العالم الأوّل، أمّا الآيات فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[2].

قال أكثرُ المفسّرين: معناه أنّ الله تعالى أخرج ذرّيةَ آدمَ من صلبه كهيئة الذّرِ فعرضهم على آدمَ، فقال: إنّي آخذ على ذرّيتك ميثاقَهم أن يعبدوني ولا يشركون بي شيئاً وعليَّ أرزاقهم، ثمّ قال: ألست بربّكم؟ قالوا: بَلى شهدنا أنّك ربّنا، فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا، وقيل: إنّ الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه، ثمّ ردّهم إلى صلب آدمَ والناس محبوسون بأجمعهم حتّى يخرج كلّ من أخرجه في ذلك الوقت، وكلّ من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأُولى، ومن كفر وجحد فقد تغيّر من الفطرة الأُولى.

وفي بعض الأخبار المعتبرة أنّ الخطاب هكذا: ألست بربّكم ومحمّدٌ نبيّكم وعليٌّ إمامكم؟ قالوا: بَلى، فحذفوا تمام الآية كما تصرّفوا في غيره من الآيات، فيكون هذا الميثاق ممّا أقرّوا فيه أيضاً بولاية الأئمّة عليهم السلام، فيكون عدم القبول لها في

---

١. تقدّم هذا الحديث في ص ٢٤٨ رقم ٢٩، فراجع تخريجه هناك.

٢. الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣.

ميثاقٍ آخرَ جمعاً بين الأخبار.

واعلم أنّ تأويل الآية على هذا المذكور ممّا دلّت عليه الأخبار النقيّة السند، وذهب إليه جمعٌ كثيرٌ من المفسّرين، وقد ردّه المرتضى طاب ثراه وشيخنا الطبرسيُّ رحمه الله، قالوا: إنّ الله سبحانه... وذكر إجمال كلام السيّد رحمه الله وقال بعد ذكره:

والعجب أنّ هذا المعنى مع احتياجه إلى التأويل في كلّ ظواهر لفظ الآية، ومع عدم اقتصاره بخبرٍ يدلّ عليه كيف خرّجوا عليه وأهملوا ذلك المعنى الأوّل مع تظافر دلالة الأخبار عليه وكلام المفسّرين! ومن هذا ذهب أبو الهذيل في كتاب الحجّة أنّ الحسن البصري وأصحابه كانوا يذهبون إلى أنّ نعيم الأطفال في الجنّة ثوابٌ عن إيمانهم في الذّر. وأمّا الأخبار فمنها ما رواه شيخنا الكلينيُّ طاب ثراه... ثمّ ذكر عدّةً قليلةً من أخبار الباب.

وقال قدّس سرُّه في «نور طيني» من الكتاب ـ وهو في تحقيق أخبار الطينة ـ قال بعد ذكر أخبارها ونقل الأقوال فيها:

وخامسها ما خطر بالبال ولكن أخذاً من الطاهرين عليهم السلام، وحاصله: أنّه تحقّقت من الأنوار السابقة أنّ خلق الأرواح قد كان قبل خلق عالم الذرّ، وقد أجّج سبحانه ناراً وكلّف تلك الأرواح بالدخول، فمنهم من بادر إلى الامتثال ومنهم من تأخّر عنه ولم يأت به، فمن هناك جاء الإيمان والكفر ولكن بالاختيار، فلمّا أراد سبحانه أن يخلق لتلك الأرواح أبداناً تتعلّق بها لكلّ نوع من الأرواح نوعاً مناسباً له من الأبدان كان جعل للأرواح الطيّبة أبداناً مثلها وكذا للأرواح الخبيثة، فيكون ما صنع بها سبحانه جزاءً لذلك التكليف السابق. نعم، لمّا مزج الطينتين أثّر ذلك المزج في قبول الأعمال الحسنة وضدّها، انتهى كلامه رفع مقامه.

[كلام العلامة الميرزا حبيب الله الخوئي]

وقال السيّد المحقّق المدقّق فقيه عصره وفريد دهره العلّامة الوجيه الحاج ميرزا حبيب الله العلوي الموسوي قدّس سرُّه[1] في المجلّد الأوّل من مجلّدات «شرح نهج البلاغة» في شرح

---

١. السيد حبيب الله بن محمد بن هاشم بن عبد الحسين الهاشمي العلوي الموسوي الخوئي (١٢٦٨ ـ ١٣٢٤)، له ←

قوله عليه السلام: «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقَهم وعلى تبليغ الرسالة إمامتَهم لمّا بدّل أكثرُ خلقه عهدَ الله إليهم... إلى قوله عليه السلام: فبعث فيهم رسله وواترَ إليهم أنبيائه ليستأدّوهم ميثاقَ فطرتِه ويذكّرهم منسيّ نعمتِه» الحديث ذكرناه بتمامه في ذكر الأخبار.

قال السيّد رحمه الله: وقوله عليه السلام: لمّا بدّلَ أكثرُ خلقِه عهدَ الله إليهم؛ يعني إذ بدّلَ أكثرُ الخلق عهدَ الله وميثاقَه المأخوذ عليهم في باب التوحيد والمعرفة والنبوّة والولاية حسبما أُشير إليه في الآية الشريفة والأخبار المتواترة. قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية.

قال أكثر المفسّرين وأهلُ الأثر: إن أخرج (إنّ إخراج) ذرّية آدمَ من صلبه كهيئة الذّر فعرضهم على آدمَ وقال: إنّي آخذُ على ذرّيتك ميثاقَهم أن يعبدوني ولا يُشركوا بي شيئاً وعليَّ أرزاقُهم. ثمّ قال: ألستُ بربّكم؟ قالوا: بَلى شهدنا أنّك ربّنا! فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا.

وقيل: إنّ الله جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمون ثمّ ردّهم إلى صلب آدمَ والناس محبوسون بأجمعهم حتّى يخرج كلّ من أخرجه في ذلك الوقت، وكلٌّ من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأُولى، ومن كفر وجحد فقد تغيّر على الفطرة الأُولى. وردّ المحقّقون هذا التفسير بوجوهٍ كثيرةٍ تنيف على عشرةٍ، ومنهم المرتضى رضى الله عنه وقد شدّد النكير على ذلك في كتاب «الغرر والدرر»، قال بعد ذكر الآية...[1] وذكر كلامَه الذي نذكره إن شاء الله في خاتمة الكتاب.

وقال بعده أقول: أمّا ما ذكره السيّد رحمه الله من عدم انطباق ظاهر الآية بما حملوها عليه من وجود عالم أخذ الميثاق وإخراج ذرّية آدم من صلبه كالذّر فمسلّمٌ، لكن يتوجّه عليه أنّ ما ذكره من الوجهين في تأويل الآية أيضاً كذلك، بل مخالفته الظاهر فيهما أزيد

← شرح كبير على نهج البلاغة سمّاه «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة»، طبع في المطبعة الإسلامية بطهران سنة ١٣٤٨ ش. كما طبع في ٢١ مجلدا مرات عديدة، وبالاوفسيت بدون تاريخ. يراجع: طبقات أعلام الشيعة: ٣٦٢/١٤، الذريعة: ١٥٧/٢٣.

١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٤٤/٢ ـ ١٤٥.

منها في الوجه الذي ذكروه مع عدم شاهدٍ على واحدٍ منهما في شيءٍ من الأخبار! وأمّا إنكار أصل هذه القضيّة والحكم باستحالته بما ذكره من دليل العقل فلا وجهَ له، ولا يُعبَأ بالدليل المذكور قِبال الأخبار المتواترة المفيدة لوجود ذلك العالم، بل قد وقع في الأخبار الكثيرة تفسير الآية أيضاً، والاستقصاء فيها موجبٌ للإطناب المُملّ، إلّا أنّا نذكر شطراً منها تبرّكاً وتوضيحاً واستشهاداً، منها: ما رواه عليُّ بن إبراهيم، وذكر ستّة أحاديثٍ من أحاديث المسألة.

وقال بعده: وبالجملة فقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّ المراد من العهد المأخوذ عن الخلق الذي بدّلوه هو الميثاق المأخوذ عليهم لله بالربوبيّة ولرسوله صلى الله عليه وآله بالنبوّة وللأئمّة عليهم السلام بالولاية، وكذلك المراد بالحقّ في قوله عليه السلام: «فجهلوا حقّه» هو الحقّ اللازم على العباد من المعرفة والتوحيد، كما يشهد به روايةُ معاذ بن جبل التي مضت في ثاني التذنيبات من رابع فصول الخطبة، قال: كنت رفقتُ النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا معاذ! هل تدري ما حقّ الله على العباد؟ يقولها ثلاثاً، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حقّ الله عزّ وجلّ على العباد أن لا يشركوا به شيئاً... إلى آخر ما مرّ هناك.

ويحتمل أن يكون المراد به الأعمّ ممّا ذكرنا ومن الفروعات، ويشعر به ثالث الجملات المعطوفة من قوله: واتّخذوا الأنداد؛ أي الأمثال معه... إلى أن قال: وقوله عليه السلام: ليستأدّوهم ميثاقَ فطرته، إلى قوله: ويروهم آيات القدرة، إشارةٌ إلى الغاية من بعث الرّسل والثمرة المترتّبة على ذلك وهي على ما ذكره خمسٌ.

والمراد من ميثاق الفطرة هو ميثاق التوحيد والنبوّة والولاية، كما يشهد به ما رواه الصدوق في «التوحيد» بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير مولى أبي جعفرٍ عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]، قال: التوحيد، ومحمّدٌ رسول الله، وعليٌّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما وآلهما).

وعن ابن مسكان، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام: أصلحك الله! قول الله عزّ

---

١. الروم: ٣٠.

وجلّ في كتابه: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾؟ قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنّه ربّهم، قلت: وخاطبوه؟ قال: فطأطأ رأسه ثمّ قال: لولا ذلك لم يعلموا مَن ربّهم ولا مَن رازقُهم.

وعن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام وفطرهم الله حين أخذ ميثاقَهم على التوحيد، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ وفيهم المؤمن والكافر، والمراد بالنعمة في قوله عليه السلام: «ويذكّروهم منسيّ نعمته» إمّا النعمة التي منَّ بها على العباد في عالم الذرّ والميثاق حسبما مرّ، أو جميع النِّعم المغفول عنها، والأوّل هو الظاهر نظراً إلى ظاهر لفظ النسيان، انتهى[1].

وقال رحمه الله في الفصل السادس عشر في قوله عليه السلام «مأخوذاً على النبيّين ميثاقه»:

أقول: قد عرفت في الفصل الرابع عشر عند شرح قوله عليه السلام: لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم ما دلّ على أخذ ميثاق جميع الخلق على توحيد الله تعالى ونبوّة محمّدٍ صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمّة عليهم السلام في عالم الميثاق، وينبغي أن نذكر هنا بعض ما يفيد أخذ ميثاق النبيّين بخصوصهم سلام الله عليهم. ثمّ ذكرَ جملةً من الأخبار، فراجع[2].

[كلام السيد شرف الدين النجفي]

وقال السيّد العلّامة المتبحّر النقّاد السيّد شرف الدِّين النجفي قدّس سرُّه في «تأويل الآيات»[3] على ما في «كنز الفوائد» المنتخب من الكتاب:

---

١. منهاج البراعة: ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠.

٢. المصدر السابق: ٢/ ١٦٥.

٣. وهو كتاب (تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة) للسيد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي الغروي تلميذ المحقق الكركي المتوفى ٩٤٠، ينقل فيه عن كنز الفوائد للشيخ الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ وعن مصادر أخرى. وقد نقل عنه شيخنا المؤلف في كتابه هذا في عدة موارد. طبع بتحقيق حسين استاد ولي، ضمن منشورات مؤسسة النشر الإسلامي بقم، سنة ١٤٠٩ هـ وطبعته مؤسسة الإمام مهدي عليه السلام في قم سنة ١٤٠٧ وهي الطبعة المعتمدة عليها في تخريجاتنا هنا. راجع عنه الذريعة: ٣/ ٣٠٤.

تنبيهٌ على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من النبيّين والمرسلين حيث ثبت من طريق المؤالف والمخالف أنّ الله سبحانه سمّاه أمير المؤمنين وأمّره على ذرّية آدمَ وهم ذرٌّ وأقرّوا له بذلك، والأمير أفضل من المؤمّر عليه، وأنّ اللّام في المؤمنين للاستغراق فيعمّ جميع المؤمنين ومن جملتهم الأنبياء والمرسلين، لقوله تعالى في سورة الصّافات عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وعن إبراهيم: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، وعن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، وعن الياس: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾، فهؤلاء من الأنبياء المرسلين منهم ثلاثةٌ أُولوا العزم نوح وإبراهيم وموسى، ومنهم هارون وإلياس أنبياء مرسلون، فيكون أمير المؤمنين عليه السلام أفضل لأنّ الأمير أفضل من المؤمّر عليه... الكلام[2].

[كلام الشيخ حسن بن سليمان الحلّي]

وقال الفقيه الوجيه الفاضل الجليل المتبحّر الشيخ حسن بن سليمان الحلّي[3] رحمه الله تلميذ الإمام العلّامة الشهيد الأوّل في «مختصر بصائر الدرجات»[4] لسعد بن عبدالله القمّي رحمه الله في ذيل حديث الحلّي الذي ذكرناه في كتابنا هذا تحت الآية الثالثة عشر من آيات المسألة ما لفظه:

---

١. الصافات: ٨١.

٢. تأويل الآيات: ١/ ١٨٧.

٣. الحسن بن سليمان الحلّي (... كان حياً ٨٠٢ هـ) الحسن بن سليمان بن محمد بن خالد، العالم الإمامي، عز الدين أبو محمد الحلّي المولد، العاملي المحتد.

تلمّذ على الفقيه العلَم الشهيد الأوّل محمد بن مكيّ العامليّ (المتوفّى ٧٨٦ هـ)، فأجاز له ولجمع من العلماء في سنة (٧٥٧ هـ). وكان محدثاً جليلاً وفقيهاً نبيهاً، زاهداً، عابداً. راجع ترجمته في موسوعة طبقات الفقهاء: ٩٤/٤ والمصادر التي ذكرت في هامشها.

أقول: له «رسالةٌ في أحاديث الذرّ» ذكرها له أصحاب التراجم في عداد مؤلفاته.

٤. (مختصر بصائر الدرجات في مناقب السادات) اختصر الحلي فيه كتاب بصائر الدرجات وضم إليه أخبار أخر من كتب ذكرها بأسمائها لكن جلّ ما فيه مأخوذ من البصائر وبمجرد ذلك لا يصح نسبة هذا الكتاب إلى سعد بن عبد الله وجعله من الكتب المؤلفة في عصر الأئمة عليهم السلام كما نبّه عليه شيخ المفهرسين في الذريعة: ٢٠/ ١٨٢.

يقول عبد الله وفقيره ومسكينه حسن بن سليمان المدّعي محبّةَ الله ومحبّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهلَ بيتِه عليهم السلام وإن لم يكن معه بيّنةٌ؛ قوله عليه السلام «فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء»[1] ظاهره الجبر، وليس هو المراد ممّا ثبت وتحقّق من مذهب آل محمّدٍ عليهم السلام لكونه ينافي الثوابَ والعقابَ.

والجواب عن هذا الظاهر: أنّه صلى الله عليه وآله عنى الأمر الباطن الذي جرى في علم الله عزّ وجلّ فما يؤولُ أمر خلقِه إليه ويختم لهم به، وكان سببه طاعةَ من أطاعه ومعصيةَ من عصاه في بدء الخلقة وهم ذرٌّ، كما بيّن عليه السلام وشرح في الحديث، ولا يلزم من إخباره بهذا العلم الذي علّم الله تعالى إيّاه وأظهره عليه وحدّثه عليه السلام به وانتقل من الغيب إلى الشهادة ومن السرّ إلى العلانية رفع القدرة والاختيار عن المكلّفين، فإنّ التكليف إنّما هو جارٍ على الظاهر دون الباطن الذي هو في علمه سبحانه وتعالى، وإن[2] أمرنا بتصديقه والإذعان له، انتهى[3].

وقال الشيخ الأجلّ المذكور في موضعٍ آخر من الكتاب ما لفظُه:

ذكر لي أنّ بعضَ الناس أشكلَ عليه ما في هذا الحديث من قوله «قبض قبضةً فقال: إلى الجنّة ولا أُبالي، ثمّ قبض قبضةً وقال: إلى النار ولا أُبالي»، وقال: كيف يجوز أن يخلقَ قوماً للنار في أصل الخلق ثمّ يكلّفهم طاعتَه وتركَ معصيتِه؟ وهل هذا إلا ينافي العدلَ وهو منزّهٌ عنه سبحانَه؟

اعلم: أنّ كلام آلِ محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يردُ عليه اعتراضٌ أبداً وإنّما يقع لعدم فهم السامعِ بقصدهم وما عنوا به، وقد جاء في حديثهم: إنّ الأرواح خُلِقت قبل الأبدان بألفي عامٍ وأمرها سبحانه وتعالى بالإقرار له بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام ولأهل بيته عليهم السلام بالإمامة، فمنهم مَن أقرّ بقلبه ولسانِه، ومنهم مَن أقرّ بلسانه دونَ قلبِه، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

١. توجيه هذا الحديث الشريف نذكره في المطلب الرابع على وجهٍ لا مزيدَ عليه (منه رحمه الله).

٢. وفي الأصل: فإن أمرنا، فصححناه على المصدر.

٣. مختصر بصائر الدرجات: ١٥١.

طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1]، ثمّ أمر الفريقين بدخول النار فدخل من أقرَّ بقلبه ولسانِه، وقال الذي أقرَّ بلسانه: يا ربِّ خلقتنا لتحرقنا! فثبتت الطاعة والمعصية للأرواح من ثَمَّ.

ثمّ إنّه سبحانه لمّا أراد دخول الأجساد خلق طينةً طيّبةً وأجرى عليها الماءَ العذبَ الطيّبَ وخلق من صفوها أجسامَ محمّدٍ وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم، وخلق طينةً خبيثةً وأجرى عليها الماءَ المالحَ الخبيثَ، ومزج الطينتين لمقتضى حكمتِه ولطفِه وعَرَكَها عركَ الأديم... إلى أن قال: وهذا في الأبدان خاصّةً دونَ الأرواح، فالقضيّة المذكورة في الحديث كان في الأبدان التي هي قالب الأرواح المؤمنة والكافرة وهي تبع الأرواح في الخلق وفي التكليف والمعاد، فليس في الحديث إشكالٌ مع هذا[2].

[كلام الميرزا محمد قاسم الأردوبادي]

وقال الفقيه الوجيه حجّة الإسلام الميرزا محمّد قاسم بن محمّد تقي الأردوبادي[3]، نزيل النجف الأشرف والمدفون بها المتوفّى سنة ١٣٣٣ قدّس سرُّه، في تأليفه المسمّى بـ«الشهاب المبين في إفناء الجاحدين والمارقين»[4]، الموجود نسخته عندنا، ما محصّله:

ومن القصص المذكورة في الكتاب الإلهي القرآنِ المجيد قصّةُ عالمِ الذّر والميثاقِ المأخوذ على الأرواح البشريّة، وقد ذكره الله تعالى في عدّة آياتٍ، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا

---

١. آل عمران: ٨٣.

٢. مختصر بصائر الدرجات: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

٣. أبو القاسم الأردوبادي (١٣٣٣ ـ ١٢٧٤ هـ) محمد قاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم بن عبد علي بن الحسن الأردوبادي، التبريزي النجفي، المشتهر بأبي القاسم. نسبته إلى «أردوباد» مدينة تقع على الحدود بين آذربايجان والقفقاز، قرب نهر أرس. كان فقيها إماميا، عالما كبيرا، أديبا، شاعرا، من مراجع التقليد. ولد في تبريز وتوفي في همذان في طريقه إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام، ونقله ولده العلامة الأديب المشهور الميرزا محمّد علي إلى النجف الأشرف ودفن في إحدى حجر الصحن الشريف. ترجم له صاحب الاعيان في كتابه (٢/ ٤١٠) و عدّ ٥٢ من مؤلفاته.

٤. قال في الذريعة (١٤/ ٢٥٥): الشهاب المبين، فارسيٌ في بيان إعجاز القرآن والنبوة الخاصّة وذكر المعجزات، للميرزا أبي القاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم الأردوبادي النجفي المتوفى سنة ١٣٣٣، كان عند ولده العلامة الميرزا محمد علي الأردوبادي المتوفى في غرة صفر سنة ١٣٨٠، وقد طبع في تبريز.

مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ...﴾ الآية[1]، صرّح فيها بأخذ الميثاق على الأنبياء وخصّ خمساً منهم بذكر أسمائهم لفضيلتهم على غيرهم، وقدّم نبيّنا في الذِكر لكونه أسبقَهُم وأوّلَهُم قبولاً للميثاق الإلهي.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾[2] الآية، ظاهر هذه الآية كسابقها يدلّ على وحدة اجتماع الأنبياء في الخطاب الإلهي وأخذ الميثاق عنهم مجتمعاً بخطابٍ واحدٍ، ويشهد بذلك ما في آخر هذه الآية الشريفة من قوله تعالى: ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾. فانّه ظاهرٌ جليٌّ في وحدة اجتماعِهم في الخطاب الإلهيّة وأخذِ الميثاق منهم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ الآية، وهذه الآية بظاهرها تدلّ على المراد، وقد تواترت الأخبارُ الموافقةُ لهذا الظاهر، وكلّها صحيحةٌ عند القدماء وبعضها صحيحٌ وآخر موثّقٌ على اصطلاح المتأخّرين. وقد أنكر هذا الموضوع الثابت بالكتاب والسنّة من أهل التفريط من غرّه رأيَه الكاسد واستدلّ على قوله الفاسد بأنّ أخبار المسألة مرفوعةٌ أو موقوفةٌ، وأوّل بفاسد قولِه كتابَ الله عن ظاهره.

ثمّ ذكرقدّس سرُّه ما يستفاد من كلام السيّد المرتضى قدّس سرُّه وناقش فيه وأجاب عنه بما يوجب ذكره الإطالة، وقال بعد ذلك ما ملخّص معناه:

إنّ هذا ما أورده أهلُ التفريط، وأمّا أهلُ الإفراط فإنّهم قائلون بأنّ الله تعالى نثرَ الحقائقَ البشريّةَ أمامَ علمه، واستنطقهم بألسنة قابليّتِهم واستعداد ذواتِهم، ونصب الدلايلَ عليهم وأعطاهم من العقل ما يدعوهم إلى الإقرار بالله، فكأنّهم خُوطبوا بعقولهم بخطاب ﴿أَلَسْتُ بِربِّكُمْ﴾ وأجابوا بألسنة عقولِهم ﴿بَلَى﴾، وهذا بمنزلة الإشهاد من بني آدم على أنفسهم. وليس المراد من الآية إلّا هذا التمثيل والتنزيل وإلّا ليس في البين قولٌ واستنطاقٌ ومخاطبةٌ ومسائلةٌ.

---

١. الأحزاب: ٧ـ٨.

٢. آل عمران: ٨١.

ويكفي في بطلان هذا التأويل وفساده بأنّه تكذيبٌ على ظاهر القرآن والأحاديث الكثار، حيث قد صرّح فيها بمخاطبة الله تعالى مع أصحاب اليمين والشمال من الذرّات البشريّة وتكليفهم بدخول النار، وتعجيل أصحاب النار في الطاعة واستبطاء أصحاب الشمال عنها، واستقالتهم عمّا فعلوا واستنابتهم واعتذارهم مرّةً بعد أُخرى، وأمثال ذلك ممّا لا يتصوّر فيه إلّا الحقيقة ولا يتمّ التمثيلُ والتنزيلُ فيه ولا يحصى فسادُ مثل هذه الكلمات، وليس هذا في الحقيقة الاستبداد وعدم الإطاعة لأهل بيت العصمة عليهم السلام، فالنمط الأوسط هو القول بما يوافق ظاهرَ الآية وصريحَ الأحاديث.

ومن الآيات الدالّة على المراد قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[1]، ثمّ ذكر وجه الاستدلال بهذه الآية على ما يستفاد من الأخبار.

[كلام العلامة قطب الدين الإشكوري]

قال العلّامة الحجّة قطبُ الدِّين محمّد ابن الشيخ علي بن عبدالوهاب الأشكوري الديلمي اللاهيجي[2] في كتاب «محبوب القلوب» في ترجمة الحكيم سقراطيس:

الأرواح كانت مطّلعةً على بعض الإشراقات الشهوديّة، مقرّةً لمبدعها بالربوبيّة كما قال سبحانه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ لكنّها لأُلفها بالأبدان الظلمانيّة وانغمارها في الفواشي (الغواشي) الهيولانيّة ذهلت عن مولاها ومبدعِها، فإذا تخلّصت بالرياضة من أسر دارِ الغرور وترقّت بالمجاهدة عن الالتفات إلى عالم الزور تجد عهدَها القديمَ الذي كاد أن يندرسَ بتمادىَ الأعصارِ أو الدهورِ حصل لها الإدراكُ مرّةً ثانيةً وهي المعرفةُ التي هي نورٌ على نورٍ، ومن هذا قال شيخ كنجه في الخمسة:

---

١. الأعراف: ١٠١.

٢. المولى قطب الدين محمد ابن الملا شيخ علي الشريف اللاهيجي الإشكوري، كان من تلاميذ المير الداماد وتوفي بعد (١٠٧٥) من الهجرة، وكتابه «محبوب القلوب» قد طبع قطعة منه في شرح حالات الحكماء ١٣١٧ هـ، رتّبه على مقدمه في حقيقة الفلسفة ومقالات ثلاث: أولها في أحوال الحكماء قبل الإسلام، وثانيها في حكماء الإسلام، وثالثها في الأئمة الأطهار عليهم السلام وبعض المشايخ الأبرار، وخاتمة في ترجمه نفسه. وله أيضا كتاب آخر سماه «ثمرة الفؤاد» ذكرهما له صاحب الذريعة وترجم له، وما ذكرناه هو ملخصٌ من كلامه طاب رمسه (الذريعة: ٢٠/١٤١).

تو آن بودی که پیش از صحبت خاک	ولایت داشتی بر بام افلاک
زتو گر بازپرسند آن نشانها	نداری هیچ حرفی یاد از آنها
چو فردا بگذری زین محنت‌آباد	یقین دارم کزین هم ناوری یاد
کسی کو یاد نارد قصهٔ دوش	کند امروز را فردا فراموش[1]

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية: اعلم أنّ آدم قد يقال على آدمَ أبي البشر، وقد يقال على معنى موجودٍ في كلّ بشرٍ، وقد يقال على معنى أعمّ منهما بهذا المعنى، يقال: آدم الملكي وآدم الملكوتي وآدم الجبروتي وآدم اللّاهوتي، وبهذا المعنى ورد في بعض خطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا آدم الأوّل»[2]، وذلك لأنّ كلّ ما في عالم الطبع وعالم الكثرة فله صورةٌ ومثالٌ بنحو الكثرة والتفصيل في عالم المثال بحيث لو رآه لقال هو هو بعينه من غير فرقٍ وتميّزٍ، وله حقيقةٌ في عالم العقول العرضيّة وأرباب الأنواع، وله حقائقُ في عوالم العقول الطوليّةِ بنحو أتمّ وأبسط ممّا في هذا العالم. ويعبّر عمّا في تلك العوالم بالذّر. وكلّما وجد في ما فوق عالم الطبع فكلّه علمٌ وشعورٌ وسمعٌ وبصرٌ ونطقٌ، بخلاف ما في هذا العالم فإنّ شعوره وسمعه وبصرَه ونطقَه بآلاتٍ متمايزةٍ ليس في موضع السمع بصرٌ ولا في موضع البصر سمعٌ ونطقٌ... إلى أن قال:

وبعدما علمت أنّ الأشياء كلّها خصوصاً ما فوق عالم الطبع بالنسبة إلى الله تعالى كلّها علمٌ وشعورٌ وسمعٌ وبصرٌ ونطقٌ، لا يبقى لك التأمّل في أنّ الإشهاد والإسماع والإقرار كلّها على حقائقها اللّغويّة، بل الأحقّ بحقائقها هو ما فيما فوق عالم الطبع، فلا حاجةَ لك إلى تأويلات المفسّرين وتكلّفاتهم ومجازاتهم أن تقولوا كراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3] يعني أشهدناكم وحملناكم على الإقرار هناك لكي تستقلّوا بالتكليف وتتنبّهوا بالربوبيّة، فلا تكونوا غافلين تابعين ولا معلّقين سوء فعلكم على غيركم.

---

١. منظومة خسرو وشيرين للنظامي الكنجوي: بخش ١٠٠ (در ياد كردن زندگي پس از مرگ)، والشطر الآخر منه (بدل ما في المتن): تواند كرد امشب را فراموش.

٢. مشارق أنوار اليقين: ٢٦٨، منهاج البراعة شرح نهج البلاغة لميرزا حبيب الله الخوئي: ٣٢٣/١٩.

٣. الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣.

[استفتاءات من العلماء في خصوص عالم الذرّ]

ما يقول شيخنا وملاذنا آية الله دامت بركاته السنيّة في موضوع عالم الذّر والميثاق المأخوذ على الذّرات البشريّة لله بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليّ عليه السلام بالولاية، هل الأدلّة المنقولة من الكتاب والسنّة تساعد القولَ به أم لا؟ وهلَّ ينبغي إنكاره بالجملة وعدم الالتزام به ولو في الجملة؟

منّوا علينا بالجواب تؤجروا، جُزيتم عن الإسلام وأهله خيراً.

بسم الله الرحمن الرحيم.

ما ورد في الكتاب والسنّة في هذا الخصوص لا يجوز ردّه وإنكاره ولو قصرت العقول عن إدراكه بردّ علمه إلى الله وإلى رسوله وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، والله العالم.

محمّد حسين الغروي النائيني ٢٨ دي ١٣٥٣

حجّة الإسلام أدام الله تعالى بركاته،

چه ميفرمائيد در موضوع عالم ذر، هل الأدلّة عن الكتاب والسنّة تساعد على القول به أم لا؟ بيّنوا تؤجَروا جُزيتم عن الإسلام وأهلِه خيراً.

بسم الله الرحمن الرحيم.

نعم تساعد عليه الأدلّة من الكتاب والسنّة، ولعلّ ثبوته في الجملة من المسلّمات، والله أعلم.

حرّره الجاني محمّد حسين الإصبهاني

حجّة الإسلام متّع الله تعالى المسلمين بطول بقائكم،

چه ميفرمائيد در موضوع عالم ذرّ هل الأدلّة من الكتاب والسنّة تساعد القولَ به أم لا؟

مُنّوا علينا بالجواب، جُزيتم عن الإسلام وأهلِه خيرَ الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم. نعم تساعده الأدلّةُ من الكتاب والسنّة في الجملة، ولعلّه يُعدّ في هذه الأعصار من الضروريّات.

الأحقر علي الجنّتي الشيرازي

ما يقول شيخنا الأجلّ حجّة الإسلام دامت بركاتُ وجودِه في موضوع عالم الذّر والميثاقِ المأخوذِ بخطاب الله تعالى على الذرّات البشريّة لله تعالى بالربوبيّة ولمحمّدٍ صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليٍّ عليه السلام بالولاية، هل الأدلّة النقليّة من الكتاب والسنّة تساعدُ القولَ به أم لا؟ وهل يصلح إنكارُه والردّ عليه بالجملة وعدم تصديقه ولو في الجملة؟ بَيّنوا تُؤجروا، جُزيتم عن الإسلام وأهله خيراً.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الأدلّة النقليّة من الكتاب والسنّة تدلّ على وجود عالمِ الذرّ في الجملة، فلا يصحّ إنكارُه كليّةً والردّ عليه جملةً، والله سبحانه أعلم بحقائق مخلوقاتِه وعوالم إبداعاتِه ومتشابه آياتِه.

محمّد الحسين آل كاشف الغطاء

[جملة من كلام العلماء نظماً في عالم الذرّ]

أقول: هذه جملةٌ من قسمة المنثور من كلمات العلماء الأجلّة، وأمّا ما ورد في المسألة نظماً من العلماء الإماميّة رضوان الله عليهم ومن سائر أطباق الفريقين فهي كثيرةٌ جدّاً، نستروحُ بذكر جملةٍ منها.

قال السيّد المحقّق الجليل الفقيه الوجيه العلّامة الحجّة شيخ الأجلّة السيّد صدر الدِين محمّد الموسويّ العامليّ البغداديّ الإصفهانيّ النجفيّ[1] الخاتمة قدّس الله سرّه:

١. السيد صدر الدين الموسويّ العاملي (١١٩٣ ـ ١٢٦٣) من أعلام الامامية البارزين في الفقه و الحديث والرجال والعلوم العربية، كان رحمه الله بالاضافة إلىٰ مقاماته العلمية أديبا شاعرا ناثرا بالعربية والفارسية وله شعر كثير مبعثر في المجاميع المخطوطة (تراجم الرجال: ١/ ٥٠). ترجم له شيخ المفهرسين آقا بزرگ الطهراني في الكرام البررة: ١٦٧ و ذكر له «القصائد الكثيرة» في الذريعة: ١٧/ ٨٧.

عـــليٌّ بشـــطر صـفاتِ الإلهْ حـبيبٌ وفـيكَ يَـدورُ الفَـلَكْ
فَــلولا الغــلُوّ لكـنتُ أقـولْ جـميعُ صـفاتِ المُـهيمن لكْ
ولمّـــا أرادَ الإلهُ المــثال لنـــفي المـثيلِ لهُ مَـثّلكْ
فَمِن عـالَمِ الذّرِ قـبلَ الوجـود لقــولِ «بـلى» اللهُ قَـد أهّـلكْ
وقَـد كـنت عـلّةَ خـلقِ الوَرى من الجنّ والإنسِ حتّى المَلَكْ
وعـلّمتَ جـبريلَ ردَّ الجَـوابْ ولولاك فـي بـحرِ قـهرٍ هـلَكْ

وقال العلّامة النحرير الأجلّ الفقيه الوجيه الأُصولي العارف الحكيم المحقّق النقّاد الحاجّ ميرزا حبيب الله ابن الحاج ميرزا هاشم الموسوي الإصفهاني الخراساني طيّب الله مضجعه في مدح مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

چون خرد بر كف، قلم در مكتبِ عالم گـرفت
دل رموز آمـوزى از اسـرارِ لايُـعلَم گـرفت
در مــعلّم خــانهٔ تـعليمِ اَسـما، عـقلِ پـير
كودک آسا بر دهان انگشتِ لااَعـلَم گـرفت
بر سماوات و زمين حملِ امانت عرضه شـد
از گران بارىّ امرش، پشتِ گردون خم گرفت
از حجابِ قدس، نورش در سراى انس تافت
دستِ فيضش دامنِ خاک از گِـلِ آدم گـرفت
صوتِ «إنّي جاعلٌ» در هفت بندِ نـاى چـرخ
دم دميد و شش جهت آواز زير و بم گـرفت
نغمهٔ «قالوا بَلىٰ» رجع الصَـدا شـد از اَلَست
كوسِ وحدت از زمين تا قُبّهٔ اعـظم گـرفت
داد مـنشور خـلافت را چـو تـوقيع وجـود
نـام آدم زيب طُـغراى «لقـد كـرّم» گـرفت
دستِ عهدش عهد از موسى بن عمران مى‌ستد
پاى امرش نغمه از عيسى بن مريم برگرفت

الغرض از جـمله ذرّات جـهان دستِ اَلست

عــهدهٔ عـهد تـولّای عـلی مـحکم گـرفت

بـــا تـــمام انـــبیا هـــمراه بـود اما نـهان

شد عیان چون نور احمد در جهان پرچم گرفت

وقال في قصيدةٍ أُخرى في مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مطلعها:

روی تو که قـبله صـلاة است　　　مجموعهٔ عـالم صـفات است

إلى أن قال:

نـوشد ز لب تـو کـوثر آن کس　　　کز خطّ تو در کَفَش بـرات است

عـــهدی ز اَلست بـا تـو بسـتم　　　آن عـهد هـمیشه بـاثبات است

أقول: رأيت ديوان هذا العلّامة العارف في النجف الأشرف، وقد ذكـرنا تـرجـمته فـي كتابنا «صرعى الحقائق»[1] الذي كتبناه في شهداء علماء الشيعة، ونقلنا شطراً وافياً من شعره الجيّد العذب.

وقال الشيخ الفاضل الأديب الأريب الشيخ جـابر الكـاظمي تـغمّده الله بـرحـمته فـي تخميس القصيدة الهائيّة الأزريّة[2]:

أنا في جُنّةٍ تحصّنتُ في الذّرْ　　　بـــولائي لآلِ طــه وحــيدَرْ

فإذا الكونُ كلُّه جاشَ بـالشرْ　　　ما أُبالي ولو أُهيلَتْ على الأر

«ض السماواتُ بعد نيلِ ولاها».

ومنه:

مُرسَلٌ كـلُّ مُـرسَلٍ فـيه بشَّـرْ　　　وبـــه بـــارئُ البـــريّةِ أخـبَرْ

---

١. ليس له كتاب بهذا العنوان و أظنه اسما آخر لكتاب شهداء الفضيلة الذي صنّفه في تراجم الشـهداء مـن عـلماء الشيعة. هذا ولم أجد ترجمة للمذكور له في شهداء الفضيلة.

٢. تخميس الأزرية في مدح النبي والوصي والآل صلوات الله عليهم أجمعين لناظمها الشيخ كاظم الأزري رحمه الله وقد تقدم أبيات منها مكررا في هذا الكتاب وتخميسها للأديب الأريب الشيخ جابر الكاظمي عليه الرحـمة، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٧٠ هـ. ترجم لهما العلامة الشيخ محمد رضا المظفر قدّس سرُّه في مقدمته على الكتاب.

وَلَكَمْ حِينَ خَلْقِ آدمَ والذّرّ نَوّهَتْ بِاسمِهِ السماواتُ والأرْ
«ضُ كما نَوّهتْ بِصُبحِ ذُكاها»

ومنه:

غـمرتْ كـفُّه العـوالم بـالدّرّ حيث عـمَّتْ بِجُودِها البَحْرَ وَالبَرْ
فهي مَجْرىٰ النَداءِ مِن عـالم الذّرّ أنـمُلٌ عـاشتِ السـماواتُ والأرْ
«ضُ ومَن فيهما على جَدواها»

وقال شيخنا المفضال الأجلّ علَمُ العلم والأدب العلّامة «ميرزا محمّد علي ابـن الشـيخ حجّة الإسلام ميرزا قاسم الأردوبادي» وقد أنشدني شعره هذا في بلدة تبريز:

أبـا حسـنٍ إن يـجحدوك فـطالما بمنتثر الحـصباء عِـيْضَ عـن الدّرِ
ألم يكـفهم خـمُّ الغـدير مـنصّةً على سالف الميثاق في عـالم الذَّرِ

وقال دامتْ بركاتُه في قصيدةٍ رائيّةٍ طـويلةٍ قـالها يـمدح بـها شـهداءَ عـلماءِ الشـيعة المذكورين في كتابنا «شهداء الفضيلة» المؤلَّف في تاريخ حـياة شـهداء عـلماء الإمـاميّة رضوان الله عليهم:

وقُل فِيهمُ ما شِئتَ مـن فَـخرٍ لَـهُم وما شئتَ مِن أمرٍ فَحَدّثْ عَن البَحرِ
ومـا نـزلوا للـموت وَهْـناً وإنّـما حَداهُمْ له الميثاقُ فـي عـالمِ الذّرِ
هـنالِك إذْ جـاؤوا بـعَهدٍ مـؤكّدٍ فَلم يُلْفَ مِنهُمْ بـعدَه وَجْـهُ مُـزْوَرِّ

وقال الأديب الأريب مالك أزمّة البلاغة الشيخ صالح التميمي[1] في قصيدةٍ يمدح بها أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام:

نَـبأٌ والعـظيم قـال عـظيم ويـل قَـومٍ لم يُـغْنها الإنـباءُ
لم تَكُنْ في العُموم مِنْ عالَم الذّر ويَـنْهَىٰ عَـنِ العُـمُومِ النّـهاءُ

---

١. صالح بن درويش بن علي الكاظمي النجفي الحلي البغدادي المعروف بالشيخ صالح التميمي، أديب ناثر ناظم، المولود في الكاظمية والمدفون بها سنة ١٢٦١. ترجم له الشيخ آقابزرگ في الكرام البررة ص ٦٥٣ و ذكر ديوانه في الذريعة: ٥٨٧/٢/٩. وله ترجمة في أعيان الشيعة: ٣٦٩/٧، وفي شعراء الحلة للخاقاني: ١٤٢/٣، وفي المسك الأذفر للآلوسي: ١٤٨.

وقال الأديب الفاضل الفريد عبدالباقي الموصلي العمري الأموي[1] في مدح النبيّ صلى الله عليه وآله:

كُنتَ شيئاً وآدمٌ لم يكن شَيْ   فَحَويْتَ الأسرارَ بالنَّشْر والطَّيْ
وقديماً تقسّمت قِسْمَةُ الفَيْ   لك ذات العلومِ مِنْ عالَمِ الغَيْ

«ب ومنها لآدم الأسماء»

سِرُّ إيجادِ عالَمِ الذّر أنتا   مضمراً بين الكاف والنون كُنْتا
منذ قالوا بلى إلى أنْ وُلِدْتا   لم تَزَلْ في ضمائر الكون تُخْتا

«رُ لَكَ الأُمّهاتُ والآباءُ»

وله في قصيدةٍ أُخرى رائيّةٍ:

باسلٌ للهدى لَهُ وَثَباتُ   وعلى الحقِّ وَقْفَةٌ وثَباتُ
ظاهراتٌ وتارةٌ مضمراتُ   خَلَواتٌ مِنْ بَعْدِها جَلَواتُ

«علته الإظهار والإضمارا»

عالم الذّر إذ أجابَ بِسُرْعَهْ   مُلْقِياً نَحْوَ دَعْوةِ الربِّ سَمْعَهْ
ذلك الحبرُ شَرفَ اللهُ وَضْعَهْ   نُقطةُ الباءِ مِن بَلى كانَ في عَهْ

دِ أَلَسْتُ فأيّد الإقرارا»

كعبةُ البيتِ قابَلَتْهُ بِلِيْنِ   إذ رأتْهُ لها أجَلَّ قَرينِ
ذلك الركن ذو المقامِ المَكينِ   المنادى يا قِبلَتي قابِليني

«بسحورٍ فَقابلتهُ اختيارا»

وله أيضاً:

بِمِرآةِ وَجْهِ الحبِّ لي قد تشخّصَتْ   هياكلُ أفرادِ الوجودِ بِأسْرِها
فقرّت بها عيني وأصبحت شاخصاً   إليها وقد عزّ التفاتي لغيرِها

---

[1] أقول: لم يكن أُمويّاً بل كان من ذريّة عاصم بن عمر بن عبدالخطّاب، وهو عبدالباقي بن سليمان بن أحمد العمري الفاروقي الموصلي البغدادي (١٢٠٤ ـ ١٢٧٨) أديب شاعر مؤرخ، ولد بالموصل و انتقل إلىٰ بغداد وتوفي بها. له: الباقيات الصالحات أو «الترياق الفاروقي» وهو ديوان قصائده. قال العلامة الطهراني في ديوانه: يظهر منه خلوص ولائه لأهل البيت عليهم السلام (الذريعة: ٣/١١).

وفـيها تـرائـى مـا سـواهُ لنـاظري | فلم أرَ منه مـا انـطوى تـحتَ سـترِها
تـجلّت بـها حـيث انـجلت كـلّ ذرّةٍ | فـذكرت الأرواح عـالم ذرّهـا
وكـم مـن هـيولاها بـدت لي صـورة | جـعلت عـقال العـقل طـوقاً لنـحرِها
فـحيّرت الألبـاب مـنها لبـابة | قـد اتّـخذت لبّـي لفـافاً لقسـرِها

وله في قطعةٍ:

من عالم الذّر طرف العـين حـين رمـى | ومـا انـثنى عـنه قـلبٌ غـير مسـحورِ
أدارا قـدح أحـداق فـما تـركت | شـخصاً بـمان ألست غـير مـخمور
وقـد عـرت نسـمات الذّر عـربدة | لم تصح مـنها ليـوم النـفخ فـي الصـور

وقال الفاضل البارع صالح بن قاسم الحويزي النجفي الشهير بصالح حجّى المتوفّى سنة ١٢٧٥ تقريباً[١]:

يا نـبيّ الهـدى ومـا الأنـبياءُ | مـنك إلّا أرض وأنت سـماءُ
إنّـما الأنـبياء مـبدأ فَـيْضٍ | ولك الابـتداءُ والانـتهاءُ
بل بِأسماكَ سبّحوا اللهَ في الذرِّ | وفي البعثِ في صفاتك جاؤوا
عرفوا فيك بعض معنى فتاهوا | فيه لو لم يكـن بـه الاهـتداءُ

وفي آخر قـصيدةٍ نـظمت فـي حـديث الكسـاء ونسبت إلى العـلّامة الحـجّة السـيّد عدنان البحريني رحمه الله نزيل المحمّرة، غير أنّ في آخرها مـا يـعطي أنّ اسـم نـاظمها محمّد الموسوي:

لا قـدّس الله أقـواماً قـد انـحرفوا | عن الرشـاد وضـلّوا بـعد تـبيانِ
وحرمة البـيت والهـادي وعـترته | وتلك غايات أقسـامي وإيـماني
لو أجمع الناس طرّاً فـي مـحبّتهم | في الذّر لم يختلف في ذلك اثنانِ

وقال الحميريُّ في شعره المعروف:

---

١. الشيخ صالح بن قاسم بن محمّد بن أحمد الحويزي النجفي الشهير بالشيخ صالح الحجي، توفي سنة ١٢٧٥ في النجف ودفن فيها. كان فاضلا أديبا مشاركاً في العلوم الآلية و الدينية شاعراً له مطارحات مع أدباء عصره. كذا ترجمه سيد الأعيان في كتابه و ذكر نماذجاً من شعره (أعيان الشيعة: ٣٧٦/٧).

طِـبْتَ كـهلاً وغُـلاماً ورضـيعاً وجـنيناً ولدى الميثاق طيناً يـوم كـان الخـلق طـيناً

كُنْتَ مأموناً وجيهاً عند ذي العـرش مكـيناً فـي حـجاب النـور حـيّاً طـيّباً للـطّاهرينا[1]

روى ابنُ شهرآشوب في المناقب لابن حمّادٍ[2] في فضيلة عليٍّ عليه السلام:

هو الآية الكـبرى هـو الحـجّة التـي بها احتجَّ باريها على الخلقِ في الظلّ

وقال المحدّث الأجلّ شيخ الأجلّة العلّامة الحجّة الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي في ديوانه[3] في قصيدةٍ طويلةٍ في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام:

ولكم نال سؤدداً لم يُـبِنْ كُـنْهَ عُـلاه الإنشـاءُ والإنشـاءُ

والحروف التي تركّبت العلياء مـــنها عـينٌ ولامٌ ويـاءُ

كـان نـوراً مـحمّد وعـليّ فـــي ســنا آدم له لَألاءُ

أخـذ الله كـلّ عـهدٍ ومـيثاق له إذ بـــدا سَـنَاً وسـناءُ

أيّ فـخرٍ كـفخره والنـبيّونَ عـــليهم عَـــهْدٌ لهُ وولاءُ

وقال العالم المحقّق المدقّق وحيد عصره ميرزا محمّد تقي بن مـيرزا كـاظم المـتخلّص بالمظفّر الكرماني بالفارسيّة:

عـالم جـان را سـماواتـیّ و آفـاقی جـدا بود پیش از آن که این آفاق و این نه طاق بود

پیش از این عهد الست ربّ [و] میثاق بَـلیٰ رمزی از میثاق ما آن عهد و آن مـیثاق بـود

وقال الأديب البارع قبلة أهل الأدب الجواد بن محمّد بـن شـبيب النـجفي المـعروف بالشبيبي[4]:

---

١. ترجم المؤلف طاب ثراه للسيد الحميري في كتابه الغدير: ٢١٣/٢ ترجمة مبسوطة و ذكر كثيرا من أشعاره منها القصيدة الغديرية له وذكر هذين البيتين في ٢٧٧/٢، وهو في ديوان الحميري: ٢٦٥/١.

٢. راجع حول الشاعر و أشعاره في مدح امير المؤمنين عليه السلام: الغدير: ١٤٠/٤.

٣. ديوان الحرّ العاملي مرتب على ترتيب الحروف يبلغ مع بعض منظوماته إلىٰ عشرين الف بيت أكثرها في مدح المعصومين عليهم السلام. كذا قاله في الذريعة: ٢٣٣/١/٩.

٤. جواد بن محمّد بن شبيب الأسدي البطائحي النجفي البغدادي (١٢٨١ ـ ١٣٦٣) عالم شـاعر أديب ولد بـبغداد وتوفي بها ودفن بالنجف. من آثاره: ديوان شعر، تعليقة في الأصول وديوان رسائل. معجم المؤلفين: ١٦٨/٣، أعيان الشيعة: ٢٨٢/٤.

كُنتُ وَالذرّ عالَمٌ ما لَـدَيْهِ جَسَدٌ يُسْـمِعُ النّـدا أُذنَـيْهِ

قائلاً والمقالُ أصبو إليـه قد تغذّيتُ حُـبَّكُم وعـلَيهِ

شُدَّ عَظمي وابْيَضَّ في الرأسِ فَوْدِيْ

وقال العالم البارع السيّد الشريف الرضيّ محمّد بن فلاح الكاظمي في قصيدته الكرّاريّة[1]:

لله درّ أبـــي ومَـــن كأبـــي ومَـــن وُرّثْتُ مـــعرفتي بـــه وتـــبصُّريْ

«كم بات يـروي لي أحـاديثَ الولا عــن عــالَمِ الذّر الذي لم يُـنْكَرِ»

«عــن عـالم الأرواح عـمّن فَـوْقَهُ مِـمَّنْ يُـرى مـن خَـلْقِهِ المُـتَكثّرِ»

كُــلٌّ بــه أخــذ العـهودَ عـليه والْـ ـمــيثاق مــن مـاضٍ ومِـن مـتأخّرِ

وللعلّامة العلم المفرد السيّد حسين بحر العلوم[2] من قصيدةٍ في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

قــضى سـليلُ حـيدرِ الْـ كَـــرّارِ خِـيْرَةُ الخـيَرْ

قـــضى وَطَـوْعَ أمـرهِ يـــجري القَـضاءُ والقَـدَرْ

قــــضى... وكــــفّه[3] تـــزرى بـــهطّال المـطر

شــــهادة مـــن عـــالم الذّر له الله ادّخــــــــر

---

١. ترجم له المؤلف طاب ثراه في هامش كتابه شهداء الفضيلة قائلاً: كان أديباً شاعراً مفلقاً من سروات بني هـاشم وذوي كراماتهم، وله القصيدة الرائية المعروفة بـ(الكرارية) في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وهـي تـنوف على أربعمائة و ثلاثين بيتاً، ولجمعٍ كثيرٍ من علماء عصره وأدبائه تقاريظ عليها، وعندنا منه نسخةٌ و مطلعها:

نظرَتْ فَأَزْرَتْ بـالغزالِ الأحْـوَرِ وَسَطَتْ فأرْدَتْ كُلَّ لَـيْثٍ قَسْـوَرِ

٢. السيد حسين ابن السيد رضا ابن السيد مهدي بحر العلوم النجفي. (١٢٢١ ـ ١٣٠٦) كـان فـقيهاً أصـولياً أديـباً شاعراً، كفّ بصره في آخر عمره فسافر إلىٰ بلاد ايران للمداواة وزار مشهد الرضا عليه السلام فلما قارب الحضرة الشريفة أنشأ قصيدته التي مطلعها:

كم انحلتك على رغم يد الغيرِ فلم تدع لك من رسمٍ ولا أثرِ

كذا في أعيان الشيعة: ١٨/٦. وترجم له المؤلف قدّس سرّه الشريف في شهداء الفضيلة في ضمن ترجمة السيد علي نقي بحر العلوم قائلاً: أحد نوابغ الفقه و الأدب من تلمذة صاحب الجواهر، ولد سـنة ١٢٢٤ وتـوفي سـنة ١٣٠٦ حيث خرّ من أعلى السطح إلىٰ صحن داره وقضى نحبه... له شرح درّة جدّه بحر العلوم نظماً وله ديـوان شعره المعروف، رأيته بخطّ حفيده السيد حسن منضماً بديوان السيد بحر العلوم.

٣. كذا في الأصل.

وله قدّس سرُّه:

مَــلَكْتَ قــلبي بـلا مَـنٍّ ولا ثَـمَنِ فَــمُرْ أوانـــهَ بــما تَــهواهُ يَـمْتَثِلِ
إن غِـــبْتَ مُـرْتَحِلاً عـنّي فـإنّك لم تَبْرَحْ عَنِ القَلبِ فـي حِـلٍّ ومُـرْتَحَلِ
ولست أقــطعُ كـلّاً والهـوى قَسَـماً حَـبْلَ المـودّةِ إنْ تَـقْطَعْ وإنْ تَـصِلِ
وَهَلْ يَزولُ هَـوىٰ مَـن وَجْـدُهُ بِكَ لا يَنْفَكُّ بَـل لم يَـزَلْ مِـنْ عـالَمِ الأزَلِ

وله من قصيدةٍ طويلةٍ في مدح الأئمّة الطاهرين عليهم السلام:

هُــم عــلّةُ الأكــوانِ لولاهُــمْ لَــما خَــلَقَ المــصوّرُ مِـن مَـلاءٍ أو خَـلا
تــلكَ الحــقيقةُ كُــوِّنَتْ مِــن نـورِهِ فأنــارتِ الســبعَ السـماواتِ العُـلىٰ
فــي فَــتْرَةٍ مــن رُسْـلِهِ بـعثت لنـا تــحكي طــوائــفها الطّــراز الأوّلا
أسْـــماؤُها الحُسـنىٰ بـها قـد كـلّل الْ بـــاري سُــرادِقَ عَـرشِهِ فَـتَكَلّلا
وعـلى الورىٰ فَـرَضَ الولايـةَ عـندما نـــادى «ألَستُ بــربّكم قـالوا بَـلىٰ»
أفَهَلْ ترىٰ في الكـونِ مِـن مَـثَلٍ لَـهُمْ ولِـــنُورِهِ بِـــهِمْ المُــهَيمِنُ مَــثّلا

وله من قصيدةٍ في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

لا تَخفِلي اليومَ مِن خَـطبٍ يَـنُوبُ فـلي صَحْبٌ لدى الخَطْبِ تَفْدِي أنفُساً دونـي
فَـــهَلْ تَــخالِينَ خُــلّاناً لي ادّخِــرُوْا مِــن عــالَمِ الذرِّ حــاشاهُمْ يَـخُونونِي

وللشاعر الفاضل المبدع السيّد حيدر الحلّي مخمّساً قصيدة عمّه السيّد مهدي:

فمذ كنت ذرّاً قـد تـعشّقت (زيـنبا) وفـي عـالم الأصـلاب زدت تـعذّبا
وكنت بها فـي ظـلّة الرحـم مـطربا تــعشّقتها طــفلاً وكــهلاً وأشـيبا

وهما عرته رعشة الرأس والقد[1]

---

١. ديوان السيّد حيدر الحلّي (تحقيق علي الخاقاني): ١/ ١١١.

وللعلّامة الأكبر الشيخ حسين نجف[1] من قصيدةٍ مطلعها:

بِكَ العِيْسُ قَد سارَتْ إلى نحوِ مَن تَهْوىٰ ... فأضحى بساط الأرض في سيرها يُطْوىٰ

تروحُ وتَغدُو لا تَمَلُّ مِنَ السُّرىٰ ... وَما سَئِمَتْ يَوماً وَلا اتّخذَتْ لَهْوا

وحُقَّ لَها أنْ تَقطَعَ البَيْدَ كُلَّها ... وأنْ تَخرِقَ الآفاقَ تَقْطَعُها عَدْوا

تَؤُمُّ حِمَىً فِيه مَنازِلُ قد سَمَتْ ... عُلُوّاً وتشريفاً علىٰ جنّةِ المَأوىٰ

وقد ألفت من عالم الذّر ودّها ... فليس لها عنها اصطبارٌ ولا سلوى

لآية الله السيّد المفتي، السيّد عبّاس المفتي التستريّ[2] المتوفّى سنة ١٣٠٦ من قصيدةٍ طويلةٍ:

فاعمل بما قال الوصيُّ المرتضى ... (دع ذكرهنّ فما لهنّ وفاءُ)

سقياً لليلات سقيت خلالها ... عذباً وساقي الكوثر المسقاءُ

يا حسنها من خمرةٍ قد أترعت ... كأساتها فتنازع الصلحاءُ

عرضت على كلّ النفوس فعافها ... أهل الشقاء وذاقها السعداءُ

هذا حديث الذّر والعهد الذي ... قد كان فيه سعادة وشقاءُ

حتّى إذا ما أُنزلت أرواحهم ... وتكوّن الأبدان والأعضاءُ

فالناس في أمر الوصيّ تخالفوا ... ولكلّهم يوم الجزاء جزاءُ

---

١. هو الشيخ حسين ابن الحاج نجف بن محمّد التبريزي الأصل النجفي (١١٥٩ ـ ١٢٥١) المدفون في إحدى حجرات الصحن الشريف العلوي، أحد علماء عصره الأفذاذ. كان فقيها اماميا أديبا شاعرا مشاركا في العلوم. له ديوان شعر في أئمة أهل البيت عليهم السلام و لم ينظم بيتا واحدا في غيرهم. له ترجمة في: الكرام البررة: ٤٣٢/١، موسوعة طبقات الفقهاء: ٢٤٠/٣، معجم المؤلفين: ٦٥/٤.

٢. المفتي السيد عباس ـ ويقال محمّد عباس ـ ابن السيد علي أكبر ابن السيد محمّد جعفر الموسوي التستري من آل المحدث السيد نعمة الله الجزائري نزيل لكهنو (١٢١٤ ـ ١٣٠٦) صاحب التآليف المتعددة ذكرها العلامة الطهراني في الذريعة في محالها. له ترجمة مفصلة في أعيان الشيعة: ٤١١/٧ وعدّه المؤلف في الغدير: ٤٠٢/٧ من شعراء الغدير.

القصيدة[١].

للمولى محمّد باقر اللاري المتخلّص بـ «صحبت»:

لمــعات وجــهك أشــرقت وشـعاع طـلعتك اعـتلىٰ
زچــه رو ألستُ بــربّكم نـزنى بـزن كـه بَـلىٰ بَـلىٰ

بــجواب طــبل ألست او زچــه كــوس بــلا زدم
هــمه خــيمه زد بــدر دلم ســپه غـم وحشـم بـلا

پى خوان دعوت عشـق او هـمه شب زخـيل كـروبيان
رسد ايــن سـفير مـهيمنى كـه گـروه غـم زده الصـلا

مه ومهر آن مه خوب رو كه چـو زد صـلاى بـلا بـرو
بـنشاط وقـهقهه شـد فـرو كـه أنـا الشـهيد بكـربلا

هذه الأبيات لمولانا اللاري من أعلام القـرن الثـالث عشـر مـتجلّياً بـإيراد الفـصاحة والبلاغة، له أشواطٌ بعيدةٌ في الأدب العربي والفارسي شاغلاً منصّة الزعامة الروحيّة وإمامة الجماعة في لارستان، توفّي سنة ١٣٥١، توجد ترجمته في فارسنامه ناصرى: ٢٨٥/٢.

وللعلّامة الفقيه الناسك ابن العَرَنْدَس الشيخ صالح بن عبدالوهّاب الحلّي[٢] من قصيدة:

هُــمُ النــورُ نــورُ اللهِ جــلَّ جـلالُهُ ... هُمُ التينُ وَالزيـتونُ والشَـفعُ والوَتـرُ
فــــلولاهُمُ لَــــم يَــخلُقِ اللهُ آدَمَـــاً ... ولا كـانَ زيـدٌ فـي الوجـودِ وَلا بَكـرُ
ولا سُــطِحتْ أرضٌ ولا رُفـعتْ سَـما ... ولا أشرقَتْ شَـمسٌ ولا طَـلع البَـدرُ[٣]
وأســماؤُهُم مكــتوبةٌ فـوقَ عـرشِهِ ... ومكــنونةٌ مـن قـبلِ أنْ يُـخْلَقَ الذّرُ

---

١. توجد في ديوانه المطبوع ص٦ (منه رحمه الله).

٢. من شعراء القرن التاسع، ترجم له العلامة المصنف في بداية جزء السابع من موسوعته الخالدة الغدير، قـال: وله مدائح و مراثٍ لأئمة أهل البيت عليهم السلام تنمّ عن تفانيه في ولائهم و مناوأته لأعدائهم... ومن شعر شيخنا الصالح رائيةٌ اشتهر بين الأصحاب أنها لم تقرأ في مجلسٍ إلا وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه وهي... منها الأبيات المذكورة هنا في المتن.

٣. في الغدير: ولا طلعت شمسٌ ولا أشرق البدرُ.

سرى سرُّهم فــي الكـائناتِ وفـضلُهُمْ فكُــلُّ نــبيٍّ فــيهِ مِـن سِـرّهم سِـرُّ

هذه الأبيات قد اشتبهنا بكتابتها هنا وليس فيها ما يرجع إلى ما نحن فيه في المقام.

وللشيخ كاظم الكويتي مخمّساً:

نفسي بحبّ عـليّ المـرتضى افـتتنتْ فــي عــالم الذّر لمّــا للـولا قَـبِلَتْ

فأنْشَـدَتْ طَـرَباً مـن بَـعدِما وُضِـعَتْ «لا عــذّب اللهُ أُمّــي إنّــها شَــرِبَتْ

«حُبّ الوصيّ وغذّتنِيهِ باللّبَنِ»

فَأرضعَتني به فـي عـالم الزَّمـنِ بِـدَرٍّ إيـمانِها عَـطْفاً بِـلا مِـنَنِ

كانت تَهيمُ به سِـرّاً وفـي عَـلَنِ وكان لي والدٌ يَهوىٰ أبـا حَسَـنِ

«فَصِرتُ مِن ذِي وذا أهوىٰ أبا حَسَنِ»

وللزاهي أبي القاسم عليّ بن إسحاق البغدادي المتوفّى سنة ٣٥٢[1]:

يــا سـادتي يـا آلَ يـاسينَ فـقطْ عــليكمُ الوحــيُ مـن اللهِ هَـبَطْ

لولاكــمُ لم يُـقبلِ الفـرضُ ولا رحنا لبحر العفو مـن أكـرمِ شَـطّ

أنـتم وُلاةُ العـهدِ فـي الذرِّ ومَـنْ هَــواهُــمُ اللهُ عـلينا قـد شَـرَطْ

مــا أحــدٌ قـايسَكمْ بـغيرِكم ومازجَ السلسلَ بـالشرب اللـمَطْ

إلّا كمن ضاهى الجـبالَ بـالحصىٰ أو قـايسَ الأبْـحُرَ جَـهلاً بـالنُّقَطْ

ولآية الله السيّد محمّد عبّاس المفتي الشوشتري الهندي المتوفّى سنة ١٣٠٦[2] من قصيدةٍ:

تذكّرت عـهدي فـي «ألستُ بـربّكم» بـإمرته مــن بــعدما كـنت نـاسياً

أحبّ عــليّاً والأئــمّة بــعده ومــا زلتُ فــيهم للـهُمُومِ مـقاسياً

بــدور سـماء الغرّ أرفِـعْ بشأنِـهم وهــل لَــهُمُ نِـدٌّ يكـونُ مـضاهياً

وقال معتوق بن شهاب الموسوي من قصيدةٍ يمدح بها النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله في ديوانه ص ١٠ (ويتخلّص بآله):

---

١. ذكره المؤلف رحمه الله في شعراء الغدير من القرن الرابع (الغدير: ٣٩٩/٣ ـ ٣٨٨) و أورد هذه الأبيات ـ وهي في مدح مولانا أمير المؤمنين ـ له في ٣٩١/٣ من الكتاب.

٢. تقدم أبياتا أخرى له وذكرنا ترجمته قبل قليل.

ذرّيةٌ مثل ماء المُزْنِ قد طَهُرُوا وطُهِّرُوا فَصَفَتْ أوصافُ ذاتِهِمُ

أئـمّةٌ أخَذَ اللهُ العهودَ لَهُمْ على جميع الورى مِن قَبْلِ خَلقِهِمُ

قد حَقّقَتْ سورةُ الأحزابِ ما جَحَدَتْ أعداؤُهُمْ وأبانت وَجْهَ فَضلِهِمُ

لعمر بن الفارض أو لسبطه الشيخ علي من قصيدةٍ توجد في ديوان ابن الفارض ص ٧٦٠:

فها أنت نفسٌ بالعلا مطمئنةٌ وسرّكَ في أهل الشهادة ذائعُ

لقد قلت في مبدأ ألست بربّكم بلى قد شهدنا والولا متتابعُ

فيا حبّذا تلك الشهادةُ إنّها تُجادلُ عنّي سائلاً وتدافعُ

لمحيي الدِّين ابن عربي في قصيدةٍ يمدح بها المعصومينَ عليهم السلام:

وقع النداء لهم «ألستُ بربّكم» قالوا بلى وأجابت الذرّاتُ

وحياتكم من فاته من انسكم وقتاً فكلّ العمر عنه فَواتُ

وقال الفاضل المِدْرَهُ الشيخ محمّد حسن أبو المحاسن الحائري[1] في قصيدةٍ طويلةٍ يمدح بها النبيّ صلى الله عليه وآله في يوم ميلاده الشريف، أوّلها:

حبيب نفسي ومناي والوطرْ ذكرك أنسي وحديثي والسَّمَرْ

إلى أن يقول فيها:

مدحتُ في مدحِ عليٍّ أحمدا حيث هما نفسٌ بوحي وأثَرْ

انظر إلى أخوّة بينهما فهو بديع من جناس ذي خطرْ

يا أيها النور الذي قد جاءنا بالنور من آيات وحي وسورْ

بالوحي والسنة قد هديتنا يا هادياً في سور وفي سِيَرْ

وخاتماً نبوة قد بدأت قبل الورى والخلق في عالم ذرّ

وقال الفاضل الشيخ طالب شرع الاسلام[2] المترجم في كتابنا «شعراء الغدير» من قصيدةٍ

١. محمّد حسن بن حمادي بن محسن الجناجي المالكي الحائري أبو المحاسن المتوفى ١٣٤٤، أديب شاعر، ولي وزارة المعارف العراقية. من آثاره ديوان شعر كبير. معجم المؤلفين: ٩/١٨٨.

٢. الشيخ طالب ابن الشيخ أسد ابن الشيخ جعفر المعروف بشرع الإسلام، من أحلاف أمارة الجزائر جنوب العراق، ←

يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام أوّلها:

إنّ قَدْرَ الحقِ في القول عليٌ ... هو صِدّيقٌ ومعناه جليٌ

إلى أن يقول:

أخذ العهد من الخلق له ... قبل خلق الكون عند الظُّلَلِ

إنّه في عالَم الذرّ بَدا ... أخْذُ هذا العهدِ يَوم الأولِ

ان يوالوه ويرجوا نصره ... ويوالوا انسه في العملِ

أثبت النصَّ بهذا وكذا ... مفرد الاخبار بعد الجُمَلِ

تمّ اجماع الورى كلّهم ... ناشراً حقَّ إمامٍ بَطَلِ

← فاضل شاعر. ولد في النجف الأشرف و توفي عام ١٣٤٦ هـ وهو كثير النظم رائقه. ترجم له المغفور له الحاج حسين الشاكري في كتابه علي في الكتاب و السنة و الأدب: ٥ /٦٣ و ذكر أبياتا له في مدح اهل البيت عليهم السلام وفي يوم الغدير.

المطلب الرابع

في بيان قوله تعالى

﴿وَكُنتُم أزواجاً ثَلاثَةً فَأصحابُ المَيمَنَةِ ما أصحابُ المَيمَنَةِ وَأصحابُ المَشئَمَةِ ما أصحابُ المَشْئَمَةِ وَالسّابِقونَ السّابِقونَ أولئِكَ المُقرّبونَ﴾

[سورة الواقعة: ٧ ـ ١١]

إعلم ـ ثبّتنا الله في القول الثابت وجعلنا من أصحاب اليمين ـ أنّ الله تبارك وتعالى قسّم جميع عباده باعتبار ما هم صائرون إليه قسمين: صَحْبُ[1] يمينٍ وشمالٍ؛ ثمّ جعل أصحاب اليمين قسمين، واختار جمعا منهم وعرّفهم بـ «السبقة» وجعلهم بذلك أُمناء على خلقه، وشرّفهم على بريّته بروح القدس؛ فالسابقون عصبةٌ من أصحاب اليمين وطائفةٌ منهم، قد خصّهم الله بالذكر إشعاراً لسبقهم إلى طاعة الله تعالى بالدخول في نارٍ أُسعِرَت يوم الذرّ الأوّل كما سمعت فيما رويناه في المطلب الثالث تحت قوله تعالى: ﴿وَالسّابقونَ السّابِقونَ أولَئِكَ المُقَرّبونَ﴾.

ويرشدك إلى حقيقة هذه القسمة ما رواه عليُّ بنُ ابراهيمِ القميّ رحمه الله[2]: عن الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن عليّ بن الحسين العبدي، عن أبي هارون العبدي، عن ربيعة السعدي، عن حذيفة بن اليمان:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل إلى بلالٍ فأمره أن ينادي بالصلاة... (إلى أن قال صلّى الله عليه وآله): أخبركم إنّ الله تعالى خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قوله: أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين! ثمّ جعل القسمين أثلاثاً فجعلني من خيرها أثلاثاً، وذلك قوله: ﴿فَأصحَابُ المَيمَنَةِ مَا أصحَابُ المَيمَنَةِ وَأصحَابُ المَشئَمَةِ مَا أصحَابُ المَشْئَمَةِ وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ﴾، فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين!

ثمّ جعل الأثلاث قبائلَ فجعلني في خيرها قبيلةً، وذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

---

١. كذا في الأصل، والصَّحْب: جمع الصاحب مثل راكب وركب. والأَصْحاب: جماعة الصَّحْب مثل فَرْخ وأَفْراخ. كذا في لسان العرب: ١/ ٥١٩.

٢. تفسير القمي لعلي بن ابراهيم القمي: ٢/ ٣٤٧ (سورة الواقعة).

خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثىٰ وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] فقبيلتي خير القبائل وأنا سيّدُ ولدِ آدمَ وأكرمكم على الله ولا فخرَ. ثمّ جعل القبائلَ بيوتاً فجعلني من خيرها بيتاً، وذلك قوله: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهِيراً﴾[2]...» الحديث.[3]

وقد رُويَ في غير واحدٍ من الأخبار قولُهم عليهم السلام: «نحنُ السابقونَ السابقونَ ونحنُ الآخرونَ».[4]

وقد يُراد من السابقين المقرّبين المصطفين من أصحاب اليمين عليٌّ عليه السلام وشيعتُه لسبقهم إلى الجنّة وقربهم عند الله؛ ويُستفاد هذا ممّا رواه شيخُ الطائفة شيخُنا الطوسيُّ رحمه الله في «الأمالي»[5] بإسناده عن ابن عبّاس قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾

فقال صلّى عليه وآله وسلّم: قال لي جبرئيل: ذاك عليٌّ وشيعتُه، هُم السابقونَ إلى الجنّة المقرّبونَ من الله بكرامته لهم».[6]

---

١. الحجرات: ١٣.

٢. الأحزاب: ٣٣.

٣. تفسير القمي: ٣٤٧/٢ (سورة الواقعة). وعنه في غاية المرام: ١٥٣/٤ وفي بحار الأنوار: ٣١٥/١٦ ح ٥ (وفيه علي بن الحسن العبدي). أقول: في اسم أبيه خلاف. وفي المصدر: الحسين العبدي.

و رواه أيضا يعقوب بن سفيان الفسوي في كتاب المعرفة والتاريخ: ٤٩٨/١ باسنادٍ آخر، قال: حدثني يحيى بن عبدالحميد الحماني، قال: أخبرنا قيس بن الربيع عن الأعمش، عن عباية بن ربعي الأسدي، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى عليه وآله وسلّم: إن الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً وذلك قول الله:... تطهيرا، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب.

و بهذا الاسناد رواه محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام: ١٤٥/٢ رقم ٧٠.

٤. رواه ابن شهرآشوب في المناقب: ٤٠٣/٣ عن الباقر عليه السلام. وروى الصدوق في العيون: ٧١/١ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (السابقون السابقون) السابقون فيَّ نزلت. وقال العلامة الحلي: روى الجمهور عن ابن عباس قال: سابق هذه الأمة عليٌّ بن أبي طالب.

٥. الأمالي: ٧٢.

٦. قال المصنف طاب رمسه في الغدير: ٣٠٦/٢ ما إليك نصّه:

←

فالخلق أصناف ثلاثة تحت عنوانين وقسمين خلقها عليها في عالَمَي التكليف ونشأتي الخلق، وعليها يُقبَرون، وعلى المراتب الثلاثة يُبعَثون ويُحشَرون كلّ صنفٍ في مـرتبة وإن كان آحادها في كلّ مرتبةٍ متفاوتةً مع كثرتها. ويجيء بُعيدَ هذا مزيد بيانٍ على ذلك.

[بيان القسمة أثلاثاً في بعض الروايات]

ثمّ قد ورد في غير واحدٍ من الأخبار بيانُ القسمة أثلاثاً ولو كان يجمعها في الحقيقة قسماً كما عرفت؛

منها: ما رواه الثقة الجليل محمّدُ بنُ الحسن الصفّار رحمه الله في البصائر: عن عمران بن موسى بن جعفر، عن عليّ بن معبد، عن عبدالله بن عبدالله الواسطي، عن درست بـن أبـي منصور، عمّن ذكره، عن جابرٍ قال:

«سألت أباجعفرٍ عليه السلام عن الروح، فقال: يا جابر! إنّ الله خلق الخلق على ثـلاث طبقاتٍ وأنزلهم ثلاث منازلَ، وبيّن ذلك في كتابه حـيث قـال: ﴿فَأَصْحَابُ المَـيمَنَةِ مَـا أَصحَابُ المَيمَنَةِ وَأَصحَابُ المَشئَمَةِ مَا أَصحَابُ المَشْئَمَةِ وَالسّابِقُونَ السّـابِقُونَ أولئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾!

فأمّا ما ذكر من السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح القوّة وروح الشهوة وروح البدن... (إلى أن قال):

← ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۞ أُولَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. (سورة الواقعة) وإنّها نزلت في عليٍّ عليه السـلام. أخـرج ابـن مردويه عن ابن عباس: إنّها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار الذي ذكر في يس، وعلي بن أبي طالب. وكل رجل منهم سابق أمته وعليٌّ أفضلهم. وفي لفظ ابن أبي حاتم (يوشع بن نون) بدل حزقيل. وأخرج الديلمي عن عايشة، والطبراني وابن الضحاك والثعلبي وابن مردويه وابن المغازلي عن ابن عباس: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: السبق ـ وفي لفظ: السباق ـ ثلاثةٌ: السابق إلى موسى يوشع بـن نـون وصـاحب يـاسين إلى عيسى. والسابق إلى محمدٍ عليٌّ بن أبي طالب. وزاد الثعالبي في لفظه: فهُمُ الصدّيقونَ وعليٌّ أفضلهم. ورواه محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة: ١٥٧/١، والهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٢/٩، والكنجي في كفاية الطـالب: ص ٤٦ بلفظ: سباق الأمم ثلاثةٌ لم يشركوا بالله طرفة عينٍ: عليّ بن أبي طالب، وصاحب يـاسين، ومـؤمن آل فرعون. فهم الصدّيقونَ وعليٌّ أفضلُهم. ثم قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجّ به. ورواه بـاللفظ الأول الحافظ السيوطي في الدر المنثور: ١٥٤/٦، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص ٧٤، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ١١.

وأمّا ما ذكرت من أصحاب الميمنة فهم المؤمنون حقّا... (إلى أن قال):

وأمّا ما ذكرت من أصحاب المشئمة فمنهم أهل الكتاب...» الحديث.[1]

وروى الصفّارُ والكلينيُّ رحمهما الله بإسنادهما عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ياجابر! إنّ الله تبارك وتعالى خلق الناس ثلاثة أصنافٍ وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿وكُنْتُمْ أزواجاً ثَلاثَةً فَأصحَابُ المَيمَنَةِ مَا أصحَابُ المَيمَنَةِ وَأصحَابُ المَشئَمَةِ مَا أصحَابُ المَشْئَمَةِ وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ أولئِكَ المُقرّبُونَ﴾! فالسّابقون هو رسول الله صلّى الله عليه وآله وخاصّة الله من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح أيّدهم بروح القدس، فبه بُعثُوا أنبياء! وأيّدهم بروح الإيمان... (إلى أن قال عليه السلام): وجعل في المؤمنين أصحاب الميمنة روح الإيمان...» الحديث.

وروى الصفّارُ رحمه الله بإسناده عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديثٍ طويلٍ: قال عليه السلام: «إنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: [والدليل عليه كتاب الله] خلق الله الخلق على ثلاث طبقاتٍ وأنزلهم ثلاث منازلَ، فذلك قوله تعالى في الكتاب: ﴿فَأصحَابُ المَيمَنَةِ مَا أصحَابُ المَيمَنَةِ وَأصحَابُ المَشئَمَةِ مَا أصحَابُ المَشْئَمَةِ وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ أولئِكَ المُقرّبُونَ﴾. فأمّا ما ذكرت من السابقين فأنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح... (إلى أن قال): وأمّا ما ذكرت من أصحاب الميمنة فهم المؤمنون حقّاً بأعيانهم... (إلى أن قال): وأمّا أصحاب المشئمة فهم اليهود والنصارى...» الحديث.[2]

[تفصيل الكلام في وجه هذه القسمة]

هذا! وأما وجه هذه القسمة الإلهيّة وما أوجبها وبيان عدم تأثيرها فيما يصير إليه كلّ فردٍ من آحاد الفريقين فلابدّ فيه من بيان تفصيل يُفَصَّل به الحقّ:

اعلم أنّ الله تبارك وتعالى لمّا لا يضيع عملَ عاملٍ من ذكرٍ أو أنثى، ولا يخلو الانقياد

١. بصائر الدرجات: ٤٦٧ ح ٥.

٢. بصائر الدرجات: ٤٦٩ ح ٦، وعنه في بحار الأنوار: ٢٥/ ٦٤.

والتمرّد عليه من ترتّب أثرٍ لدى حضرته ويستحقّ كلّ عاملٍ بالطاعة والمعصية لديه ما يقتضيه فعله من القرب والبعد والشرافة والذلّ وعلوّ المنزلة والانحطاط والكرامة والإهانة؛ ﴿فَمَنْ يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1]!

وهذا أمرٌ يختصّ لعالَمٍ دون عالمٍ، فاستحقّ المطيعون لله في عالم الأظلّة والمقرّون بربوبيّته والموالون لمعرّفيه في الخلق الأوّل بانقيادهم وطاعتهم الكرامة والتفضيل والتشريفَ وتأهّلوا بتبجيلٍ وتجليلٍ من الله تعالى، كما استوجب إنكار المنكرين وتمرّد المستكبرين للإهانة والخفّة عليهم. وقد عرفت في المطلب الثالث أنّ فضل الأنبياء وأوصياهم على غيرهم وتفضيل بعضهم على بعضٍ وأمثال ذلك من فضائلهم السنيّة وتشريفاتهم الإلهيّة كلّها من جهة استحقاقهم العملي وأهليّتهم الكسبيّة في الذرّ الأوّل.

ولا يخفى عليك أنّ آثار الأعمال كما تترتّب بعد تحقّقها في الخارج كذلك يجوز ترتيب الأثر عليها قبل تحققها وإتيان المكلّف بها إذا علم تحقّقها بَعدُ؛

وهذا المعنى معهودٌ متعارفٌ بين الناس يستحسنه العقلُ السليم! ألا ترى أنّ الرجل بعد علمه ـ بل ظنّه بل احتماله ـ لقابليّة واحدٍ من وُلده واستعداد فوزه في مستقبله إلى ما يحبّه ونيله إلى ما يُرضيه يفضّله على سائر ولده ويعطيه الامتياز بين أولاده، ويخصّه بإعزازٍ وإكرامٍ دون اخوانه، ويصطفيه ويختاره محلاً لحبّه وكرامته باعتبار ما يصير إليه؟! وكذلك عكس القضيّة.

فتفضيل الله أهل طاعته على غيرهم وامتيازهم عمّن سواهم بتشريفٍ وتكريمٍ الهي، وكذلك استحقاره أهل معصيته كما يكون بعد تحقّق العمل منهم، كذلك يكون قبل العمل وإتيان المكلّف به لعلمهِ الأزلي بما يصير إليه عباده من الطاعة والمعصية! فانقياد الإنسان واستكباره في الخلق الأوّل يوم أَلَست كما عرفت في المطلب الثالث ترتّب آثارهما بعد تحقّقهما، وسيجيء مزيدُ بيانٍ له.

فاعلم أنّه قد ترتّب عليهما آثارٌ قبل تحقّقهما عن المكلّفين للعلم منه تعالى بما هم صائرون إليه! ومن الآثار المترتّبة قبل تحقّق العمل عليه لعلمه تعالى به أمر الخلقة الروحيّة

---

١. الزلزلة: ٧ـ٨.

واختلاف الأفراد البشريّة فيهما، فإنّ الله تعالى اصطفى بين عباده صاحبي الولاية المطلقة بالنبوّة والوصاية، وفضّلهم وشرّفهم على من دونهم بخلق أرواحهم من كلمةٍ الهيّةٍ ثـانويّةٍ قبل الكلّ بالآف سنة، وركّبها وسكنها في الأشباح القدسيّة والمراكب النوريّة، أشباح نورٍ مخزونٍ مكنونٍ في سابق علمه تعالى الذي لم يطلع عليه نـبيٌّ مـرسلٌ ولا مـلكٌ مـقرّبٌ، المخلوق من الكلمة الإلهيّة الأوّليّة كما ورد في غير واحدٍ من الأخبار، وقد ذكرنا بـعضها فيما قبل.

وليس هذا التشريف إلّا لعلمه تعالى بعلوّ هممهم في طاعته، وسبقهم إلى الكلّ بعبوديّته، وتقدّمهم على وُلد آدمَ بالانقياد والطاعة! وكذلك تشـريف الأنـبياء فـي خـلق أرواحـهم وتفضيل شيعتهم والمطيعين لله بولايتهم ومَن أراد الله كرامته بـخلق أرواحـهم مـن طـينة عـلّيين لعـلمه تـعالى بـالطاعة والإيـمان والانـقياد مـنهم. وفـي عكسـه خـلق أرواح الجبابرة والمستكبرين عن عبادته والخارجين عن ولايته ومن أريـد هـوانـه مـن طـينة سجّين لعلمه تعالى بما هم صائرون إليه من التجبّر والعُتوّ والاستكبار عن عبادته والعصيان لدى التكليف!

وذلك نَحو تشريفٍ وتكريمٍ وإهانةٍ وتحقيرٍ قد اقـتضاه شأن كـلّ فـردٍ مـن البشـر مـن الطاعة والمعصية.

ويرشدك إلى هذا ما رواه امامُ أصحاب الحديث وشـيخُهم الصـدوق قـدّس سرُّه فـي «العلل» بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق السماوات والأرض خـلق بـحرين بـحراً عـذباً وبـحراً أجاجاً، فخلق تربة آدمَ عليه السلام من البحر العذب وشَنَّ عليها من البحر الأُجاج، ثمّ جبل آدم فعرك عركَ الأديم فتركه ما شاء الله، فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً، فـقبض قبضةً من كتفه الأيمن فخرجوا كالذرّ، فقال: هولاء إلى الجنّة! وقبض قبضةً من كتفه الأيسر وقال: هؤلاء إلى النّار! فانطلق الله عزّوجلّ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار، فقال أهـل اليسار: يا ربّ! لِمَ خَلَقتَ لنا النّارَ ولَم يتبيّن لنا ولم تبعث إلينا رسولا؟!

فقال الله عزّ وجلّ لهم: ذلك لِعِلمي بما أنتم صايرونَ إليه وأنّي سَأَبتَليكُم...» الحديث.[١]

وسبق من الأخبار ما يدلّ على هذا المعنى.[٢]

فالله تبارك وتعالى لما عَلَمِ من بعض عباده أنّه يطلب قربه بطاعته ويصدر منه ما يُرضيه ويصير إلى ما يجعل في الجنّة مثواه، وعَلِمَ من بعضٍ آخر أنّه يستكبر عن عبادته ولا يقبل ولايته ويعيش في عتوٍّ وتجبّرٍ ويصير آخر أمره إلى النّار، خلق كلّ واحدٍ من محلٍّ يليق به ويجرّه علمه إليه وينتهيه أمره ويعود إليه! فالعباد لمّا كان باعتبار أعمالهم الاختياريّة فريقٌ منهم في الجنّة وفريقٌ في السعير خلق الله تعالى لعلمه بما يصير إليه أهل كلّ فريقٍ عمّا يعود إليه وجعله أصله.

ويومي إلى هذا المعنى ما في «البصائر» و«العلل» بإسنادهما عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق فخلق ما أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنّة؛ وخلق ما أبغض ممّا أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النّار...» الحديث.[٣]

تقرير ذلك: إنّ الإنسان من حيث هو باعتبار ذاته مع قطع النظر عن صفاته وشؤون كلّ فردٍ ومزاياه الشخصيّة الكسبيّة لا تفضيلَ لواحدٍ بينهم على الآخر ولا مزيّة لأحدٍ على أخيه ولا ترجيح بينهم، والكلّ على خالقهم سواءٌ! وإنما التفضيل والمزيّة والترجيح وكون بعضهم محبوباً لله وبعضٌ آخر مبغوضاً عليه أمرٌ يُعتَبَر بالطاعة والمعصية! فيحبّ أهلَ طاعته بطاعتهم، ويبغض أهلَ معصيته بمعصيتهم؛ ومَن عَلمِهَ اللهُ تعالى أنّه يطيعه لم يبغضهُ أبداً، ومَن عرفه عاصياً شقيّاً لا يحبّه أبداً!

وهذا ما رواه البرقيُّ والكلينيُّ والصدوقُ رحمهم الله في «المحاسن» وفي «التوحيد» و«الكافي» في «باب السعادة والشقاوة» مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الله

---

١. علل الشرائع: ٤٢٥/٢ ح ٦، وعن العلل في بحار الأنوار: ٥ / ٢٤٥ وكذا: ٢١٧/٩٦.

٢. راجع ما جاء فى المطلب الثالث.

٣. الكافي: ٥/٢ ص ١٠ ح٣. وعنه في بحار الأنوار: ٩٩/٦٤ ح ١٦، علل الشرايع: ١١٨/١ ح٣. البصائر: ص ٨٠ ح ١ وفي مختصر البصائر: ص ١٦٤ و٢١٦. وأما شرح هذا الحديث الشريف فراجع: شرح أصول الكافي للمازندراني: ٢٦/٨، بحار الأنوار: ٩٩/٦٢ فللمجلسي بيانٌ ذيله، ومجمع البحرين ٩٢/٣ فقد ذكر الطريحي شرح هذا الحديث بالتفصيل فيه، فراجع إن شئت.

عزّوجلّ خلق[١] السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه، فَمن عَلِمَهُ الله سعيداً لَمْ يُبْغضهُ أبداً، وإن عَمِلَ شرّاً أبغَضَ عملَه ولَمْ يُبغضه؛ وإن كان عَلِمَهُ شقيّاً لَم يُحبّه أبداً، وإن عَمِلَ صالحاً أحبّ عملَه وأبغضه لِما يصير إليه، فإذا أحَبَّ الله شيئاً لَم يُبغِضه أبداً، وإذا أبغض شيئاً لم يحبّه أبداً!...» الحديث[٢].

فَعِلمُهُ الأزليّ بما يختاره كلّ فردٍ من البشر ويصير إليه ومعرفته محبيّه من مبغضيه اقتضى وضع كلٍّ من الفريقين فيما ينبغي ويليق به، واستدعى أن يُكرم أهلَ طاعته ويشرّفهم ويفضّلَهم على غيرهم بخلقهم ممّا يحبّ. وأوجب أن يمتاز مبغضيه بين عباده بخلقهم عمّا يبغض. فمعنى قول أبي جعفرٍ عليه السلام «فَخَلَقَ ما أحبّ ممّا أحبّ... الحديث» أنّ الله عزّوجلّ خلق أهلَ طاعته من طينة الجنّة، وأهلَ معصيته من طينة النار!

وهذا يومي إلى كون الطاعة والمعصية علّةً لاختلاف الناس في الخلقة، وموجباً لإيجادهم على نحوٍ مخصوصٍ من محلٍّ معلومٍ، دون العكس. بمعنى أن يصير إليه كلّ واحدٍ من أفراد البشر ويختاره من الانقياد والمعصية على مراتبهم فيما أوجب خلقه من محلٍّ مخصوصٍ، واقتضى إيجاده من مكانٍ معلومٍ من العلّيّين والسفليّين على حسب ما يليق به اختياره؛ لا أنّ الخلقة على نحوٍ مخصوصٍ يؤثّر في أفعال العباد ويوجب لصاحبه ارتكاب ما يصير إليه [كلّ واحدٍ من الإنسان من الطاعة والمعصية]![٣].

وكذلك الأمر في تقسيم الله تعالى الإنسان بصنفين: أصحاب يمينٍ وشمالٍ، فإنّ ما يصير

---

١. المراد من خلق السعادة والشقاوة في هذا الحديث الشريف وأمثاله خلق تقدير لا خلق تكوين، كما ورد في أفعال العباد أنها مخلوقة لله، بمعنى أنّ السعادة والشقاوة وأفعال العباد مقدّرة قبل خلق الخلق ومعلومة لله قبل ايجادهم، وقد صرّح بذلك في غير واحد من الأحاديث الشريفة ونذكر بعضها فيما يأتي، والمراد من السعيد والشقي من ختم أمره وقضى نحبه وجاءه أجله بالسعادة والشقاوة وهذا هو حقيقة الشقاوة. وأشير إلى هذا المعنى فيما رواه شيخ الحفظة رئيس المحدثين الصدوق ره في العلل بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام أنّ عليا عليه السلام قال إن حقيقة السعادة أن يختم المرء بالسعادة وإنّ حقيقة الشقاوة أن يختم المرء عمله بالشقاء... (منه رحمه الله)

٢. توحيد الصدوق: ٣٥٧ ح ٥، المحاسن للبرقي: ١/ ٢٧٩، الكافي: ١/ ١٥٢ الحديث الأول.

٣. كتب الناسخ في الحاشية: زائد.

إليه كلّ واحدٍ من الإنسان من الطاعة والمعصية استدعى هذا القسمة وجعلهم أصحابَ يمينٍ وشمالٍ؛ فما يصير إليه المطيعُ ويختاره من محاسن الأفعال أوجب له الشرافة وجعله من أصحاب اليمين وعُرِّف بهذه السمة في العوالم كلّها؛ وكذلك استكبار العاصي عن العبادة وما يصير إليه من قبايح أعماله أوجب لصاحبه الاهانة وجعله من أصحاب الشمال وعُرِّف بهذه العلامة في العوالم.

وليس في هذه القسمة الإلهيّة أثرٌ في أفعال العباد أصلاً، ولا يوجب شيئاً في مقام العمل بذرّةٍ من الذرّات فضلاً عن ترتّب تمام العمل إليها وعلّيّتها في أفعال العباد وإلجائها المكلّف وتأثيرها فيه بسلب الاختيار عنه!

وبعبارةٍ وضحى: إنّ الله تبارك وتعالى لِعِلمه السابق الأزلي بما يصير إليه عباده من القرب والبعد إليه، واطّلاعه على ما يختار كلّ واحدٍ منهم من سلوك النجدين واتّباع السبيلَين، جَمَعَ أشراف عباده وسعدائهم ـ أعني مَن علم منه الطاعة والانقياد والفوز إلى سعادة العبوديّة ـ في جهة اليمين! وجَمَعَ كلّ وضيعٍ من عباده وشقيّه ـ أعني مَن عَلِمَ منه الاستكبار عن عبادته والتجبّر والعتوّعن انقياده ـ في جهة الشمال. وعَرَّفَ سعداء خلقه وأشقيائهم وأهل طاعته ومعصيته بهذه القسمة لأهل الملكوت. وجعلها سِمَةً وعلامةً يُعرَف بها أهل الإيمان من أهل الكفر ويمتاز بها شريف عباده من وضيعهم؛ وعرّفهم بها لمعرّفيه وأهل خلافته وأولياء ولايته وأمناء دولته.

وهذا أمرٌ يرجع إلى الله تعالى وفعلٌ من أفعاله للمصالح الكونيّة خارجٌ عن عالم المكلّفين، ولا ربطَ له أصلاً لأفعال العباد حتّى يُظَنّ أو يُحتمل تأثيره فيها.

وأنت تعرف حقيقة هذا الأمر بمثالٍ في الخارج وهو: أنّ مَلِكاً لو جمع رعاياه في صعيدٍ واحدٍ بقصد الاختبار واتّخذ البيعة عنهم وعَلِم حالاتهم قبل ذلك واطّلع على ما يصيرون إليه من القبول والردّ فجَعَلَهم بمقتضى عِلمِه لدى أخذ البيعة صفَّين وصنفَين، وجَمَعَ مَن اعتقد منه الانقياد في جهة يمينه، ومَن اعتقد تمرّده في جهة يساره، وعَرَّفَ بذلك أصحاب كلّ فريقٍ لأولياء أموره وحفظته وحكّامه وخدّامه؛ ووَجَدَهم كما اعتقد وقَسَّم؛ وبايَعَه جميعُ مَن كان في يمينه، واستكبر عن بيعته كلّ من كان في يساره.

فهل يُظَنّ أو يُحتَمل في أمر المَلك هذا وجَعلِهِ رعاياه بمقتضى علمه صفَّين تأثيراً فيما

صاروا إليه وإيجاباً لخروجهم عن الاختيار؟!

فالقسمة الإلهيّة ليست إلّا كذلك! فإنّ تقسيم الله عبادَه بصنفين وجعلَهم صفَّين تحت عنوانينَ أصحاب يمين وشمال في مقام أخذ البيعة والميثاق لا تأثيرَ له أصلاً في أعمال العباد وأفعالهم؛ وإنما هو سِمَةٌ وعلامةٌ عَرَّفَ الله تعالى بها أهلَ طاعته ومعصيتِه لأهل ملكوته وحَفَظَة سرّه وخلفائه وأولياء أموره. وعرّف لهم أهل طاعته بقوله: «هؤلاء إلى الجنّة»! وأهل معصيته بقوله: «هؤلاء إلى النار»! كما سمعت في حديث صادق أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين.

[الدليل العقلي والنقلي على هذا المطلب]

ولا يخفى أنّ هذا الأمر إنما يستحسنه العقل، ويراه من لوازم تعريف الإلهي ومقتضى شؤون الربوبيّة ومقامات الإلهيّة! إذ لولا هذه القسمة وجعل الله عبادَه باعتبار حالاتهم وما يصيرون إليه فريقين وجمعه أهلَ طاعته تحت عنوانٍ وأهلَ معصيتِه تحت عنوانٍ آخرَ وتعريفه أهلَ كلّ فرقةٍ بعنوانٍ واحدٍ جامعٍ بكلمةٍ واحدةٍ لأهل ملكوته وملائكته؛ ومن أراد تعريفهم إليه مع من يجمعه كلّ واحدٍ من عنوانين، فكان يلزم على الله حينئذٍ في مقام تعريف أهل طاعته ومعصيته لِمَن أراد تعريفهم إليه تعريف كلّ واحدٍ واحدٍ من أفراد البشر والإخبار عن حالات كلّ أحدٍ والإعلام عن حقيقة آحاد كلّ فريقٍ بأنّه «هذا إلى الجنّة» و«هذا إلى النّار»! ولو لا ذلك النحو من التعريف لكان يستدعي كلّ فردٍ فردٍ من الناس تعريفاً خاصّاً على عدد الرّؤوس!

فما اختاره تعالى إنما هو أحسن أنحاء التعريف وهو أكمل السّمات والعلامات. وبهذه السمة والعلامة يُعرَف حقيقةُ أمر عبادِه في جميع عوالمهم من الخلق الأوّل والنشأة الحاضرةِ والقيامةِ الكبرى وغيرهما كما لا يخفى! فمن عرّف الله تعالى عباده إليه من أهل الملك والملكوت والغيب والشهود يعرفهم بهذه السمة والعلامة.

[أحد عشر وجهاً في بيان المراد من «اليمين» و«الشمال»]

هذا! وأمّا المراد من اليمين والشمال الذينَ قسّم الله تعالى بهما عباده، وفرّقهم بهما فريقَين، وعيّن بهما فريق الجنّة والنار، وعرّف بهما أهل طاعته ومعصيته لمن أراد تعريفهم إليه من

البشر والمَلك في العوالم والنشآت ففيه أحد عشر وجهاً ممّا قيل ويمكن أن يقال:

الأوّل: إنّ المراد من أصحاب اليمين والشمال «أصحاب اليُمن والشُّوم» لِكون السعداء ميامينَ على أنفسهم بطاعتهم، والأشقياء مشائمَ عليها بمعصيتهم! ومن هنا تُسمّي العرب اليدَ اليُسرى «الشومى» والجانبَ الأيسر «الأشأم» فاليُمن كأنّه ما جاء عن اليمين، والشوم ما جاء عن الشمال. وقيل: منه «اليَمَن» و«الشام» لأنّهما عن يمين الكعبة وشمالها.

ويقرب هذا الوجه بقرينة قوله تعالى: «وأصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة».

الثاني: إنّ المراد جهة العلوّ والسفل على سبيل التمثيل؛ لأنّ العلوّ أشرفُ من السفل، كما أنّ اليمينَ أشرفُ من الشمال؛ فأهل الشمال من دَبَّ إلى جهة السفل، وأهل اليمين من دبّ إلى جهة العلوّ، وإن شئت قلت في التعبير: أصحاب المُلك والملكوت، أو أصحاب الروح والجسم.

الثالث: إنّ المراد من أصحاب اليمين هُم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، ومن أصحاب الشمال الّذين يعطون كتبهم بِشمائلهم؛ فمن أوتي كتابه بيمينه فهو مؤمنٌ والجنّة مأواه، ومن أوتي كتابه بشماله فالنّار موعده ومثواه.

الرابع: إنّ المراد من أصحاب اليمين هُم الذين يُؤخَذ بهم ذاتُ يمينٍ إلى الجنّة؛ وأصحاب الشمال هُم الذين يُؤخذ بهم ذاتُ شمالٍ إلى النّار.

هذا الوجه ذكره أكثر أصحاب التفسير، وقال بعضهم في مقام تحقيقه [ما هذا لفظه]:

إنّ العالَم بتمامه كشخصٍ واحدٍ، لأنّ وجوده ظلّ وجود الحقّ، فله وحدةٌ طبعيّةٌ جمعيّةٌ هي ظلٌّ لموجده الحقّة الإلهيّة، وله روحٌ واحدٌ هو الروح الأعظم والعقل الأوّل المشتمل على مجموع الأرواح الكليّة العقليّة اشتمالاً عقليّاً؛ وله كالإنسان جانبان:

أحدهما: جانب اليمين، وفيه الملكوت الأعلى، وهي المدبّرات العُلوية المتعلّقة بالبرازخ النوريّة، وفيها جنّة السّعداء، ومن ملائكتها من يسوقون عباد الله إلى رضوانه. ومنهم كُتّاب حسناته يكتبون صحائف أعمالنا الحسنة وهم الملائكة العلّيّون وبأيديهم كتاب الأبرار ﴿إنّ كتابَ الأبرار لفي عِلّيّين﴾ (المطفّفين:١٨).

والكتابة عبارةٌ عن تصوير الحقائق؛ والكُتّاب هم المُصَوِّرون الناقشون؛ والصحيفة هي

محلّ التصوير والنقش؛ وكذا القلم هو واسطةٌ بين يمين الكتّاب [الكاتب] والكتابة؛ فالمراد من الكاتب هيهنا جوهرٌ ملكوتيٌّ فعّالٌ عُلويّ؛ ومن القلم قوّته العلميّة المصوّرة، ومن الصحيفة نفوسنا الناطقة الخالية عن النقوش في أوّل الفطرة.

ولا شكّ أنّ هذه الكتابة لا يمكن أن يشاهدها أحدٌ بهذه الحواسّ الكَدِرَة الترابية البالية، لأنّها مكتوباتٌ غيبيّة وقعت في عالم الغيب، لكن أكثر الناس لا يؤمنون بالغيب ولا يعتمدون ولا يثقون إلّا بوجود المحسوس بإحدى هذه الحواسّ.

وثانيهما: [جانبُ] الشمال، وفيه الملكوت الأسفل وهي المدبّرات السفليّة سَدَنَة البرازخ الظلمانية؛ وفيها جحيم الأشقياء؛ ولها طائفتان من الملائكة كما في الأوّل: إحديهما السائقة لأهل النّار إلى النّار، والثانية الكاتبة لأعمال السيّئات للفجّار، لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1]. والطائفة الأولى منهما هي ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمَرون؛ والطائفة الثانية هي ملائكةٌ بأيديهم أقلامٌ من النّار يكتبون المعاصي والشرور وأقوال الكذّابين وأهل الزور في صحائفَ لائقةٍ للاحتراق بالنّار لما فيها من الأخبار الكاذبة والكلمات الواهية الباطلة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَيٰكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وهذا الوجه قريب المأخذ ممّا ذُكر أوّلاً، وذلك لأنّ المراد من أصحاب اليمين وأصحاب الشمال على الأوّل كلُّ من أوتي كتابُه بيمينه وكلُّ من أوتي كتابُه بشماله؛ والمراد منهما على الأخير كلّ من كان مَآلُه إلى الملكوت الأعلى وجنّة السعداء مع العلّيّين، وكلّ من كان مآله إلى الملكوت الأسفل وجحيم الأشقياء مع أهل السجّين! ولا شبهة في أنّ من أوتي كتابُه بيمينه كان حشره إلى ملائكة جانب اليمين والعلّيّين، ومن أوتي كتابُه بشماله أو من وراء ظَهره كان معذَّباً بأيدي سَدَنَة النّار وزبانية الجحيم المعذّبين لأهل النكال وأصحاب الشمال، وكان في طبقات السجّين مع زمرة الشياطين.

---

١. سورة ق: ٢١.

٢. المطففين: ٧ ـ ١٠.

فالمآل في الوجهين [الوجه الأوّل والرابع] واحدٌ، انتهى كلامه.[١]

ولا يخفى عليك ما في هذا التحقيق من التأمّل!

الخامس: إنّ المراد من أصحاب اليمين هم الذين يعملون الحسنات، وأصحاب الشمال هم أهل السيّئات؛ لكون حسنات الإنسان مكتوبةً بيد مَلَكٍ في يمين الإنسان، وسيّئاته مكتوبةً بيد ملكٍ في يساره؛ ومنه يُنسب الفعل المحمود الحسن إلى اليمين، والفعل المذموم القبيح إلى الشمال.

السادس: إنّ المراد من أصحاب اليمين والشمال أصحاب يمين آدمَ أبي البشر عليه السلام وشماله باعتبار الخلقة. ويُستفاد هذا الوجه ممّا في الكافي بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «فلمّا اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذرّ من يمينه وشمالِه...» الحديث.[٢]

والضمير يرجع إلى آدمَ عليه السلام، وقد ذُكرَ في صدر الحديث.

وفي العلل: عن أبي عبدالله عليه السلام: «فلمّا أراد أن ينفخ فيه الروح أقامه شبحاً فقبض قبضةً من كتفه الأيمن فخرجوا كالذرّ فقال: هؤلاء إلى الجنّة! وقبض قبضةً من كتفه الأيسر وقال: هؤلاء إلى النّار! فأنطق الله عزّوجلّ أصحاب اليمين وأصحاب اليسار...» الحديث.[٣]

والعياشي: عنه عليه السلام في حديثٍ طويلٍ نذكره في محلّه ان شاء الله: «ثمّ قبض قبضةً من كتف آدم الأيمن فذرأها صُلب آدمَ فقال: هؤلاء في الجنّة لا أبالي ولا أُسئَل عمّا أفعل في هؤلاء...» الحديث.[٤]

السابع: إنّ المراد منهما أصحاب يمين الجبرئيل وشماله باعتبار وصف الخلقة. فمن خُلقَ من الطينة التي كانت في يمينه فهو من أصحاب الجنّة، ومن خُلِقَ ممّا كان في شماله فهو أهل النّار.

ويُستفاد هذا الوجه ممّا رُوي في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ

---

١. لم أقف على قائله!

٢. الكافي: ٢/ ٧، وعنه في بحار الأنوار: ٦٤/ ١١١ ح ٢٢.

٣. علل الشرائع: ٢/ ٤٢٥ ح ٦ وعنه في بحار الأنوار: ٥/ ٢٤٥ ح ٣٥.

٤. تفسير العياشي: ١/ ١٨٢ رقم ٧٨.

الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيلَ في أوّل ساعةٍ من يوم الجمعة، فقبض بيمينه قبضةً بلغت قبضتُه من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وأخذ من كلّ سماء تربةً. وقبض قبضةً أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عزّوجلّ كلمتَه فأمسك القبضةَ الأولى بيمينه والقبضةَ الأخرى بشماله، ففلق الطين فلقتين فذرأ من الأرض ذرواً ومن السماوات ذرواً، فقال للّذي بيمينه: منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته. فوجب لهم ما قال كما قال. وقال للّذي بشماله: منك الجبّارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه وشقوته. فوجب لهم ما قال كما قال...» الحديث.[1]

الثامن: إنّ المراد من أصحاب اليمين أصحابُ عليٍّ عليه السلام وشيعتُه.

قال المحدّث الكاشاني في تفسير «الصافي»: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ الواقعة: ٢٧. القميُّ رحمه الله قال: «اليمين أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابُه شيعتُه»[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَ أَمَّا إِنْ كانَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ﴾:

«فسلامٌ لك يا صاحبَ اليمين ﴿مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ﴾، أي: من إخوانك يسلّمون عليك! كذا قيل؛ والقميُّ يعني: من كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فسلامٌ لك يا محمّد (صلّى الله عليه وآله) من أصحاب اليمين أن لا يعذّبوا»[3].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: يا عليّ! هم شيعتك فسلم وُلدك منهم أن يقتلوهم!»[4].

---

١. الكافي: ٢ / ٥.

الفلق: الشق والفصل. والذرو: الإذهاب والتفريق.

وللمحدث الكبير المولى محمّد باقر المجلسي قدّس سرُّه في كتابه مرآة العقول و كذا في بحار الأنوار (٨٧/٦٤) بيانٌ لهذا الحديث نقل في هامش أصول الكافي: ٢ / ٥، كذا لصاحب الميزان في تفسيره الشريف: ٣٠٧/٧ فراجع إن شئت.

٢. تفسير الصافي: ٥ / ١٢٢.

٣. تفسير الصافي: ٥ / ١٣٠ ـ ١٣١.

٤. الكافي (الروضة): ٨ / ٢٦٠ ح ٣٧٣ عن أبي عبدالله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعن الروضة في تفسيري البرهان: ٤ / ٢٨٥ ونور الثقلين: ٥ / ٢٢٩، وذكره الفيض مرسلا في تفسير الأصفى: ٢ / ١٢٦١.

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَتْ رَهينةٌ إلّا أصحَابَ اليَمِينِ...﴾[١]: والقميُّ رحمه الله قال: اليمينُ أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه شيعتُه.[٢]

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحابُ الشِّمالِ مَا أَصْحابُ الشِّمالِ...﴾: القميُّ قال: الشمال أعداءُ آل محمّدٍ صلوات الله عليهم وأصحابُهم الذين والوُهم في سَمومٍ وحميمٍ[٣].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَ أمّا إنْ كانَ مِنَ المُكذِّبينَ الضّالِّينَ﴾: يعني: أصحاب الشمال، وإنّما وصفهم بأفعالهم زجراً عنها، وإشعاراً بما أوجب لهم ما أوعدهم به.

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في حديثٍ: «فهؤلاء المشركون»، والقميّ: أعداء آل محمّدٍ صلّى عليه وآله وسلّم.[٤]

وفي تفسير فرات بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إلّا أصْحَابَ اليَمِينِ﴾: عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام قال: «هم شيعتُنا أهلَ البيت».[٥]

وفي الكتاب: بسنده عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «شيعةُ عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام ـ وَالله ـ هم أصحاب اليمين»![٦]

أقول: إرادة نفس عليٍّ عليه السلام من اليمين وإرادة أعدائه من الشمال وجهه واضحٌ لا

---

١. المدثر: ٣٨ـ٣٩.

٢. الصافي: ٥ / ٢٥٠.

و في نورالثقلين: ٥ / ٤٥٨ ح ٢٤ قال: في تفسير عليّ بن إبراهيم: وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: (وكلّ شيء بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين) قال: اليمين أمير المؤمنين وأصحابه شيعته.

٣. الصافي: ٥ / ١٢٥.

٤. الصافي: ٥ / ١٣١. الأصفى: ٢ / ١٢٦١. القمي: ٢ / ٣٥٠. (الكافي: ٢ / ٣٠، قطعة من حديث ١ عن أبي جعفر عليه السلام) والآيات في سورة الواقعة ٩٠ إلى ٩٢.

٥. تفسير فرات الكوفي: ٥١٣ وفيه: حدثني عبيد بن كثير معنعناً عن أبي جعفر محمّد بن عليٍّ عليهما السلام في قوله: «كلُّ نفسٍ... اليمين» قال: هم شيعتنا أهل البيت. ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ٢ / ٣٨٩ عن طريق عثمان بن أبي شيبة، عن عنبسة العابد، عن جابر، عن مولانا أبي جعفر عليه السلام.

و رواه المجلسي في بحار الأنوار: ٧ / ١٩٣ عن كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة.

٦. تفسير فرات الكوفي: ٥١٤.

يخفى، يظهر لك من الوجوه السابقة فراجع.[1]

التاسع: إنّ المراد من اليمين يمينُ عليٍّ عليه السلام والمراد من الشمال شمالُه؛ وذلك لكونه عليه السلام صاحبَ الجنّة والنّار وقسيمَهما، ومنادي الجنّة يوم القيامة ينادي عن يمينه عليه السلام، ومنادي النّار ينادي عن شماله.

وهذا ما رُوي عن أبي عبدالله عليه السلام، ورواه الصفّارُ قدّس سرُّه في «بصائر الدرجات» بإسناده، قال عليه السلام: «وإذا كان يوم القيامة وُضِعَ منبرٌ يراه جميع الخلائق يصعد عليه رجلٌ يقوم ملكٌ عن يمينه وملكٌ عن يساره ينادي الذي عن يمينه: يا معشَرَ الخلائق! هذا عليُّ بن أبي طالبٍ صاحب الجنّة يُدخل الجنّةَ من شاء! وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق! هذا عليُّ بن أبي طالبٍ صاحب النّار يُدخِلها من شاء»[2].

العاشر: إنّ المراد منهما أصحاب يمين رسول الله صلّى الله عليه وآله وشماله. وذلك لأخذه عن الله ديوان أهل الجنة وكتاب أسمائهم ومعرّفاتهم بيمينه، وكتاب أهل النّار وصحيفة مشخّصاتهم بشماله لما أعطاه الله تبارك وتعالى كتاب الكلّ وديوان الكلّ، لكونه نبيَّ الكلّ وإمامَ الكلّ.

ويُنبئك عن هذا ما في الباب الخامس من الجزء الرابع من «بصائر الدرجات» للشيخ الوجيه الصفّار رحمه الله بإسناده عن عبدالصمد بن بشير، قال: «ذُكِرَ عند أبي عبدالله عليه السلام بَدوُ الأذان وقصّة الأذان في إسراء النبيّ صلّى الله عليه وآله حتّى انتهى إلى السدرة، قال:فقالت السدرة[3]: ما جاوَزَني مخلوقٌ قبلك! قال: ﴿ثُمَّ دَنىٰ فَتَدَلّىٰ فَكانَ قَابَ قَوسَيْنَ أوْ أدْنىٰ فَأوحَىٰ إلىٰ عَبدِهِ مَا أوْحىٰ﴾[4] النجم. قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال قال: وأخذ [كتاب] أصحاب اليمين بيمينه ففتحه فنظر إليه، فإذا فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم؛ قال: فقال له: ﴿آمَنَ الرَّسولُ بِمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾،

١. كذا وراجع عن وجه هذا التفسير ما جاء في «مرآة الأنوار» تاليف الفتوني العاملي المطبوع في مقدّمة تفسير البرهان للبحراني.

٢. بصائر الدرجات: ٤٣٥، ومن طريقه رواه الصدوق في علل الشرائع: ١٦٤/١.

٣. المقصود سدرة المنتهى.

٤. الآيات ٨ ـ ١٠ من سورة النجم.

قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿والمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿رَبَّنَا لا تُؤاخِذْنَا إنْ نَسيْنَا أوْ أخْطَأنَا﴾، قال: فقال الله: قَدْ فَعَلْتُ! قال: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِلْنَا مَا لا طاقَةَ لَنَا بِهِ اعْفُ عَنّا...﴾ إلى آخر السورة[١]. وكلّ ذلك يقول الله: قد فعلتُ!

قال: ثمّ طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه؛ وفتح صحيفة أصحاب الشمال فإذا فيها أسماء أهل النّار وأسماء آبائهم وقبائلهم؛ قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿رَبِّ إنَّ هؤلاءِ قَومٌ لا يُؤمِنُونَ﴾! قال: فقال الله: ﴿فَاصفَحْ عَنهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوفَ يَعلَمُونَ﴾![٢].

قال: فلمّا فرغ من مناجات ربّه رُدَّ إلى بيت المعمور، ثمّ قصّ قصّة البيت والصلوة فيه، ثمّ نزل ومعه الصحيفتان، فدفعهما إلى عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام»[٣].

وفي الكتاب: مسنداً عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، قال: حدّثني أبي عمّن ذكره، قال:

«خرج علينا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وفي يده اليُمنى كتابٌ وفي يده اليُسرى كتابٌ، فنشر الكتاب الذي في يده اليُمنى فقرا: بسم الله الرحمن الرحيم كتابٌ لأهل الجنّة بأسمائهم وأسماءِ آبائِهم لا يُزاد فيهم واحدٌ ولا ينقصُ منهم واحدٌ!

قال: ثمّ نشر الذي بيده اليسرى فقرأ: «كتابٌ من الله الرحمن الرحيم لأهل النّار وبأسمائهم وأسماءِ آبائِهم وقبائِلهم لا يُزاد فيهم واحدٌ ولا ينقصُ منهم واحدٌ»[٤].

وفى الكتاب[٥]: مسنداً عن محمّد بن عبدالله قال: سمعت جعفرَ بن محمّدٍ عليه السلام يقول: «خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله النّاس، ثمّ رفع يدَه اليُمنى قابضاً على كفّه، قال: أتَدْرُون (أيها الناس)! ما في كفّي؟

قالوا: الله ورسولُه أعلم!

---

١. البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

٢. الزخرف: ٨٨ ـ ٨٩.

٣. بصائر الدرجات: ٢١٠، الحديث الأول.

٤. بصائر الدرجات: ٢١١ الباب ٥ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار: ١٤٦/١٧ ح ٤٠ و١٦/ ١٢٥ ح ٢١.

٥. بصائر الدرجات: ٢١٢.

فقال: فيها أسماء أهل الجنّة وأسماءُ آبائِهم وقبائِلهم إلى يوم القيامة! ثمّ رفع يدَه اليُسرى فقال: أيّها الناس! أتدرون ما في كفّي؟

قالوا: الله ورسولُه أعلم!

فقال: فيها أسماءُ أهل النّار وأسماءُ آبائِهم وقبائِلهم إلى يوم القيامة! ثمّ قال: حكم الله وعدل، حكم الله وعدل، فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السعير»[١].

الحادي عشر: إنّ المراد أصحابُ العقل والنفس، وذلك لكونهما في يمين قلب الإنسان وشماله؛ وإن شئت قلت: «أصحاب الرحمن والشيطان»!

توضيح ذلك: إنّ الإنسان في أصل فطرته الحاصلة من الله تعالى بحسب أسمائه المتقابلة ممتزجٌ من جهتي نورٍ وظلمةٍ، مركّبٌ من روحٍ وبدنٍ، وسرٍّ وعلنٍ.

أمّا روحه فجوهرٌ لطيفٌ نوريٌّ عُلويٌّ سماويٌّ حاصلةٌ من نفخته تعالى.

وأمّا بدنه فجوهرٌ كَدرٌ ظلمانيٌّ أرضيٌّ سُفليٌّ حاصلٌ من تركيب الأجساد وامتزاج الأضداد.

ولكلٍّ منهما شوقٌ ورغبةٌ إلى عالَمه يميل أبداً إلى مبدئه.

والقلب الملكوتيُّ الأمريُّ الإنسانيُّ واقعٌ بين الطرفين، متوسّطٌ بين النشأتين، له وجهٌ إلى البدن وقواه الجسمانيّة ووجهٌ إلى الروح وقواه الروحانيّة.

وللقلب السرّي الملكوتي قوّتان علميّتان وهو كمرآةٍ منصوبةٍ بينهما: إحديهما عن يمينه وأخرى عن شماله؛ إحديهما كالملك تسمّى به وبـ «القوّة العاقلة» وأخريهما كالشيطان

---

١. رواه الصفار في البصائر: ٢١٢ بإسناده عن إبراهيم بن هاشم، عن الحسين بن سيف، عن أبيه، قال: حدّثني أبو القاسم، عن محمّد بن عبدالله قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول خطب رسول الله...

و رواه الكلينيُّ أيضاً في الكافي: ٤٤٤/١ بإسناده عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن الحسن بن سيف، عن أبيه، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خطب... وفيه: ثمّ رفع يده الشمال.

قال الأردبيلي في جامع الرواة: ٣٩٦/١: الظاهر أن «الحسن» سهوٌ، والصواب «الحسين» بقرينة المواضع المذكورة، وعدم وجود الحسن بن سيف بن عميره في كتب الرجال. انتهى.

أقول: يمكن أن يكون المراد منه «الحسن بن سيف بن سليمان التمار الكوفي» المترجم هو وأبوه في فهرست النجاشي (رقم ٥٠٥)، ولم يذكر الكليني طاب ثراه جدّه، بل قال: الحسن بن سيف عن أبيه.

تسمّى به وبـ «القوّة الوهميّة». فيهما معلّمان ومدبّران له، هذا يأمره بالخير وينهاه عن الشرّ، وذاك يأمره بالشّر ويزجره عن الخير. ويؤثّران في قلوب بني آدم: أحدهما بالسعادة والخير، والآخر بالشقاوة والشّر. ويتأثر القلب بهما تأثّراً متضاداً يُستعار لأحدهما لفظ النور وللآخر لفظ الظلمة. ولكلٍّ منهما فروعٌ وخِدَمٌ كثيرةٌ لا يمكن حصرها.

[الإشارة إلى القوّتين في الإنسان في الأخبار الواردة]

وإلى هاتين القوّتين وقعت الإشارة في غير واحدٍ من الأخبار بألسنةٍ مختلفةٍ، منها: ما رواه شيخُ القميّين الفقيه الثقة الحِمَيريُّ في «قُرب الإسناد» بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ للقلب أُذُنين، روح الإيمان يسارّه بالخير، والشيطان يسارّه بالشرّ، فأيّهما ظهر على صاحبه غلبَه»[1].

وما رواه الثقة الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن أبي عبدالرحمن، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي ربّما حزنت، فلا أعرف في أهلٍ ولا مالٍ ولا ولدٍ! وربّما فرحت، فلا أعرف في أهلٍ ولا مالٍ ولا ولدٍ!

فقال عليه السلام: إنّه ليس من أحدٍ إلّا ومعه ملكٌ وشيطانٌ! فإذا كان فرحه كان دُنُوُّ الملك منه، وإذا كان حزنه كان دُنُوُّ الشيطان منه، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأمركُم بِالفَحشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾»[2].

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إنّ لِلشيطان لَمّةً بابن آدمَ ولِلمَلَك لَمّةً! فأمّا لمّةُ الشيطان فايعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقّ، وأمّا لمّةُ الملك فايعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحقّ، فمن وجد ذلك فليعلم بأنّه من الله فليحمد الله، ومن وجد الآخر فليتعوّذ بالله من الشيطان الرّجيم! ثمّ قرأ صلى الله عليه وآله: ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾»[3].

---

١. قرب الإسناد: ٣٣ رقم ١٠٨، وعنه في الوسائل: ٢٠/ ٣١٣.

٢. علل الشرايع: ١/ ٩٣، وعنه في مشكاة الأنوار: ٤٩٠، والآية في سورة البقرة: ٢٦٨.

٣. أورده المازندراني في شرح أصول الكافي: ٥ / ٧٠ قائلاً: ومن طريق العامة.. إلى قوله (من الشيطان الرجيم) ←

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «للشيطان لمّةٌ وللملك لمّةٌ؛ فلمّة الشيطان وَعده بالفقر وأمره بالفحشاء، ولمّة الملك أمره بالانفاق ونَهيه عن المعصية».

وفى حديثٍ آخرَ: «لابن آدمَ لَمَّتان، لمّةٌ من الملك ولمّةٌ من الشيطان»[١].

وفى الكافي: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: «لمّتان لمّةٌ من الشيطان، ولمّةٌ من الملك، فلمّة الملك الرقّة والفهم، ولمّة الشيطان السهو والقسوة»[٢].

وفى الكتاب: مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من قلبٍ إلّا وله أُذنان: على إحداهما مَلَكٌ مرشدٌ، وعلى الأخرى شيطانٌ مُفتنٌ! هذا يأمره وهذا يزجره؛ الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَولٍ إلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ »[٣].

وفى الكتاب: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ للقلب أُذنين، فإذا همّ العبدُ بذنبٍ قال له روح الإيمان: لا تفعل! وقال له الشيطان: افعَلْ! وإذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان»[٤].

← ج ١٠ ص ١٧٩، وأخرجه الترمذي في السنن: ٥/ ٢١٩ رقم ٢٩٨٨ من طبعة دار إحياء في بيروت وقال: هذا حديثٌ حسنٌ. ورواه أبي يعلى في مسنده: ٨/ ٤١٧ رقم ٤٩٩٩ ومن طريقه أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٤٠، وأخرجه النسائي في الكبرى كما ذكره المزي في تحفة الأشراف: ٧/ ٣٣٩.

و«اللّمة» الهمة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشيطان فهو من الشيطان. كذا ذكره ابن الأثير في النهاية: ٤/ ٢٧٣

١. ذكره ابن الأثير الجزري في النهاية: ٤/ ٢٧٣ وأورده عنه المجلسيُّ في بحار الأنوار: ٦٧/ ٥٠.و ذكره الطريحي في مجمع البحرين: ٤/ ١٤٢ مع شرح مفرداته.

٢. الكافي (كتاب الإيمان والكفر، باب القسوة) ٢/ ٣٣٠ ح ٣، وانظر تعليقة العلامة الطباطبائي قدّس سرُّه بهامشه.

٣. نفس المصدر (الكافي كتاب الإيمان والكفر: باب أن للقلب أذنين ينفث فيهما الملك والشيطان)، ٢/ ٢٦٦ ح ١، والآية في سورة ق: ١٧-١٨. وانظر تعليقة الحديث بهامشه (للعلمين الجليلين الفيض الكاشاني والعلامة الطباطبائي) وتفسير الميزان: ٣/ ١٨٥.

٤. نفس المصدر (الكافي، نفس الكتاب والباب): ٢/ ٢٦٧ ح ٢. وعنه في بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٠٦ ح ٣٥ + ٦٧/ ٤٤ ح ٢. قوله «وإذا كان على بطنها...» فسّره في هامش بحار الأنوار بقوله: يعني أنّ المرء إذا كان مشغولاً بالزنا نزع روح الإيمان عنه كما هو أحد الوجوه في قوله: «لايزني الزاني وهو مؤمنٌ».

وفي الكتاب: مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من مؤمنٍ إلّا ولقلبه أُذُنان في جوفه، أُذُنٌ ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأُذُنٌ ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ »[١].

وعبّر إمامُ الموحّدين أميرالمؤمنين عليه السلام عن هذا المعنى بقوله: «إنّ للقلوب خواطرُ سُوء والعقول تزجر عنها»[٢].

وتوضيح الحديث:

إنّ الخواطر المحرّكة للميل والرغبة في القلب الإنساني إلى طرف الأفعال وجهة الأعمال تنقسم إلى حسنةٍ وسيّئةٍ، أعني: ما يدعوا إلى الخير وما ينفع في الدار الآخرة ويرجع خيره إليه فيها، وإلى ما يدعوا إلى الشرّ وما يضرّ في العاقبة. وهما خاطران مختلفان يُسمّى المحمود منهما إلهاماً والمذموم منهما وسواساً. والخواطر بأسرها هي حادثةٌ، والحوادث لابدّ لها من مبدءٍ وسببٍ، فسبب خواطر الحسنة الداعي إلى الخيرات يُسمّى في لسان الشرع بالمَلك، وله يمين القلب. ومن لمّته يحصل ما يحصل منها، واللطف الذي يتهيّأ به القلب لقبول إلهام الملك ودعوته يُسمّى توفيقاً. وسبب الخواطر السيّئة الداعي إلى الشرّ يُسمّى بالشيطان! وله يسار القلب، ومن لمّته يحصل ما يحصل منها، والّذي يتهيّأ به لقبول وسوسة الشيطان يُسمّى إغوائاً وخذلاناً!

فالتعبير بـ «الخواطر» في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام تعبيرٌ عن السبب بالمسبَّب.

فالقوّتان العلميّتان جوهران مسخَّران لقدرته تعالى في تقليب القلوب وتعريفها كالأصابع المسخَّرة لقدرة الإنسان في تقليب الأجسام وتغليبها.

وإلى هذا وقعت الإشارة في الحديث النبويّ على محدّثه وآله أفضل الصلوة، قال صلّى الله عليه وآله: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرّحمن يقلّبه كيف يشاء»[٣].

---

١. الكافي: ٢/ ٢٦٧، ورواه الطبرسيُّ في المجمع: ١٠/ ٤٩٩ عن العياشي.

٢. عيون الحكم: ١٥٧، والخواطر جمع خاطر: ما يخطر بالقلب و النفس من أمر أو تدبير، والعقول تزجر و تنهى عنها.

٣. روى الصدوق في علل الشرائع: ٢/ ٦٠٥ قائلا:

فإنّه عزّ وتبارك تعالى عن أن يكون له إصبعٌ جسمانيٌ مركّبٌ من لحمٍ وعظمٍ ودمٍ أو من غيرها من الأشياء المُلكيّة والملكوتيّة! لكن روح الإصبع ومعناه واسطة التحريك والتقليب والقدرة على التغيير والتصريف، فكما أنك تفعل ما تشاء بأصابعك والله تعالى إنما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان، وبهذا جرت حكمته واستمرّت سنّته.

ولهذا الحديث الشريف النبوي وجوهٌ أخرى ليس المقام محلّ ذكرها.[1]

[التقابل بين القوتين وجنودهما في الإنسان]

ثمّ لكلٍّ من هاتين القوّتين جنودٌ وأعوانٌ وخدمٌ وقوى، وبينهما أبداً ورودٌ وصدورٌ في قلب الإنسان، يدفع ويزجر كلٌّ منهما خواطرَ صاحبه، ويريد كلٌّ منهما أن يسخّر الآخر ويستخدمه ويستعبده، ولأيّهما انفتح القلب وأجاب دعوته وغلبت خواطره يكون له الحكم والغلبة والامارة ويحصل له التوطّن والتمكّن في القلب ويحيط بالقلب المُلكيّ البشري

← حدثنا أحمد بن محمد عن أبيه عن محمد بن أحمد عن موسى بن عمر عن ابن سنان عن أبي سعيد القماط عن حمران، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا كان الرجل على يمينك على رأي ثم تحول إلى يسارك فلا تقل إلا خيرا ولا تبرأ منه حتى تسمع منه ما سمعت وهو على يمينك فان القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء ساعة كذا وساعة كذا وان العبد ربما وفق للخير.

ثم قال رحمه الله: قوله «بين إصبعين من أصابع الله» يعني بين طريقين من طرق الله، يعني بالطريقين طريق الخير وطريق الشر، وان الله عز وجل لا يوصف بالأصابع ولا يشبه بخلقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

١. والحديث أخرجه الحاكم النيشابوري في المستدرك: ٣٢١/٤ بلفظ: (القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن...) الحديث، وبلفظه رواه كلٌ من ابن ماجة في سننه: رقم ٣٨٣٤ وأحمد بن حنبل في المسند والترمذي كما في كنزالعمال: ٢٤٢/١ رقم ١٢١٦.

و الحديث روي عن النبي صلّى عليه وآله وسلّم بألفاظ متقاربة ومن وجوه مختلفة، وقد عقد ابن أبي عاصم في كتابه السنة باباً سماه (باب انّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن) وتطرق فيه إلى ذكر ألفاظ الحديث وطرق روايته، فراجع السنة: ص ٩٨ الباب ٣٩.

و في أمالي المرتضى:... الخبر المروي عن عبدالله بن عمر أنه قال: سمعت النبي صلّى عليه وآله وسلّم يقول: إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء... ثم ذكر الشريف المرتضى تأويل الخبر وما ورد بمعناه. الأمالي: ٢/٢

وراجع تأويل الخبر وما ورد بهذا المعنى (كإنّ الله يحول بين المرء وقلبه) ما ذكره العلامة الطباطبائي قدّس سرُّه الشريف في تفسير الميزان: ٤٨/٩.

الخَلقي الذي هو منبع الروح البخاري، ويحصل آثار إمارته في جميع أجزاء المملكة البدنيّة وعروق العالم الصغير ويسري حكمه فيه ويحيط سلطنته جميع رعاياه!

والقلب الأمري لصفائه ولطافته ونورانيّته الفطريّة الذاتيّة صالحٌ لقبول آثار المَلكيّة والشيطانيّة صلاحاً متساوياً، وهو كمرآةٍ منصوبةٍ يتداخل عليها الآثار المتجدّدة ويحصل فيها صورٌ مختلفةٌ متضادّةٌ بواسطة ما في يمينه وشماله مِن قوّتي العلميّة. فهو دائماً في تغييرٍ وانتقالٍ وتشكّلٍ وانفعالٍ من ورود الخواطر الحسنة والسيّئة عليه المسبِّبة من لمّة الملك والشيطان؛ فما ترى من الحسنات فهو لله تعالى وما ترى من السيّئات فهو للشيطان!

ويفيدك في المقام ما رواه الكلينيُّ رحمه الله بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «يا أيها النّاس! إنّما هو الله والشيطان، والحقّ والباطل، والهدى والضلالة، والرشد والغيّ، والعاجلة والآجلة، والعاقبة، والحسنات والسيّئات، فما كان من حسناتٍ فلله! وما كان من سيّئاتٍ فللشيطان لعنه الله...» الحديث.[1]

فإن انفتح القلب للملك وأجاب دعوته واستولت عليه الخواطر الحسنة ودفعت عنه الخواطر السيّئة الشيطانيّة وظهرت للملك غلبةٌ واستولى في المملكة البدنيّة واستقرّت له حكومتها وضاق على الشيطان مجاله وبدت آثار الحكومة العقليّة المَلكيّة الرحمانيّة في مرآت القلب وانجلت بنور العلم والمعرفة واليقين فصاحبه بشرٌ مَلَكيٌّ تسربل بالحقيقة الملكيّة وتشبّه بحكومة العقل الهياكل الملكوتيّة القدسيّة، بل هو خيرٌ منهم وهم خُدّامه!

وإن أصبح الإنسان وظهر في قلبه للشيطان غلبةٌ، وبانت الخواطر السيّئة فيه وجعله مأواه ومستقرّه، واستولى جنوده مملكة[2] البدن وسخّرها حزبه، وامتلأت بالوساوس الداعية إلى إطراح الآخرة وإيثار العاجلة، وصارت الشهوات الشيطانيّة ممتزجةً بلحمه ودمه، وغدت آثار السلطنة الشيطانيّة ساريةً في جميع أجزاء المملكة البدنيّة، وجرت حكومته فيها مجرى الدّم كما في الحديث الشريف النبويّ صلّى الله على محدّثه وآله: «إنّ الشيطان

---

١. الكافي: ٢/١٥ ح ٢، المحاسن: ص ٢٥١، وعنهما المجلسي في بحار الأنوار: ٦٧/٢٢٨ ح ٣ و ٤.

٢. في الأصل: المملكة بالألف واللام.

لَيَجري من ابن آدم مَجرى الدّم»[1] فهو بشرٌ شيطانيٌّ تشكّل بالحقيقة الشيطانيّة والصورة البهيميّة ويُحشر في صورة تحسن عندها القردة والخنازير! كما ورد في الأحاديث الشريفة.

[حصيلة الكلام]

فتحصّل أنّ الإنسان باعتبار ما يصير إليه بسبب قوّتي العلميّة ـ العقليّة والوهميّة ـ المعَبّر عنهما في لسان الشرع بالملك والشيطان ينقسم إلى فريقين: فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السّعير، وأصحاب اليمين والشمال! أصحابهما باعتبار كونهما في جانبي القلب الإنساني يميناً وشمالاً؛ واختلاف مراتب أفراد كلّ واحدٍ من فريقي الجنّة والنّار إنما هو على حسب اتّباع هاتين القوّتين؛ والإنسان باتّباعه القوّة العقليّة الملكيّة يحصل له ما يقصر عنه الملك. ويصير باقتناء المعارف الإلهيّة بحكومة القوّة العقليّة مظهراً للحقيقة الربوبيّة، فهو إذن خيرٌ من الملك، ولا يمكن للملك حلول عالمه من حضرة القدس!

وكذلك اتباع القوّة الوهميّة الشيطانيّة التي هي متبوع أصحاب الشمال وأميرهم وإجابة دعوة الشيطان، فإنّه يُخرج الإنسان عن حقيقته وينحطّه عن محلّه، ويصير إذن مظهر شيطان وأذلّ وأهون من البهائم!

ويفيد في المقام فوائد جمّة ما رواه شيخ أصحاب الحديث الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن عبدالله بن سنان قال: «سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام فقلت: الملائكة أفضل أمْ بنو آدم؟

فقال: قال أميرالمؤمنين عليُّ بن أبي طالبٍ صلوات الله عليه: إنّ الله عزّوجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوةٍ، وركّب في البهايم شهوةً بلا عقلٍ، وركّب في بني آدمَ كلتيهما؛ فمن غلب عقلُه شهوتَه فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلبت شهوتُه عقله فهو شرٌّ من البهائم!»[2].

هذا إجمال الكلام واختصار المقال بالنسبة إلى تفضيل بعض أفراد البشر على بعضٍ في الخلق الأوّل، وتشريف بعضٍ على الآخر لدى خلق أرواحهم، وتكريم جمعٍ على جمعٍ

---

١. عوالي اللآلي: ١/ ٣٢٥ ح ٦٦. (وفي آخره: فضيقوا محاربه بالجوع) وجاء في هامشه: أورده البخاري في الباب ٢١ من كتاب الأحكام وأحمد بن حنبل في مسنده: ١٥٦/٣.

٢. علل الشرايع: ١/ ٤ ح ١، وعنه في بحار الأنوار: ٥٧/ ٢٩٩ ح ٥، وسائل الشيعة (آل البيت): ١٥/ ٢٠٩.

بجعلهم أصحابَ يمينٍ وآخر أصحاب شمالٍ قبل اختبارهم بالتكليف وقبل صدور ما يوجب التفضيل والتشريف لعلمه تعالى بما هم صائرون إليه.

وأمّا تفضيل بعضِهم على بعضٍ في الخلق الثاني وإعطاء المزيّة لجمعٍ دون جمعٍ لدى الخلقة بخلق أبدان الأنبياء من طينة علّيّين وأبدان المؤمنين من دون ذلك، وأبدان الكفّار والمعاندين من طينة سجّين إنما هو باستحقاق كلِّ فردٍ وأهليّته بما تحقّق منه في التكليف الأوّل من الانقياد والاستكبار، فخُلقوا مختلفين في الطينة على حسب ما صاروا إليه في يوم الميثاق باختيارهم واقتضاء ما اختاره كلُّ واحدٍ لدى اختباره في الذرّ، ومع ذلك علمه تعالى بما هم صايرون إليه في هذه النشأة يوجب ذلك أيضاً ويقتضيه.

فما اختاره كلُّ واحدٍ من سلوك أحد النجدين واتّباع أحد الطريقين وصار إليه في التكليف الأوّل، والّذي يختاره ويصير إليه في التكليف الثاني أوجب خلقه من محلٍّ مخصوصٍ من العلّيّين أو السجّين، واقتضى إيجاده على نحوٍ خاصٍّ!

فخلق كلّ واحدٍ باستحقاقه العملي وقابليّته الذاتيّة الثابتة عليه بفعاله ممّا يليق به ويعود إليه وينتهيه أمره، والخلقة على نحوٍ مخصوصٍ من العلّيّين والسفليّين لا أثرَ لها في أفعال العباد واختياراتهم.

فكما عرفت عدم تاثير كيفيّة الخلقة الأولى وخصوصيّتها في ما صار العباد إليه في عالم التكليف الأوّل كذلك الأمرفي الخلقة الثانية بالنسبة إلى ما يصير العباد إليه في هذه النشأة الحاضرة، فإنّ خصوصيّة الخلقة في الخلق الثاني وكيفيّة الجبلّة لا تأثيرَ لها في أفعال العباد وما هم صايرون إليه في هذا العالم الموجود، ولا يستلزم شيئاً من الفساد، ولا ينافي الاختيار، ولا يوجب شيئاً من الجبر في أفعالهم.

[دفع توهّم]

فإنْ قلت: إنّ بعض الأحاديث المأثورة عن آل البيت العصمة الواردة في المقام يُشعر تأثير خصوصيّة الطينة في مقام العمل، ويُستفاد منه دخالة كيفيّة الخلقة من العلّيّين والسفليّين في أفعال العباد ويُفهَم منها إيجابها في سعادة الرجل وشقاوته وهدايته وضلالته، بل في جميع الأفعال الجزئيّة البشريّة من الحسنات والسيّئات. وممّا يُستفاد منه

هذا المعنى عشرة أحاديث.

الأوّل: ما في البصائر والكافي والعلل: بإسنادهم عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الله خلقنا من أعلى علّيين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا لأنّها خُلِقَت ممّا خُلِقنا. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلّا إنّ كِتابَ الأبرَارِ لَفِي عِلّيّينَ ومَا أدرٰيكَ مَا عِلّيُّونَ كِتابٌ مَرقُومٌ يَشهَدُهُ المُقَرَّبُونَ﴾.

وخلق عدوّنا من سجّين، وخَلَقَ قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم لأنّها خُلِقَت ممّا خُلقوا منه! ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلّا إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أدرٰيكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرقُومٌ﴾»[١].

الثاني: في البصائر والعلل: بإسنادهما عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما، قال: «إنّ الله تعالى خَلَقَ النبيّين من طينة علّيّين قلوبهم وأبدانهم، وخَلَقَ قلوبَ المؤمنين من تلك الطينة، وخَلَقَ أبدان المؤمنين من دون ذلك؛ وخَلَقَ الكفّارَ من طينة سجّين قلوبهم وأبدانهم؛ فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر، ويلد الكافر المؤمن! ومن هيهنا يصيب المؤمن السيّئة، ومن هيهنا يصيب الكافر الحسنة! فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خُلِقوا منه، وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه»[٢].

الثالث: في الكتابين والكافي: بإسنادهم عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ الله خلقنا من علّيين وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من علّيين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل تلك القرابة بيننا وبينهم قلوبهم تحنّ إلينا».

كذا في البصائر والكافي، وأمّا في العلل كذا: «فمن أجل ذلك كانت القرابة بيننا وبينهم،و من ثَمّ تحنُّ قلوبهم إلينا».[٣]

الرابع: في البصائر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى جعلنا من

---

١. علل الشرائع: ١/١١٦، البصائر: ص ٣٥، الكافي: ١/٣٨٩، تفسير القمي: ص ٧١٧، وعنه في بحار الأنوار: ٥/٢٣٥ ح ١٠. والآيات في سورة المطفّفين: ١٨ إلى ٢١ و٧ إلى ٩.

٢. البصائر: ص ٣٥ الباب ٩ ح ٥، علل الشرائع: ١/٨٢، ورواه الكلينيّ أيضاً في الكافي: ٢/٢.

٣. البصائر: ص ٣٩ ح ١. علل الشرائع: ١/١١٧ ح ١٥ وعنه في بحار الأنوار: ٥/٢٤٣ ح ٣١. الكافي: ١/٣٨٩ ح ١ وعنه في بحار الأنوار: ٥٨/٤٤ ح ٢١.

علّيّين، وجعل أرواح شيعتنا ممّا جعلنا منه، ومِن ثَمّ تحنُّ أرواحهم إلينا! وخَلَقَ أبدانهم من دون ذلك؛ وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق أرواح شيعتهم ممّا خلقهم منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، ومن ثمّ تهوي أرواحهم إليهم!»[1].

الخامس: وفي الكتاب: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ خلقنا من علّيّين، وخلق محبّينا من دون ما خلقنا منه؛ وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق محبّيهم ممّا خلقهم منه؛ فلذلك يهوي كلٌّ إلى كلٍّ»[2].

السّادس: في الكتاب: عن عليّ بن الحسين عليهما السلام: «إنّ الله عزّوجلّ بعث جبرئيل إلى الجنّة فأتاه بطينةٍ من طينتها، وبعث ملك الموت إلى الأرض فجائه بطينةٍ من طينتها، فجمع بين الطينتين، ثمّ قسّمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، وجعل شيعتنا من طينتنا، فما كان من شيعتنا ممّا يرغب بهم عنه[3]. من الأعمال القبيحة فذاك ممّا خالطهم من الطينة الخبيثة، ومصيرها[4] إلى الجنّة، وما كان في عدّونا من برٍّ وصلوةٍ وصومٍ ومن الأعمال الحسنة فذاك لما خالطهم من طينتها الطيّبة ومصيرهم إلى النّار»[5].

السابع: في الكتاب: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله خلقنا من طينة علّيّين، وخلق قلوبنا من طينة فوق علّيّين، وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك، وخلق قلوبهم من طينة علّيّين، فصارت قلوبهم تحنّ إلينا لأنّها منّا...» الحديث.[6]

الثامن: في المحاسن والكافي: عن عبدالله بن كيسان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت له: جعلت فداك! أنا مولاك عبدالله بن كيسان!

قال: أمّا النسب فأعرفه، وأمّا أنت فلست أعرفك!

قال: قلت له: إنّي وُلدتُ بالجبل ونشأت في أرض فارس، وإنّني أخالِطُ الناس في

---

١. البصائر: ص ٤٠ ب ١٠ ح ٢، وعنه في بحار الأنوار: ١٢/٢٥ ح ٢٥.
٢. البصائر: ص ٣٦ ب ٩ ح ٩، وعنه في بحار الأنوار: ١١/٢٥ ح ١٨.
٣. هكذا في النسخ الموجودة، ولكن الظاهر انه «ممّا يرغب به عنهم».
٤. والظاهر (مصيرهم) أي مصير شيعتنا.
٥. البصائر: ص ٣٧ ب ٩ ح ١٠.
٦. البصائر: ٤٤ ح ١٨. وعنه في بحار الأنوار: ٥/ ٢٤٩ ح ٤٠.

التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له منه حُسن السَّمت[1] وحُسن الخُلق وكثرة الأمانة، ثمّ أفتّشُه فأتبيّنه عن عداوتكم! وأخالط الرّجل فأرى فيه سوءَ الخلق وقلّةَ أمانةٍ وذعارةً، ثمّ أفتّشه فأتبيّنه عن ولايتكم! فكيف يكون ذلك؟!

قال: فقال لي: أما علمت ـ يابن كيسان ـ أنّ الله أخذ طينةً من الجنّة وطينةً من النّار فخلطهما جميعاً، ثمّ نزع هذه من هذه وهذه من هذه؛ فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السّمت فممّا مَسَّتْهُم من طينة الجنّة، وهم يعودون إلى ما خُلِقوا منه! وما رأيت من هؤلاء من قلّة الأمانة وسوء الخلق والذعارة فممّا مسّتهم من طينة النّار، وهم يعودون إلى ما خُلِقوا منه»[2].

التاسع: في الكافي والعلل: عن أبي عبدالله عليه السلام في حديثٍ طويلٍ يقول في آخره: «وما رأيت من نَزق أصحابك وخَرقهم فهو ممّا أصابهم من لَطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حُسن سيماء مَن خالفك ووقارِهم فهو من لَطخ أصحاب اليمين»[3].

العاشر: في العلل: عن زيد الشحّام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلقنا من نورٍ مبتدعٍ من نورٍ، رسخ ذلك النور في طينةٍ من أعلا علّيين، وخلق قلوب

---

١. قال الجزري: السمت الهيئة الحسنة، ومنه: فينظرون إلىٰ سمته وهديه أي حسن هيئته ومنظره في الدين وليس من الحسن والجمال. وفي المصباح: السمت الطريق والقصد والسكينة والوقار والهيئة. راجع بيان المجلسي ره ذيل الحديث الشريف (البحار: ١٢٢/٦٤).

٢. المحاسن: ١٣٦/١ ح ٢٠. ب ٧ (باب اختلاط الطينتين). الكافي: ٤/٢ ح ٥. شرح أصول الكافي: ٩/٨. بحار الأنوار: ٢٥١/٥ ح ٤٥ (عن المحاسن). + ج ٨٦/٦٤ ح ٩ (عن الكافي). بيان: قوله: «فلست أعرفك» أي بالتشيّع.

السمت: الطريق وهيئة أهل الجنة.

و«الزعارة» بالزاي والراء المشدّده وقد يخفف: الشراسة وسوء الخلق، وفى بعض النسخ بالدال والعين والراء المهملات وهو الفساد والفسق والخبث. «فخلطهما جميعا» أي في صلب آدم. الكافي ج ٧٢ (باب طينة المؤمن والكافر) ص ٤ ح ٥.

٣. الكافي: ١١/٢ ح ٢. علل الشرايع: ج ١ ب ٧٦ ص ٨٣ ح ٥. بحار الأنوار: ٢٤٠/٥ ح ٢٢ (عن العلل) و ١٢٢/٦٤ ح ٢٥ (عن الكافي). النزق: الخفة في كل أمر. العجلة في جهل وحمق.

الخرق: ضعف الرأي، سوء التصرف، الجهل والحمق، ضد الرفق. واللطخ: كل شيء لوث بغير لونه.

«شيم» جمع للشيمة: الخلق والطبيعة.

شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا، وخلق أبدانهم من طينةٍ دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا لأنّها خُلِقَت ممّا خُلِقنا منه، ثمّ قرا: ﴿كَلّا إنّ كِتابَ الأبْرَارَ لَفِي عِلّيّينَ وَمَا أدرَيٰكَ مَا عِلّيُّونَ كِتابٌ مَرقُومٌ يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ﴾[1].

وإنّ الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينةٍ من سجّينٍ، وخلق أبدانهم من طينةٍ من دون ذلك، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم، فقلوبهم تهوي إليهم، ثمّ قرأ: ﴿إنّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجّينٍ وَمَا أدرَيٰكَ مَا سِجّينٌ كِتابٌ مَرقُومٌ وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾»[2].

هذه الأحاديث كلّها مسندةٌ، أُطلُب السند عن أصولها المذكورة.

[الجواب]

قلنا: في هذا المعنى أخبارٌ أُخَر تفيد تأثير خصوصيّة الخلقة في أفعال العباد، وسببيّة الجبلّة فيما هم صائرون إليه؛ لكن لا يُستفاد من هذه الأخبار زائداً على إيجاب خصوصيّة الطينة ما يناسبها من الأعمال، وسببيّة كيفيّة الجبلّة ما تقتضي من الأفعال.

ومجرّد ذلك لا يوجب شيئاً من الفساد لعدم إفادتها العلّيّة.

توضيح ذلك: إنّ ما يقدح ويفسد من تأثير الطينة والخلقة في الأفعال البشريّة إنما هو إذا كان ينافي الاختيار ويوجب سلبه عن العباد في مقام العمل بأن تصير الإرادةُ تابعةً لآثار الطينة وخصوصيّة الخلقة والجبلّة؛ ولا يكون هذا إلّا إذا كانت كيفيّة الخلقة وخصوصيّة الطينة مؤثّراً في أفعال العباد على نحو العليّة دون الاقتضاء.

وأمّا إذا كان تأثيرها وسببيّتها وإيجابها على وجه الاقتضاء دون العلّيّة فلا يقدح أصلاً، إذ السبب الاقتضائي والمؤثّر على غير وجه العلّيّة يتوقّف تأثيره لعدم المانع و [وجودما] يشترط به. وهذا شرط تأثير المقتضي في جميع الأسباب الاقتضائية؛ فعلى هذا الوجه يتوقّف تأثير خصوصيّة الطينة وكيفيّة الجبلّة والخلقة لعدم إرادة المكلّف خلاف مقتضاها،

١. المطففين: ١٨ ـ ٢١.

٢. علل الشرايع: ١ / ١١٧ ح ١٤ وعنه في بحار الأنوار: ٥ / ٢٤٣ ح ٣٠. والآيات الشريفة في سورة المطففين: ٧ ـ ٩.

إذ إرادة المكلّف خلاف ما تقتضيه الطينة مانعةٌ عن تأثيرها وتحقّق آثارها، بل عدم إرادة المكلّف لمقتضى الطينة وما يناسبها مانعٌ عن ترتّب آثارها ومقتضياتها. فمادام المكلّف مريداً خلافَ ما تقتضيه الطينة لا توجب أثراً في أفعاله ويتوقّف تأثيرها على إرادة المكلّف وتوافق ما يريده باختياره مع ما تقتضيه وتستدعيه.

فبالجملة: السبب الاقتضائي والمؤثّر على وجه الاقتضاء تابعٌ تأثيره وتحقّق أثره لإرادة المكلّف، ويشترط تأثيره وإيجابه بذلك؛ وهذا لا ينافي الاختيار، ولا يوجب شيئاً من الجبر الفاسد.

[سؤال]

فإن قلت: عرفنا عدم فساد خصوصيّة الطينة والخلقة والجبلّة إذاكان سببيّتها وإيجابها في أفعال العباد على وجه الاقتضاء، دون العليّة، وسلّمنا عدم إفادة الأخبار العشرة المذكورة للعليّة، وعدم إشعارها زائداً على اقتضائيّتها، فما معنى حينئذٍ ما رُويَ في الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «لو علم الناس كيف ابتدأ الخلق ما اختلف اثنان، إنّ الله عزّوجلّ قبل أن يخلق الخلق قال: كُنْ ماء عَذباً أخْلُقُ مِنك جَنّتي وَأهل طاعَتي! وَكُنْ مِلحاً أُجاجاً أخلُقُ مِنك ناري وأهل مَعصيَتي! ثمّ أمرهما فامتزجا، فمن ذلك صار يَلد المؤمنُ الكافرَ والكافرُ المؤمنَ... (إلى أن قال): فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، وهؤلاء أن يكونوا من هؤلاء!»[1].

وفي الكتاب: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّوجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين ثمّ قبض قبضةً فعركها ثمّ فرّقها فرقَتين بيده... (إلى أن قال): فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء، ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء...» الحديث.[2]

وفي البصائر بإسناده عن فضيل بن الزبير عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «يا فضيل! أما

١. الكافي: ٦/٢ ح ١.

«ما اختلف اثنان» أي: في مسألة القضاء والقدر، أو: لما تنازع اثنان في أمر الدين. (بحار الأنوار: ٥ /٢٥٣).

٢. نفس المصدر (الكافي): ٧/٢ ح ٣.

علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّا أهل بيت خلقنا من عليّين وخلق قلوبنا من الذي خلقنا منه، وخلق شيعتنا من أسفل من ذلك، وخلق قلوب شيعتنا منه، وأنّ عدوّنا خُلقوا من سجّين وخلق قلوبهم من الذي خلقوا منه، وخلق شيعتهم من أسفل من ذلك، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقوا منه. فهل يستطيع أحدٌ من أهل عليّين أن يكون من أهل سجّين، وهل يستطيع أهل سجّين أن يكونوا من أهل عليّين...» الحديث[1].

فعدم استطاعة المكلّف خلاف ما تقتضيه جبلّته وخصوصيّة طينته كما تفيده هذه الأخبار وما في معناه يومي بظاهره إلى العلّيّة.

[الجواب]

قلنا: مجرّد عدم استطاعة العباد خلاف مقتضى الجبلّة والطينة المستفاد من الأخبار المذكورة لا يوجب عليّة خصوصيّة الطينة والخلقة في أفعال العباد، ولا ينافي الاختيار! إذ عدم الاستطاعة إلى الفعل إنما يكون على أنحاء ويتصوَّر على وجوهٍ ثلاثةٍ:

الأوّل: أن يكون الفعل بذاته محالاً ممتنع الوقوع، وعدم الاستطاعة به يكون من هذه الجهة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلا يَستَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرَاً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَستَطِيعُونَ نَصرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.[3]

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمنَعُهُمْ مِنْ دُونِنا لا يَستَطِيعُونَ نَصرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنّا يُصحَبُونَ﴾.[4]

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَملِكُ لَهُمْ رِزقَاً مِنَ السَّمواتِ والأَرْضِ شَيْئَاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾.[5]

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ لا يَسْتَطِيعُونَ

---

١. بصائر الدرجات: ٣٨ ح ١٦.

٢. سورة الأعراف: ١٩٢.

٣. سورة الأعراف: ١٩٧.

٤. سورة الأنبياء: ٤٣.

٥. سورة النحل: ٧٣.

نَصْرَهُمْ...﴾ الآية.[١]

الثاني: أن يكون لقصور واحدٍ من المقدّمات الخارجيّة التي يتوقّف عليها الفعل ويُشترَط بها في طريق الوصول إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾.[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً ...﴾.[٤]

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ...﴾.[٥]

وهذا القسم من الاستطاعة نسميّه بـ «الاستطاعة الظاهرة العمليّة». وهذا هو مناط التكليف وشرط عامّته ويتوقّف إليه جميع التكاليف بأسرها جزئيةً كانت أو كليّةً، ويقبح التكليف بدونه لدى العقل!

الثالث: أن يكون استحالة تحقّق الفعل وعدم استطاعة المكلّف إليه لعدم إرادته وقوع الفعل وتحقّقه في الخارج وعدم حضوره باختياره وتمكنّه من الفعل على إتيانه ومنع نفسه عن إقامته مع تماميّة مقدّماته الخارجيّة التي يتوقّف عليها التكليف وجمعيتّها وعدم تحمّله نفسه للعمل وعدم إلزامه نفسه إلى نحوه لغرضٍ دينيٍّ أو دنيوي، وباعثٍ عقليٍّ أو نفسيٍّ.

وهذا القسم من الاستطاعة نسميّه بـ «الاستطاعة الإراديّة الباطنيّة». وهذا متعارفٌ معهودٌ كثير الاستعمال عند الشرع والعرف؛ ألا ترى أنّ الإنسان بعد تماميّة آلات الاستطاعة الماليّة والبدنيّة ومقدّماتها لديه إذا لم يُحضر نفسَه للحجّ وإتيان العمل وأراد تركه باختياره يُنسب إليه عدم الاستطاعة ويقال: «فلانٌ لا يستطيع أن يحجّ»! وكذا يقال: «فلانٌ لا يستطيع أن يرى فلاناً»!

---

١. سورة يس: ٧٤ ـ ٧٥.

٢. سورة آل عمران: ٩٧.

٣. سورة المجادلة: ٤.

٤. سورة النساء: ٢٥.

٥. سورة النساء: ٩٨.

وذلك لكون الإنسان مجلوباً إرادتُه ولا يمكن صدور ما لا يريده عنه؛ فما دام لم يرِد فهو غير مستطيعٍ.

وقد يُستَعمل هذا المعنى كثيراً نثراً ونظماً، ومنه: قول العلامة النحرير الشيخ عيسى بن شجاع النجفي قدّس سرّه:

فَلَمْ استَطِعْ خُلفاً لأمركَ إنّه لأمرٌ عَلى كُلِّ البَريَّةِ واجبُ

وقال الشيخُ الطبرسيّ رحمه الله في مقام التمثيل عن هذا النحو من عدم الاستطاعة: يقال: «أمرني الأمير بالمُقام في هذا الموضع فلا أستطيع أن أبرح منه»! أي: لا أبرح منه لإلزامي نفسي طاعةَ الأمير. انتهى.[1]

وقال السيّد الشريف المرتضى رحمه الله في أماليه (صحيفة ٧٢ من الجزء الرابع) في تأويل قوله تعالى: ﴿أنْظُرْ كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثَالَ...﴾ الآية[2] بعد ما ذكر كلاماً طويلاً ما لفظه: جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً: أنّه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكّن منه! ألا ترى أنهم يقولون: إنّ فلاناً لا يستطيع أن يكلّم فلاناً ولا ينظر إليه، وما أشبه ذلك، وإنما غرضهم الاستثقال وشدّة الكلفة والمشقّة. انتهى.[3]

وقد ورد هذا المعنى في غير واحدٍ من الآيات والأخبار.

أمّا الآيات:

منها قوله تعالى: ﴿لِلفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَستَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأرْضِ...﴾ الآية.[4]

وقوله تعالى مكرّراً فيما حكاه عن العالم الذي تبعه موسى عليه السلام: ﴿إنّكَ لَنْ تَستَطيعَ مَعيَ صَبراً﴾![5]

---

١. مجمع البيان: ٢٠٢/٢ (من طبعة بيروت).

٢. الفرقان: ٩ والإسراء: ٤٨.

٣. الأمالي لشريف المرتضى: ٧٢/٤، ونقله المجلسيُّ طاب ثراه في بحار الأنوار: ٦٢/٥.

٤. سورة البقرة: ٢٧٣.

٥. سورة الكهف: ٦٧، ٧٢ و ٧٥.

قال شيخُنا الفقيه المتكلّم أبوالفتح الكَراجَكي في كنز الفوائد:

فصلٌ

اعلم أيّدك الله تعالى: قد يُعَبَّر عن نفي الفعل بنفي الاستطاعة توسّعاً ومجازاً، فيقال لمن يعلم أنّه لا يفعل شيئاً لثقله على قلبه ونفور طبعه منه: إنّك لا تستطيعه! وإن كان في الحقيقة مستطيعاً له. ويقول أحدنا لمن يعلم أنّه يبغضه: إنّك لا تستطيع أن تنظر إليَّ! والمعنى أنّ ذلك يثقل عليك. ويقال للمريض الذي يجهده الصوم: إنّك لا تستطيع الصّيام. وهو في الحقيقة يستطيعه ولكن بمشقّةٍ تدخل عليه وثقلٍ يناله.

وعلى هذا المعنى يُتأوّل قولُ الله جلّ اسمه فيما حكاه عن العالم الذي تبعه موسى عليه السلام حيث ﴿قَالَ لَهُ مُوسى هَلْ اتَّبِعُكَ عَلى أنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمتَ رُشداً قالَ إنّكَ لَنْ تَستَطيعَ مَعِيَ صَبراً﴾[1]. المعنى فيه: إنّك لا تصبر ولا يخفّ عليك وإنّه يثقل على طبيعتك! فعبّر عن نفي الصبر بنفي الاستطاعة؛ وإلّا فهو قادرٌ مستطيعٌ. ويدلّ على ذلك قول موسى عليه السلام في جوابه له: ﴿سَتَجِدُني إنْ شَاءَ اللهُ صابِرَاً﴾[2]. ولم يقل «إن شاء الله مستطيعاً»! ومن حقّ الجواب أن يطابق السؤال، فدلّ جوابه على أنّ الاستطاعة المذكورة في الابتداء هي عبارةٌ عن الفعل نفسه مجازاً كما ذكرنا. وقد يستعمل الناس هذا كثيراً وأنشده شعراً:

أرى شَهَواتٍ لَستُ أسْتَطِيعُ تَرْكَها ... وأحْذَرُ إنْ واقَعْتُها ضَرَرَ الإثمِ

فَلا النَفسُ تَنْهاني وَتُبْصِرُ رُشْدَها ... وَاكرهُ إتيان الْعِتابِ عَلى عِلمِ[3]

ولسنا نشكّ في أنّ الشاعر عنى بقوله «لَستُ أستَطيعُ تَركَها»: أنّ تركها يثقل عليه ولا يُلائمُ ما يدعوه إليه طبعه، وأنّه لم ينف الاستطاعة في الحقيقة عن نفسه، ولو كان أراد نفيها لم يكن معنى لقوله «وأحذرُ إن واقعتُها ضررَ الإثمِ» وقوله «وأكرهُ إتيانَ العقابِ على علمٍ»!

وعلى هذا المعنى يتأوّل قول الله عزّوجلّ: ﴿مَا كَانُوا يَستَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[4]. وهو أنّهم لا ستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهتهم تأمّلها وتدبّرها جروا

---

١. الكهف: ٦٦ ـ ٦٧.

٢. الكهف: ٦٩.

٣. لم أقف على قائله ولا على مورد أخذه.

٤. هود: ٢٠.

مجرى من لا يستطيع السمع، كما يُقال لمن عُهِد منه العناد واستثقال استماع الحجج والبيّنات: «ما يَستَطيعُ استماعَ الحَقِ وَما يُطيقُ أن يُذكَرَ لَه»! قال الأعشى:

وَدِّعْ هريرة إنّ الركبَ مرتَحِلُ وهل تُطيقُ وَداعاً أيّها الرجلُ؟[1]

ونحن نعلم أنّه قادرٌ على الوداع، وإنّما نفى قدرته عليه من حيث الكراهيّة والاستثقال. (انتهى كلامه رُفعَ مقامه).[2]

[الآية الثانية]

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَستَطيعونَ السّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبصِرُونَ﴾.[3]

قال السيّد الشريف المرتضى قدّس سرُّه في الجزء الثالث من الأمالي (ص ١٥) في بيان وجوه تأويل هذه الآية:

الوجه الثاني: إنّهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكراهيّتهم تذكّرها وتفهّمها جرى مجرى من لا يستطيع السمع، كما يقول القائل: «ما يستطيع فلانٌ أن ينظر لشدّة عداوته إلى فلانٍ وما يقدر على أن يكلّمه»!وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبيّنات: «ما يستطيع أن يسمع الحقّ وما يُطيق أن يُذكَرَ له ذلك». وكما قال الأعشى:

ودّعْ هُريرَةَ إنّ الرّكْبَ مُرتَحِلُ وهل تُطيقُ وداعاً أيّها الرّجلُ

ونحن نعلم أنّه قادرٌ على الوداع، وإنّما نفى قدرته عليه من حيث الكراهيّة والاستثقال. ومعنى «وَما كانوا يُبصِرونَ» أي: أنّ إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مُجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمّل آيات الله تعالى وتدبّرها، فلمّا انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه، كما يقال للمُعرض عن الحقِّ العادل عن تأمّله: مالَك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل؟! وما أشبه ذلك. (انتهى كلامه طيّب اللهُ رمسَه).[4]

---

١. للأعشى ميمون، وهو مطلع قصيدة مشهورة له وقد ألحقت بالمعلقات السبع. لاحظ خزانة الأدب: ٨ / ٣٩٥.

٢. كنز الفوائد: ص ٤٦ ـ ٤٧ (مطبعة المصطفوى، قم، ١٤١٠ ط ٢).

٣. سورة هود: ٢٠.

٤. أمالي المرتضى: ٣ / ١٥.

[الآية الثالثة]

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿الَّذينَ كانَتْ أعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكرِي وَكانُوا لايَستَطيعُونَ سَمْعاً...﴾ الآية.[1]

عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: «يعني بالذكر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. قال عليه السلام: كانوا لايستطيعون إذا ذُكِرَ عليٌّ عليه السلام عندهم أن يسمعوا ذكره لشدّة بغضٍ [بغضهم] له وعداوةٍ منهم له ولأهل بيته!»[2].

وفي العيون والتوحيد: عن الهروي قال: «سأل المأمون الرّضا عليه السلام عن قول الله عزوجلّ ﴿الَّذينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾، فقال عليه السلام: إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يُرى بالعيون، ولكنّ الله شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام بالعميان لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبي (صلّى الله عليه وآله) فيه، وكانوا لا يستطيعون سمعاً!...» الحديث.[3]

[الآية الرابعة]

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الحَوارِيُّونَ يَا عِيسىَ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَستَطِيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَينَا مَائِدَةً مِنَ السَّماءِ...﴾ الآية.[4]

في الصافي: في تفسير هذه الآية قيل: هذه الاستطاعة بناءً على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما يقتضيه القدرة. انتهى.[5]

وفى المجمع: قيل فيه أقوال: أحدها: أن يكون معناه هل يفعل ربّك ذلك بمسألتك إيّاه لتكون عَلَماً على صدقك! ولا يجوز أن يكونوا شكّوا في قدرة الله تعالى على ذلك لأنّهم كانوا عارفين مؤمنين، وكأنّهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحّة أمره من حيث لا يعرض

---

١. سورة الكهف: ١٠١.

٢. تفسير القمي: ص ٤٠٧ و٤٠٨ وعنه في بحار الأنوار: ٣٧٧/٢٤ ح ١٠٤.

٣. عيون أخبار الرضا: ١٢٣/٢، التوحيد: ٣٥٣، وذكره الطبرسي في الاحتجاج: ١٩٦/٢.

٤. سورة المائدة: ١١٢.

٥. تفسير الصافي: ٩٧/٢. وانظر الأقوال في تفسير هذه الآية: بحار الأنوار: ٢٦٠/١٤.

عليه[١] فيه اشكالٌ ولا شبهةٌ، ومِن ثمّ قالوا: ﴿وتَطمَئِنَّ قُلوبُنَا﴾! كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾! عن أبي علي الفارسي (انتهى محلّ الحاجة).[٢]

[الآية الخامسة]

ومن الآيات الدالّة على المراد قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلىٰ شَيءٍ﴾.[٣]

هذه جملةٌ من الآيات الدالّة على الاستطاعة وعدمها بالمعنى الثالث، أعني الفعل وعدمه.

وأمّا الأخبار الدالّة على هذا المعنى فهي كثيرةٌ جدّاً ينافي ذكرها وضع الكتاب، ونقتصر منها بذكر أحد عشر حديثاً تثبت الدعوى.

١. منها: ما في الخصال: مسنداً عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: «لا تُسَلِّموا على اليهود ولا النصارى... (إلى أن قال): ولا على المُصلّي! وذلك لأنّ المصلّي لا يستطيع أن يَردَ السلامَ...» الحديث.[٤]

٢. وفي عقاب الأعمال: بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفرٍ عليه السلام في حديثٍ له عليه السلام: «كفى بالمرء عيباً أن ينظر من الناس إلى ما يُعمى عيبه من نفسه، أو يعير الناس بما لا يستطيع تركه...» الحديث.[٥]

---

١. كذا في الأصل، وفي المصدر (مجمع البيان): لايعرض عليهم، وهو الصحيح.

٢. مجمع البيان: ٤٥٢/٣.

٣. في هذه الآية دلالةٌ على أنّ المملوك لا يملك شيئاً في الأموال مادام رقّاً، لأنّ قوله تعالى «مملوكاً لا يقدر على شيءٍ» ليس المراد به نفي القدرة لأنه قادرٌ، وإنما المراد أنّه لا يملك التصرف في الأموال، وذلك عامٌ في جميع ما يملك ويتصرف فيه.

(فإن ملّكه مولاه شيئاً ملك التصرف فيه بجميع ما أباح له سيّده وأراده، فإن أصيب العبد في نفسه بما يستحقّ به الأرش كان له ذلك وحلّ له التصرف فيه وليس له رقبة المال على وجه). فقه القرآن للقطب الراوندي: ٢١٥/٢.

أنظر: الميزان: ٣٣٩/٦ـ٣٥٨ + ج ٢٩٩/١٢ و٣٠٩.

٤. الخصال: ٧٥١/٢، وعنه في بحار الأنوار: ٩/٧٦.

٥. عقاب الأعمال، ص ١٦٦، وقد روي في كلٍّ من أمالي شيخ الطائفة وثواب الأعمال ومجالس المفيد كما في بحار الأنوار: ٤٧/٧٢.

٣. في كتاب التجارة من «التهذيب»: بإسناده عن معاوية بن عمّار قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يجيئني الرجل يطلب منّي بيع الحرير وليس عندي منه شيءٌ، فيُقاولني عليه وأقاوله في الرِبح والأجَل حتّى نجتمع على شيءٍ، ثمّ أذهب فأشتري له الحرير فأدعوه إليه.

فقال: أرأيت أن وَجَدَ بيعاً هو أحبّ إليه ممّا عندك أيستطيع أن ينصرف إليه ويدعك، أوْ وجدت أنت ذلك أتستطيع أن تنصرف إليه وتدعه؟

قلت: نعم. قال: فلا بأس!»[1].

٤. وفي أصول الكافي (ص ٣٠): بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيءٍ حتّى ـ وَالله ـ ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبدٌ يقول: لو كان أنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه.[2]

٥. وفي أصول الكافي: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان عليٌّ عليه السلام كثيراً ما يقول: ...»[3].

.....[4] وإنما تَنَزَّلُ المَلائِكَة والروح في ليلة القدر بالحكم الذي يحكم به بين العباد!

---

١. التهذيب: ٧/٥٠ ح ٢١٩، وعنه في وسائل الشيعة: ١٢/٣٧٧ ح ٧. الكافي: ٥/٢٠٠ ح ٥ وعنه في بحار الأنوار ١٠٠ ص ١٣٧.

٢. الكافي: ١/٥٩ ح ١، بحار الأنوار: ١٠٣/١٣٨، ورُوي كثيراً مثله باختلاف يسير بأسانيد كثيرة.

٣. كذا في الأصل، العبارة ناقصة والرواية لم تذكر لا في الأصل ولا في مخطوطة النجف الأشرف.

٤. هذه رواية أخرى وهي مروية عن مولانا أبي جعفر عليه السلام، والرواية مبتورة هنا من أولها، ونذكر هنا ما حذف منها:

قال: وقال رجلٌ لأبي جعفر عليه السلام: يابن رسول الله لا تغضب عليّ! قال: لماذا؟ قال: لما أريد أن أسألك عنه. قال: قل! قال: ولا تغضب؟ قال: ولا أغضب. قال: أرأيت قولك في ليلة القدرو تنزل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء، يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد علمه؟ أو يأتونهم بأمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه؟ وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وليس من علمه شئ إلا وعلي عليه السلام له واع، قال أبو جعفر عليه السلام: مالي ولك أيها الرجل ومن أدخلك عليّ؟ قال: أدخلني عليك القضاء لطلب الدين! قال: فافهم ما أقول لك. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله جلّ ذكره علم ما قد كان وما سيكون، وكان كثير من علمه ذلك جملا يأتي تفسيرها في ليلة القدر، وكذلك كان علي بن أبي طالب ←

قال السائل: وما كانوا علموا ذلك الحكم؟

قال: بلى قد علموه ولكنّهم لا يستطيعون امضاء شيءٍ منه حتّى يؤمروا في ليالي القدر كيف يصنعون إلى السَنَة المُقبلة.

قال السائل: يا أبا جعفر! لا أستطيع إنكار هذا؟

قال أبو جعفر عليه السلام: من أنكره فليس منّا!...» الحديث.[1]

٦. في كتاب النكاح من الكافي[2] (ص ٤): بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لمّا لقي يوسف عليه السلام أخاه قال: يا أخي! كيف استطعت أن تتزوّج النّساء بعدي؟!

فقال: إنّ أبي أمرني، قال: إن استطعت أن تكون لك ذرّية تثقل الأرض بالتسبيح فافعل!»[3].

٧. وفى كتاب الطهارة من الكافي (ص ٣٠): بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «سألته: كيف صارت الحائض تأخذ ما في المسجد ولا تضع فيه؟! فقال: لأنّ الحائض تستطيع أن تضع ما في يدها في غيره ولا تستطيع أن تأخذ ما فيه إلّا منه»[4].

٨. في باب «ما نصّ الله عزّوجلّ ورسوله على الأئمة عليهم السلام» من أصول الكافي

← عليه السلام قد علم جمل العلم ويأتي تفسيره في ليالي القدر، كما كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله، قال السائل: أوما كان في الجمل تفسير؟ قال: بلى ولكنه إنما يأتي بالامر من الله تعالى في ليالي القدر إلى النبي وإلى الأوصياء: افعل كذا وكذا، لأمر قد كانوا علموه، أمروا كيف يعملون فيه؟ قلت: فسر لي هذا!

قال: لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله إلا حافظاً لجملة وتفسيره، قلت: فالذي كان يأتيه في ليالي القدر علم ما هو؟ قال: الأمر واليسر فيما كان قد علم، قال السائل: فما يحدث لهم في ليالي القدر علم سوى ما علموا؟ قال: هذا مما أمروا بكتمانه، ولا يعلم تفسير ما سألت عنه إلا الله عز وجل. قال السائل: فهل يعلم الأوصياء ما لا يعلم الأنبياء؟ قال: لا وكيف يعلم وصي غير علم ما أوصي إليه! قال السائل: فهل يسعنا أن نقول: إنّ أحداً من الوصاة يعلم ما لا يعلم الآخر؟ قال: لا لم يمت نبيٌّ إلا وعلمه في جوف وصيه وإنما تنزل الملائكة والروح..

١. أصول الكافي: ١/ ٢٥٢ و٢٥٣.

٢. ورواه بطريق آخر في باب كراهة تزويج العاقر من الكتاب ص ٦، ورواه في كتاب العقيقة من الكتاب ص ٨١. (منه رحمه الله)

٣. الكافي: ٥/ ٣٢٩ ح ٤ وج ٥/ ٣٣٣ وج ٦/ ٢ ح ٤.

٤. الكافي (الفروع): ٣/ ١٠٦ ح ١.

(ص ١٤٥) في حديثٍ طويلٍ عن أبي عبد الله عليه السلام: «فلمّا قُبِضَ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان عليٌّ أولى الناس بالنّاس لكثرة ما بلّغ فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وإقامته للنّاس وأخذه بيده؛

فلمّا مضى عليٌّ عليه السلام لم يكن يستطيع عليٌّ ـ ولم يكن لِيَفعَلَ ـ أن يُدخلَ محمّد بن عليٍّ ولا العبّاسَ بن عليٍّ ولا واحداً مِنْ وُلدِهِ إذاً لقال الحسنُ والحسينُ: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك! فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبلّغ فينا رسول الله صلّى الله عليه وآله كما بلّغ فيك، وأذهب عنّا الرجس كما أذهبه عنك!

فلمّا مضى عليٌّ عليه السلام كان الحسنُ عليه السلام أولى بها لِكِبَره، فلمّا تُوُفّي لم يستطع أن يدخل وُلده ولم يكن ليفعل ذلك والله عزّوجلّ يقول: ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَولَىٰ بِبَعضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾! فيجعلها في وُلده إذاً لقال الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك! وبلّغ فيَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كما بلّغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عنّي الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك!

فلمّا صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحدٌ من أهل بيته يستطيع أن يدّعي عليه كما كان هو يدّعي على أخيه وعلى أبيه، لو أراد أن يَصرفا الأمر عنه ولم يكونا لِيَفعلا...» الحديث.[1]

٩. وفى كتاب الوصايا من فروع الكافي (صحيفة ٢٥١): بإسناده عن خالد بن بكير الطويل قال: «دعاني أبي حين حضرته الوفاة، فقال: يا بُنّي! اقبِضْ مالَ إخوتك الصّغار فاعمل به وخُذْ بنصف الرّبح وأعطِهم النصفَ وليس عليك ضمان! فقدّمتني أُمّ وَلد لأبي بعد وفاة أبي إلى ابن أبي ليلى فقالت له: إنّ هذا يأكل أموال وُلدي! قال: فقصصتُ عليه ما أمرني به أبي، فقال ابن أبي ليلى: إن كان أبوك أمرك بالباطل لَمْ أُجزْهُ! ثمّ أشهَدَ عليَّ ابنُ أبي ليلى إن أنا حرّكته فأنا له ضامنٌ! فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام بَعدُ فقصصتُ عليه قصّتي، ثمّ قلت له: ما ترى؟

فقال: أمّا قول ابن أبي ليلى فلا أستطيع ردّه! وأمّا فيما بينك وبين الله عزّوجلّ فليس

١. الكافي (الأصول): ١/٢٨٦ ح ١.

عليك ضمانٌ»[١].

١٠. وبسندٍ عامي: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «إذا أعتقت الأمَةَ فَهي بالخيار ما لم يطأها إن شاءت فارقته، وإن وطئها فلا خيارَ لها ولا تستيطع فراقَه»[٢].

١١. في كتاب «الزهد» للحسين بن سعيد [الكوفي الأهوازي]: بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام: «كفى بالمرء عيباً أن يعيب على الناس أمراً هو فيه، لا يستطيع التحوّل عنه إلى غيره...».[٣]

هذه جملةٌ من الأخبار الشاهدة على الاستطاعة بالمعنى الثالث.

[حصيلة الكلام]

فلمّا عرفت أنّ الاستطاعة وعدمها يُتصَوَّر على وجوهٍ ثلاثةٍ، ويُلاحظ تارةً بالنسبة إلى ذات الشيء وتارةً باعتبار مقدّماتها الخارجيّة، وأخرى بالنسبة إلى إرادة المكلّف وفعله وعدم زجره نفسه عن العمل؛ فاستطاعة الإنسان وعدم استطاعته في كلّ واحدٍ من الوجوه الثلاثة يتصوَّر من جهةٍ ويُعتبر من وجهٍ؛ والقسم الثالث أعني الاستطاعة الإراديّة الباطنيّة ليس كسابقَيه وقَسيميهِ مناط التكليف ولا يُشترَط فيه ولا يتوقّف إليه التكليف، ولا يقبح التكليف مع العلم بعدمها من المكلّف، ولا يوجب عدمها نفى الاختيار وسلب القدرة عن المكلّف، بل العمل وتحقّقه موقوفٌ إليها ويُلاحظ وجود الاستطاعة وعدمها في هذا النحو مع العمل، ويُتصَوَّر مع الفعل وعدمه! بمعنى أنّ الإنسان إذا فعل ما أمر به ألزم نفسه للعمل فهو مستطيعٌ، وإذا لم يفعل فليس بمستطيعٍ، وذلك لتوقّف تحقّق الأعمال في الخارج وتبعيّة وجودها إلى الإرادة، وبدونها مستحيلةٌ ممتنعةٌ!

فاعلم أنّ الأحاديث المذكورة الدالّة على عدم استطاعة العباد خلاف ما تقتضيه الطينة والجبلّة ناظرةٌ إلى الوجه الأخير من الاستطاعة، والمراد من عدم الاستطاعة فيها هو ثالث الوجوه؛ فحينئذٍ لا يخفى عليك أنّ عدم استطاعة العباد بالاستطاعة الإراديّة الباطنيّة لإتيان

---

١. فروع الكافي (كتاب الوصايا): ٦٢/٧ ح ١٦.

٢. مسند أحمد: ٦٥/٤ وعنه الشوكاني في نيل الأوطار: ٢٩٥/٦ والهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٤١/٤.

٣. الزهد: ص ٣ باب ١ ح ١.

ما يخالف مقتضى خصوصيّة الطينة لعدم إرادتهم بذلك واستثقالهم الأمر واتّباعهم بالاختيار شهوات أنفسهم ومنعهم أنفسهم عن ذلك واتّخاذهم الهوى إلهاً بسوء اختيارهم لا يوجب شيئاً من الفساد، ولا يستلزم هذا المعنى علّيّة خصوصيّة الطينة، ولا ينافي الاختيار، ولا يستدعي الجبر الباطل الفاسد.

فبالجملة: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا علم من الخلق ما يصير إليه كلّ واحدٍ منهم خلق روح كلّ أحدٍ ممّا يليق وتعود إليه، واستحقّ كلّ فردٍ بعمله الاختياري ومختاره من السعادة والشقاوة في التكليف الأوّل قُرباً وبُعداً عن الحضرة الإلهيّة، وكان في علمه الأزليّ توافق مختار كلّ أحدٍ باختياره في النشأتَينْ وأنّ سعداء الخلق الأوّل سعداء في هذه النشأة أيضاً باختيارهم، وأشقيائه أشقياء كذلك، خلق كلّ أحدٍ ممّا يليق من الطينة وجعله سمةً وعلامةً لمن أراد تعريف عباده إليه؛

فلا يستطيع أحدٌ بالمعنى الثالث من الاستطاعة ولا يفعل باختياره خلاف ما تقتضيه طينته، ولا يريد خلاف ما يستدعيه علم الله وما أخبر به ملائكته ورسله وخلفائه.

فالمعنيّ في الأحاديث الشريفة المذكورة هو هذا المعنى! والمراد من عدم الاستطاعة فيها هو عدم الفعل والإرادة. وهذا لا يوجب شيئاً من الفساد، ولا ينافي اختيار العباد.

[بيان روايات أخرى في المقام]

وينبئك عن هذا المعنى غيرُ واحدٍ من الأخبار:

منها: ما في الكافي والتوحيد: بإسنادهما عن عليّ بن أسباط، قال:

«سألت أباالحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة، فقال: يستطيع العبد بَعدَ أربعَ خصالٍ أن يكون مُخلّى السَّرب، صحيحَ الجسم، سليمَ الجوارح، له سببٌ واردٌ من الله.

قال: قلت له: جُعلتُ فداك! فَسّرْ لي هذا!

قال: أن يكون العبد مخلّى السَّرب، صحيحَ الجسم، سليمَ الجوارح، يريد أن يزني فلا يجد إمرأةً ثمّ يجدها، فإمّا أن يعصمَ نفسَه فيمتنعَ كما امتنع يوسف عليه السلام، أو يخلّي بينه

وبين إرادتِه فيزني فيسمّى زانياً، ولم يطعِ الله بإكراهٍ ولم يعصِه بغلبةٍ»[1].

وفي الكافي: بإسناده عن رجلٍ من أهل البصرة، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الاستطاعة، فقال أبو عبدالله: أتستطيع أن تعمل ما لَمْ يُكَوَّنْ؟ قال: لا! قال: فتستطيع أن تَنتَهي عمّا قد كُوّن؟ قال: لا! قال: فقال له أبو عبدالله عليه السلام: فمتى أنت مستطيعٌ؟ قال: لا أدري!

قال: فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلةَ الاستطاعة ثمّ لَمْ يُفَوِّضْ إليهم، فهم مستطيعون للفعل وقتَ الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فإذا لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه، لأنّ الله عزّ وجلّ أعزُّ من أن يُضادّه في مُلكه أحدٌ!

قال البصريُّ: فالناس مجبورون؟!

قال: لو كانوا مجبورين كانوا معذورين!

قال: ففوّض إليهم؟

قال: لا!

قال: فما هُم؟!

قال: عَلِمَ منهم فعلاً فجعل فيهم آلةَ الفعل، فإذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين.

قال البصريُّ: أشهد أنّه الحقّ وأنّكم أهلُ بيت النبوّة والرسالة!»[2].

وفي الكتاب: بإسناده عن صالح النيليّ، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام: هل للعباد من الاستطاعة شيءٌ؟

قال: فقال لي: إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم.

قال: قلت: وما هي؟

قال: الآلة، مثل الزاني، إذا زَنى كان مستطيعاً للزّنا حين زَنى، ولو أنّه ترك الزّنا ولَمْ يَزنِ

---

١. الكافي: ١/١٦٠ ح ١ (و انظر تعليقة العلامة الطباطبائي بهامش ص ١٦١ منه)، التوحيد: ص ٣٥٨، بحار الأنوار: ٣٧/٥.

٢. الكافي: ١٦١/١ (باب الاستطاعة) ح ٢.

كان مستطيعاً لتركه إذا ترك. ثمّ قال: ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليلٌ ولا كثيرٌ، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً.

قلت: فعلى ما ذا يعذّبه؟

قال: بالحجّة البالغة والآلة التي ركّب فيهم إنّ الله لَمْ يُجبِرْ أحداً على معصيته، ولا أراد ـ إرادةَ حتمٍ ـ الكفرَ من أحدٍ، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفرَ، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لا يصيروا إلى شيءٍ من الخير.

قلت: أراد منهم أن يكفروا؟!

قال: ليس هكذا أقول! ولكنّي أقول: عَلِمَ أنّهم سيكفرون، فأراد الكفر لعلمه فيهم، وليست هي إرادةَ حَتمٍ، إنما هي إرادةُ اختيارٍ»[1].

وفي الكافي (ص ٧٤): بإسناده عن أبي بصيرٍ قال: «كنت بين يدي أبي عبدالله عليه السلام جالساً وقد سأله سائلٌ فقال: جُعِلت فِداك يابن رسول الله! مِن أين لَحِقَ الشقاء أهل المعصية حتّى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: أيّها السائل! حُكمُ الله عزّوجلّ لا يَقوم له أحدٌ من خلقه بحقّه! فلمّا حَكَمَ بذلك وَهَبَ لأهل محبّته القُوَّةَ على معرفته ووضع عنهم ثِقلَ العمل بحقيقةِ ما هم أهله، ووهب لأهل المعصية القُوَّةَ على معصيتهم لِسَبقِ عِلمِه فيهم ومَنَعَهُم اطاقَةَ القَبولِ منه فَوافقوا ما سَبَقَ لهم في علمه ولَمْ يَقدِرُوا أن يأتوا ما لاتُنجيهِم من عذابه، لأنّ عِلمَه أولى بحقيقة التصديق، وهو معنى (شاء ما شاء) وهو سرُّه!»[2].

[مناقشة مع العلامة المجلسي]

والعجب عن شيخنا العلامة المحدّث المجلسيّ قدّس سرّه، فإنّه بعد ما ذكر (في المجلّد الثالث من البحار، صحيفة ١٣) حديثاً من «فقه الرّضا عليه السلام» مثل خبر الرجل البصريّ الذي نقلناه عن رئيس المحدّثين بتغييرٍ يسيرٍ، قال في بيانه ما هذا لفظه:

ما ورد في هذا الخبر من عدم تقدّم الاستطاعة على الفعل موافقاً لأخبارٍ أوردها الكلينيُّ

---

١. نفس المصدر (الكافي): ١٦٢/١ ح ٣.

٢. الكافي (كتاب التوحيد، باب السعادة والشقاوة): ١٥٣/١ ح ٢.

في ذلك يحتمل وجوهاً:

الأوّل: التقيّة، لموافقته لما ذهب إليه الأشاعرة من أنّ للعبد قدرةً وكسباً، مقارنة للفعل، غير مؤثّرةٍ فيه؛ ولمخالفته لما سبق من الأخبار الكثيرة الدالّة على تقدّم الاستطاعة، وأنّ من لا يقول به فهو مشركٌ!

الثاني: أن يكون المراد بالاستطاعة في أمثال هذا الخبر الاستقلال بالفعل، بحيث لا يمكن أن يمنعه عنه مانعٌ؛ ولا يكون هذا إلّا في حال الفعل، إذ يمكن قبل الفعل أن يزيله الله عن الفعل ولو بإعدامه وإزالة عقله أوْ شيء آخر ممّا يتوقّف عليه الفعل.

الثالث: أن يكون المعنى أنّ في حال الفعل يظهر الاستطاعة ويُعلَم أنّه كان مستطيعاً قبله بأن أذنَ الله تعالى له في الفعل كما ورد: «أنّ بَعدَ القضاء لا بَداءَ»!

والأوّل أظهر. (انتهى كلامُه رُفِعَ مقامُه).[1]

والحقّ أنّ هذا البيان بعيدٌ عن ساحته جدّاً! فكأنّه غفل عن معاني الاستطاعة حتّى رأى الخبر الشريف موافقاً لمذهب الأشاعرة! لإفادته اقتران الاستطاعة للعمل وتحقّقها مع الفعل؛ وبذلك تَوَهَّم التعارض بينه وبين ما أورده قبلاً من الأخبار الواردة في الاستطاعة التكليفيّة الظاهريّة بالمعنى الأوّل والثاني وتَخَيَّل أنّ مفاده يضادّ ويناقض ما تفيده الأحاديث الدالّة على تقدّم الاستطاعة للعمل بالمعنيَيْن الأوليَيْن! وخفيَ عليه أنّ الاستطاعة بالمعنى الثالث الذي لا يُشترط بها التكليف ولا يتوقّف إليها لا تكون قبل الفعل بقليلٍ ولا كثيرٍ، بل تكون مع الفعل والترك لإناطتها الإرادة والعمل كما عرفت!

فلجَأ لخفاء هذا المعنى عليه في تصحيح معنى الحديث الشريف لِمثلِ هذه الوجوه الكاسدة الفاسدة خصوصاً أوّل الوجوه الذي استظهره واختاره منها!

رجوعٌ إلى ماكُنّا فيه:

فتحصّل ممّا فُصِّل أنّ جعْلَ الله تبارك وتعالى عبادَه فريقين لدى الخلق الأوّل والميثاق وبَعدَه من العوالم أصحاب جنّةٍ ونارٍ، أصحاب يمينٍ وشمالٍ؛ وتخصيصه طينةَ كلّ فريقٍ ممّا

---

١. بحار الأنوار: ٥ / ٤٣ من الطبعة الجديدة، وأمّا ما ذكره المؤلّف رحمه الله (ج ٣ ص ١٣) هو من طبعته القديمة الحجرية.

هو معادهم ومرجعهم في آخر أمرهم باختيارهم، وتفضيل بعضهم على بعضٍ في الخلقة الملكوتيّة الأوّليّة والمُلكيّة الثانويّة؛ وخلق كلّ واحدٍ من الأرواح البشريّة وأبدانها ممّا يليق به ويستحقّ إليه من معاده ومرجعه؛ وتعريف عباده لمن أراد أن يعرّفهم إليه من الملك والبشر بنظائر هذه الخصوصيّات والجهات لا تأثيرَ لها أصلاً على وجه العلّيّة في أمر العباد من الهداية والضلالة والسعادة والشقاوة والأعمال الحسنة والسيّئة جزئيّةً كانت أو كلّيّةً؛ وليس فيها صُنعٌ بالنسبة إلى ما يصيرون إليه. ولا يوجب شيئاً من الفساد، ولا يترتّب عليها أثرٌ لولا إرادة المكلّف باختياره مقتضاه.

[إفادة أحاديث من أهل البيت عليهم السلام ما ذكرناه]

ثمّ اعلم أنّ نظير ما ذُكِرَ في الحكم من عدم التأثير في أفعال العباد وما يصيرون إليه في هذه النشأة من الأعمال: كِتابَةُ ما صار إليه كلّ فردٍ من آحاد الفريقين في التكليف وما يصير إليه في هذه النشأة الحاضرة على قلبه، وثَبتُ مختار كلّ أحدٍ على جبهته، وجعله سمةً وعلامةً لمن أراد الله تعالى تعريف عباده إليه من ملائكته ورسله وخلفائه كما يفيده غير واحدٍ من أحاديث أهل بيت العلم والعصمة.

منها: ما في البصائر: بإسناده عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «ليس مخلوقٌ إلّا وبين عينيه مكتوبٌ أنّه مؤمنٌ أو كافرٌ! وذلك محجوبٌ عنكم وليس بمحجوبٍ من الأئمة من آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم! ليس يدخل عليهم أحدٌ إلّا عرفوه هو مؤمنٌ أو كافرٌ، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إنّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسّمينَ﴾، فَهُمُ المُتوسّمونَ»[1].

وفي الكتاب: بإسناده عن جابر، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عامٍ، فلمّا ركّب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم مؤمنٌ أو كافرٌ! وما هُم به مُبتَلون وما هم عليه من سيّىء أعمالهم وحَسَنه في قَدر أُذُن الفأرة! ثمّ أنزل بذلك قرآناً على نبيّه فقال: ﴿إنّ فِي ذلكَ لآياتٍ

---

١. البصائر: ص ٣٧٤ ح ١، الاختصاص: ص ٣٠٢، وعنهما في بحار الأنوار: ١٣٠/٢٤ ح ١٦. والآية في سورة الحِجر: ٧٥.

لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾. وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله هو المتوسّم، وأنا بعده والأئمة من ذريّتي هم المتوسّمون»[١].

ورواه في موضعٍ آخرَ من الكتاب في ذيل حديثٍ طويلٍ.[٢]

ورواه فراتُ بن ابراهيم في تفسيره بتغييرٍ يسيرٍ.[٣]

وفي حديثٍ طويلٍ آخر روى مسنداً عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفرٍ عليه السلام، عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عامٍ، ثمّ كتب بين أعينها مؤمنٌ وكافرٌ! ثمّ أنزل بذلك قرآناً على محمّدٍ صلّى الله عليه وآله: ﴿إِنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ فكان رسول الله صلّى الله عليه وآله من المتوسّمين، وأنا بعده والأئمة من ذرّيّتي»[٤].

وفي الكتاب: عن عبد الرحمن بن بشر ابن كثير[٥] قال: «حَجَجْتُ مع أبي عبدالله عليه السلام، فلمّا صرنا في بعض الطريق صعد على جبلٍ فأشرف فنظر إلى الناس فقال: ما أكثر الضجيج؟! فقال له داود الرقّي: يابن رسول الله! هل يستجيب الله دعاء هذا الجمع الذي أرى؟

قال عليه السلام: وَيحَك يا أبا سليمان! ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَنْ يُشرَكَ بِهِ﴾[٦]، الجاحدُ لولاية عليٍّ عليه السلام كعابد وَثَنٍ.

قال: فقلت له: جُعِلتُ فداك! هل تعرفون محبّكم ومبغضكم؟

قال: ويحك يا أبا سليمان! إنّه ليس من عبدٍ يُولَد إلّا كُتِبَ بين عينَيه مؤمنٌ أو كافرٌ! وإنّ الرجل ليدخل إلينا بولايتنا وبالبرائة من أعدائنا فنَرى مكتوباً بين عينيه مؤمنٌ أو كافرٌ، قال

---

١. نفس المصدر (البصائر): ص ٣٧٧ ح ٩. بحار الأنوار: ٥٧ / ١٣٣ ح ٥.

٢. نفس المصدر: ص ٣٧٥ ح ٢.

٣. تفسير الفرات الكوفي: ٢٢٨.

٤. بصائرالدرجات: ص ٣٧٦ ح ٩.

٥. في بصائر الدرجات: عبدالكريم يعني ابن كثير، وفي نقل المجلسي عن البصائر: عن عبد الرحمان يعني ابن كثير.

٦. الآية ١١٦ من سورة النساء.

اللهُ عزّوجلّ: ﴿إنّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[١] نعرف عدوّنا من وليّنا!»[٢].

وفي الكتاب: بإسناده عن معاوية الدُهني، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسيمَاهُمْ فَيؤخَذُ بِالنَّواصِي وَالأقْدَامِ﴾[٣]، فقال: «يا معاوية! ما يقولون في هذا؟ قلت: يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى يعرف المجرمون بسيماهم في القيامة فيأمر بهم فَيؤخَذُ بنواصيهم وأقْدامِهم فَيُلْقَونَ في النّار!

فقال لي: وكيف يحتاج الجبّار تبارك وتعالى إلى معرفة خلقٍ أنشأهم وهم خَلْقُه؟

فقلت: جعلت فداك! وما ذلك؟

قال عليه السلام: ذلك لو قام قائمنا عليه السلام أعطاه الله السيماء، فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم، ثمّ يخبط بالسيف خبطاً...» الحديث.[٤]

وفي تفسير البرهان: عن محمّد بن العباس بإسناده عن محمّد بن عليّ بن الحنفية: «إنما حبّنا أهل البيت شيءٌ يكتبه الله في أيمن قلب العبد المؤمن، ومن كتبه الله في قلبه لا يستطيع أحدٌ مَحوَه، أما سمعت قول الله سبحانه يقول: ﴿أولئِكَ كَتَبَ فِي قُلوبِهِمُ الإيمَانَ وَأَيَّـدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ...﴾؟ فحُبُّنا أهل البيت الإيمان»[٥].

فثَبْتُ إيمان العباد وكفرهم وتسجيلُ مختار كلّ أحدٍ في عالَمَي الغابر والحاضر[٦] من السعادة والشقاوة في صحائف القلوب بقلمٍ إلهيٍ وخطٍّ سرّيٍّ قبل تركيب الأرواح على الأبدان وامتزاجها بها وقبل هبوطها عن العوالم العلويّة الملكوتيّة لا تأثيرَ له في أعمالهم!

وكتابة ما اختاره كلّ فردٍ من البشر في التكليف الأوّل وما يصير إليه في هذه النشأة الدنيويّة من سيّىء أعماله وحَسَنه بين أعينهم، وتعيين شأن كلّ واحدٍ من الهداية والضلالة

---

١. الحجر: ٧٥.

٢. بصائر الدرجات: ٣٧٨، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ١٢٣/٢٤ ح ١ عن البصائر.

٣. الرحمن: ٤١.

٤. البصائر: ص ٣٧٦ باب ١٧ ح ٨، الاختصاص: ص ٣٠٤ وعنهما في بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٢٠ ح ٢٦.
في المصدر: «الخبط» أي: الضرب الشديد.

٥. البرهان: ٣١٢/٤ ح ٨، كنز جامع الفوائد: ص ٣٣٥، تأويل الآيات: ٦٧٦/٢. والآية في سورة المجادلة: ٢٢.

٦. كذا في الأصل، والصواب: في العالَمَين الغابر والحاضر.

قبل الخلق وقبل سفره إلى هذا العالَم السفلي، وتعريف الله تعالى حالات عباده بهذا السِمَة والعلامة لمعرّفيه وخلفائه في أرضه لا يوجب شيئاً من الفساد! وليس أمرٌ ينافي الاختيار ويسلبه عن المكلّفين، ولا يترتّب عليه أثرٌ في أعمال البشريّة، وليس فيما كُتِبَ على القلوب صُنعٌ ولا أثرٌ فيماهم صايرون إليه وعاملون به!

وقد عرفت سابقاً: أنّ ما ثبت على القلوب البشريّة وكُتِبَ عليها من المعرفة والجحود والإيمان والكفر المُحصّل المكتسب في عالم الميثاق سمةٌ وعلامةٌ كالبذور في أرض القلب بالنسبة إلى هذا العالم الموجود. فالله تعالى باعتبار ما امتحن وشاهَدَ من كلّ أحدٍ ما صار إليه من الإقرار والاستكبار في الميثاق وثَبَتَ من كلّ أحدٍ إيمانه وكفره، وعَلِمَ منهم تطابق مختارهم المُلكي مع ما اختاره في ملكوتهم، واطّلع عليهم أنّ مؤمنَ عالمِ الأوّل مؤمنٌ في هذا العالم المُلكي، وشقيَّ ذلك شقيٌّ في هذا ـ كما أخبر بذلك نبيّه بقوله ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل ـ خلق الخلق بهذا الاعتبار في الخلق الثاني فريقان: فريقٌ للجنّة وفريقٌ للسعير. فالخلق باعتبار حالته السابقة الميثاقيّة قبل مجيئه لهذا العالم العنصري اتُّصِفَ بالسعادة والشقاوة! فهو إمّا سعيدٌ وإمّا شقيٌّ؛ فالسعيدُ بهذا الاعتبار خُلِقَ سعيداً، والشقيُّ خُلِقَ شقيّاً.

وهذا معنى ما ورد في الحديث الشريف المرويّ في تفسير عليّ بن إبراهيم في رواية أبي الجارود:

«عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيهِمُ الضَّلالَةُ﴾[1]! قال: خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقيّاً وسعيداً، وكذلك يعودون يوم القيامة مُهتَدياً وضالاً. يقول، ﴿إنَّهُمُ اتَّخَذوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدونَ﴾[2] وهم القَدَريَّة الذين يقولون: لا قَدَرَ! ويزعمون أنّهم قادرون على الهدى والضلالة! وذلك إليهم،إن شاؤوا اهتدوا، وإن شاؤوا ضلّوا! وهم مجوس هذه الأُمّة! وكذّب أعداء الله المشيّة والقدرةَ لله!

كَما بَدَأَكُمْ تَعودونَ. مَن خلقه الله شقيّاً يوم خلقه كذلك يعود إليه شقيّاً، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الشّقيُّ مَنْ شَقيَ في بَطْنِ

---

١. الأعراف: ٢٩ ـ ٣٠.

٢. الأعراف: ٣٠.

أُمّه، والسَّعيدُ مَنْ سَعَدَ في بَطنِ أُمّه... الحديث».[١]

ويمكن أن يكون قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «الشقيُّ من شقي في بطن أُمّه والسعيد من سعد في بطن أُمّه»[٢] إخباراً وإعلاماً عن توافق ما يصير إليه الإنسان في هذه النشأة الحاضرة مع ما اختاره وصار إليه في الميثاق بأن يُراد من «الأُمّ» الطين والتراب، لكونه أصل الإنسان وما يتولّد منه أو كونه جامعاً في البداية والنهاية! كما يقال في وجه تسمية اللوح المحفوظ وفاتحة الكتاب ومحكمات القرآن بـ«أُمّ الكتاب»، والمكّة المعظمّة بـ«أُمّ القُرى»، والجلدة الجامعة للدّماغ وحواسّه بـ«أُمّ الرأس».

فالمعنى: السعيد في هذه النشأة مَنْ سَعَدَ في الطين، والشقيّ مَنْ شَقيَ هناك.

هذا إن أُريدَ من الخلق الوارد في حديث أبي الجارود «خلق تكوين»، ويمكن أن يُرادَ منه «خلق تقدير» ويؤيّده كون الإمام عليه السلام في مقام ردّ ما ذهب إليه القَدَريّة.

فتوجيه الحديث: إنّ مَنْ قدّر الله تعالى بعلمه الأزلي في أصل خلقته شقيّاً فهو شقيٌّ، ومَن قدّر سعادته فهو سعيدٌ.

[بيان للعلّامة الطريحي في معنى الحديث]

قال شيخنا الطُريحيّ النجفيّ رحمه الله في معنى الحديث الشريف: والأوضح في معناه ما قيل: هو أنّ الشقيّ حقّ الشقيّ مَنْ عَلِمَ الله أنّه سيشقى في فعله مِن اختياره الكفرَ والمعصية

---

١. تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١/ ٢٢٦، وعنه في بحار الأنوار: ٥/ ٩ ح ١٣ وفي تفسير نورالثقلين: ٢/ ١٨.

٢. نجد ذكر هذا الحديث كثيراً في مصادر أهل السنة، وأما في كتب أصحابنا فقد رواه الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه: ص ١٤ ح٢٨ ونقله عنه المجلسي في البحار: ٥/ ١٥٣، وابن أبي جمهور في العوالي: ١/ ٣٥، وفي توحيد الصدوق: ٣٥٦ يشير السائل إليه كما يذكره المصنف بعد قليل.

و أما في مصادر العامة فقد أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة: المعجم الكبير: ٩/ ١٠٠، وفي المعجم الأوسط: ٣/ ١٠٧ عن ابن مسعود وفي ٨/ ٢٢٣ عن أبي هريرة وفي المعجم الصغير: ٢/ ٥ وقال: لم يروه عن هشام إلا حماد تفرّد به عبدالرحمن. كذا ذكره ابن الكمال والبزار والديلمي كلهم عن أبي هريرة كما في فيض القدير للمناوي: ٤/ ١٨٤ رقم ٤٨٠٩.

قال في اللآلي: قال ابن الجوزي في أمثاله: رويناه عن النبي صلّى عليه وآله وسلّم ولا يثبت! لكن فيه أنّ الحافظ ابن حجر قال إنّه صحيح. كشف الخفاء للعجلوني: ١/ ٤٥٢.

في بطن أُمّه، فكأنّه شقيٌّ في بطن أُمّه عَلِمَ الله ذلك منه، والمعلوم لا يتغيّر لأنّ العلم يتعلّق بالمعلوم على ما هو عليه، والمعلومُ لا يتّبع العلَم، فإذا كان زَيدٌ أسودَ في عِلِم الله فعلم الله لا يُصَيّره أسودَا! وفي تسميته في بطن أُمّه شقيّاً نوع مبالغةٍ، أي: سيصير كذلك لا محالةَ، كقوله تعالى: ﴿إنّكَ مَيّتٌ وإنَّهُمْ مَيّتونَ﴾[١]! اي: إنّك ستموت. (انتهى كلامه).[٢]

أقول: يُستفاد هذا التوجيه من صريح ما رواه رئيس أصحاب الحديث شيخنا الصدوق قدّس سرُّه في التوحيد: حدّثنا الشريف أبو علي محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ عليهم السّلام: قال حدثنا عليّ بن محمّد بن قُتبية النيشابوري، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد بن أبي عُميرَ قال:

«سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: الشّقيُّ من شقي في بطن أُمّه والسّعيد من سعد في بطن أُمّه؟ فقال: الشقيُّ مَنْ علمَ الله وهو في بطن أُمّه أنّه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أُمّه أنّه سيعمل أعمال السعداء.

قلت له: فما معنى قوله صلّى الله عليه وآله: اعملوا فكلٌّ مُيَسّرٌ لِما خُلِقَ له؟ فقال: إنّ الله عزّوجلّ خَلَقَ الجنّ والأنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُونَ﴾[٣]. فَيَسّر كلاً لِما خُلِقَ له، فالويل لمن استحبّ العمى على الهدى»[٤].

ويمكن استفادة هذا المعنى ممّا ذكرناه سابقاً من رواية الكافي والتوحيد عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه؛ فَمن عَلِمَه الله سعيداً لَم يُبغِضهُ أبداً، وإن عَمِلَ شرّاً أبغض عَمَلَه ولم يبغضه، وإن عَلِمَهُ شَقيّاً لم يحبّه أبداً...» الحديث.[٥]

---

١. الزمر: ٣٠.

٢. مجمع البحرين: ١/ ٢٤٩ (ذيل مادّة شق...).

٣. الذاريات: ٥٦.

٤. التوحيد: ٣٥٦ ح ٣ وعنه في بحار الأنوار: ٥/ ١٥٧.

٥. الكافي: ١/ ١٥٢ ح ١. التوحيد: ٣٥٧ ح ٥.

فعلى هذا الوجه يُرادُ من خلق الإنسان سعيداً أوْ شقيّاً خلقُ تقديرٍ لا خلقُ تكوينٍ! ويرشدك إلى هذا المعنى من الخلق ماورد في خلق أفعال العباد من الأخبار.

منها: ما في «العيون»: بإسناده عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال: «سمعت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا يقول: أفعال العباد مخلوقةٌ.

فقلت له: يابن رسول الله! وما معنى (مخلوقة)؟

قال عليه السلام: مقدَّرةٌ»[١].

وفي الكتاب: بإسناده عن الرضا عليه السلام فيما كتب للمأمون من محض الإسلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لا يكلّف نفساً إلّا وسعها، وإنّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى خَلْقَ تَقديرٍ لا خَلقَ تكوينٍ، والله خالقُ كلّ شيءٍ...» الحديث.[٢]

وفي التوحيد: بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام: «إنّ أفعال العباد مخلوقةٌ خلقَ تقديرٍ لا خلقَ تكوينٍ؛ ومعنى ذلك أنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً بمقاديرها قبل كونها»[٣].

وفي الكتاب: عن حمدان بن سليمان قال: «كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد: أمخلوقةٌ هي أمْ غير مخلوقةٍ؟ فكتب عليه السلام: أفعال العباد مقدّرةٌ في علم الله عزّوجلّ قبل خلق العباد بألفي عامٍ...» الحديث.[٤]

[مناقشة مع الشيخ الطريحي في معنى الحديث: الاستعمال حقيقيّ لا مجازي]

ولا يخفى عليك: أنّ ما يتوهّم من المَجاز في قول رسول الله صلّى الله عليه وآله «الشقيُّ من شقيَ في بطن أُمّه... الحديث» كما سمعته فيما حكاه الشيخ الأجلّ الطريحيُّ قدّس سرّه، فإنّه فاسدٌ جدّاً وليس الاستعمال في الحديث الشريف، وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ إلّا على وجه الحقيقة لا المجاز!

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٢٥، معاني الأخبار: ٣٩ ح ٥٢.

٢. نفس المصدر (العيون): ١ / ١٣٢ باب ٣٥ (باب ما كتبة الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين).

٣. التوحيد: ص ٤١٦ ح ١٥.

٤. نفس المصدر: ص ٤١٦ ح ١٦.

أمّا على ما ذكرناها من الوجه في معنى الحديث فالأمر فيه واضحٌ لا يخفى، وأمّا ما نقلناه من الوجه الأخير لأنّ هيئة الفاعل إنما تُنبىء عن كون الذات متّصفاً بالمادّة وصيرورة المادّة وصفاً عنوانيّاً لها، والنسبة والاتّصاف أمرٌ ليس للوجود دَخلٌ في تقوّمه بل يكفي فيه الفرض، وليس الزمان داخلاً في مدلول هيئة المشتقّ ومادّته.

فالنسبة تُلاحظ تارةً مع قطع النظر عن الوجود، كقولك: «الإنسان ناطقٌ» و«العدم سابقٌ»؛

وتارةً تُلاحظ باعتبار الوجود، وذلك إمّا في الحال كـ«زيدٌ قائمٌ»، وإمّا في الماضي كـ«زيدٌ ضاربٌ أمس»، وإمّا في المستقبل قبل تحقّق المبدء وفعليّته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسَ لِيَومٍ﴾[2]، وقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «هو قاتلي»! مريداً ابن ملجم لعنه الله.[3] وكقول الصحابة قبل وقعة الطفّ: «هذا قاتل الحسين عليه السلام»! مشيرين به إلى ابن سعد (لعنه الله تعالى) فإنّ ذلك كان معروفاً عندهم[4]. وكقولنا لصاحب الأمر عليه السلام: «يا رافِعَ الظُّلمِ! يا باسِطَ العَدلِ! ويا مُميتَ الفِتَنِ! ويا مُحيي السُّنَنِ»[5]. وأمثال ذلك.

فلمفهوم المشتقّ جهةٌ عامّةٌ تنطبق على جميع هذه الموارد وأمثالها، وليس في شيءٍ

---

١. سورة الزمر: ٣٠.

٢. سورة آل عمران: ٩.

٣.وجاء في مقتل أميرالمؤمنين عليه السلام لابن أبي الدنيا: فلما رآه عليٌ قال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيري من خليلي من مرادِ

فقال [الراوي]: سبحان الله! لم تقول هذا يا أميرالمؤمنين؟ قال: هو ذاك! وفي آخر الرواية: فدعا له عليٌ بثوبين وأعطاه ثلاثين درهماً، فقيل له: لو قتلته؟! فقال: يا عجبا! تأمرونني أن أقتل قاتلي؟!

(مجلة تراثنا، العدد ١٢،ص ١١٣ح ٧٥).

٤. الإرشاد للشيخ المفيد: ١٣١/٢ وفيه: روى عبد الله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب علي عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي عليه السلام، و ذلك قبل قتله بزمان.

و انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٤٨/٤٥.

٥. بحار الأنوار، ج ١٠٠ (كتاب المزار).

منها مجازٌ. فالصدق والإطلاق في جميعها حقيقيٌّ موافقٌ لوجود الموضوع له وتحقّقه في الجميع.

فبالجملة: إنّ كون شيءٍ ذا المبدء وصاحبه أعمّ من أن يكون صاحبه من حيث هو ـ مع قطع النظر عن وجوده، ككَوْنِ الإنسان ذا نطقٍ ـ ومن أن يكون صاحب المبدء الموجود في زمان الحال أو صاحب المبدء السابق الوجود أو صاحب المبدء اللاحق الوجود. فالخصوصيّات كلّها خصوصيّات موارد الإطلاق غير داخلةٍ في الوضع؛

فلفظ الرواية محمولٌ على الحقيقة لا المجاز!

[حصيلة البحث]

فالنرجع إلى ما كنّا فيه: فتحصّل أنّ الإنسان باعتبار اتّصافه في الخلق الأوّل بالسعادة والشقاوة بإقرار ذلك اليوم واستكباره عن قبول الولاية، وتوافق ما يصير إليه ويختم به أمره ويحكم عليه في هذه النشأة من السعادة والشقاوة وتطابقه مع ما اختاره واتّصفَ به في الميثاقَ خُلِقَ سعيداً وشقيّاً، وثبت صفة كلّ واحدٍ ومختاره من الإيمان والجحود في الخلق الأوّل على القلوب، وكُتِبَ بين عَيني كلّ أحدٍ مؤمنٌ أو كافرٌ!

وهذا يمكن أن يكون هو المعنيّ ممّا يفيد من الأخبار من أنّ المعرفة والجحود من صُنعِ الله تعالى، مخلوقتان وليس للعباد فيهما صُنعٌ، ومع ذلك للعباد فيهما الاختيار، كمكتوبةٍ رواها الشيخ رئيس أصحاب الحديث الصدوق رحمه الله في التوحيد: بإسناده عن عبدالرحيم القصير، قال:

«كتبت على يَدَي عبدالملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام: جُعِلتُ فداك!... اختلف الناس ـ جُعِلتُ فداك ـ بالعراق في المعرفة والجحود فَأَخبِرني ـ جعلت فداك ـ أهُما مخلوقتان؟

فكتب عليه السلام على يَدَي عبدالملك بن أعين:... سَألت عن المعرفة ما هي؟ فاعلم ـ رحمك الله ـ أنّ المعرفة من صنع الله عزّوجلّ في القلب مخلوقةٌ، والجحود صنع الله في القلب مخلوقٌ، وليس للعباد فيهما من صنعٍ ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب! فبشهوتهم

الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفرَ اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالاً؛ وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله! فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم...» الحديث.[1]

[ذكر وجوه أربعة في توجيه الحديث ومعناه]

توضيح توجيه هذا الحديث الشريف وما في معناه:

اعلم أنّ فيه وجوهاً أربعة:

الأوّل: أن يُلاحظ المعرفة والجحود كلٌّ منهما بوحدته وانفرادِه باعتبار أهله وصَحبِه، بأن يُراد من المعرفة معرفةُ أصحاب المعرفة ومن الجحود جحودُ أصحاب الجحد، لا هما مجتمعاً عن كلّ فردٍ فردٍ من جميع آحاد البشر. ويُراد مع ذلك من الخلق خلقُ تكوينٍ.

فالمراد حينئذٍ من المعرفة والجحود المخلوقتين لله تعالى هما المعرفة والجحود الفطريّ الأصلي المثبت المستودع على القلوب المكتسب في عالم الميثاق؛ فالعباد مخلوقٌ على تلك المعرفة والجحود، المكتوب كلّ واحدٍ منهما على قلوب أهلهما وصَحبهما. وليس في هذه النشأة فيهما صنعٌ للعباد بل اكتُسبا في الخلق الأوّل. فالسعيد خُلِقَ على سعادته الأصليّة الميثاقيّة، والشقيّ خُلِقَ على شقوته الفطريّة الميثاقيّة كما حقّق فيما سبق؛ وللعباد في هذه النشأة اختيار اكتساب المعرفة والجحود بالنسبة إلى عالمهم هذا.

ويمكن أن يُلاحظ المعرفة والجحود بالنسبة إلى ما يصير إليه كلّ فريقٍ من أهل النجدين في هذه النشأة مع إرادة الكتابة والثبت من الخلق! فإنّ معرفة كلّ رجلٍ وجحوده مكتوبٌ مثبتٌ على قلبه، كما قرأنا بعض أدلّته فيما سبق.[2]

---

١. التوحيد: ح ٧ ص ٢٢٦.

٢. كتب المؤلّف قدّس سرُّه في الحاشية في هذا الموضع من دون جعل علامة ما هذا لفظه:

وقد أُشير إلى الكفر الأصلي والجحود الفطري فيما رواه شيخنا الكليني رحمه الله في الكافي (ص ٤٦٢) بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا خلق الله العبد في أصل الخلقة كافراً لَمْ يَمُتْ حتّى يُحَبِّبَ الله إليه الشرَّ فيقرب منه فابتلاه بالكبر والجبريّة فَقَسا قلبُه وساءَ خُلقُه وغَلُظَ وَجهُه وظَهَرَ فُحْشُهُ وقلّ حياؤه وكَشَفَ الله سِترَه وركب ←

الثاني: أن يُلاحظَ المعرفة والجحود وكلّ واحدٍ منهما بانفراده ووحدته باعتبار الأشخاص بالنسبة إلى هذا العالم الموجود، لكن يُراد من خلق الله تعالى لهما خلقُ تقديرٍ لا خلقُ تكوينٍ! فالمعنى أنّ المعرفة والجحود من أهلهما مقدّرةٌ في علم الله تعالى كما في سائر أفعال العباد فإنّها مخلوقةٌ لله خلق تقديرٍ، أي: مقدّرةٌ وليس لهم فيها باعتبار التقدير صُنعٌ، وللعباد فيهما اختيار الاكتساب.

الثالث: أن يُلاحَظَ المعرفة والجحود معاً بالنسبة إلى كلّ أحدٍ من جميع أفراد البشر، ويُراد مع ذلك من الخلق خلقُ تكوينٍ، ويُقصد من المعرفة والجحود معرفةُ هذه النشأة وجحودُها الحاصلان للعباد باكتسابٍ منهم، فحينئذٍ يُراد من خلقهما خَلقُ موجِبهما ومادّتهما، وهو العقل والنفس! فإنّ القلب الملكوتي الإنساني في أصل فطرته الحاصلة من الله تعالى ـ كما عرفت فيما سبق تفصيلاً ـ كمرآةٍ منصوبةٍ بين قوّتينَ علميّتين، إحديهما عن يمينه وأخرى عن شماله، تُسمّى في لسان الأخبار بالملك والشيطان! وتعرفهما أنت بالقوّة العاقلة والوهميّة وجميع أفراد البشر في هاتين القوّتين على شرعٍ سواءٍ! فبنور العقل يتوجّه إلى الله ويعرف ويوحّد، وبتعليمه تحصل المعرفة، وكلّ ما يُضاف إليه يُضاف إلى الله ويُنسَب إليه! وبتعليم النفس والقوّة الوهميّة ينكر الإنسان رَبَّه ويجحد ويكون في غطاءٍ عن ذكره، والأفعال المضاف إليه يُضاف إلى الشيطان، كما سمعت في رواية أبي جعفرٍ عليه السلام من قوله: «فما كان مِن حسناتٍ فلله، وما كان من سيّئاتٍ فللشيطان».[1]

فالمراد من خلق المعرفة والجحود حينئذٍ عبارةٌ عن خلق العقل والنفس. وقد عبّر بذلك من باب التعبير عن السبب بالمُسبّب.

ويمكن أن يُراد من خلق المعرفة والجحود في كلّ أحدٍ بالخلق التكويني خَلْقُهُما لا خلقُ موجبهما بإرادة الثبت والكتابة من الخلق بالنسبة إلى لحاظ عالَمي التكليف لكلّ أحدٍ.

الرابع: أن يُلاحَظ المعرفة والجحود معاً كلاهما من كلّ أحدٍ، ويراد من الخلق خلقُ تقديرٍ لا خلقُ تكوينٍ. فَيُلاحَظان حينئذٍ بالنسبة إلى عالَمَي التكليف: الأوّلي الذرّي،

← المحارمَ فلم ينزع عنها، ثمّ ركب معاصي الله وأبغض طاعته ووَثَبَ على النّاس لا يشبع من الخصومات! فاسألوا الله العافية واطلبوها منه! (الكافي، ج ٢ باب القسوة، ص ٣٣٠، ح ٢).

١. المحاسن: ٢٥١، وعنه في بحار الأنوار: ٢٢٨/٧٠ ح ٣.

والثانوي المُلكي الشهودي.

هذه وجوهٌ أربعةٌ بل ستّةٌ كما لا يخفى في معنى الحديث الشريف، وأوجه الوجوه وأحسنها هو الوجه الأوّل ثمّ الثاني.

وعلى كلّ تقديرٍ ليس في خلق المعرفة والجحود في قلوب البشريّة أثرٌ بالنسبة إلى ما يصير إليه الإنسان، ولا يوجب شيئاً من الجبر الفاسد، ولا يُخرجه عن الاختيار. وقد أشير إلى هذا المعنى في نفس حديث عبدالرحيم القصير بقوله عليه السلام: «ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفرَ اختاروا الجحود، فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالاً»[1].

فقوله عليه السلام هذا مفيدٌ بأنّ المعرفة والجحود ـ أي الإيمان والكفر ـ المخلوق في القلوب البشريّة أمرٌ لا تنافي الاختيار! وله معنى لا يضادّ اكتساب الإيمان والكفر بالاختيار وتبعيّتهما إرادة المكلّف. فبالاختيار والاكتساب يثيب الله ويعاقب.

ثمّ بيّن عليه السلام بقوله: «وذلك بتوفيق الله تعالى لهم وخذلان من خذله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم... الحديث»، وأشار بذلك إلى أنّ التوفيق والخذلان يرجع إلى هذه النشأة، ولهما مدخلٌ في ذلك الاكتساب، وهما تابعان لإرادة المكلّف واختياره، فمن اختار الهُدى على الضلالة يوفّقه الله إليه، ومن آثر الحياة الدنيا على الآخرة يخذله الله ويريد عليه الضلالة تبعاً لإرادته بإرادة الاختيار لا إرادة الحتم.

وسيأتي توضيح هذا في المطلب الآتي إن شاء الله تحت عنوان قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشرحْ صَدْرَهُ لِلإسلامِ...﴾ الآية.[2]

[بيان العلامة المجلسي]

قال شيخُنا المحدّث المجلسيّ في بيان قوله عليه السلام «إنّ المعرفة من صنع الله» أي: أصل المعرفة أو كمالها من الله تعالى بعد اكتسابهم وتفكّرهم، فالمُفيض للمعارف هو الرّب

---

١. تقدم الحديث قبل قليل في ص ٣٩٢.

٢. سورة الأنعام: ١٢٥. ولم يوجد مطلب آخر في هذا الكتاب، ولعله كان رحمه الله في باله أن يعقد فصلا آخر لكتابه يبحث فيه عن هذه الآية الشريفه.

تعالى، وللتفكّر مدخلٌ فيها، وإنما يُثابون ويُعاقبونَ بفعل تلك المبادي وتركها.

أو المعنى: إنّ المعرفة ليس إلّا من قِبَلِهِ تعالى إمّا بإبقائها في قلوبهم، أو ببيان الأنبياء والحجج عليهم السلام، وإنما كلّف العباد بقبول ذلك وإقرارهم به ظاهراً وتخلية النفس قبل ذلك لطلب الحقّ عن العصبة والعناد وعمّا يوجب الحرمان عن الحقّ من تقليد أهل الفساد. وهذا هو المراد بالاختيار من الاكتساب؛ ثمّ بيّن عليه السلام أنّ لتوفيق الله وخذلانه أيضاً مدخلاً في ذلك الاكتساب أيضاً. (انتهى كلامه رُفِعَ مقامه).[١]

أقول: لا يخفى على المتأمّل أنّ هذا البيان مع قطع النظر عن صحّته وفساده غير تامٍّ قاصرٌ في توجيه الرواية، لما فيها من أنّ الجحود صنع الله في القلب مخلوقٌ وليس للعباد فيه صنعٌ! فهذا البيان كان تامّاً لو لم تكن المعرفة مقروناً للجحود شريكاً له في الحكم!

ويُعلَم ممّا ذُكِرَ من التفصيل والتوجيه في مكتوبةِ عبدالرحيم [القصير] معنى ما في الكافي بإسناده عن الفُضيل قال: «قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: ﴿أولئِكَ كَتَبَ فى قُلوبِهِمُ الإيمَانَ﴾ هل لهم فيما كتب صُنعٌ؟ قال: لا!»[٢].

وفي المحاسن مسنداً عن الحسن بن زياد، قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: ﴿حَبَّبَ إلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكُمْ﴾ هل للعباد بما حبَّبَ صُنعٌ؟ قال: لا ولا كرامة!»[٣].

وفي الكتاب: عن أبي بصيرٍ، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «إنّي لأعلمُ أنّ هذا الحبَّ الذي تحبّونا ليس بشيءٍ صنعتموه، ولكنّ الله صنعه»[٤].

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لَم يكلّف الله العبادَ المعرفةَ، ولم يجعل لهم إليها سبيلاً!»[٥].

وفيه: عن صفوان: «قلتُ لعبدٍ صالحٍ عليه السلام: هل في الناس استطاعةٌ يتعاطون

---

١. بحار الأنوار: ٥ / ٣٢، بيان ذيل حديث ٣٩ بعد نقل كلام الشيخ الصدوق في التوحيد.

٢. الكافي: ٢ / ١٥ ح ٢. والآية في سورة المجادلة: ٢٢.

٣. المحاسن: ١ / ١٩٩، بحار الأنوار: ٥ / ٢٢٢ ح ٦. والآية في سورة الحجرات: ٧.

٤. نفس المصدر (المحاسن): ١ / ١٤٩، بحار الأنوار: ٥ / ٢٢٢ ح ٤.

٥. المصدر السابق: ١ / ١٩٨، بحار الأنوار: ٥ / ٢٢٢ ح ٥.

بها المعرفة؟

قال: لا، إنما هو تَطَوُّلٌ من الله!

قلتُ: أفَلَهم على المعرفة ثوابٌ إذا كانوا ليس فيهم ما يتعاطونَه بمنزلة الركوعِ والسجودِ والّذي أمروا به ففعلوه؟

قال: لا، إنما هو تطوُّلٌ من الله عليهم وتطوّلٌ بالثواب»[١].

وفي قُرب الاسناد: عن البَزَنطيّ قال: «قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: للنّاس في المعرفة صنعٌ؟ قال: لا! قلتُ: لهم عليها ثوابٌ؟ قال: يَتَطَوَّلُ عليهم بالثواب كما يَتَطَوَّلُ عليهم بالمعرفة»[٢].

فممّا ذُكِرَ يظهرُ لك معنى هذه الأحاديث ونظائرها، ويبرهن عدم التعارض بينها، ويُعلم أنَّ كلَّ واحدٍ منها يرجع إلى معنى، فبعضُها يرجع إلى المعرفة الفطريّة الأصليّة التي خلق الناس عليها ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ لَيَقولُنَّ اللهُ﴾[٣]، وبعضُها مشيرٌ إلى كمالها، وبعضُها يرجع إلى المعرفة المخلوقة في القلوب البشريّة بالخلق التكوينيّ والتقديريّ.

وينفعُك في فهم هذه الأحاديث ما في «الاحتجاج» من حديث احتجاج أبي عبد الله عليه السلام على زنديقٍ سأله عن مسائلَ كثيرةٍ...:

«قال: فمَن خَلَقه الله كافراً أيستطيع الإيمان وله عليه بترك الإيمان حجّةٌ؟

قال عليه السلام: إنّ الله خلق خلقه جميعاً مكمَّلين[٤] أمرهم ونهاهم، والكفر اسمٌ يَلحَقُ الفاعلَ حين يفعلُه العبد، ولم يخلُق الله العبد حين خلقه كافراً، إنّه إنما كَفَرَ من بعد أن بلغ وقتاً لزِمَتْهُ الحجّةُ من الله فعرض عليه الحقّ فجحده، فبإنكاره الحقَّ صار كافراً...» الحديث بطوله.[٥]

---

١. المحاسن: ١/ ٢٨١.

٢. قرب الاسناد: ص ١٥١.

٣. سورة لقمان: ٢٥.

٤. وفي البحار: مسلمين (بدل مكملين).

٥. الاحتجاج: ٢/ ٨٤، وعنه في بحار الأنوار: ٥/ ١٩.

مصادر التحقيق

١. إحقاق الحقّ، القاضي نور الله المرعشي التستري، المكتبة الإسلامية، طهران.

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط السابعة، ١٣٢٣.

٣. إرشاد الطالبين إلىٰ نهج المسترشدين، جمال الدين مقداد السيوري الحلي، مكتبة السيد المرعشي، قم، ١٤٠٥.

٤. إرشاد القلوب الى الصواب، الشيخ حسن الديلمي، منشورات الشريف الرضي قم، ١٤١٢.

٥. استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول ذوي الشرف، الحافظ شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاويّ، تحقيق: خالد بن أحمد الصمين بابطين، دار البشائر، بيروت، ١٤٢١.

٦. أسرار الحكم، الحكيم المولى هادي السبزواري، مطبوعات دينى، قم، ط الأولى، ١٣٨٣ ش.

٧. إقبال الأعمال، ابن طاووس الحلي، مكتب الإعلام الإسلامي قم، ١٤١٤هـ.

٨. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، النجف الأشرف، ١٣٦٨هـ.

٩. الاختصاص، الشيخ المفيد، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٠. الأزرية، الشيخ كاظم الأزري التميمي، دار الأضواء، ط الأولى، ١٤٠٩.

١١. الإشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة آل البيت، ط الثانية، ١٤١٤.

١٢. الأصول الستّة عشر، نخبة من الرواة، قم، ١٤٠٥.
١٣. الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، دار المفيد، بيروت، ط الثانية، ١٤١٤.
١٤. الأمالي، الشريف المرتضى، تحقيق: محمّد بدر الدين الغساني الحلبي، مكتبة المرعشي، ط الأولى، ١٣٢٥.
١٥. الأمالي، الشيخ الصدوق، مؤسسة البعثة، ١٤١٧.
١٦. الأمالي، الشيخ الطوسي، مؤسسة البعثة، ١٤١٤.
١٧. الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي، مدرسة الإمام المهدي، قم ١٣٦٣.
١٨. الإيضاح، فضل بن شاذان النيسابوري، جامعة طهران، ١٣٦٣ ش.
١٩. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت.
٢٠. أمالي المفيد، الشيخ المفيد، تحقيق: حسين استاد ولي، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤.
٢١. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.
٢٢. البداية والنهاية، ابن كثير، مطبعة السعادة، مصر.
٢٣. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، دارالكتب العلمية، قم.
٢٤. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، عمادالدين الطبري، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٢٥. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، الأعلمي، طهران ١٣٦٢.
٢٦. البلد الأمين والدرع الحصين، الشيخ إبراهيم الكفعمي، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٨٣ ش.
٢٧. تاج العروس، الزبيدي، بيروت، ١٤١٤.
٢٨. تاريخ الإسلام، الحافظ الذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب، ط الأولى، ١٤٠٧.
٢٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧.
٣٠. تاريخ مدينة دمشق، الحافظ ابن عساكر، تحقيق علي شيري، دار الفكر، ١٤١٥.

٣١. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين الحسيني الاسترآبادي، مؤسسة الإمام المهدي، قم ١٣٦٦.
٣٢. التحصين، السيد ابن طاووس، تحقيق الأنصاري، دار الكتاب، قم، ط الأولى، ١٤١٣.
٣٣. تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط الثانية، ١٤٠٤.
٣٤. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، الحافظ المزّي، المكتب الإسلامي والدار القيمة، ط الثانية، ١٤٠٣.
٣٥. تذكرة الخواصّ، سبط ابن الجوزي، قدّم له: السيد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٣.
٣٦. تذكرة الموضوعات، الهندي الفتني.
٣٧. تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرعشي، ١٤١٤.
٣٨. تصنيف نهج البلاغة، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، ط الثالثة ١٣٧٥ش.
٣٩. تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي، المكتبة العصرية، صيدا.
٤٠. تفسير ابن كثير، ابن كثير، دار المعرفة بيروت، ١٤١٢هـ.
٤١. تفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٧٨.
٤٢. تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
٤٣. تفسير الرازي، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة.
٤٤. تفسير روح المعاني، الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥.
٤٥. تفسير السمعاني، أبو سعد السمعاني، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨.
٤٦. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، بيروت، ١٩٨٢م.
٤٧. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، مكتبة الاسلامية، طهران.
٤٨. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، الطبعة الأولى، طهران ١٤١٠.
٤٩. تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، دارالكتاب، قم، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.
٥٠. تفسير كنز الدقائق، محمّد بن محمّد رضا القمي المشهدي، تحقيق حسين درگاهي،

ط الأولى، ١٣٦٦ ش.
٥١. تفسير مجمع البيان، الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٥٢. التفسير المنسوب الي الإمام العسكري، مؤسسة الإمام المهدي، قم ١٤٠٩.
٥٣. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٧٠.
٥٤. تكملة أمل الآمل، السيد حسن الصدر، مكتبة المرعشي، ١٤٠٦.
٥٥. تمهيد الأصول، شيخ الطائفة الطوسي، تصحيح عبدالمحسن مشكوة الديني، منشورات جامعة طهران، ١٣٦٢ ش.
٥٦. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورّام بن أبي فراس، دارالكتب الاسلامية، طهران.
٥٧. التوحيد، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٥٨. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، تحقيق سيد حسن الخرسان، دارالكتب الإسلامية.
٥٩. الثقات، ابن حبان التميمي البستي، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى.
٦٠. ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، قم، ط الثانية، ١٣٦٨ ش.
٦١. جامع الأسرار ومنبع الأنوار، السيد حيدر الآملي، انجمن ايران شناسى فرانسه وشركت انتشارات علمى وفرهنگى، ط الثانية، ١٣٦٨ش.
٦٢. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبرّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨.
٦٣. جامع الرواة، محمّد علي الأردبيلي، مكتبة المحمدي.
٦٤. جامع السعادات، المولى مهدي النراقي، النجف الأشرف.
٦٥. الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، دارالفكر بيروت، ١٤٠١هـ.
٦٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، بيروت ١٤٠٥هـ.
٦٧. الجواهر السنيّة، الحرّ العاملي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٤.
٦٨. جواهر العقدين في فضل الشرفَين، الإمام نورالدين علي بن عبدالله السمهودي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٩. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
٧٠. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدرالدين محمّد الشيرازي، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨١ م.
٧١. خزانة الأدب، البغدادي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٩٩٨ م.
٧٢. خصائص الأئمة، الشريف الرضي، تحقيق محمّد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٠٦.
٧٣. الخصال، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣.
٧٤. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
٧٥. الدعوات، قطب الدين الراوندي، قم ١٤٠٧هـ.
٧٦. ذخائر العقبى، محب الدين الطبري، القاهرة، ١٣٥٦.
٧٧. الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة، العلامة الشيخ آقابزرگ الطهراني، إسماعيليان، قم، ط الثانية.
٧٨. رجال الكشي، الشيخ الطوسي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.
٧٩. رجال النجاشي، أبو العباس النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط الخامسة، ١٤١٦.
٨٠. رسائل الشهيد الثاني، الشهيد الثاني، مكتبة بصيرتي، قم، طبعة حجريّة.
٨١. روضة المتقين في شرح من لايحضره الفقيه، مولى محمّد تقي المجلسي، بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمّد حسين كوشانپور.
٨٢. روضة الواعظين، الفتال النيشابوري، منشورات الشريف الرضي، ط الاولى ١٣٦٨
٨٣. الرياض النضرة في المناقب العشرة، المحب الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٤. زاد المسير، أبوالفرج ابن الجوزي، دارالفكر ١٤٠٧هـ.
٨٥. سلوة الشيعة، أبوالحسن علي بن أحمد الفنجكردي النيسابوري، تحقيق: جويا جهانبخش، مكتبة البرلمان، طهران، ١٣٨٤ ش.
٨٦. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، انتشارات دارالفكر.
٨٧. السنّة، الحافظ أبوبكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلّد الشيباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥.
٨٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤.

٨٩. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، بيروت، ٢٠٠٠م.
٩٠. شرح الأخبار، القاضي نعمان المصري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.
٩١. شرح الأسماء الحسنى، ملا هادي السبزواري، مكتبة بصيرتي، الطبعة الحجرية.
٩٢. شرح غرر الحكم، جمال الدين محمد خوانساري، منشورات جامعة طهران ١٣٤٦ ش.
٩٣. شرح فصوص الحكم، القيصري الرومي، تحقيق جلال الدين آشتياني، شركت انتشارات علمى وفرهنگى، ط الأولى، ١٣٧٥ ش.
٩٤. شرح نبراس الهدى، الحكيم المولى هادي السبزواري، منشورات بيدار، ط الأولى، ١٤٢١.
٩٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.
٩٦. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، مكتب الإعلام الإسلامي، ط الأولى، ١٣٦٢ ش.
٩٧. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، مجمع إحياء الثقافة، ١٤١١.
٩٨. شهداء الفضيلة، العلامه الأميني، دارالشهاب قم، من دون تاريخ.
٩٩. الصحاح، الجوهري، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧.
١٠٠. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الطبعة الثانية، ١٤١٤.
١٠١. صحيح البخاري، محمّد بن اسماعيل البخاري، دارالفكر، ١٤٠١.
١٠٢. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.
١٠٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دارالفكر، بيروت.
١٠٤. الصراط المستقيم إلىٰ مستحقّي التقديم، زين الدين العاملي البياضي، المكتبة المرتضوية، ط الأولى، ١٣٨٤.
١٠٥. الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي المكي، مكتبة القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٥.
١٠٦. طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة)، الشيخ آقابزرگ الطهراني، تعليقات: السيد عبدالعزيز الطباطبائي، دار المرتضى، مشهد، ط الثانية، ١٤٠٤.
١٠٧. علل الشرائع، الشيخ الصدوق، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

١٠٨. علي في الكتاب والسنة والأدب، حسين الشاكري، ط الأولى، ١٤١٨.
١٠٩. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب الإمام الأبرار، ابن بطريق الأسدي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧.
١١٠. عوالي اللئالي، ابن أبي الجمهور الاحسائي، تحقيق آقا مجتبى العراقي، سيد الشهداء بقم.
١١١. عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، نشرجهان، طهران، ١٣٧٨هـ.
١١٢. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، مكتبة الحياة، بيروت.
١١٣. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى، منشورات دار الحديث.
١١٤. الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق المحدث الأرموي.
١١٥. غاية المرام، السيد هاشم البحراني، تحقيق: السيد علي عاشور.
١١٦. الغدير، العلامه الأميني، مطبعة الحيدري طهران، ط الرابعة، ١٣٩٦هـ.
١١٧. الغدير في التراث الاسلامي، عبدالعزيز الطباطبائي، بيروت ١٤١٤هـ.
١١٨. الغرباء من المؤمنين، أبوبكر محمّد بن الحسين الآجري، دار الخلفاء، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٣.
١١٩. الغيبة، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط الأولى، ١٤١١.
١٢٠. الفتوحات المكية، ابن العربي، دار صادر، بيروت.
١٢١. فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين، إبراهيم بن محمّد بن مؤيد الحمويني، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، ١٣٨٣.
١٢٢. فردوس الأخبار، الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧.
١٢٣. الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحرّ العاملي، مؤسسة معارف اسلامي امام رضا، ط الأولى، قم، ١٤١٨.

١٢٤. الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي، النجف الأشرف، ١٩٦٢م.

١٢٥. فقه القرآن، قطب الدين الراوندي، مكتبة المرعشي، ١٤٠٥.

١٢٦. فهرس مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام العامّه في النجف الأشرف، عبدالعزيز الطباطبائي، مؤسّسة المحقق الطباطبائي، قم، قيد الطبع.

١٢٧. فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المناوي، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٥.

١٢٨. قرب الإسناد، الحميري القمي، آل البيت، قم، ١٤١٣.

١٢٩. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دارالكتب الإسلامية، ١٣٦٧ش.

١٣٠. كامل الزيارات، جعفر بن محمّد بن قولويه، مؤسسة النشر الإسلامي، ط الأولى، ١٤١٧.

١٣١. كتاب الزهد، حسين بن سعيد الكوفي، تحقيق ميرزا غلامرضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩.

١٣٢. كشف الخفاء، العجلوني، دار الكتب العلمية، ط الثالثة، ١٤٠٨.

١٣٣. كشف الغمة، الإربلي، بيروت، ١٤٠٥.

١٣٤. كفاية الأثر، الخزاز القمي الرازي، انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١.

١٣٥. كفاية الطالب، محمد بن يوسف الگنجي الشافعي، ط ٣، ١٣٦٢.

١٣٦. كمال الدين، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥.

١٣٧. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، المتّقي الهندي، ط الأولى ١٣٩٠.

١٣٨. كنز الفوائد، أبوالفتح الكراجكي، انتشارات مصطفوي، قم، ١٣٦٩.

١٣٩. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩.

١٤٠. لسان العرب، ابن منظور، قم، ١٤٠٥.

١٤١. مائة منقبة، ابن شاذان القمي، مدرسة الإمام المهدي، قم ١٤٠٧.

١٤٢. المجازات النبوية، الشريف الرضي، تحقيق طه محمّد الزيتي، مكتبة بصيرتي، قم.

١٤٣. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، طهران، ط الثانية، ١٣٦٢ ش.

١٤٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، بيروت، ١٤٠٨.

١٤٥. مجموعه رسائل فلسفي، صدرالمتألهين الشيرازي، انتشارات حكمت، ١٣٧٥ش.

١٤٦. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٣٣٠ش.
١٤٧. المحتضر، حسن بن سليمان الحلِّي، انتشارات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٢.
١٤٨. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، تهران، ١٣٤٢ش.
١٤٩. المحقق الطباطبائي في ذكراه السنوية الأولى، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١٧.
١٥٠. مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الحلي، المطبعة الحيدرية في النجف، ط الأولى، ١٣٧٠.
١٥١. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط الأولى، ١٤١٣.
١٥٢. مرآة العقول، العلامة المجلسي، دارالكتب الإسلامية، ط الثانية، ١٤٠٤.
١٥٣. المراجعات، العلامة شرف الدين، ط الثانية، ١٤٠٢.
١٥٤. المزار، الشهيد الأول، مؤسسة الإمام المهدي، ط الأولى، ١٤١٠.
١٥٥. المزار، محمد بن المشهدي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٩.
١٥٦. المسائل السروية، الشيخ المفيد، تحقيق: صائب عبدالحميد، دار المفيد، ط الثانية، ١٤١٤.
١٥٧. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دارالمعرفة، بيروت.
١٥٨. مستدرك الوسائل، المحدّث النوري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
١٥٩. مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، دار صادر، بيروت.
١٦٠. مسند الإمام الرضا عليه السلام، عزيز الله العطاردي، مشهد، ١٤٠٦.
١٦١. مسند أبي يعلىٰ الموصلي، الحافظ أحمد بن علي المثنىٰ التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤.
١٦٢. مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي، الأعلمي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩.
١٦٣. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، أبوالفضل علي الطبرسي، تحقيق مهدي هوشمند، الطبعة الأولى، دار الحديث.
١٦٤. مصباح الزائر، السيد ابن طاووس، مؤسسة آل البيت ع، قم ١٤١٧.

١٦٥. المصباح، الشيخ إبراهيم الكفعمي، مؤسسة الأعلمي، ط الثالثة، ١٤٠٣.
١٦٦. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، بيروت ١٩٩١م.
١٦٧. المصنّف، ابن أبي شيبة الكوفي، دارالفكر بيروت، ١٤٠٩.
١٦٨. مصنّفات الشيخ المفيد، الشيخ المفيد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣.
١٦٩. معالم الزلفى، السيد هاشم البحراني، مؤسسة أنصاريان، قم، ط الأولى، ١٤٢٤.
١٧٠. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٦١ش.
١٧١. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، دارالحرمين، ١٤١٥.
١٧٢. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧٣. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي.
١٧٤. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٧٥. المعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي، رواية عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٥م.
١٧٦. مقتضب الأثر، ابن عياش الجوهري، مكتبة الطباطبائي، قم.
١٧٧. مكيال المكارم، ميرزا محمّد تقي الاصفهاني، تحقيق السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي، ط الأولى، ١٤٢١.
١٧٨. الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دارالمعرفة بيروت.
١٧٩. مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.
١٨٠. المناقب، أبو المؤيد الموفق الخوارزمي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط الثانية، ١٤١١.
١٨١. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، محمّد بن سليمان الكوفي، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، ط الأولى، ١٤١٢.
١٨٢. المنتخب من مسند عبدبن حميد الكشي، عالم الكتب و مكتبة النهضة الحديثة، ط الأولى، ١٤٠٨.

١٨٣. منطق المشرقيين والقصيدة المزدوجة، ابن سينا، مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٥.
١٨٤. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط الثانية.
١٨٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، الإمام المهدي، ط ٤، ١٣٦٠ ش.
١٨٦. منية المريد، الشهيد الثاني، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٦٨ش.
١٨٧. موسوعة طبقات الفقهاء، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، ط الأولى، ١٤١٨.
١٨٨. الموطأ، الإمام مالك، تحقيق محمّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦.
١٨٩. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٩٠هـ.
١٩٠. نفحات الأزهار، السيد علي الحسيني الميلاني، ط الأولى، ١٤١٤.
١٩١. نوادر المعجزات، محمّد بن جرير الطبري الشيعي، مؤسسة الإمام المهدي، ط الأولى، ١٤١٠.
١٩٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، إسماعيليان، ط الرابعة، ١٣٦٤ ش.
١٩٣. نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق الدكتور صبحي الصالح.
١٩٤. وسائل الشيعة، المحدّث الحرّ العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.
١٩٥. وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.
١٩٦. الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، بيروت، ١٩٩١م.
١٩٧. اليقين، السيد ابن طاووس، تحقيق: الأنصاري، دار الكتاب، قم.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنيّة

فهرس الأحاديث

الحديث	القائل	الصفحة
إنّي شققتُ اسمه من اسمي وأدّبتُهُ بأدبي ...	الله ﷻ	٧٤، ٨٣
إنّي كنت أوّل من آمن بربّي، وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق ...	رسول الله ﷺ	١٥٧
إنّي كنت أوّلَ من أقرّ بربّي، وأوّلَ مَن أجاب حيث ...	رسول الله ﷺ	٢٣٧
إنّي لأعلمُ أنّ هذا الحبَّ الذي تحبّونا ...	الإمام الباقر عليه السلام	٣٩٦
إنّي وجدت أصل الخلق التُّراب، والأب آدم والأمّ حوّاء، خَلَقَهُم ...	الإمام الصادق عليه السلام	١٤٨
أوحى الله إلى نبيّه: (فَاسْتَمْسِكْ ...	الإمام الباقر عليه السلام	١٧٩
أوحى الله تعالى إلى نبيّه (فاستمسك بالذي ...	الإمام الباقر عليه السلام	٦٩
أوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى! لا تفرح ...	الإمام الصادق عليه السلام	٤٣
أوّل العابدين أوّل المطيعين	الإمام الصادق عليه السلام	٢٢٨
أوّل الناس بي إيماناً وآخرهم عهداً وأوّلهم لي لقاءاً ... (قالها في علي)	رسول الله ﷺ	١٧٣
أوّل الناس وروداً على الحوض أوّلهم إسلاماً عليّ ...	رسول الله ﷺ	١٧٦
أوّل النبيّين ميثاقاً وآخرهم مبعثاً		١١٤
أوّل من تَنشَقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامة أنا ...	رسول الله ﷺ	١١٥
أوّل من تنشقّ عنه الأرضُ يومَ القيامة ...	رسول الله ﷺ	١٦٥
أوّل من سبق من الرسل إلى بَلى رسولُ الله، وذلك أنّه كان أقرب ...	الإمام الصادق عليه السلام	٢٢٥
أوّل من قال بَلى محمّدٌ، فصار بسبقه إلى بلى سيّد الأوّلين و ...	الإمام الصادق عليه السلام	٢٤٨
أوّل من يدخل الجنّة من النبيّين والصدّيقين عليّ بن أبي طالب ...	رسول الله ﷺ	١٧٦
أوّل من يدعى من ولد آدم للمسائلة محمّد بن عبد الله ...	الإمام الباقر عليه السلام	١٦٦
أهل الدنيا كَرَكبٍ يُسارُ بِهم وهُم نِيامٌ	أمير المؤمنين عليه السلام	٥٠
إيّاكم والبِطنَة فإنّها مقساةٌ للقلب	أمير المؤمنين عليه السلام	٣٤
إيّاكم والظُلم! فإنّه يخرّب قلوبكم كما ...	رسول الله ﷺ	٣٧
أين الذين أخلصوا أعمالهم لله وطهّروا قلوبهم لمواضع نظر الله ﷺ	أمير المؤمنين عليه السلام	٣٤
أيّها المؤمنون! إنّه من رأى عدواناً يُعمَل به ومنكراً يُدعى إليه فأنكر ...	أمير المؤمنين عليه السلام	١٧

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

□

فهرس الطوائف والقبائل والفرق

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الوقائع والأيّام

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المطالب

المطلب الأوّل

المطلب الثاني

المطلب الثالث

المطلب الرابع